

أمريكا

رواية

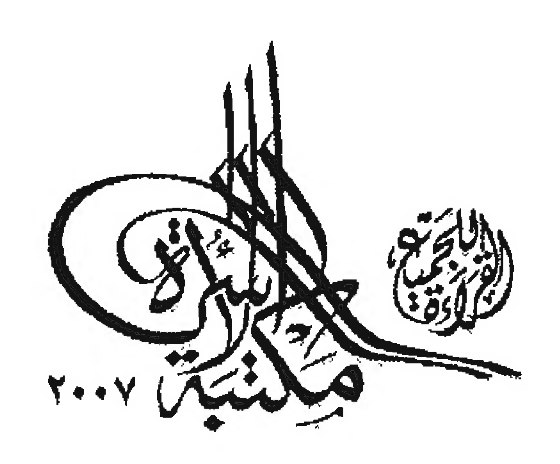
فرانز كافكا

ترجمة

الدسوقي فهمي



مكتبة ٢٠٠٧



برعاية السيدة

سوزان مبارك

المشرف العام
د . ناصر الأنصارى

تصميم الغلاف
د . مدحت متولى

الإشراف الطباعى
محمود عبد المجيد

الإشراف الفنى
على أبو الخير
ماجدة عبد العليم
صبرى عبد الواحد

الجهات المشاركة
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التربية والتعليم
وزارة التنمية المحلية
وزارة الشباب

التنفيذ
الهيئة المصرية العامة للكتاب

أمريكا

لوحة للفنان: ثروت البحر

كإضافة جديدة لمكتبة الأسرة قدمنا على غلاف كل كتاب لوحة تشكيلية لفنان مصرى معاصر من مختلف المدارس والأجيال وهذه اللوحات لا تعبر بالضرورة عن موضوع الكتاب.

وتتقدم مكتبة الأسرة بالشكر لقطاع الفنون التشكيلية بوزارة الثقافة ومتحف الفن المصرى الحديث على هذا التعاون.

me3refaty.blogspot.com ** معرفتى

كافكا ، فرانز .

أمريكا/ فرانز كافكا؛ ترجمة: الدسوقى فهمى.

ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٧.

٢٧٤ ص ؛ ٢٠سم. (روايات الهلال).

تدمك ٩ - ٩٥٢ - ٤١٩ -٩٧٧.

١- القصص الإنجليزية.

أ - فهمى، الدسوقى (مترجم).

ب - العنوان . جـ - السلسلة.

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠٠٣٦ / ٢٠٠٧

I.S.B.N 977- 419-952-9

ديوى ٨٢٣

توطئة

تعتبر القراءة منذ فجر التاريخ أول وأهم أدوات المعرفة، وعنصرًا لا غنى عنه من عناصر بناء الحضارة، فمنذ نقش حكيم مصرى قديم وصية لابنه على ورق البردى: «يا بنى ضع قلبك وراء كتبك، واحببها كما تحب أمك. فليس هناك شىء تعلو منزلته على الكتب»، ومذ أطلق د. طه حسين مقولته: «إن القراءة حق لكل إنسان، بل واجب محتوم على كل إنسان يريد أن يحيا حياة صالحة» ومذ كتب العقاد جملته الآسرة: «إنما أهوى القراءة؛ لأن عندى حياةً واحدةً فى هذه الدنيا، وحياة واحدة لا تكفينى»، ومذ قررت السيدة الفاضلة **سوزان مبارك** تحويل الحلم إلى واقع مؤكد منذ ستة عشر عامًا: «إن الحق فى المعرفة يتصدر أولويات العمل، ولا يقل عن الحقوق الصحية والاجتماعية»، ومسيرة القراءة للجميع تمضى بخطوات ثابتة وواسعة لتحقيق أهدافها فيلتف القراء حول أضخم مشروع نشر فى الوطن العربى، ويطالبون خلال السنوات السابقة باستمراره طوال العام، وها هو المشروع يقرر الاستمرار طوال العام بعد انتهاء فترة العطلة الصيفية ليتحقق شعاره بالفعل.. **القراءة للحياة**.

لقد استطاعت **مكتبة الأسرة** خلال مسيرتها تمكين الشاب والمواطن من الاطلاع على الأعمال الأدبية والإبداعية والدينية والفكرية، التى شكلت وجدانه وحضارته، وعملت على إشاعة الأفكار

التنويرية الحقيقية، التى عكست جهود التنوير للشعب المصرى فى العصر الحديث، وحرصت على تقديم أحدث الإنجازات العلمية بنشر أحدث مؤلفات العلماء التى تواكب التطور العلمى والتكنولوجى فى العالم، وأقامت جسرًا مع الحضارات الأخرى من خلال إعادة طبع كلاسيكيات ودرر العالم المترجمة، التى تعرض إنجازات الشعوب الأخرى فى المجالات الأدبية والفكرية والعلمية، وعملت على تأكيد الهوية القومية من خلال نشر التراث المستنير العربى والإسلامى، الذى مَثَّل نقطة انطلاق مضيئة فى مسيرة الإنسانية.

لقد أعادت **مكتبة الأسرة** للكتاب أهميته ومكانته كمصدر مهم وخالد من مصادر المعرفة، وأحدثت عبر عطائها المتميز وبنائها الدءوب الحقيقى صحوة ثقافية بالمجتمع المصرى تؤكدها المؤشرات العامة والأرقام، التى يتم رصدها وتحليلها منذ بداية المشروع، فالأرقام تسجل ارتفاعًا ملحوظًا فى نصيب المواطن المصرى من القراءة، وإصدار ملايين النسخ من الكتب ونفادها الفورى من الأسواق، وازدياد العناوين المطروحة عامًا بعد عام.

لقد بلغت عناوين **مكتبة الأسرة** أكثر من ثلاثة آلاف وخمسمائة عنوان فيما يربو عن واحد وأربعين مليون نسخة، كنتاج فكرى وإبداعى لعدد من الكُتّاب والمترجمين والرسامين يزيد عن ألفى مبدع ومفكر.

وما زالت **مكتبة الأسرة** التى أصبح لها فى كل بيت ركن مميز تواصل تقديم إصداراتها للعام الرابع عشر على التوالى، كرافد رئيسى من روافد القراءة للجميع، وصرح شامخ فى المكتبة العربية، يفتح نوافذ جديدة كل يوم على آفاق تنشر الخير والمعرفة والجمال والحق والسلام.

مكتبة الأسرة

تقديم

«أمـريكا» هـى الرواية الأخـيـرة لفـرانز كـافكا، وهى الـرواية المنقـوصة، التى لم تكتمل، حيث انقطع كافكا عن كتابتها فظلت ناقصة، ونشرت بعد رحيله.

والرواية لم تكن تحمل عنوانًا، وإن كان كافكا يشير إليها دائمًا بأنها «الرواية الأمريكية» وتعد من أكثر إبداعاته تفاؤلا، كما تمتاز ببساطة اللغة، وسهولة التركيبات، ووضوح الرؤية.

وقد استفاد كافكا فى روايته «أمريكا» من عشقه الخاص لكتب الرحلات والسير الذاتية والمذكرات الشخصية، هذا بالإضافة إلى رحلاته هو شخصيًا لكثير من بقاع فرنسا وإيطاليا.

ولد فرانز كافكا فى براغ بالنمسا عام ١٨٨٣ وقد كان يعانى من صـرامـة والده فى طفـولتـه بالإضـافـة إلـى هزال واضح فى بدنه. حصل على درجة الدكتوراه فى القانون، والتحق بالعمل فى مؤسسة للتأمينات العمالية، وأصيب بالسل، لكنه كان يكتب باستشراف للمستقبل، حيث تنبأ بمجىء الدكتاتورية، التى سحقت «الفرد»، ودمرت آدميته.

وقد عاش عمره القصير «٤١ عامًا» كاتبًا مغمورًا، غير معروف إلا لعدد قليل من أصدقائه، وكان محبطًا لدرجة أنه أوصى أقرب أصدقائه بإعدام آثاره كلها، ولكنه نشرها بعد وفاته عام ١٩٢٤، فشكلت هذه الآثار.. «المحاكمة»، «القضية»، «القصر»، «المسخ»، «أمريكا»، وعدد من القصص القصيرة، والرسائل واليوميات، ثورة فى السرد العالمى وكانت بمثابة مدرسة لعدد كبير من الروائيين.

ترجم هذه الرواية إلى العربية، المترجم والأديب والفنان التشكيلى الدسوقى فهمى، الذى اهتم اهتمامًا خاصًا بفرانز كافكا، حيث عكف على ترجمة آثاره الإبداعية كلها، ورسائله ويومياته.

ومكتبة الأسرة تحرص على تقديم روايته «أمريكا» ضمن إصداراتها هذا العام عن طبعتها الأولى الصادرة عام ١٩٧٠.

** معرفتي **
me3refaty.blogspot.com

الفصل الأول

المطشجى

عندما توقف كارل روسمان ــ وهو صبى بائس فى السادسة عشرة ــ حمله أبواه على الرحيل الى أمريكا ، لانه استجاب لاغراء خادمة ، فانجبت منه طفلا ــ على ظهر الباخرة التى كانت تدخل ببطء ميناء نيويورك ، بدا له كما لو كانت أشعة الشمس قد أضاءت فجأة تمثال الحرية ، وعلى هذا فقد رآه فى ضوء جديد ، مع أنه كان قد تطلع اليه قبل وقت طويل ٠ كانت الذراع القابضة على السيف ، قد ارتفعت وكأنها قد انفردت لتوها مرفوعة الى أعلى ، وكانت رياح الاعالى المنطلقة تهب حول التمثال ٠

قال فى نفسه : ما اشد ارتفاعه !

ــ بينما كان يقترب تدريجيا من الرصيف ، يدفعه حشد الحمالين المتدافعين المتزايد ، لأن فكرة مغادرة الباخرة لم تكن بعد قد طرأت على باله ٠

وصاح به شاب كان قد تعرف عليه خلال الرحلة وهو يمر به ٠ « لا يبدو عليك الاهتمام كثيرا بامر الهبوط الى الشاطىء ، أليس كذلك ؟ » فأجابه كارل ضاحكا : « أوه ، اننى على أتم الاستعداد لذلك ، ولما كان نشيطا ، ومنشرحا ، فقد رفع صندوقه الى كتفه ، لكن ، بينما كانت عيناه تتعقبان ذلك الشخص ، وهو يتدافع ليشق لنفسه طريقا الى الامام وسط الاخرين ويطوح فى خفة بعكاز فى يده ، تذكر فى فزع انه كان قد نسى مظلته أسفل ، فى قاع الباخرة ، فأسرع يرجو ذلك الشخص الذى يعرفه ، والذى لم يبد ارتياحا فى الحقيقة لتلبية رجائه بأن يسدى اليه جميلا بالانتظار دقيقة الى جوار الصندوق ، ثم ألقى نظرة أخرى على الزحام لكى يحسب حساب العودة ، وأسرع بالذهاب .. واسفل سطح الباخرة ، وجد آسفا ، ان ثمة سقالة ، كانت قد مهدت على عجل ، للمرة الاولى طبقا لمعلوماته ، ربما للاسهام فى هبوط ذلك الحشد الهائل من المسافرين الى الشاطىء ، وكان عليه أن يشق طريقه فى جهد هابطا الدرجات الحلزونية التى لا نهاية لها ، وعبر ممرات لاحصر لمنعطفاتها ، وعبر حجرة خالية بها مائدة كتابة عارية ، ولما كان قد مر بهذا الطريق مرة فقط أو مرتين وسط حشود

الاخرين فى كلا المرتين ، شعر بضياعه تماما ، وبالحيرة تستولى عليه ، حينما لم يسعه التعرف على أحد ، ولم يعد يسمع سوى وقع الاقدام المتتابعة التى لا تهدأ ، وقع آلاف الاقدام فوقه ، وآلاف الاقدام يأتيه وقعها من بعد ، ويصله كأنه الانفاس الواهنة ، ثم الخفقات الاخيرة للالات التى كانت قد توقفت فى النهاية ، فراح بلا وعى يدق على باب صغير كان قد تصادف وقوفه أمامه فى أثناء تجوله الذى طال فى قاع الباخرة

وأجابه صوت من الداخل قائلا : « انه ليس مغلقا ! » ، ففتح كارل الباب فى ارتياح . ووجه اليه الرجل الضخم الجثة ، السؤال دون ان يكلف نفسه عناء النظر اليه : « لماذا كنت تطرق الباب كالمجنون ؟ » وخلال فتحة ما كان يتسرب ضوء النهار فى خفوت ، وكل ما كان قد تبقى بعد حاجة الادوار العليا ، كان غارقا فى ظلام تلك القمرة المتواضعة حيث كان ثمة سرير سفرى وخزانة ومقعد ، والرجل ، كانوا جميعا قد تكوموا معا ، وكأنهم قد اختزنوا فى هذا المكان . قال كارل : « لقد ضللت طريقى ! » لم الاحظه فى اثناء الرحلة ، ثم ان هذه الباخرة ضخمة الى حد مخيف ! فأجابه الرجل قائلا فى شىء من الفخر .

ــ « نعم ، انك محق فى هذا القول » ، بينما كان يعبث طوال الوقت بقفل صندوق سفرى صغير ، راح يضغط عليه بكلتا راحتيه على أمل ان يسمع صوت انفتاح القفل ، ثم استأنف حديثه قائلا : « لماذا لاتدخل ؟ » انك لاترغب فى الوقوف مكانك هكذا خارج الحجرة ! » فقال كارل . « الا يزعجك وجودى ؟ »

ــ لماذا ، كيف يمكنك ان تزعجنى ؟

فسأله كارل رغبة فى المزيد من الاطمئنان : ــ هل انت المانى ؟ ذلك انه كان قد سمع عن الكثير من المخاطر التى يتعرض لها الوافدون الجدد الى أمريكا ، وخاصة تلك المتاعب التى يسببها الايرلنديون .. وأجابه الرجل قائلا : « نعم ، اننى كذلك ! » وظل كارل واقفا فى تردد ، ثم أمسك الرجل فجأة مقبض الباب ، ودفعه فانغلق فى حركة خاطفة ، دافعا كارل الى داخل القمرة .

قال : « اننى لا احتمل النظرات التى يوجهها الى الاخرون من الممر » .. ثم عاد الى مواصلة محاولاته لفتح الصندوق . « ان الناس لا يتوقفون عن المرور ، والتحديق فى داخل القمرة ، وهذا اكثر مما فى مقدور المرء ان يحتمله ! » فأجابه كارل قائلا « ولكن الممر قد خلا تماما » .. كان يقف محصورا بطريقة مرهقة خلف حافة الفراش ، وقال الرجل « نعم .. خلا الان منهم ! » .. قال كارل فى نفسه :

« لكن « الان » هو مانتحدث عنه ! ، من الصعب الحديث مع هذا الرجل ! »

قال له الرجل : « استلق فوق الفراش ، ففيه متسع لك ، بدلا من المكان الضيق الذى تقف فيه ! زحف كارل الى الفراش فى جهد ، وضحك فى صوت مرتفع بعد محاولة القفز الاولى الفاشلة التى قام بها للاستقرار فوق الفراش ، ولكنه ما كاد يصبح فوقه حتى صاح . « ياالهي .. لقد نسيت الصندوق تماما ! »

ـ لماذا .. اين هو ؟

ـ فوق .. على سطح الباخرة ، يحرسه شخص كنت قد تعرفت به ، ماهو اسمه ياترى مرة اخرى ؟.. واخرج بطاقة من بطاقات الزيارة من داخل جيب كانت امه قد خاطته له فى بطانة معطفه لينتفع به فى رحلته . « باتربوم ، فرانز باتربوم ! »

ـ الا يمكنك أن تستغنى عن ذلك الصندوق ؟

ـ لا .. بالطبع !

ـ حسنا ، فلماذا اذن تركته فى يدى غريب ؟

ـ كنت قد نسيت مظلتى فى اسفل الباخرة ، فاندفعت مسرعا لاحضارها ولم ارغب فى سحب الصندوق معى .. و .. لقد ضللت طريقى فوق هذا كله !

ـ هل انت وحيد ، بلا اى شخص ليرعى شئونك ؟

ـ نعم وحيد تماما ! و .. لعلنى انضم الى هذا الرجل ، طرات الفكرة فجاة على راس كارل .

« أين عسانى ان اعثر على صديق طيب ؟ »

ـ و .. الان فقد فقدت الصندوق ايضا ، ولا مجال لذكر المظلة !

جلس الرجل أخيرا فوق المقعد ، وكانت مشكلة كارل قد جذبت اهتمامه فى نهاية الامر

ـ ولكنى اعتقد ان صندوقى لايمكن ان يكون قد فقد !

فأجابه الرجل قائلا : « فى امكانك ان تعتقد ماشئت ! وراح يحك فى عنف ، شعره القصير ، الكثيف . الداكن .. على أن الاخلاق تختلف باختلاف كل ميناء جديد تدخله ، ففى هامبورج قد يقوم باتربوم الذى ذكرته بحراسة صندوقك ، بينما يبدو أنه هنا قد اختفى على الاغلب باختفاء الصندوق !

ورد كارل قائلا : يجب على اذن أن أعود الى سطح الباخرة فورا لاتحقق من الامر ! ونهض ، وهو يتطلع حوله ليبحث عن طريقه الى

خارج القمرة . وأجابه الرجل قائلا وهو يدفعه بيده ، بينما كانت يده الاخرى على صندوقه ، دفعة عنيفة ، سقط بسببها كارل مستلقيا مرة أخرى على الفراش : يجب أن تبقى حيث أنت :

تساءل كارل فى حنق قائلا : ولماذا أبقى ؟

وأجابه الرجل قائلا : لانه لاحاجة بك الى الذهاب ، كما أننى سانصرف ايضا ، ويمكننا ان نمضى معا ، ان الصندوق قد سرق ، وعلى هذا فلا حيلة لك الان فى استرداده ، وربما يكون الرجل قد تركه حيث هو ، وفى هذه الحالة ، سنجده فى مكانه بسهولة ، عندما تفرغ الباخرة من المسافرين ، وينطبق الامر نفسه على مظلتك .

فسأله كارل فى شك . وهل تعرف طريقك بسهولة فى ممرات الباخرة؟

وبدت له فكرة احتمال العثور على حاجياته بسهولة فى حالة فراغ الباخرة من ركابها ، فكرة مقنعة ، وان يكن ثمة خداع لعله ان يكون خلف هذه الفكرة على نحو ما .

قال الرجل : وكيف لا اعرفه ، اننى عطشجى !

فصاح كارل فى اغتباط .

ـ انت عطشجى ، كما لو كان ذلك الامر قد فاق كل تصوراته ، فنهض معتمدا على كوعه حتى يتمكن من تفحص الرجل اكثر عن قرب

ـ كانت توجد ثمة نافذة صغيرة فى مواجهة الحجرة التى كنت أنام فيها مع السلوفاك مباشرة ، وكان فى امكاننا ان ننظر من خلالها الى غرفة الآلات !

فأجابه العطشجى قائلا : نعم .. ذلك هو المكان الذى كنت اعمل فيه!

وقال كارل متعقبا تسلسل أفكاره . كان لدى دائما اهتمام بالآلات ، وكان فى مقدورى أن اصير مهندسا ميكانيكيا فى وقت من الأوقات ، هذا امر مؤكد .. فقط لو لم يكن على أن أرحل الى امريكا !

ـ ولماذا كان يتحتم عليك أن ترحل الى أمريكا .

قال كارل : آه .. هذه الحكاية ! .. متخلصا من المسالة كلها بطردها بيده ..

تطلع الى العطشجى بابتسامة ، كما لو كان يرجوه التجاوز عن امتناعه عن البوح !

قال العطشجى : لابد من سبب لذلك فيما اعتقد ؟

لم يكن من السهل الفصل فيما اذا كان العطشجى يشجع كارل بهذا القول على البوح ، أو لا يشجعه .

قال كارل : يمكننى أن أصبح وقادا الآن أنا أيضا ، فيستوى عند

والدي ووالدتي الحال الذى يؤول اليه أمرى !
قال العطشجي . ان وظيفتي سوف تخلو !.. ولكي يؤكد ادراكه لهذه الحقيقة ، دس يديه فى جيبى سرواله وطوح ساقيه فى داخل سرواله الذى يكاد يشبه الجلد ، ومددهما فوق الفراش ، وكان على كارل أن يتزحزح أكثر ناحية الحائط .
ـ هل ستغادر الباخرة ؟
ـ نعم .. لقد حصلنا اليوم على اجورنا !
ـ ولماذا تغادرها ، الا تحب هذا العمل ؟
ـ أوه .. ان الامور تجرى على هواها ، ولا يتوقف الامر على حب المرء لعمله ، أو عدم حبه له ، الا انك محق تماما ، فلست احب هذا العمل ، ولا اعتقد انك تفكر جديا فى العمل كوقاد ، الا انها الان الفرصة المناسبة لك ، لو راق لك بالفعل ان تصبح وقادا ، ولهذا فانني انصحك الا تفعل ، فلو كنت ترغب فى دراسة الميكانيكا فى اوروبا ، فلماذا لا تدرسها هنا ؟ ان الجامعات الامريكية افضل كثيرا من جامعات اوروبا!
قال كارل : « يمكنني ان افعل ، لكنني لا اكاد املك شيئا من المال ، لكى أفكر فى الدراسة ، ولقد قرات عن شخص ماكان يعمل طوال النهار فى باخرة ، وكان يدرس فى اثناء الليل ، حتى صار طبيبا ، ثم محافظا على ما اظن ، الا أن ذلك يحتاج الى كثير من المثابرة ، ألا يحتاج الى المثابرة ؟ واخشى الا يكون لدى الاستعداد لتلك المثابرة خاصة انني لم اكن تلميذا مجدا ، ولم اجد عناء شديدا فى نفسى لانصرافى عن الدراسة وربما كانت الدراسة هنا أكثر صعوبة .. فانا لا يمكنني أن اتحدث الانجليزية مطلقا ، ومهما كان الامر ، فالناس هنا متعصبون ضد الاجانب على ما اعتقد !
ـ « وعلى هذا فانت قد جئت ايضا على الرغم من هذا كله ، هل الامر كذلك ؟ حسنا اذن ، اعتقد ان الامر كذلك تماما ، واعتقد انك الشخص الذى ابحث عنه ، فانظر ، ان هذه الباخرة التى نحن عليها الآن باخرة المانية ، وهى تابعة لخط « هامبورج ـ امريكا » الملاحى ، فلماذا لا يكون طاقم البحارة جميعا من الالمان ، اننى اتوجه اليك بهذا السؤال ؟ ولماذا كان كبير المهندسين شخصا من رومانيا ، وهو رجل يدعى شوبال ، من الصعب تصديق ذلك ، كلب مصاب بالحصبة مثله يقودنا كالعبيد نحن الالمان الذين نعمل على باخرة المانية ، لاينبغى لك أن تظن ـ وهنا خانه صوته ، فاشار بيديه ـ اننى اشكو لمجرد الرغبة فى الشكوى ، اننى اعلم تماما أن لانفوذ لك ، وانك لست سوى فتى

بائسا أنت نفسك ، الا أن هذا الامر اكثر مما يمكن احتماله ! وهوى بقبضته عدة مرات على المائدة ، وعيناه لاترتفعان عنها ، بينما كان يمضي فى حديثه قائلا . « لقد عملت فوق المديد من هذه البواخر ، وذكر فى الحال عشرين اسما ، الواحد منها بعد الاخر كما لو كانت جميعا اسما واحدا ، وقد اثار هذا ضيق كارل به للغاية .. « و .. لقد قمت بعملى على خير مايرام ، عليها جميعا ، وكنت أتلقى المديح ، واحظى بتقدير كل قبطان عملت تحت رئاسته ، ولقد كنت اقضى بالفعل فوق اى باخرة شحن من تلك البواخر عددا من السنوات ملتصقا بالباخرة كأننى جزء منها ، هذا مافعلته ! » ثم نهض واقفا على قدميه ، كما لو كان قد فرغ من انجاز اهم عمل فى حياته ـ وهنا فوق هذه « القصعة » حيث تجرى جميع الاعمال طبقا لقاعدة ثابتة ، ولا يضطرك الامر مطلقا الى استخدام ذكائك ، هنا لا يرضون عنى ، انا هنا شىء تحت اقدام شوبال ، وانا هنا متراخ يجب ان يلقى به خارجا ، ولا يحق له أن يتقاضى اجره ، هل يمكنك أن تفهم ذلك ؟ .. اننى لا افهمه ؟

قال كارل فى تأثر : « الا يمكنك أن تتحمل ذلك ؟ » .. كان قد فقد تقريبا كل احساس بانه مستلق فى اعماق باخرة ما ، ترسو الى شاطىء قارة مجهولة ، وكان يغلب عليه الشعور بانه فى منزله هنا ، على فراش العطشجى ، « الم تتح لك فرصة الالتقاء بالقبطان فى مكان مامن هذه الباخرة ؟ الم تطلب منه أن يتيح لك الحصول على حقك ؟

ـ « .. أوه .. اخرج من هنا ، هيا ، انصرف الى الخارج ، لااريد ان اراك هنا ، انك لاتحسن الاستماع الى ما اقوله ، ثم .. توجه الى النصيحة ، كيف يمكننى الذهاب الى القبطان ؟ »

وجلس العطشجى ثانية فى تثاقل ، وأخفى وجهه بين راحتيه .

قال كارل لنفسه . « أليس فى امكانى ان اتقدم اليه بنصيحة أفضل من تلك ! »

ثم دار فى رأسه ان أفضل مايمكنه أن يفعل هو الذهاب للبحث عن صندوقه ، بدلا من تقديم النصيحة التى لا تقابل الا على أنها غباء ، قال له والده عندما أعطاه الصندوق ، مازحا : « كم من الوقت يمكنك أن تظل محتفظا فيه بهذا الصندوق ؟ » .. والان ربما كان ذلك الصندوق العزيز قد فقد بالفعل » ، كان عزاؤه الوحيد الذى تبقى له هو أن أباه لم يكن يسعه أن يعلم بسهولة شيئا عن حالته الراهنة ، حتى لو حاول أن يتحرى عن ذلك . كل ما كان يمكن للبحارة أن يقولوه ، لا شىء سوى انه قد وصل بسلام الى نيويورك ، الا أن كارل

قد شعر بالاسف عندما فكر فى انه لم يكد يستعمل بالمرة ، جميع الاشياء التى كان الصندوق يحتويها ، فلقد كان عليه ، على سبيل المثال ، أن يغير القميص الذى يرتديه بقميص نظيف آخر منذ مدة طويلة ، ولكنه لم يفعل ، وهكذا ذهب كل تدبيره عبثا ، ولم يحدث ذلك سوى الآن ، فى بداية عهده بالغربة ، حيث كان من الضرورى أن يظهر فى ملابس نظيفة ، كان مضطرا الي مواجهة الناس بالقميص القذر الذى يرتديه ، الا ان ضياع الصندوق لم يكن على هذه الدرجة من الخطورة ، ذلك ان البدلة التى كان يرتديها كانت بالفعل افضل كثيرا من تلك التى كان الصندوق يحتويها ، تلك البدلة التى كانت فى واقع الامر شيئا ينفعه فقط فى حالة الاضطرار ، كانت أمه قد أصلحتها على عجل قبل أن يرحل مباشرة ! ثم تذكر ان الصندوق كان يضم ايضا قطعة سالامى « لحم حمير » من فيرونيز ، كانت امه قد زودته بها كأكلة شهية اضافية ، لم يكن قد اكل منها سوى قطعة ضئيلة ، لانه كان قد فقد شهيته تماما طوال الرحلة ، وكان الحساء الذى كانوا يقدمونه فى الباخرة لركاب الدفة ، يزيد عن حاجته ، لكنه كان يود الان لو كان السالامى فى متناول يده ، اذن لأمكنه أن يهديه للمطشجى . ذلك لان امثال هؤلاء الناس يبهجهم ان يهديهم الاخرون شيئا زهيدا، كان كارل قد تعلم ذلك من والده الذى كان يدس السيجار فى جيوب صغار الموظفين الرسميين الذين كان يتعامل معهم ، فكان يكسبهم بهذا تماما . كل ماكان كارل يملكه الآن ليهدى منه ، لم يكن سوى نقوده ، ولم يكن يرغب فى أن يمسها فى هذه الآونة بالذات ، وخاصة بعد ان فقد صندوقه .. ثم تحولت افكاره ثانية الى الصندوق .. ولم يسعه أن يفهم لماذا كان حريصا على مراقبته ، مراقبة شديدة الى ذلك الحد طوال رحلته ، حتى إنه لم يكن يهنأ بالنوم خوفا عليه ، كل هذا .. لكى يتركه يسرق منه فى النهاية ، بمثل هذه السهولة ، وتذكر الليالى الخمس التى قضاها مركزا عينيه المرتابتين على فتى سلوفاكى كان سريره يقع الى اليسار ، بعد سريرين ، ذلك الفتى الذى كان يتحين الفرصة .. كان كارل واثقا من ذلك ، لكى يسطو على صندوقه ، كان ذلك الفتى السلوفاكى ينتظر فقط حتى يغلب النوم كارل ، فيستغرق فيه دقيقة واحدة ، وذلك لكى يتمكن من تدبير امر السطو على الصندوق ، واخفائه بعيدا ، بسحبه بعصا طويلة مدببة ، كان دائما يلعب بها ، او يتمرن عليها طوال النهار ، كانت البراءة تبدو فى أثناء النهار واضحة غاية الوضوح على وجه ذلك السلوفاكى ، ولكن

مايكاد الظلام يحل ، حتى يكثر من النهوض فى فراشه ليلقى نظرات مخبولة على صندوق كارل . لقد رأى كارل نظراته تلك فى وضوح تام ، ويذكر انه بين الحين والآخر كان احدهم يشعل شمعة صغيرة ، مع ان ذلك كان ممنوعا حسب لائحة نظام الباخرة ، ومن ثم يحدق بقلق المهاجر فى احدى النشرات الغامضة الخاصة بواحدة من وكالات الهجرة ، فلو كانت احدى تلك الشموع مشتعلة بالقرب منه ، لأمكن لكارل ان يغفو للحظات ، لكن لو كانت تلك الشمعة المشتعلة بعيدة عنه ، أو كان المكان مظلما تماما ، كان عليه ان يحتفظ بعينيه مفتوحتين على اتساعهما . لقد أنهكه الجهد الذى كبده اياه هذا العبء وربما كان ذلك كله قد ضاع الآن عبثا ، آه لو أتيح له مرة اخرى ان يلتقى بباتربوم ذاك !

عندئذ ، ارتفعت ، على البعد ، فى الصمت المخيم على الباخرة ، اصوات طرقات قصيرة خافتة ، شبيهة بوقع اقدام الاطفال ، وكانت تقترب ويزداد وقعها ارتفاعا ، حتى بدت اقرب ماتكون الى وقع اقدام الرجال فى اثناء سيرهم ، رجال فى طابور ، وهو ماكانت تفرضه طبيعة الممر الضيق .. و .. صوت اصطدام سواعد ، على مايبدو ، كان من الممكن سماعه ايضا ، فنهض كارل الذى كان على وشك ان يسترخى تمهيدا للنوم متخلصا من كل همومه التى تتصل بالصناديق ، أو السلوفاك ، ولكز العطشجى بكوعه لكى ينبهه ، ذلك ان مقدمة الطابور كانت تبدو على وشك الوصول الى باب القمرة : قال العطشجى . « هذا هو طاقم الباخرة : لقد كانوا يلعبون هناك ، اعلى الباخرة ، ثم عادوا للتمام .. لقد خلت الباخرة الآن تماما ، ويمكننا ان نذهب نحن أيضا ! هيا بنا ! » واخذ كارل من يده وانتزع فى اللحظة الأخيرة صورة للعذراء موضوعة فى اطار ، من الحائط الذى يعلو الفراش ، ودسها فى جيب سترته ، وامسك صندوقه وغادر القمرة فى صحبة كارل .

« اننى فى طريقى الان للادارة ، لكى أوضح لهم رأيى ، لقد ذهب كل الركاب ، ولا حاجة بى للتفكير فيما سوف أفعله ، ظل العطشجى يردد هذا القول ، مضيفا اليه بعض التعديلات فى كل مرة ، وبينما كان يسير فى طريقه ركل احد جوانب الممر بقدمه نحو فار كان قد اعترض طريقه ، لكنه لم يفلح الا فى أن يدفعه الى الاسراع بالاختباء فى داخل جحره ، الذى كان قد بلغه فى اللحظة المناسبة ، كان بطيئا فى جميع

أعماله ، ومع ان ساقيه كانتا طويلتين ، الا انهما كانتا ممتلئتين أيضا للغاية .

واتخذا طريقهما عبر جانب من المطبخ حيث كانت بعض الفتيات اللاتى يرتدين مرايل بيضاء متسخة ـ كن قد لطخنها عمدا ـ يغسلن أطباقا فى أحواض هائلة ، ونادى المطشجى فتاة تدعى « لينا » وطوق خصرها بذراعه ، ولما قاومت أحضانه فى دلال ، جرها معه جزءا من الطريق قائلا لها « انه يوم القبض ، الن تاتى معى ؟ فاجابته قائلة . ولماذا أكلف نفسى مشقة الذهاب معك ، يمكنك أن تحضر لى النقود هنا ! وعلى حين كانت تتلوى تحت ضغط ذراعه ، ثم تنطلق مبتعدة على عجل . صاحت خلفه قائلة : من اين التقطت هذا الصبى الجميل ؟ لكنها لم تكن تنتظر منه جوابا ، وكان فى وسعهما سماع ضحكات الفتيات الاخريات ، اللائى كن قد توقفن جميعا عن العمل .

وواصلا سيرهما حتى بلغا بابا فوقه كورنيش صغير ، يرتكز على اعمدة رفيعة مذهبة ، منحوتة كلها على شكل جسم امراة ، كانت تبدو بمقارنتها الى باقى أجزاءالباخرة ، مفرطة فى الفخامة ، وأدرك كارل أنه لم يسبق له المرور بهذا الجزء من الباخرة ، الذى ربما كان مخصصا فى أثناء الرحلة لركاب الدرجتين الاولى والثانية .. لكن الابواب التى كانت تفصله عن بقية أجزاء الباخرة ، كانت مفتوحة جميعا الان على مصاريعها ، تمهيدا لعمليات تنظيف الباخرة ، حقا ، لقد التقيا فى طريقهما ببعض الرجال الذين يحملون المكانس فوق اكتافهم ، وحيوا العطشجى ، وكان كارل مندهشا للحد الذى بلغه نظام الباخرة ، ولم يكن قد لمح كراكب من ركاب المؤخرة سوى القليل من مظاهر هذا النظام ، وكانت تمتد بطول الممرات اسلاك التركيبات الكهربائية ، وكان ثمة جرس صغير يسمع رنينه من حين لآخر ..

قرع العطشجى الباب فى احترام ، وعندما صاح شخص ما قائلا « ادخل » طلب فى وقاحة من كارل ان يدخل باشارة من يده ، فتقدم كارل الى الداخل ، ولكنه ظل واقفا الى جوار الباب . وكان منظر البحر يبدو من خلال النوافذ الثلاث التى كانت فى الغرفة . فدق قلبه بصورة اسرع وهو يتطلع الى حركة الامواج المنعشة ، وكانه لم يكن يتطلع من قبل الى البحر بلا انقطاع على مدى أيام خمسة بطولها ، كانت البواخر الهائلة تقطع خط سير بعضها البعض ، مستسلمة لهجمات الامواج بالقدر الذى يسمح لها به ثقلها البالغ ، ولو ان المرء ضيق حدقتى عينيه لبدت له هذه البواخر وكانها تترنح تحت ثقل

وزنها . ومن صواريها كانت تتطاير رايات مستطيلة ضيقة ، وكانت على الرغم من توترها بسبب سرعة طيرانها ، ترفرف احيانا وربما كان من الممكن سماع أصوات المدافع التى تنطلق فجاة دفعة واحـدة من بعض البوارج الحربية .. وكانت تطلق للتحية ، ومرت سفينة حربية من نوع ما ، على مسافة غير بعيدة ، وكانت فوهات مدافعها تتالق بتاثير انعكاسات ضوء الشمس التى تسقط فوق الصلب ، وتبـدو وكانها مسنودة الى الامام بحركتها المطمئنة ، المنسابة ، مع أنها لم تكن تتحرك فوق احد الصنادل ، وكان من الممكن فقط رؤية مشهد من بعد للبواخر الاصفر حجما ، وللقوارب ، من مكان المرء عند الباب على الاقل ، وهى تندفع هناك فى جماعات خلال المسافات التى تفصل بين البواخر الهائلة ، وخلفها جميعا كانت تقوم نيويورك ، وناطحات سحابها تحدق فى كارل بمئات الآلاف من عيونها ، نعم ، فى هذا المكان كان فى وسع المرء أن يدرك أين هو !

كان ثلاثة من السادة يجلسون حول مائدة مستديرة ، أحدهم كان ضابطا من ضباط الباخرة ، فى زى البحرية الأزرق اللون ، وكان الآخران اثنين من موظفى الميناء فى زى أمريكى اسود .. وكانت فوق المائدة اكوام من مختلف أنواع الاوراق ، انتهى الضابط اولا من فحصها، وقلمه فى يده ، ملأ بها حافظتى أوراقهما ، الا عندما كان الامـــر يلزمهم باتباع اسلوب او آخر ، من اساليب العرف الرسمى ، الذى كان يمليه أحدهما على زميليه ، وهو يصدر أصواتا تشبه الفرقعة بأسنانه ، طوال الوقت .

والي جوار النافذة الاولى كان يجلس شخص ضئيل الحجم الى منضدة ، وظهره للباب ، كان منشغلا بفحص بعض دفاتر الحسابات الضخمة التى كانت مصطفة فوق رف ضخم فى مستوى راسه ، والى جواره كانت توجد خزانة حديدية مفتوحة ، كانت تبدو للوهلة الاولى على الاقل خاوية . وكانت النافذة الثانية خالية ، ويبدو من خـلالها اكمل منظر للبحر ، لكن بالقرب من النافذة الثالثة كان يقف سيدان يتحدثان فى أصوات خافتة ، كان أحدهما مستندا الى النافذة ، وكان يرتدى زى الباخرة ، ويعبث بمقبض سيفه ، أما الرجـل الذى كان الحديث موجها اليه ، فكان يعطى وجهه للنافذة ، ومن حين لآخـر كانت تصدر حركة عن صف الزخرفة المفتوح فوق صدر محدثه . كان يرتدى الملابس المدنية ، ويحمل عصا رفيعة من أعواد البامبو ، كانت

تستند مع كلتا يديه على خاصرته ، على الرغم من وقفته المفرودة ، كانه السيف .

لم يكن امام كارل متسع من الوقت لتفحص هذا كله ، ذلك لأن احد المساعدين قد تقدم نحوهما فى الحال ووجه السؤال للمطشجى ، بنظرة بدت كما لو كانت تبين له ، انه ليس ثمة ما يبرر وجوده الآن هنا ، فما الذى يريده ، واجاب المطشجى باقصى مايمكنه من الرقة التى تفوق الرقة التى وجه اليه بها السؤال ، انه يريد مخاطبة امين حسابات الباخرة ، فاشار المساعد بيده اشارة تفيد الرفض ، لكنه مضى على اطراف اصابعه فى الوقت نفسه ، نحو الرجل الجالس الى دفاتر الحسابات متفاديا الاقتراب من المائدة المستديرة ، بدورة طويلة حولها ، وتجمد امين الحسابات تماما ـ وقد بدا ذلك واضحا ـ عند سماعه كلمات المساعد ، لكنه دار فى النهاية متجها نحو الرجل الذى يرغب فى التحدث اليه ودفعه بعيدا فى عنف ، واقصى عنه المساعد أيضا ، حتى يخلص نفسه تماما من الازعاج ، فتحرك المساعد حينئذ بجانبه منسحبا متجها ثانية نحو المطشجى ، وقال فى صوت لايفتقر صاحبه الى نصيبه هو ايضا من الثقة بنفسه : ـ انصرف من هنا فورا !

عند هذا الرد ، تحولت عينا المطشجى الى كارل ، كما لو كان كارل هو قلبه الذى يفضى اليه باساه . ودون ان يتوقف كارل لحظة ليفكر فيما عساه ان يفعله دفع نفسه مباشرة عبر الحجرة ، مصطدما بالفعل بأحد مقعدى الضابطين ، بينما راح المساعد يطارده ، ملوحا بذراعيه المفرودتين كما لو كان يحاول الامساك بحشرة . ان كارل كان قد سبقه الى بلوغ منضدة امين حسابات الباخرة التى تشبث بها فى عنف ، استعدادا لمحاولة المساعد ان يسحبه بعيدا عنها

واستيقظ انتباه كل من كانوا بالحجرة ، بالطبع ، فى الحال ، فقفز الضابط الجالس الى المائدة واقفا على قدميه ، وتطلع موظفا الميناء فى هدوء ، ولكن بانتباه ، وتحرك السيدان اللذان يقفان امام النافذة أكثر نحو بعضهما البعض ، اما المساعد الذى ادرك انه لم يعد من شانه الآن أن يتدخل ، بعد ان انتبه رؤساؤه الى الامر ، فقد تراجع الى الخلف ، وظل المطشجى منتظرا عند الباب فى توتر حتى تحين اللحظة التى يطلب فيها منه ان يتدخل ، واستدار امين حسابات الباخرة اخيرا دورة كاملة فى مقعده

وانتزع كارل من داخل جيبه السرى الذى لم يكن يحفل بان يطلع

عليه هؤلاء الناس ، جواز سفره ، الذى فتحه ، ووضعه على المنضدة بدلا من اية محاولة اخرى لتقديم نفسه ، وبدا على امين حسابات الباخرة ، كما لو كان يظن أن جواز السفر غير صحيح ، ذلك لأنه قد دفعه جانبا فتناوله كارل عندئذ ودسه فى داخل جيبه ، كما لوكانت هذه الخطوة الاولى من الشكليات قد انتهت على ما يرام •

ثم شرع يقول : « هل تسمح لى بأن اقول ، انه فى رايى قد حاق الظلم بصديقى العطشجى • هاهو شخص محدد استبد به شوبال فى هذه الباخرة ! ان له سجلا حافلا بالخدمة المرضية ، على عديد من البواخر ، فى امكانه ان يسرد اسماءها على مسامعك .. انه مثابر ، شغوف بعمله ، وانه لمن الصعب حقيقة أن يرى المرء لماذا على هذه الباخرة بالذات حيث لايتطلب العمل جهدا شاقا كما هو فى سفن الشحن مثلا ، لايلقى هذا الشخص سوى هذا الحظ القليل من الاهتمام •• لابد أنه محض افتراء ذلك السبب الذى ينتهى به الى تلك الحالة البائسة ويسلبه الاعتراف بالفضل الذى هو أهل له دون شك . لقد التزمت ، كما يمكنك أن ترى ذلك بنفسك ، بالاهتمام بالامور العامة ، وفى وسعه ان يعرض عليك شكاواه الصريحة بنفسه !

بهذا القول كان كارل قد خاطب السادة الحاضرين جميعا ، ذلك لأنهم فى الحقيقة ، كانوا يستمعون اليه ، ولأنه يبدو ، بعد هذا ، أنه بين كل هؤلاء على الاقل لابد من وجود شخص واحد عادل ، وفيما عدا ذلك الشخص الوحيد العادل ، يجب على أمين حسابات الباخرة ان يكون عادلا ايضا ، واخفى كارل ايضا فى مراوغة حقيقة انه لم يتعرف على العطشجى الا منذ تلك الفترة القصيرة فحسب . لكن كان فى مقدوره ان يلقى خطبة أفضل بكثير من خطبته تلك التى القاها ، لو لم يتشبث ذهنه بمواجهة ذلك الوجه الاحمر ، وجه الرجل الذى كان يمسك بالعصا البامبو ، والذى كان قد أصبح الآن فى مجال رؤيته للمرة الاولى .

كان هذا صحيحا ، كل كلمة مما قيل ! صرح العطشجى بذلك ، حتى قبل أن يساله اى شخص عن رأيه ، ودون أن ينظر فى الحقيقة اى شخص اليه . ربما كان ذلك الحماس الزائد الذى ابداه ، خطأ شنيعا لو أن الرجل ذا الزخارف التى تنتشر على صدر ردائه ، كما بدا الآن على انه القبطان بالطبع ، لم يكن قد وطن عزمه نهائيا ، على الاستماع الى حقيقة الامر . ذلك أنه فرد ذراعه ، وصاح فى العطشجى : « تعال هنا » ! فى صوت قاس كالصخرة • فاصبح

كل شيء يعتمد الآن على سلوك المطشجي .. اماعن عدالة قضيته ، فلم يكن ثمة ظل من الشك يساور كارل فى ذلك بحال من الاحوال .

وظهر لحسن الحظ فى هذه اللحظة أن المطشجى كان رجلا متمرسا بخبرة لا حد لها .

ففى هدوء يعد مثلا لرباطة الجاش سحب من داخل صندوقه ، فى محاولته الاولى لفتحه ، حزمة صغيرة من الاوراق ، ومذكرة ، وتقدم بهما نحو القبطان ، كما لو كان ذلك امرا متوقعا .. متجاهلا امين حسابات الباخرة تماما ، ونشر مستنداته تلك على افريز النافذة . لم يكن يوجد امام امين حسابات الباخرة مايفعله ، فلم يجد بدا من ان يتقدم هو ايضا الى الامام وقال مفسرا : « ان هذا الرجل جعجاع خبيث ! انه يقضى فى حجرة صرف الاجور ، وقتا أطول من الوقت الذى يقضيه فى غرفة الآلات . لقد دفع هذا الشخص شوبال الهادىء الى اليأس المطبق ، استمع الى ، وهنا استدار الى المطشجى : « انك متشبث الى حد فظيع بدفع نفسك الى الامام . كم مرة من المرات طردت حتى الآن من حجرة صرف الاجور ؟ واعترف أيضا بوقاحتك فى طلب اشياء لا حق لك فى المطالبة بها بحال من الاحوال ؟ كم من المرات اندفعت مهرولا من حجرة صرف الاجور الى مكتب امين حسابات الباخرة ؟ وكم من المرات قام الآخرون فى صبر بتوضيح حقيقة ان شوبال هو رئيسك المباشر ، وانه هو الشخص الذى يتعين عليك ان تتعامل معه وحده ؟ والآن جئت ايضا الى هنا ، بينما القبطان حاضر هنا بنفسه ، لتزعجه ، بوقاحتك ، وكان ذلك كله لم يكن كافيا ، حتى تصطحب معك « لسان حال » ، ليشرح فى طلاقة تلك التظلمات الملفقة التى لقنتها له ، صبى لم يسبق لى ان رايته على هذه الباخرة من قبل مطلقا !

وتمالك كارل نفسه بقوة حتى لايقفز مندفعا الى الامام .

الا أن القبطان كان قد اشترك لحظتها فى الحديث بهذه الملاحظة : « من الافضل ان نستمع الى ماينبغى على الرجل أن يواجه به نفسه ! ان شوبال قد اصبح فى هذه الايام ، اضخم ، الى حد بعيد ، بالنسبة لفردتي حذائه ! الا أن هذا لا يعنى أن أعتقد انك محق ، كانت الكلمات الاخيرة موجهة الى المطشجى ، كان طبيعيا الا يشترك القبطان فى المناقشة منذ البداية ، الا أن كل شيء بدا وكانه كان يسير فى طريقه الصحيح . وبدا المطشجى فى تقرير حالته ، وتمالك نفسه منذ البداية حتى أنه كان يطلق على شوبال « مستر شوبال » وشعر كارل

بالرضا الزائد ، بينما كان يقف بجوار منضدة أمين حسابات الباخرة الخاوية ، حتى انه فى غمرة اغتباطه راح يضغط على فتاحة الخطابات الى أسفل باصبعه ! لم يكن مستر شوبال عادلا ! مستر شوبال يفضل الاجانب ! امر مستر شوبال المطشجي بمغادرة حجرة الآلات ، وارغمه على تنظيف دورات المياه . وهي مهمة ليست من اختصاص المطشجي مطلقا ! وفي احدى المرات كانت كفاءة « مستر شوبال » هي ايضا موضوعا للتساؤل لانه يبدو فى صورة لا تتطابق مع حقيقة أمره .
وعند هذا الحد ركز كارل نظراته على القبطان ، وحدق فيه فى تبجيل رصين ، كما لو كانا زميلين حتى يمنعه من التحيز ضد المطشجي بسبب غلظة أسلوب الرجل في التعبير عن متاعبه . كما انه لم يبد كذلك ان شيئا محددا قد تمخض عنه تدفق المطشجى فى الايضاح .
ومع ان القبطان ظل مستمرا فى الانصات ، وهو مستغرق فى أفكاره ، الا أن عينيه كانتا تنمان عن قراره بالاستماع الى المطشجى هذه المرة الى النهاية ، وفقد باقى السادة صبرهم ، ولم يلبث صوت المطشجى ان غطى الحجرة ، فكان ذلك علامة تنذر بالسوء . وكان السيد الذى يرتدى الملابس المدنية ، هو اول من أفصح عن نفاذ صبره عندما راح يعبث بعصا البامبو ، ويقرع بها ــ ولو فى رقة ــ أرضية الحجرة .
وظل الآخرون يحدقون الى أعلى من حين لآخر ، لكن موظفي الميناء ، اللذين كانا يبدو عليهما الضيق لضياع وقتهما ، اختطفا اوراقهما ثانية ، وشرعا ــ ولو فى شرود الى حد ما ــ فى تفحصها ، أما ضابط الباخرة فقد استدار الى منضدته ، وصعد أمين حسابات الباخرة الذى ظن الآن انه قد انتصر اليوم ، تنهيدة عالية مفعمة بالاستهزاء ، ومن التشتت العام للاهتمام ، بدا أن المساعد كان هو الشخص الوحيد المحتفظ بصفائه . على نقضيهم جميعا ، وهو الوحيد الذى تعاطف الى حد ما مع ذلك الرجل البائس الذى لاقى الكثير ، واوما مطرقا فى أسى نحو كارل ، كما لو كان يحاول تفسير امر ما .
بينما ، كانت الحياة فى الميناء خارج النوافذ تمضى فى طريقها . كان صندل للشحن محملا بجبل من البراميل ، التى لابد كانت قد ربطت بصورة مثيرة للدهشة ، طالما انها لم تتدحرج . كان ذلك الصندل يمضى مبتعدا ، حاجبا ضوء النهار تماما ، وقوارب بخارية صغيرة . تمنى كارل لو اتيح له أن يتفحصها فى دقة ، لو سمح له الوقت بذلك ، كانت تنطلق مبتعدة كالقذيفة ، لاقل حركة تبدر من

الرجل الواقف أمام العجلة . وهنا وهناك اشياء غريبة تهتز فى حرية مع حركه المياه التى لاتستقر .. اشياء كانت قد غاصت ثانية على الفور ، وغمرتها المياه أمام عينيه المدهوشتين ، وقوارب تابعة لخطوط عابرات المحيط كانت تجدف مبتمدة بحارتها الذين يتصببون عرقا ، وكانت تمتلىء بالركاب الذين يجلسون فى صمت ، وترقب كما لو كانوا مرصوصين هنالك . غير ان بعضـــهم لم يكونوا يتوقفون عن تحريك رءوسهم للتحديق فى المشهد المتغير · حركة بلا نهـــاية ، تنتقل من المعدن الذى لايكل الى الآدميين البؤساء ، ومشاغلهم .

الا ان كل شىء كان يتطلب السرعة ، والوضوح ، والتقرير الدقيق ، وما الذى كان المطشجى يفعله ؟ لاشك أنه كان مستمرا فى حديثه ، حتى لقد تصبب عرقا ، وكانت يداه ترتعشان بشدة ، حتى لم يعد فى استطاعته ان يمسك بالأوراق التى كان قد وضـعها على حافة النافذة . ومن كل النقاط الفرعية كانت تنصب التظلمات التى تتناول شوبال . كانت تبدو كل منها فى ذاكرته كافية لاجبار شوبال على التسليم باستبداده وظلمه ، الا ان كل ماكان المطشجى قد تمكن من تقديمه الى القبطان ، لم يكن سوى خليط تمس ، كان كل شىء يحتشد فيه فى وقت معا ، وبلا مبرر .. وظل الرجل الذى يمسك بالمصـــا المصنوعة من البامبو ، فترة طويلة محدقا فى السقف بينما يصفر لنفسه ، واحتجز موظفا الميناء ، ضابط الباخرة على مائدتهما ، ولم يبد عليهما ما يدل على استعدادهما للسماح له مرة اخرى بالابتعاد · وكان أمين حسابات الباخرة قد كبت رغبته فى الصياح فقط نظرا لهدوء القبطان ، ووقف المساعد وقفة انتباه ، منتظرا فى كل لحظةان يصدر القبطان أمرا يتعلق بالمطشجى

عند هذا الحد لم يتمكن كارل من أن يظل ساكنا ، ولهذا فقد تقدم متباطئا نحو الجمع ، وفى راسه تجرى منطلقة فى سرعة ، كل الوسائل التى يمكنه بها أن يقبض فى براعة على زمام الأمر

كانت اللحظة ، لحظة حرجة دون شك · وكانت قد طالت بعض الشىء وربما طرد كلاهما فعلا خارج المكتب وربما كان القبطان رجلا طيبا ، وربما كانت لديه ايضا ــ أو هكذا بدا الامر لكارل ــ بعض الأسباب الخاصة التى تدفعه فى تلك اللحظة الى التظاهر بأنه سيد عادل ، لكنه قبل كل شىء قبطـان لا مجرد اداة يلعب بها المرء فى طيش ، ولقد كان هذا بالضبط هو النحو الذى كان المطشجى يعامله على أساسه ، فى غمرة السخط الذى أفعم به قلبه

ولهذا قال كارل للعطشجى « يجب عليك ان تعرض الامور على نحو اكثر بساطة ، واكثر وضوحا ، ان القبطان لايمكنه أن يتخذ قرارا عادلا بناء على ماتلقيه عليه . كيف يتسنى له أن يعرف كل الميكانيكيين ، وصبيان الباخرة بأسمائهم ، فضلا عن أن يعرفهم بأسمائهم الاولى ؟ حتى تنتظر منه عندما تذكر له هذا وذاك ، أن يدرك على الفور من هم الذين تقصدهم ؟ رتب تظلماتك · واذكر اهمها اولا ، ثم بعد ذلك التى تليها فى الاهمية ، ولعلك ترى انه من غير الضرورى حتى ان تذكر معظمها . لقد سبق ان شرحتها لى دائما على نحو اكثر وضوحا ! » وفكر قائلا فى نفسه ، على سبيل التبرير ، اذا امكن سرقة الصناديق فى أمريكا ، فلا شك ان المرء يسعه ان يلقى بكذبة ، من حين لآخر ، بدوره هو ايضا !

لكن هل كانت ثمة فائدة قد اسفرت عنها نصيحته ؟ لعلها لم تكن قد جاءت بالفعل متاخرة كثيرا عن وقتها . لقد توقف العطشجى عن الكلام فورا ، عندما استمع الى الصوت الذى بالفه ، الا ان عينيه كانتا ممتلئتين بالدموع .. دموع كرامته المطعونة ، ودموع الذكرى ، وحزن الحاضر البالغ حتى أنه قد تمكن بصعوبة من أن يتعرف على كارل ، فكيف يمكنه عند هذا الحد ـ تحقق كارل من هذا فى صمت ، وهو يواجه العطشجى الصامت أخيرا ـ ان يغير فجأة أسلوبه فى الحديث ، عندما بدا واضحا له ، وقد قال كل مايمكنه قوله دون أن يستثير أدنى بادرة عطف ، وانه لم يكن فى الوقت نفسه قد قال شيئا على الاطلاق ، ولا يسعه أن يتوقع من هؤلاء السادة أن يستمعوا مرة أخرى الى كل ذلك اللغو ، وفى مثل هذه اللحظة كان على كارل نصيره الوحيد أن يقطع استرسال حريته بتلك النصيحة الطيبة المزعومة ، التى أوضحت ان كل شىء قد ضاع ·· كل شىء !

قال كارل لنفسه : « لو اننى كنت قد تكلمت قبل ذلك بدلا من التطلع عبر النافذة ! » خافضا عينيه امام العطشجى ، ومدليا ذراعيه الى جانبيه كدليل على أن كل أمل قد انتهى .

الا أن العطشجى أخطأ فهم هذه الحركة ، شاعرا بلا شك ان كارل كان يضمر له نوعا من اللوم ! وفى رغبة صادقة فى ايضاح الحقيقة ، كلل العطشجى كل اخطائه الاخرى بالشروع فى مشاجرة مع كارل ، لحظتها عندما كان الرجال المجتمعون حول المائدة المستديرة قد بلغ بهم السخط مداه ، على تلك الثرثرة الفارغة التى كانت تعطل اعمالهم الهامة ، وعندما كان امين حسابات الباخرة قد اخذ يتبين

شيئا فشيئا أن صبر القبطان ، قد أصبح امرا لايمكن فهمه ، وعندما كان على وشك الانفجار ، وعندما كان المساعد قد تحول مرة اخرى بصورة نهائية الى صف سادته ، وراح يقيس المطشــجى بنظرات وحشية ، وعندما كان الرجل الذى يمسك بالمصــا المصنوعة من البامبو ، اخيرا ، ذلك الرجل الذى كان القبطــان يرمقه بين الحين والآخر بنظرات ودية ، قد ضاق تماما بوجود المطشجى ، بل أصيب فى الحقيقة بالقرف منه ، فاخرج مفكرة صغيرة ، وانشغل فى وضوح بافكار مختلفة تمام الاختلاف وهو ينظر فى مفكرته اولا ، ثم يعود فيوجه نظراته نحو كارل .

قال كارل : « اننى اعرف ! » وكان يحاول بصعوبة أن يتفــادى التيار الذى كان المطشــجى يوجهه الآن نحوه ، الا انه تمــكن من الاستنجاد بابتسامة ودية وجهها للمطشجى على الرغم من كل الشقاق الذى كان قد قام فى نفســه .. انك على حق ، انك على حق ! اننى لم أشك فى ذلك قط ! »

ولخوفه من ان ترتطم به يدا المطشــجى اللتان كان يلوح له بهما ، كان كارل يود لو امكنه ان يمسك بهما ، وان كان الافضل ان يسحب الرجل الى أحد الاركان ، حتى يتمكن من أن يسر اليه بما قد يهدىء ثائرته ويشجعه من الكلمات التى يجب الا يسمعها الآخرون ، الا ان المطشجى كان قد تخطى كل الحدود ، فشرع كارل بالفعل فى التماس شىء من العزاء فى فكرة · انه فى مقدور المطشجى ، عند الاضطرار أن يواجه الرجال السبعة الذين تضمهم الحجرة بالعنف النابع من يأسه . لكن على المنضدة ، كانت هناك شبكة أجراس تمكن من رؤيتها بنظرة ، أجراس عديدة لا حصر لها ، كان مجرد الضغط عليهــــا بيد واحدة ، كفيلا بأن يقيم البــاخرة كلها ، وأن يأتى بكل الرجال العدوانيين الذين تمتلىء بهم ممراتها .

تقدم السيد الذى يمسك بالعصا المصنوعة من البامبو الآن ، على الرغم من التجائه الى التباعد لضــجره البالغ ، نحو كارل ، وساله بصوت ليس مرتفعا غاية الارتفاع ، ولكنه كان واضحا بدرجة كافية ، ومسموعا فوق ضجة هذيان المطشجى : « بالمناسبة ماهو اسمك ؟ » فى تلك اللحظة و .. كما لو كان شخص ما خلف الباب ينتظر توجيه هذا السؤال ، انبعثت طرقة على الباب ، فنظر المساعد عبر الحجرة الى القبطان ، وأومأ القبطان ، وعلى هذا توجه المساعد نحو الباب وفتحه . كان يقف فى الخارج رجل متوسط الحجم فى معطف حربى

قديم ، لايبدو عليه مطلقا ادنى صلة شبه بذلك النوع من الرجال الذين يتعاملون مع الآلات . ومع ذلك فقد كان هو شوبال .. فلو لم يكن كارل قد استنتج ذلك من تعبير الارتياح الذى اضاء العيون جميعا ، حتى عينى القبطان ، فلاشك انه كان سيستنتجه من الرعب الذى سيطر على سلوك العطشجى الذى ضم قبضتيه على امتداد ذراعيه المفرودتين فى حدة جعلت اطباقتهما ، تبدو اهم شيء على الاطلاق فى وجوده كله ، هاتان القبضتان اللتان كان على اتم الاستعداد لأن يضحى فى سبيلهما بأى شيء آخر فى الحياة . كانت قوته كلها مركزة فى قبضتيه ، بما فيها تلك القوة التى كانت تحمله على الوقوف منتصبا فوق قدميه .

وهكذا اصبح العدو هنا هو ايضا ، منتعشا ، ومبتهجا ، فى ملابس الشاطيء وتحت ذراعه دفتر ضخم ، لعله ينطوى على تقرير عن ساعات العمل ، والاجور المستحقة للمطشجى ، وكان يتفحص فى جراة وجوه الحاضرين جميعا ، وبدا كما لو كان اهتمامه الاول الذى يجب الاعتراف به فى صراحة هو : ان يكتشف فى اى جانب من جوانب الحجرة كانوا يقفون ! كان الرجال السبعة الذين تجمعهم الحجرة أصدقاءه بالفعل ، وعلى الرغم من أن القبطان كان قد أثار بعض الاعتراضات عليه قبل قليل ، أو أنه قد تظاهر بأنه يفعل ذلك ، لانه قد احس بالاسف من اجل العطشجى ، فقد كان واضحا انه لايجد ادنى اثر للخطا فى جانب شوبال . وان رجلا كالمطشجى ، لايمكن ان يكون قد اهين بهذه الدرجة من القسوة ، ولو كان شوبال ليلام على شيء ، فقد كان هذا الشيء الذى يجب ان يلام عليه هو انه لم يكبح جماح المطشجى ، الميال للاعتراض دائما ، بصورة كافية طالما ان ذلك الشخص قد جرؤ على مواجهة القبطان فى نهاية الامر .

الا أنه من الممكن الاطمئنان الى أن مواجهة شوبال والمطشجى ستنتهى ، حتى ولو كانت على يد محكمة من البشر ، الى نفس النتيجة التى ترضاها العدالة السماوية ، طالما أن شوبال ، حتى ولو نجح فى التظاهر بالصلاح ، سينهار بسهولة ، فى نهاية الامر .

ان توهجا قصير الأمد لطبيعته الشريرة سوف يكشف عن طبيعته تلك لهؤلاء السادة ، ولسوف يمهد كارل لذلك . وان لديه بالفعل خبرة مباشرة واسعة بالمكر ، وبالضعف ، وبطباع الشخصيات المختلفة التى تجمعها الحجرة ، وفى هذا المقام لن يكون الوقت الذى انفقه بداخلها قد ضاع عبثا . لقد كان مما يؤسف له أن المطشجى كان

يفتقر افتقارا شديدا الى المهارة ، انه لايبدو مطلقا اهلا للفعل الحاسم
فلو أن امرءا دفع شـوبال نحوه ، فلعله أن يشج جمجمة ذلك الرجل ، الشائهة بقبضتيه • الا أن القدرة على تخطى الخطـوتين اللازمتين حتى يصبح شوبال فى متناول يده ، كانت فوق طاقته ، فلماذا لم يتوقع كارل ، ماكان يبـدو متوقعا على هذه الدرجة من البـاطلة ، وهو ان شوبال كان سيظهر لا محالة ، حتى لو لم يكن قد ظهر تلقائيا كما حدث ، فلابد أنه كان سيحضر بناء على طلب القبطان ! فلمـاذا لم يدبر خطة محـكمة للهجوم بالاشـتراك مع المطشـجى ، بينما كانا فى طريقهما الى هنا ، بدلا من السير فى سذاجة ، ودون أدنى استعداد ، على نحو يبعث على اليأس ! حتى بلغا أحد الابواب « كما اتفق لهما ان فعلا ؟ فهل كان المطشجى قادرا على ان يتفوه الآن بكلمة ، او الرد بنعم او لا ، كما يتحتم عليه ان يفعل او قدر له ان يستجوب الآن ، رغم ان الاستجواب ــ ولا جدال فى ذلك ــ كان أمرا بعيد الامل فى حدوثه ، اسرافا فى التفاؤل ! ها هو يقف هنالك ، ساقاه متخاذلتان ، وركبتاه مرتعدتان ، وراسه ملقى الى الخلف ، والهواء يتردد الى داخل وخارج فمه المفتوح ، كأنما لاتوجد للرجل رئتان تتحكمان فى حركة الهواء .

كان كارل نفسـه يشعر بمزيد من القوة ، وصفاء الذهن ؛ ربما لم يسبق له أن احس بهما على هذا النحو فى بيته مطلقا من قبل ، فلو استطاع والده ووالدته فقط ان يرياه الآن ؛ مدافعا عن العدالة فى أرض غريبة أمام رجال ذوى سلطة ، ومع أنه لم ينتصر بعد ، الا أنه عازم فى اقدام على أن يحوز النصر النهائى ! فهل يعيدان النظر فى فكرتهما عنه ؟ ويستبقيانه الى جوارهما ، ويمجدانه ؟ أنظر فى عينيه أخيرا ، أخيرا .. هاتان العينان المفعمتان بالولاء لهما ؟ تـساؤلات مبهمة ، ولكن ليس الآن ، هو أوان طرحها .

ــ « لقد جئت الى هنا لأننى أعتقد ان هذا المطشجى قد اتهمنى بالغش او بشىء من هذا القبيل . وقد اخبرتنى احدى فتيات المطبخ بانها قد شاهدته يفعل ذلك ! أيها القبطان وانتم جميعا ايها السـادة ، أننى على اتم الاستعداد لتقديم الاثباتات التى تدحض أيا من هذه الاتهامات . ولو شئتم ان أقدم لكم شهادات الشهود غير المتحازين ، الذين لاتشوب نزاهتهم الشوائب ، هؤلاء الشهود الذين يقفون فى انتظار سماع شهادتهم الآن أمام باب هذه الحجرة ! »

كان هذا هو التقرير الذى تقدم به شوبال ، وقد كان للحق تقريرا ،

واضحا جريئا و .. وربما خيل للمرء من التعبيرات التى تبدلت على وجوه المستمعين انهم قد استمعوا لأول مرة بعد انقطاع فترة طويلة سادها الصمت الى صوت بشرى حقا . ولاشك انهم لم ينتبهوا الى الفجوات التى كان من السهل ان يتبينها المرء فى تلك الخطبة الرائعة .
لماذا مثلا • كانت الكلمة الاولى ، المناسبة التى تهيأت له هى «الفشل»؟ فهل حدث ان اتهمه احد بذلك ؟ لعله استبدل بها كلمة : التحامل على جنسية من الجنسيات ؟ كانت احدى فتيات المطبخ قد شاهدت المطشجى وهو يمضى فى طريقه الى الادارة ، فتكهن شوبال على الفور بما يعنيه ذلك ! ، فهل كان احساسه بالذنب هو الذى شحذ ادراكه ؟ ثم انه قد جمع الشهود فورا ، الم يفعل ذلك ؟ ومن ثم يتحول فيصفهم بأنهم غير منحازين ، ويصفهم كذلك بالنزاهة ، ربما لكى ينتفع هو بهذه الصفات ! احتيال ! ولا شىء سوى محض احتيال ! ولم ينخدع هؤلاء السادة جميعا بذلك فقط ، بل لقد صادفت فعلته استحسانهم ايضا !

ثم .. لماذا تعمد التأخير ، هذه الفترة الطويلة التى انقضت بين وشاية فتاة المطبخ ، وموعد حضوره الى هنا . لقد تأخر فى المجىء حتى يترك الفرصة الكافية للمطشجى حتى يرهق السادة ، وحتى يكون عزمهم على الحكم الواضح قد تبدد ! هذا الحكم الواضح الذى كان شوبال يخشاه قبل ان شىء غيره ! كما انه قد انتظر امام الباب فترة طويلة ، لاشك فى انه قد فعل ذلك ، فهل كان قد تعمد عدم الطرق على الباب ، حتى سمع السؤال العارض الذى وجهه السيد الذى يمسك عصا البامبو . هذا السؤال الذى استند اليه . على امل ان يكون المطشجى قد فرغ بالفعل من مهمته ؟

كان كل شىء واضحا الآن وضوحا كافيا ، كما ان تصرف شوبال العفوى كان يؤكده ، لكن لابد من توضيح ذلك لهؤلاء السادة بوسائل اخرى اشد فعالية . يجب أن يهتزوا فى عنف ، فاسرع اذن الآن ياكارل ، واستغل كل دقيقة تبقت امامك ، قبل ان يشرع الشهود فى دخول الحجرة ، ويقلبوا القضية باكملها راسا على عقب !

الا ان القبطان كان قد اشاح فى تلك اللحظة نفسها لشوبال بيده . طالبا منه أن ينصرف ، فانتحى جانبا من فوره ـ وقد راى أن تدبيره قد تاجل على مايبدو لوقت ما ـ وهرع اليه المساعد ، حيث راحا يتبادلان معا حديثا هامسا ، يتضمن نظرات جانبية عديدة موجهة نحو المطشجى وكارل . بالاضافة الى حركات واشارات لها مغزاها .

كان يبدو على شوبال ، وكانه كان يرتب فى ذهنه خطته الرائمة القادمة !
وفى الصمت الذى ران على الحجرة ، قال القبطان ، موجها حديثه الى السيد الذى يمسك بعصا البامبو فى يده : « هل ترغب فى أن توجه سؤالا ما الى هذا الصبى ، يامستر جيكوب ؟ » .
فاجاب الآخر ، بانحناءة خفيفة ردا على مجاملة القبطان ، ثم عاد ثانية ، فسأل كارل : « ماهو اسمك ؟ »
فاجابه كارل الذى ظن ان مهمته الاساسية يمكن ان تتم بصورة افضل ، لو حاز رضا ذلك الشخص الذى يلح بتساؤله .. اجابه مسرعا ، فى اقتضاب ، دون أن يحاول تقديم نفسه ــ على عادته ــ بواسطة جواز سفره ، الذى كان عليه أن ينتزعه ثانية من داخل جيبه :
ــ كارل روسمان !
ــ حقا !
قالها السيد الذى دعى باسم جيكوب متراجعا . بابتسامة مرتابة وكذلك ابتسم القبطان . وامين الباخرة والضابط . وحتى المساعد ابتسم هو ايضا ، وعلت الدهشة البالغة وجوههم جميعا عند سماعهم اسم « كارل » كان موظفا الميناء وحدهما ، وشوبال هم الذين ظلوا دون مبالاة .
وعاد مستر « جيكوب » مرة أخرى فقال : « حقا ؟ وهو يتقدم نحو كارل بخطوات جامدة « اذن فأنا خالك جيسكوب ، وأنت .. ابن أختى العزيز ! لقد كنت مشتبها فى ذلك وطال الوقت ! » ، وجه جملته الأخيرة للقبطان قبل ان يحتضن كارل الذى استسلم له فى ذهول ، وهو يقبله .
وعندما تخلص كارل من عناق خاله ساله فى لطف .. لكن فى برود شديد محاولا بغاية ما يمكنه أن يحسب النتائج التى قد تتمخض عنها هذه التطورات الجديدة لصالح المطشجى ، قائلا « وما عسى أن يكون اسمك ؟ »
لم يكن ثمة مايحتاج الى توضيح ان شوبال لم يكن يسعه فى هذه اللحظة ان يخرج من هذا الموقف باى شىء فى صالحه
ورد القبطان ، الذى اعتقد أن مستر جيكوب قد شعر بالاهانة لسؤال كارل ، لانه كان قد تراجع فى اتجاه النافذة ، لا شك لكى يخفى عن الآخرين اضطرابه ، وانفعالات وجهه الذى كان يربت عليه بمنديل فى يده قائلا : « الا تدرك حظك السعيد أيها الشاب .. انه السناتور ادوارد جيكوب ، ذلك الذى صرح الآن بانه خالك ، ان

أمامك الآن مستقبلا مشرقا على عكس كل ما كنت تتوقعه من قبل ، ويمكنني ان انبهك الى ان تحاول ادراك معنى ذلك ، وتتمالك نفسك !

ورد كارل مستديرا نحو القبطان بقوله : « ان لى بالفعل خالا يدعى جيكوب فى أمريكا ، لكننى أعتقد ـ لو كنت على صواب ـ ان «جيكوب» هو كنية هذا السيد فحسب ! »

فأجابه القبطان فى تشجيع « اجل ان الأمر كذلك ! »

ـ « حسنا .. اذن فان اسم جيكوب الذى يطلق على خالى جيكوب ، الذى هو شقيق والدتى هو اسمه الأول ، وكنيته لابد بالطبع أن تكون هى نفس كنية والدتى ، التى كان اسمها وهى بعد فتاة هو « بنديلماير » !

صالح السناتور ، وهو يخطو الى الأمام لكى يرد على كارل مبتهجا الآن غاية الابتهاج ، بعد انسحابه الى النافذة حتى يستعيد هدوءه ، وضحك الجميع قليلا لصيحته ، فيما عدا موظفى الميناء .. ضحك بعضهم تأثرا وضحك الباقون لاسباب مبهمة ٠٠ صاح قائلا « أيها السادة ! »

وفكر كارل قائلا لنفسه : « الا أن ماقلته لم يكن بالغ الحمق ! »

وعاد السناتور يقول : « ايها السادة ، لقد شاركتمونى رغما عن ارادتى ، وعن ارادتكم فى هذا المشهد العائلى القصير وعلى هذا فلا يسعنى سوى ان اقدم لكم تفسيرا له ، طالما ان احدا هنا ، فيما يخيل لى ـ سوى القبطان ـ واعقبت هذه الاشارة ، انحناءة متبادلة ـ لا يكاد يعرف شيئا عن تفاصيل هذا الأمر !

قال كارل لنفسه : « على ان انصت الآن الى كل كلمة ، وسره بنظرة من فوق كتفه ، أن يجد أن النشاط قد عاد مرة أخرى فدب فى كيان العطشجى ٠

ـ بسبب السنوات الطويلة التى قضيتها فى غربتى بأمريكا ـ ولو أن لفظ « الغربة » ليس هو مطلقا اللفظ المناسب ، الذى يجدر بمواطن امريكى ان يستخدمه .. وأنا اعد نفسى مواطنا امريكيا من اعماق قلبى ـ بسبب كل تلك السنوات الطوال ، كنت قد امضيت حياتى كلها تقريبا ، منقطع الصلة تماما بأقاربى فى اوروبا ، لأسباب لا يعنينا ذكرها هنا من ناحية ولانه يؤلمنى مجرد ذكرها فى الحقيقة اشد الألم من ناحية اخرى ، واننى اخشى بالفعل اللحظة التى قد اجدنى فيها مرغما على شرحها لابن اختى العزيز ، ذلك لأنها تتضمن انتقادات صريحة أبداها والداه وأصدقاؤهما ٠ انتقادات أخشى الا

اتمكن من تجنب ذكرها له

قال كارل لنفسه . وهو يستمع اليه باهتمام : « انه خالى لا شك فى ذلك ، وربما كان قد قام بتغيير اسمه ! »

« والآن لقد طرد ابن اختى العزيز ببساطة — ولما كان يجب علينا ان نسمى الجاروف جاروفا ، فاننى اقول ان والديه قد قاما بطرده ، طرداه كما يمكنكم ان تطردوا قطة الى خارج مسكنكم ، لأنها تسبب لكم ازعاجا ما ، ولا توجد لدى مطلقا أدنى رغبة فى التهوين من شأن ما أتاه ابن أختى حتى يستحق هذا العقاب ، الا أن خطيئته من قبيل تلك الخطايا التى لا يحتاج الصفح عنها سوى مجرد اعلانها »

قال كارل فى نفسه : « قول لا باس به ، هذا الذى قاله .. لكن ارجو الا يتعرض لسرد الحكاية كاملة ، وعلى كل حال ، فليس فى استطاعته ان يعلم عنها الكثير ، ومن اين له أن يعلم ؟ »

وواصل الخال جيكوب حديثه ، وهو يتطوح فى رفق ، مستندا الى عصا البامبو التى كانت توشك ان تتقوس أمامه ، وقد نجحت هذه الحركة فى التخفيف من حدة التزمت الذى لا معنى له ، والذى كان — فيما عدا استناده الى عصا البامبو — قد طبع هيئته تماما بطابعه قائلا :

— ذلك ان طباخة هى « يوهانا برومر » امراة فى نحو الخامسة والثلاثين من عمرها ، قد افسدته و .. انا لا اقصد ان اتسبب فى اثارة غضب ابن أختى باستخدامى لكلمة « الفساد » الا أنه من الصعب ان يجد المرء كلمة أخرى مناسبة تعادلها

ادار كارل الذى كان قد تقدم حتى وقف ملاصقا لخاله ، أدار راسه حوله ليرى اثر هذه القصة على وجوه الحاضرين . لم يضحك واحد من الموجودين ، كان الجميع يستمعون فى اناة واحتشام !

لا يمكن على كل حال ، ان يضحك المرء على ابن اخت سناتور ، فى اول فرصة سانحة !

كان المطشجى قد ابتسم لكارل على نحو ما ، ولو فى وهن بالغ ، الا أن ابتسامته تلك ، كانت كافية ، كدليل على انتعاشه من ناحية ، وعلى انه قد صفح عنه من ناحية اخرى .. ذلك ان كارل كان قد حاول ، حينما كان يستلقى فوق سرير المطشجى ان يجعل من هذه الحكاية نفسها ، التى اصبحت الآن حكاية ذائعة ، سرا منيعا !

واستانف الخال جيكوب حديثه قائلا : « ولقد أنجبت بعد ذلك

من تلدعى « برومر » هذه طفلا من ابن اختى ، صبى يتمتع بصحة جيدة عمدته باسم « جيكوب » وواضح انها اطلقت هذا الاسم عليه ، تيمنا بشخصى المتواضع ، ذلك ان حديث ابن اختى اليها ، الـذى كان يشير فيه الى من وقت لآخر ، كان قد ترك اثرا عميقا فى نفس تلك المراة ، و . . اسمحوا لى بان اضيف ان هذا كان من حسن الطالع .. اما والدا الصبى ، فانهمـا لكى يتخلصا من النفقـة ، ويتجنبا الفضيحة ـ وينبغى على ان اقر باننى اجهل جهلا تاما طبيعة القوانين التى يسرى تطبيقها فى هـذا الخصوص ، واجهـل كل الملابسـات التفصيلية وظروف هذه الحالة ـ اقول اذن انهمالكى يتجنباالفضيحة، ويتخلصا من دفع النفقة . قاما بطرد ابنهما ـ ابن اختى العزيز ـ وأرغماه على الرحيل الى امريكا ، دون ان يكون مستعدا ـ ويا للعار ـ لمواجهة اعباء تلك الرحلة .. وهذا ما يسعكم ان تلمسوه بانفسكم !

فما عسى ان يكون الحال الذى كان سينتهى اليه مصيره ، لو لم ترسل الى تلك المراة هذا الخطاب الذى وصلنى فى النهاية ، بعد أن تأخر طويلا ، امس الأول ، وسردت لى فيه القصة كاملة ، وكذلك أوصاف ابن أختى، وفى حكمة بالغة، اسم الباخرة التى رحل عليها ايضا؟!

فلو كان لى ان اشرع فى تسليتكم أيها السادة ، فلعلنى أقرا عليكم بضع فقرات قصيرة مما جاء فى هذا الخطاب ، ثم جذب ورقتين كبيرتين من اوراق الخطابات ممتلئتين بالكتابة فى خط دقيق، ونشرها امامهم :

ـ « ولست اشك فى انكم ستهتمون بالانصات اليها ، ذلك أن هذا الخطاب قد كتب بأسـلوب ينطوى على شىء من الدهاء المتعمـد ، الساذج ، ويشيع فيه الاهتمام البالغ الذى ينم عن الحب ـ لوالـد الطفل ـ الا اننى لا انوى ان امضى فى قراءة اكثر مما يلزمنى فى توضيحى لحقيقة الحال ، وحتى لا أحرج مشاعر ابن اختى منذ بداية لقائى به ، مشاعره تلك المرهفة لا تزال بلا شك ، ويمكنه أن يقرأ ذلك الخطاب لمعلوماته الخاصة فيما بعد على انفراد فى الحجرة التى تم اعدادها الآن ، فى انتظاره

الا أن كارل لم يكن يكن أية مشاعر ليوهانا برومر ، وتذكرها ثانية وهو يعود بذاكرته الى الماضى الذى تلاشى الآن .. تذكرها وهى تجلس فى مطبخها الى جوار منضدة المطبخ تعتمد بكوعها على سطحها .. كانت تتطلع اليه كلما دخل المطبخ لكى يملأ كوبا من الماء لوالده ، أو يقوم باداء طلب لوالدته . وكانت هى تجلس احيانا بلا مبالاة الى احد

جوانب المنضدة تكتب خطابا ، او ترسم ملامح وجه كارل من مخيلتها، وفى أحيان أخرى كانت تجلس وهى تخفى وجهها بيدها ولا تكاد تعى شيئا مما يقال لها .. و .. كانت تركع فى احيان أخرى داخل حجرتها الضيقة الملاصقة للمطبخ مستغرقة فى الابتهال امام صليب خشبى ، وكان كارل يشعر بالخجل عندما كان يمر بها ، أو يلمحها من خلال فتحة الباب الموروب . و .. كانت تحدث ضوضاء مزعجة أحيانا بداخل المطبخ . و .. تتراجع وهى تضحك كالمخبولة ، عندما كان كارل يقترب منها ، وفى مرات .. كانت تغلق باب المطبخ فى اثر دخول كارل وتقبض بيدها على اكرة الباب ، ولا تسمح له بالخروج حتى يظل يتوسل اليها طالبا منها أن تسمح له بالخروج وفى اوقات اخرى كانت تحضر له اشياء لم يكن فى حاجة اليها وتدسها فى يده .. فى صمت . وذات مرة نادته قائلة : «كارل» وبينما كان يقف متحيرا فى امر هذه الألفة المفاجئة ، سحبته الى غرفتها .. وكانت تتنهد ، وتزم - فى قلق - ملامح وجهها ، ثم .. أغلقت الباب خلفه ، وطوقت عنقه بذراعيها فى عنف ، حتى أوشك على الاختناق ، وحينما كانت تسأله ان كان عليها أن تخلع ثيابها ، كانت قد خلعت ملابسه هو بالفعل بديها ، وارقدته فى فراشها ، كما لو كانت قد عزمت على الاتتركه لاى مخلوق آخر ، و .. على أن تحنوعليه ، وتدلله .. الى الابد .. ثم صاحت قائلة : «كارل .. كارل ياعزيزى .» ، وبدت عيناهاوكأنهماقد أوشكتا على افتراسه ، بينما لم تثبت عيناه على أى شىء مطلقا وكان يشعر بالضيق ، وهو غارق فى كومة الملابس التى بدا وكأنها كانت قدكومتهامن أجله هو وحده .. ثم استلقت الى جواره ، وطلبت اليه ان يسر لها شىء ، لكنه لم يستطع أن يقول لها شيئا ، فتظاهرت بالغضب ، سواء كان ذلك على سبيل المزاح ، أو انها كانت قد غضبت منه بالفعل ، وراحت تهزه ، وتتسمع الى دقات قلبه .. وادنت صدرها منه حتى يتمكن من الاستماع بدوره الى خفقات قلبها ايضا ، الا أنها لم تنجح فى ان تحمله على الاستماع الى اى شىء ، ثم .. ضغطت بطنها العارية الى جسده ، وتحسست ساقيه باصابعها بصورة مقززة ، حتى لقد حاول أن ينهض رافعا راسه وعنقه عن الوسائد .. ثم ضغطت جسدها الى جسده .. بدت كما لو كانت قد اصبحت جزءا منه ، وربمالهذا كان قد تملكه شعور جارف بالحنين ، و .. عاد اخيرا الى فراشه ، ودموعه تنهمر فوق خديه ، بعد محاولات متعددة قامت بها ، لتعود به مرة اخرى الى داخل حجرتها .. و .. كان هذا هو كل ما حدث .

الا أن خاله قد استطاع ان يحيل ذلك الحادث الى اسطورة ، و .. يبدو ان الطباخة كانت مشغولة تماما به ، وانها اخبرت خاله بوصوله، ولقد كان هذا خير ما قامت به فى سبيله ، وسوف يبحث هذا الأمر فيما بعد ، لو امكنه ان يفعل ..

و .. صاح السناتور : ــ و ... الآن .. أرجو ان تخبرنى بصراحة ، عما اذا كنت خالك أم لا ..

فأجابه كارل وهو يقبل يده ويتلقى منه قبلة فوق حاجبيه قائلا ــ انت خالى واننى فى غاية السعادة لعثورى عليك ، غير انك تكون مخطئا لو اعتقدت أن والدى ووالدتى يتحدثان عنك بالسوء وعلى اية حال فلقد وصلتك نقاط عديدة مغلوطة فى ثنايا القصة التى بلغتك ، واعنى ان الامر لم يحدث فى الواقع بتفاصيله كلهـــا على ذلك النحـــو ، الا انك لا تتوقع بالطبع ان تدرك على نحو بالغ الدقة امورا تجرى فى مكان بعيد كل هذا البعد ولا يخيل لى أن ضررا ما من الممكن أن يصيب هؤلاء السادة اذا اتفق لهم ان استمعوا الى بعض التفاصيل الخاطئة التى تتناثر فى ثنايا حدث لا يهمهم فى شىء !

قال السناتور ــ « حديث رائع » وقاد كارل نحو القبطان الـــذى ابدى له عطفه فى وضوح وساله ــ اليس ابن اختى رائعا .

قال القبطان ــ « اننى سعيد غاية السعادة » وانحنى انحناءة نمت عن دقة تدريبه العسكرى .. « بالالتقاء بابن أختك يا ســــيدى السناتور ، ولقد حظيت باخرتى بشرف الاستئثار بهذا المشهد الـذى انتهى « بجمع الشمل » وتم فى داخلها الا ان الرحلة فى ذلك الجزء الخلفى من الباخرة لم تكن رحلة طيبة بالمرة ذلك لأن مختلف أنواع الناس بالطبع يسافرون فى ذلك المكان ونحن نبذل أقصى جهد يسعنا ان نبذله لتوفير الراحة المكنة لركاب هذا الجانب من الباخرة ، بصورة تفضل كثيرا ، ما توفره الخطـــــوط البحرية الامريكيـــــة من الراحة لمثل هؤلاء المسافرين .. اما عن تحويل السفر فى هذا الجزء من باخرتنا الى متعة خالصة فشىء لم يسعنا بعد أن نحققه

قال كارل ــ « لم يسبب لى هذا المكان اى ضرر »

وكرر السناتور قوله ضاحكا بصوت مرتفع .. لم يسبب له هذا المكان اى ضرر .

واكمل كارل قائلا ــ .. فيما عدا اننى اخشى ان اكون قد فقـدت صندوقى . وبذلك تذكر كل مامر به وماتبقى امامه ليفعله ..وتطلع حوله فرأى الآخرين ما زالوا يقفون فى أماكنهم صامتين تغلبهم الدهشة

وتنم نظـراتهم عن التبجيل واعينهم مثبتة عليه ... موظفـا الميناء وحدهما لقسوتهما ووجهيهما اللذين يقطران اعتزازا واضحا بالنفس هما اللذان اظهرا شيئا من الأسف لحضورهما فى هذا الوقت غير المناسب ، وربما كانت الساعة التى استقرت امامهما على المائدة ، اكثر اهمية بالنسبة اليهما من اى شىء آخر حدث فى هذه الحجرة ، او قد يحدث .

وكان اول من عبر عن شعوره بعد القبطان ــ وهو أمر غريب ــ هو المطشجى ، الذى قال ..ــانى اهنئك قلبيا ..وشدعلى يد كارل ووشت حركته تلك ، بشىء من الاعتراف بالفضل ، لكنه عندما توجه الى السناتور بنفس كلماته التى وجهها الى كارل ، انسحب السناتور متراجعا الى الخلف ، كما لو كان المطشجى قد بالغ فى تجاوز حدوده ، فعدل المطشجى فى الحال عن نيته .

وادرك الآخرون الذين كانوا قد شهدوا الآن ما انتهى اليه الحال ، واجبهم فتجمعوا حول كارل والسناتور فى حلقة صاخبة ..

وهكذا قدر لكارل ان يتلقى بالفعل تهانى شوبال ، وتقبلها ، وشكره على مشاعره · وكان آخر المهنئين هما موظفا الميناء ، اللـذان قالا كلمتين لا اكثر بالانجليزية ، كان لهما تأثير يبعث على الضحك ..

واحس السناتور برغبتـه فى ارتشاف آخر قطرة من المتعـة التى أتاحها له الموقف ، فشرع فى تنشيط ذهنه واذهان الآخرين بالاسهاب فى ذكر التفاصيل الثانوية التى تتعلق بالحادث ولم تقابل هذه التفاصيل بأى نوع من أنواع الضجر ، بل قوبلت بالطبع من الجميع بقدر كبير من الاستحسان والاهتمام وعلى هذا فقد ذكر لهم انه كان قد خط فى مفكرته ــ حتى يتسع امامه المجال للبحث فى حالة الضرورة ــ ملامح ابن أخته ، وصفاته المميزة ، كمـا أوضحتها الطبـاخة فى خطابها ، وعندما بدا يشعر بالضيق الذى سببه له هياج المطشجى ، اخرج مفكرته ، لمجرد ان يسلى نفسه بتصفحها ، ثم راح يقـارن ــ لمتعته الخاصة ــ الأوصاف التى ذكرتها الطباخة : تلك الأوصاف التى لم يكن نصيبها من الدقة مما يرضى عنه مطلقا ، اى رجل من رجال المباحث ، واستغرق فى مقارنتها بملامح كارل عندما واجهه .. و .. هذه هى الطريقة المثلى للعثور على ابن أخت .. قالها السناتور فى زهو كما لو كان يرغب فى تلقى المزيد من التهانى ..

تساءل كارل قائلا ــ «ما الذى سيحدث الآن للمطشجى» ، متجاهلا ملاحظات خاله الأخيرة . كان قد تخيل فى وضعه الراهن ، ان فى امكانه

ان يقول كل ما يطرا على باله .

وأجابه السناتور قائلا : « سوف ينال المطشجى ما يستحقه من جزاء . وهو الجزاء الذى يراه القبطان مناسبا واعتقد اننا قد نلنا كفايتنا . بل واكثر من الكفاية عن موضوع المطشجى .. بالاضافة الى ان هذا هو ما لا يختلف عليه احد من السادة الموجودين هنا دون شك » .

وقال كارل : ـ « الا ان هذا ليس هو لب الموضوع . عندما يتعلق الأمر بالعدالة

كان كارل يقف بين خاله من ناحية وبين القبطان من الناحية الأخرى .. ولعله كان قد ادرك دوره ، فى المكان الذى كان يقف فيه فقد كان يحاول تحقيق شىء من التوازن بينهما .

الا ان المطشجى كان يبدو وكأنه قد فقد الأمل .. كانت يداه مدسوستين الى منتصفهما فى حزام بنطلونه . حيث بدا حجمهما بالاضافة الى الجزء الأسفل من السترة المازلة . الذى كان قد تهدل فوق الحزام · كتلة ضخمة بارزة ، بصورة لافتة للنظر ، فى أثناء انهماكه فى حملته المهتاجة · الا ان ذلك مما لا يؤبه به مطلقا . لقد كشف لهم بؤسه الداخلى . فلينطلقوا الآن اذن الى الخرق البالية التى تستر جسده ايضا ويمكنهم بعد ذلك ان يلقوا به الى الخارج .

وكان قد استقر فى ذهنه ان شوبال سيقدم اليه هذه الخدمة الاخيرة ·· بمعونة المساعد · فقد كانا أقل الرجال الموجودين بداخل الحجرة اهمية ، وسوف يهنأ شوبال بالراحة حينئذ حيث لا يعود هناك وجود لمن يدفعه الى « الياس التام » على حد تعبير أمين الحسابات .. ويصبح فى وسع القبطان ايضا ان يكدس فى باخرته حشودا من عمال رومانيا .. وتصبح اللغة الرومانية هى اللغة السائدة ،فى الباخرة كلها . ولعل الحال ان يصبح عندئذ على اتم ما يرام .. فلن يكون هناك عطشجى ليتسبب بعد فى ازعاج مكتب الادارة بهياجه ! على ان آخر ما قام به من جهود سيظل باقيا ، على الأغلب، كذكرى ودية. بعد ان أعلن السناتور فى وضوح . ان الضيق الذى أصابه كان هو السبب المباشر فى تعرفه على ابن أخته . ولقد حاول ابن الأخت أكثر من مرة ان يقدم له يد المساعدة بالفعل . وعلى هذا فقد اتاح له مقدما لقاء خدماته جزاء يتعداه بكثير . هو مشهد هذا اللقاء ! .. ولم يفكر المطشجى حتى فى أن يطلب شيئا آخر منه الآن ذلك انه حتى وان كان

ابن أخت سناتور ٠ فقد كان لا يزال بعيدا عن أن يكون قبطانا ٠ ولم يكن الحكم القاطع ليخرج الا من فم القبطان ! ..

وبينما كان المطشجى مستغرقا فى مثل هذه الأفكار . حاول جاهدا الا ينظر نحو كارل . رغم انه ـ لسوء حظه ـ لم يكن يجد شخصا آخر سواه يمكن الا تقذى عيناه لرؤيته فى هذه الحجـــرة المليئة بالخصوم .

قال السناتور لكارل : لا تسيء فهم الموقف . فربما كانت هـذه المسألة مسألة عدالة الا انها فى الوقت نفسه مسألة نظام ايضا . وكلا الامرين على هذه الباخرة . وخاصة الأخير .. يتوقفان على تقدير القبطان » .

غمغم المطشجى الذى كان قد سمعه وادرك ما يعنيه قائلا وهو يبتسم فى جهد .

ـ « هذا صحيح ! » .

ـ « الا اننا قد قمنا بالفعل . لفترة طويلة للغاية . بتعطيل القبطان عن أداء واجباته الرسمية التى لابد له من القيام بها الآن ، وقد وصل الى نيويورك ، وقد حان الوقت الذى يجب علينا فيه أن نسرع بمغادرة الباخرة ٠ بدلا من اضافة خطأ آخر الى اخطائنا بالتدخل دون مبرر اطلاقا فى هذا الخلاف البسيط بين اثنين من الميكانيكيين فنخلع عليه بذلك كثيرا من الاهمية ، اننى ادرك تمام الادراك وجهة نظرك يابن الاخت العزيز . وهـذا الادراك يتطلب منى ان اسرع بابعادك فورا عن هنا ! » .

قال القبطان ـ « سآمر باعداد قارب لكما فى الحال ! » دون أن يعترض على ما قاله السناتور مطلقا ٠ لدهشة كارل الشديدة ٠ حتى لقد بدا له أن خاله قد امتهن نفسه . واندفع أمين حسابات الباخرة مسرعا الى منضدته وابلغ أمر القبطان الى البحارة !

وقال كارل لنفسه « لم يكد يبقى شيء من الوقت . الا اننى لايمكننى ان افعل شيئا دون أن اتسبب فى غضب الجميع . ولا يمكننى فى الحقيقة أن اترك خالى الآن فى نفس اللحظة التى عثر فيها على ، ان القبطان شخص مؤدب دون شك . الا ان ادبه هذا سرعان ما يتلاشى عندما يتعلق الأمر بمسألة النظام . كما ان خالى لا شك قد قصد ما قاله . ولست ارغب فى أن اتحدث الى شوبال . واننى ليؤسفنى حتى مصافحته . اما بقية الموجودين هنا فلا شأن لهم بالأمر » .

وحينما كان يفكر على هذا النحو ٠ تقدم فى بطء نحو المطشجى

وجذب يد الرجل اليمنى من حزامه . وضغط عليهــا فى رفق بين راحتيه .

سأله قائلا : « لماذا لا تقول شيئا لماذا تراجعت عن كل محاولة » .

لم يجب المطشجى .. بل عقد حاجبيه . كما لو كان يبحث عما ينبغي عليه أن يجيب به . وبينما كان مستغرقا فى ذلك . خفض عينيه .. ونظر الى يده المستقرة بين راحتى كارل .

ـ « لقد لقيت معاملة ظالمة . لم يلقها أى شخص آخر سواك على هذه الباخرة . اننى اعلم هذا تمام العلم » وحرك كارل أصابعه بين أصابع المطشجى الى الخلف والى الأمام .. بينما تطلع المطشجى حوله وقد تألقت عيناه . كما لو كانت نفسه قد أفعمت بسعادة غامرة . لا يملك أن يحسده عليها أحد .

ـ « وعليك الآن أن تتاهب للدفاع عن نفسك أجب بنعم . أو بلا ـ والا فلن يتاح لهؤلاء الناس ادنى فكرة عن الحقيقة . عليك ان تعدنى بانك ستفعل ما أقوله لك ، ذلك أننى أخشى ولــدى من الاسباب ما يحملنى على ذلك انه لم يعد فى مقدورى أن أقدم لك بعد . يد المساعدة .. ثم انفجر كارل باكيا بعد ذلك . وقبل يد المطشجى ساحبا تلك اليد المتشققة المتراخية لحظتها فى وهن . وضغطها على خده وكأنها كنز يوشك على أن يتخلى عنه الا ان خاله السناتور كان قد أسرع الآن الى جانبه . وجذبه . مبتعدا به برفق . لكن بحزم .

قال السناتور وهو يبــادل القبطان نظرة خبيرة من فوق رأس كارل .

ـ « يبدو ان المطشجى قد ترك أثرا سحريا فى نفسك . لقد شعرت .. بالوحدة . ثم وجدت المطشجى .. وانت مدين له بالكثير الآن . لا بأس بهذا كله . اننى اؤكد لك . لكننى أرجوك . ولو من اجلى . الا تشتط مرة اخرى على هذا النحــو . وتعــلم أن تدرك وضعك ! » .

ارتفع الصخب خارج الباب . كانت قد انبعثت صيحات . بدت مرتفعة كما لو كان شخص ما قد راح يفتح الباب فى عنف . ودخل بحار فى حالة مضطربة . مشعثا . وحول وسطه تلتف مريلة فتاة . صاح قائلا وهو يثنى كوعيه كما لو كان لا يزال يشق طريقه وسط الزحام : « يوجد حشد كبير منهم فى الخارج .. » ـ ثم ثاب فجأة الى رشده . وحيا القبطان . ولكنه لحظ المريلة المشدودة الى وسطه عندئذ فنزعها وطوح بها الى الارض . وصاح : لقد تجاوزوا حدودهم ،

لقد شدوا حول وسطى مريلة فتاة ، ثم دق كمبيه مما . وادى التحية للقبطان . وشرع شخص ما فى الضحك . الا ان القبطان صاح فى عنف : « تبدو الحال فى صورة بديعة للغاية . من بالخارج ؟ » .

تقدم شوبال خطوة الى الامام قائلا « انهم شهودى أرجو عفوك ياسيدى عن سلوكهم الشائن . ان الرجال يفقدون صوابهم احيانا . عندما يصلون الى نهاية احدى الرحلات » ..

فاصدر القبطان امره قائلا : « ادخلهم الى هنا » . ثم استدار ناحية السناتور على الفور فى أدب لكن فى عجلة :

« هل تفعل خيرا الآن يا سيدى السناتور . بأن تصحب ابن شقيقتك وتتبع ذلك الرجل . الذى سيرشدك الى القارب المعد لك . لست بحاجة الى توضيح مدى السرور والشرف . الذى حظيت به . بتعرفى بك . واود فقط . يا سيدى السناتور . ان انتهز اقرب فرصة لاستئناف حديثنا الذى لم يتصل عن حالة الأسطول الامريكى . وأرجو أن يقطع حديثنا مرة أخرى أيضا . حدث آخر سار » .

ورد خال كارل قائلا وهو يضحك « يكفينى ابن اخت واحد . اؤكد لك والآن تقبل تحياتى الحارة على كرمك . والى اللقاء . واضيف انه ربما لا يكون من المستبعد أن تتاح لنا فرصة طويلة للقاء . فى اثناء رحلتنا المقبلة . الى اوروبا » . بينما طوق كارل بذراعه فى حرارة .

فاجابه القبطان قائلا « سيسرنى ذلك غاية السرور » . وصافح السيدان بعضهما بعضا . ولم يكد كارل يتمكن الا من أن يلمس يد القبطان مسرعا . فى صمت . ذلك ان انتباه الأخير . كان قد شغله بالفعل الخمسة عشر شخصا الذين اصبحوا الآن فى داخل الحجرة يقودهم شوبال ، وقد تم تعنيفهم فيما يبدو ، الا انهم لا يزالون رغم ذلك يصخبون صخبا شديدا .

وطلب البحار من السناتور أن يأذن له فى ان يتقدمهما . وافسح له ولكارل ممرا خلال الجمع المحتشد . حتى تمكنا فى يسر من الخروج بين صفين من الرجال الذين انحنوا لهما .

ولقد بدت على هؤلاء الأشخاص فى وضوح الخفة التى كانوا ينظرون بها الى هذا النزاع . بين شوبال والعطشجى فلم ينظروا الى هذا النزاع الا على انه مجرد هزل . ولم يكن حتى وجود القبطان ليفلح فى فرض شىء من الجد على سلوكهم .

ولمح كارل بينهم فتاة المطبخ التى تدعى ـ لينا ـ والتى غمزت له الآن فى خبث . بينما كانت تشد الى وسطها تلك المريلة التى كان

البحار قد قذفها الى الارض ، فقد كانت مريلتها .
وبينما كانا يتبعان البحار . تركا الممر وتحولا الى ممر صفير أدى بهما بعد خطوتين الى باب صفير . هبط منه سلم صفير يوصل الى القارب الذى كان فى انتظارهما . واصبح البحار الذى كان يتقدمهما فى داخل القارب بقفزة واحدة . ونهض البحارة الذين كانوا فى القارب واقفين وأدوا التحية .
وكان السناتور لحظتها ينبه كارل الى كيفية الهبوط الى أسفل . عندما انخرط كارل ، الذى كان قد توقف فوق اعلى درجات السلم فجاة فى نهنهة عنيفة ، ووضع السناتور يده اليمنى تحت ذقن كارل . وجذبه اليه . وربت عليه بيده اليسرى . وهبطا السلم فى وضعهما هذا درجة درجة . وهما ملتصقان ببعضهما البعض . ودخلا القارب حيث وجد السناتور مكانا مريحا لكارل يواجهه مباشرة . وباشارة من السناتور دفع البحارة بالقارب بعيدا عن الباخرة ، من ثم انطلقوا فى التجديف باقصى سرعة !
لم تكن تفصلهم سوى بضع ياردات قليلة عندما اكتشف كارل ، على غير توقع انهم كانوا فى الجانب الذى تطل عليه نوافذ حجرة الادارة الثلاث .
كانت النوافذ الثلاث تمتلىء بشهود شوبال . الذين حيوهما . ولوحوا لهما بأيديهم فى ود بالغ ، ولوح الخال جيكوب بالفعل لهم بيده الى الخلف واظهر أحد بحارة القارب براعته .. بأن طير بأصابعه قبلة نحو الباخرة دون ان يخل بايقاع تجديفه المنتظم ، وبدا الآن وكأنه لم يوجد بالفعل اى عطشجى بالمرة . وتطلع كارل بامعان شديد الى خاله الذى كانت ركبتاه تكاد تلمسان ركبتى كارل وخامره الشك فى قدرة هذا الرجل على ان يملأ مكان المطشجى . ازاغ خاله بعينيه . وحدق بهما فى الامواج التى كان قاربهما يهتز فوقها

الخال جيكوب

اعتاد كارل سريعا اسلوب حياته الجديدة فى منزل خاله ، وكان خاله قد استجاب فى الحقيقة لأقل رغبة من رغباته ، فلم يعد كارل مجبرا على ان يتعلم من خلال التجربة المرة التى غالبا ما ترهق المرء عند بداية تعرفه على بلد من البلدان الاجنبية .

وكانت غرفة كارل تقع فى الطابق السادس من عمارة كانت اعمال خاله تشغل طوابقها الخمسة الاخرى بالاضافة الى طوابق ثلاثة اخرى كانت تقع فى أسفل العمارة · وكانت حجرته ساطعة الضوء بنافذتيها وبابها الذى يفتح على احـــدى الشرفات ، حيث كانت الدهشة البالغة تأخذه كل صباح عندما كان يخرج الى تلك الشرفة ناهضا من فراشه الصغير !
غرفة ربما لم يكن ليحل بمثلها مطلقا لو انه كان قد نزل هــذا البلد كمهاجر صغير معدم ، فضلا عن احتمـــال عدم التصريح له بدخول الولايات المتحدة مطلقا تبعا لتقدير خاله الذى كان على دراية بقوانين الهجرة بل انه ربما كان قد أجبر على العودة ثانيــة الى وطنه ، دون اعتبار مطلقا لحقيقة انه كان قد اصبح بلا وطن .
كان التعاطف شيئا لا يصح لك أن تامل فيه فى بلد كهذا وكانت امريكا تتفق فى هذا الصدد تماما مع ماكان كارل قد قراه عنهـا ما عدا شيئا واحدا هو ان هؤلاء الذين واتاهم الحظ فيها كان يبدو عليهم انهم ينعمون هنا بحظهم مختالين بانفسهم بين اصـــدقائهم الذين لا يبالون بشىء .

كانت ثمة شرفة خارجية ضيقة تمتد بطول حجرة كارل . لكن ما هى ميزة ذلك المكان المرتفع المتميز الذى لا يتيح له رؤية اكثر من منظر شــــارع واحد فحسب يمتد مســـــتقيما بين صفين من المبانى التى تتخذ اشكالا مربعة ويبدو لهذا وكانه يهرب مبتعدا الى حيث تبدى خطوط احدى الـكاتدرائيات التى تبدو هائلة الحجم وسط ضباب متكاثف ! ومنذ الصباح حتى المســاء ثم فى قلب الليل الحالم بعد ذلك كان ذلك الشارع يبقى دائما مجرى لتيار دائم من الحركة ، كانت تبدو له من اعلى مضطربة معقدة ، تبـدو

فيها هياكل كل الناس ، فى كل لحظة هياكل مضغوطة وحولها سطوح جميع انواع المركبات التى ترسل الى الفضاء ضجيجا آخر أشد اسرافا وتعقيدا من ضجيج حركة الشارع ، وتتصاعد الاتربة والروائح جميعا وتنتشر فى فيضانات من الاضواء التى ترسلها مختلف الاشياء التى يعج بها الشارع ، ترتفع هذه الضحة كلها ، ثم تعود فتتراجع لتتجمع فى عنف مرة اخرى ، فترهق العين المبهورة التى ترى هذا الاختلاط كما لو كان سطحا من الزجاج يغطى أعلى الشارع ويتهشم فى عنف متناثرا الى شظايا فى كل لحظة

كانت عيناه مفتوحتين على كل شىء وكان خاله جيكوب قد نصحه بألا يأخذ شيئا فى الوقت الحاضر مأخذ الجد ، ليتفحص كل شىء بالفعل ويأخذه فى اعتباره لكن دون أن يجهد نفسه ٠ ان الايام الاولى لاى أوروبى فى امريكا تبدو كما لو كانت ميلادا جديدا ولم يكن كارل يحاول أن يشغل نفسه كثيرا بأمر أيامه الاولى هذه دون داع ما دام المرء يعتاد على الاشياء هنا بسرعة اكبر من سرعة اعتياد الطفل القادم الى الدنيا من العالم الاخر لهذه الاشياء الا ان عليه ان يضع نصب عينيه ان الاحكام الاولى لا يعول عليها دائما ولهذا فلا يجب على المرء ان يسمح لها بالتأثير على احكامه المقبلة التى سوف ترتكز عليها فى نهاية الامر حياته فى امريكا ، ولقد عرف هو شخصيا وافدين جددا ، منهم على سبيل المثال ، من نبذوا هذه الافتراضات الحكيمة وراحوا ينفقون أيامهم بطولها فى شرفاتهم يحدقون منها نحو الشارع فى أسفل كالقطعان الضالة ٠ ربما كان استغراقه وحيدا على هذا النحو فى التحديق المتبلد نحو الحياة المتشابكة لنيويورك يسبب له حيرة بالغة .. الا ان هذه الحيرة لو تملكت شخصا وفد الى امريكا لمجرد المتعة فلعلها تتملكه فى حدود لا تتعداها ٠ اما ان تتملك شخصا ينوى البقاء فى هذه الولايات فلا معنى لها عندئذ سوى انها اداة تدمير فحسب ، وهو لفظ مؤثر بلا داع ، ولعله ينطوى أيضا على شىء من التهويل ، وكان الخال جيكوب فى الحقيقة يكشر فى ضيق كلما وجد كارل واقفا فى الشرفة حين يكون فى زيارة من زياراته لكارل ، تلك الزيارات التى كانت تحدث مرة فى كل يوم وفى أوقات مختلفة من النهار ، وقد لاحظ كارل ذلك سريعا وكان لهذا يحرم نفسه بقدر الامكان من متعة الوقوف لفترات طويلة فى الشرفة .

ومع ذلك فقد كانت هذه هى المتعة الوحيدة التى كانت فى

متناول يده . وكان فى غرفته مكتب ذو تصميم رائع على الطراز الامريكى ، نفس المكتب الذى ظل والده لسنوات طويلة يحلم بالحصول على مثله محاولا الحصول عليه بثمن رخيص من كل انواع المزادات دون ان يوفق مطلقا نظرا لضآلة دخله . هذا المكتب ، لم يكن يربطه بالطبع أى وجه من وجوه المقارنة بذلك الذى كان يطلق عليه مكتب امريكى الطراز فى مزادات اوروبا ، فهو يحتوى مثلا على ما يقرب من مائة درج من مختلف الاحجام ، حيث كان يمكن « لرئيس الولايات المتحدة » نفسه ان يجد مكانا مناسبا لكل

ملف من ملفاته الرسمية ، وكان يوجد بالاضافة الى هذا « منظم » فى احد الجوانب ، فلو أدرت مقبضا ما ، أمكنك ان تحدث وضعا لكل هذه الادراج غاية فى التعقيد ، ويمكنك ان تقوم بتبديل الادراج على سبيل التسلية ، او لكى تتناسب مع حاجتك وتغطس هذه المكعبات فى بطء لتشكل اساس مجموعة جديدة او قمة الادراج المتدرجة من اسفل الى أعلى ، وحتى بمجرد ادارة المقبض مرة أخرى ، فان ترتيب كل شىء يتغير تغيرا تاما ، ويتم التحول بصورة بطيئة ، او فى سرعة محمومة تبعا لدرجة ضغطك على المقبض عند ادارته . لقد كان هذا المكتب اختراعا جديدا كل الجدة وانه ليذكر كارل تماما بمنظر الكريسماس التقليدى الذى كان يعرض على الاطفال المذهولين فى ساحة السوق فى بلده حيث يذكر نفسه أيضا ، وقد تدثر جيدا بملابسه الشتوية ، وتوقف مستمبدا فى أغلب الاحيان ، يحاول عن كثب أن يقارن حركة المقبض الذى كان يديره رجل عجوز ، بتغير المنظر ، تقدم الملوك المقدسين الثلاثة مترنحين واشعاع النجم ، صورة المذود المقدس المتواضعة .

ولقد بدا له دائما ان والدته عندما تقف خلفه لم تكن تتابع تفاصيل هذه المشاهد بانتباه كاف . فكان يسحبها لتلتصق به حتى يشعر بها تضغط على ظهره ويصيح بأعلى صوته ، ويظل يحدد لها كل ما يلاحظه على المناظر ، ربما ارنب برى صغير بين المشب فى مقدمة المنظر جالسا على ساقيه الخلفيتين ، ثم ظل رابضا وكأنه يتحفز للاندفاع ثانية حتى تغلق امه فمه بيدها ثم تعود فيما يبدو الى سابق حالها من الشرود ، لم يكن المكتب قد صنع لمجرد أن يذكره دون شك بمثل هذه الاشياء لكن لابد أن تكون قد وجدت علاقة غامضة ما فى تاريخ اختراعه شبيهة بتلك العلاقة التى انبعثت من ذاكرة كارل . ولم يكن الخال جيكوب على عكس كارل راضيا عن هذا

المكتب بالذات كان يريد ان يشترى مكتبا كامل المعدات من اجل كارل لكن كانت كل المكاتب فى هذه الايام مجهزة بتلك الاجهزة الحديثة التى تتميز ايضا بامكان ان تتحول الى مكاتب من الطراز القديم بنفقات لا تكاد تذكر وعلى كل حال فلم ينس خاله أن ينصحه بالا يستعمل المنظم « مطلقا » ٠

وقد شفع نصيحته بالاشارة الى حساسية « المنظم » البالغة وسهولة اصابته بالعطب وارتفاع تكاليف اصلاحه ثانية ! ليس من الصعب ان يتبين المرء ان هذه الملاحظات كانت مجرد ادعاءات ومع ان الخال جيكوب كان يمكنه ان يغلق « المنظم » الا انه لم يفعل ذلك

وفى الايام القلائل الاولى التى اتيح لكارل وخاله ان يتبادلا خلالها عديدا من الاحاديث ٠ ذكر كارل انه كان مغرما فى وطنه بالعزف على البيانو مع انه لم يمارس العزف عليه كثيرا ، ولم يتلق دراسات فى العزف عليه فيما عدا تعليمات والدته الفطرية وكان كارل واعيا تمام الوعى ان تطوعه بهذه المعلومات ، كان فى الحقيقة طلبا لبيانو ، ولهذا حدق لحظتها بعينيه فى خاله حتى اتضح له ان خاله يمكن ان يكون مسرفا الى حد ما ، ولم ينفذ هذا الاقتراح فى الحال . لكن بعد مرور حوالى ثمانية ايام ، قال خاله له كما لو كان يصرح له بموافقة يصعب عليه اعلانها . ان البيانو قد وصل الان ويمكن لكارل لو شاء ان يشرف على نقله.. ولقد كان ذلك أمرا هينا جدا وان لم يكن اهون من عملية نقل البيانو نفسها فقد كانت العمارة تحتوى على مصعد خاص لنقل العفش ، يمكن ان يتسع لحمولة عربة كبيرة ممتلئة بالاثاث ، وفى داخل هذا المصعد ارتفع البيانو الى حجرة كارل . وكان فى وسع كارل ان يصعد هو ايضا مع البيانو والعمال فى نفس المصعد . لكن كان ثمة مصعد آخر عادى ، خال الى جواره تماما .

وهكذا استعمل كارل هذا المصعد الاخير فى صعوده ، محتفظا بنفسه دائما على نفس ارتفاع المصعد الاخر ، باستخدام رافعة ما ، وكان يحدق فى تركيز من خلال المربعات الزجاجية نحو الجهاز البديع ، الذى كان قد اصبح ملكا خاصا له الان ! وعندما أصبح البيانو أخيرا فى داخل حجرته ، وعزف عليه النوتة الاولى ، كان قد بلغ به الفرح الاحمق أقصاه ، حتى انه قفز واقفا ، بدلا من مواصلة العزف ويداه على خاصرتيه وراح يحدق الى البيانو فى طرب ، على بعد عدة خطوات ، كان الصوت فى الحجرة يرن على

نحو رائع وقد تمكن من ان يزيل من نفس كارل شعوره بعدم الارتياح الذى احس به لانه يعيش فى عمارة مبنية من الصلب ولم يكن المرء يرى فى الحقيقة اى اثر للصلب فى داخل الحجرة نفسها على الرغم من منظر المبنى الخارجى كما لم يكن فى وسع المرء أيضا ان يكتشف اقل تنافر فى اثاثها لا ينسجم مع الكل .

ولقد علق كارل فى البداية آمالا كبيرة على عزفه على البيانو ، وكان يحلم احيانا ، بلا حياء قبل ان يغلبه النوم على الاقل ، باحتمال تأثير عزفه على البيانو تأثيرا مباشرا على حياته فى امريكا وعندما فتح نوافذه ، ودخلت حجرته ضوضاء الشارع كان من الغريب حقا ان يسمع على البيانو اغنية قديمة من اغانى الجيش فى بلده ، حيث يتمدد الجنود فى احدى الليالى عند نوافذ الثكنات ويحدقون فى مربع من الضوء فى الظلام فى الخارج ، ويغنون لبعضهم البعض من نافذة الى أخرى .. لكن الشارع يبقى كما هو دون تغيير ، لو نظر كارل اليه بعد ذلك يبقى عبارة عن جزء صغير فى ترس هائل لا يمكن أن تلمسه يد قبل أن يدرك المرء تماما كل القوى التى تتحكم فى مداره ، ولقد أباح الخال جيكوب العزف على البيانو ولم يتفوه بكلمة واحدة تعبر عن عدم ارتياحه بذلك ، وخاصة ان كارل كان يستغرق فى العزف عليه عندما يكون وحيدا تماما ، ولقد أحضر لكارل بالفعل نوتات بعض المارشات الامريكية ، وبينها السلام الوطنى ، الا أن حب كارل الخالص للموسيقى لم يفلح فى أن يفسر له معنى ذلك السؤال الذى وجهه لكارل ذات يوم عندما سأله فى جدية تامة ، ان كان فى نيته ان يتعلم العزف على الفيولينه أو النفخ فى البوق أيضا .

وكان تعلم اللغة الانجليزية هو أول وأهم واجبات كارل ، وكان مدرس شاب فى أحدى الكليات التجارية المجاورة ، يحضر فى السابعة كل صباح الى حجرته ، فيجده عاكفا بالفعل فوق المكتب على كراسات تمريناته ، أو سائرا يذرع الحجرة ذهابا وايابا وهو يحفظ المفردات . وقد ادرك كارل فى وضوح انه لو أراد أن يتقن اللغة الانجليزية فليس لديه من الوقت ما يضيعه فى غير العمل ، وادرك ان هذه كانت ايضا افضل فرصة يمكنه ان ينتهزها ليدخل السرور على قلب خاله ، بالتقدم السريع فى الدراسة ومع انه كان يقصر نفسه فى البداية على استخدام أبسط التحيات ، الا انه سرعان ما أصبح قادرا على أن يستخدم اللغة الانجليزية فى اجزاء كبيرة ، كانت تتزايد دائما فى أحاديثه مع خاله ، حينما كان حديثهما

يتناول موضوعات ودية ، وكانت القصيدة الامريكية الاولى ـ وهى وصف حريق ـ التى استطاع كارل ان يستظهرها لخاله ذات مساء قد ملأت نفس ذلك السيد بالرضا . كانا يقفـــان الى احـــدى النوافذ فى حجرة كارل ، وكان الخال جيكوب يتطلع من خـــلال النافذة الى السماء ، كان قد تلاشى منها الضوء لحظتها ، بينمـــا كان يدنى راحتيه من بعضهما فى بطء وانتظام على ايقاع القصيدة ،وكان كارل قد توقف الى جواره منتصبا ، وراح يستخلص ، وعينـــاه مثبتتان فى الفراغ من ذاكرته سطور القصيدة الصعبة .

وكلما ازداد اتقان كارل اللغة الانجليزية ، زادت رغبة خاله فى تقديمه الى اصدقائه ، وكان حريصا دائما على أن يكون مدرس اللغة الانجليزية موجودا دائما الى جانبه فى مثل هذه المناسبات . وكان اول شخص قدم اليه كارل ذات صباح ، شابا نحيلا رخوا بصورة يصعب تصديقها ، جاء به خاله الى الحجرة مصحوبا بسيل من المجاملات الثقيلة . كان واضحا انه ابن لواحد من أصحاب الملايين العديدين ، وربما كان يعد فاشلا فى رأى والديه ، وبدا كما لو كان يحيا حياة عنيدة من تلك الانماط الشاذة من الحياة التى لا يطيق أن يحياها رجل عادى لمدة يوم واحد على الاكثر دون ان تنهـــار أعصابه . وبدا كما لو كان قد عرف هذا كله أو تكهن به ، وواجهه المواجهة التى تناسبه تماما،ذلك انابتسامة ما،ابتسامة تعبرعنالسعادة كانت ثابتة فوق شفتيه لا تبرحهما ، وكانت الابتسامة نفسهـــا تشع من عينيه ، وتبدو كما لو كانت قد شملت كيانه كله وتشمل اى شخص يتحدث اليه ايضا ، وتشمل العالم بأسره بعد ذلك .

وترتب بموافقة من موافقات الخال جيكوب التى لم تقف عنـــد حد ، ان يصحب هذا الشاب الذى كان يدعى مســـتر « ماك » كارل فى الخامسة والنصف ، كل صباح ، اما الى مدرســـة تعلم ركوب الخيل ، أو الى الخلاء ، وتردد كارل فى البداية ، قبـــل ان يعلن موافقته ، لانه لم يكن قد سبق له ان اعتلى مطلقا ظهر جواد من قبل ، وكان يود أولا لو تعلم شيئا عن الركوب ، لكن لما كان خاله و « ماك » قد أصرا هذا الاصرار ، ولما كانا قد قالا بأن الركوب ليس سوى متعة بالغة البساطة ، ورياضة مفيـــدة للصحة وانهما لا يعدانه فنا على الاطلاق ، فقـــد وافق فى النهاية وكان معنى هذا ، بالطبع ، انه كان عليه ان يغادر فراشه فى الرابعة

والنصف كل صباح ، وقد كان هذا مما يشق عليه بالفعـــل ، بما انه كان يعانى من قلة النوم ، ربما لتركيزه الشديد الذى لايفتر فى استذكار دروسه طوال النهار ، الا انه ما ان يدخل حمامه ، حتى يتوقف عن التحسر على نفسه ، فقد كانت ثمة رشاشــة تغطى سقف الحمام كله ! ـ من من زملاء دراسته فى البلد ، مهما بلغت درجة ثراء أهله ، قد اتيح له شىء مثل هذا ، ولاستعماله الخاص ايضا ؟ ـ وكان فى وسع كارل ان يستلقى متمددا بداخل الحمام ـ

كان ذلك الحمام من السعة بدرجة تسمح له بأن يفرد ذراعيه على امتدادهما ـ وأن يترك الماء الفاتر ، والساخن ، ثم المـاء الفاتر ثانية ، واخيرا الماء البارد كالثلج ، يتساقط فوق أى جزء من جسده لسروره البالغ ، او فوق جسده كله فى نفس الوقت .. استلقى بداخل الحمام كما لوكان ينعم بمتعة الاستيقاظ المتكاسل من النوم ، وقد امتعه ايضا ان يتلقى بعينيه القطرات الاخيرة المتباطئة ، وهى تتساقط وتفيض على وجهه الى اسفل .

وعند مدرسة الركوب ، حيث تركته عربة خاله الفارهة ، كان مدرس اللغة الانجليزية فى انتظاره ، بينما وصل ماك بعد ذلك دون مبالاة ، وكان يمكن لماك أن يتأخر ما شاء له التأخير دون أن يهتم لذلك ادنى اهتمام ، ذلك لان حركة المدرسة الفعلية لم تكن لتبدأ قبل وصوله ، وتفزعت الخيول مستيقظة من اغفائها عندما دخل ، وفرقعت الاسواط عاليابداخل الحجرة ، وبـــدت فى الشرفة التى كانت تحيط بها فجاة اشباح اشخاص متنـــاثرين ، متفرجين ، وسائسى خيول ، وتلاميذ يتعلمون الركوب ، او ايا كانت حقيقتهم . ولقد انهمك كارل خلال الوقت الذى سبق وصول ماك فى التمرين قليلا على الركوب ، مع انها لم تكن سوى محاولاته التلقائية الاولى وكان ثمة رجل طويل كان يمكنه ان يلمس ظهور الجياد دون أن يرفع ذراعه على الاغلب ، وقد اعطى هذا الرجل لـكارل بلا اهتمام تعليماته المقتضبة التى استغرقت ربع الساعة . ولم تكن النتائج التى استطاع كارل أن يحققها نتائج مرضية . كان قد حفظ عن ظهر قلب بعض صيحات التـألم بالانجليــزية ، فكان يلهث بها الى مدرسه ، الذى كان يستند دائما الى الباب ، فى حالة من النعاس الشديد ، الا ان ضيقه بالركوب كان يتلاشى تماما بمجرد ان يظهر ماك . لقد اختفى الرجل الطويل ، ولم يكن فى الامكان سماع اى شىء فى الصالة ، التى كانت لا تزال نصف مظلمة ، الا وقع حوافر

الجياد الراكضة ، ولم يكن من الممكن أن يرى المرء سوى ذراع ماك المرفوعة عندما كان يشير بأوامره الى كارل ، وبعد انقضاء نصف الساعة المفعمة بالمتعة ، التى تنقضى كالحلم ، كان يعلن التوقف ، وكان ماك يبدو حينئذ دائما فى عجلة شديدة من أمره ، فيقول لكارل الى اللقاء ، وهو يربت على خده عدة مرات كما لو كان قد سره بالفعل أن يشاهد ركوبه ، ثم يختفى ، ثم يصعد كارل ومدرس اللغة الانجليزية الى السيارة ، ويعودان الى دروسهما ، خلال الطرق الخالية غالبا ، ذلك لانهما لو دخلا فى حركة المرور التى تتحرك على امتداد الشارع الرئيسى الذى يؤدى مباشرة من مدرسة ركوب الخيل الى عمارة خاله فان معنى هذا ضياع وقت طويل ، وعلى كل حال ، فقد تخلى مدرس اللغة الانجليزية أخيرا عن القيام بدور الحارس ، لان كارل الذى لام نفسه أشد اللوم لاجبار هذا الرجل المرهق دون مبرر ، على مرافقته الى مدرسة الركوب ، وخاصة عندما تبين له ان الانجليزية التى كان يستعملها فى حديثه مع ماك خلال التدريب ، كانت بضع جمل غاية فى البساطة ، توسل لهذا الى خاله ان يعفى الرجل من القيام بهذا الواجب ، وبعد تفكير طويل نزل خاله على رغبته .

ولقد انقضى وقت طويل قبل ان يسمح الخال جيكوب لكارل ببعض المعلومات التى تتصل بعمله ، مع أن كارل كان قد سأله طويلا من قبل ان يسمح له بشىء من ذلك . كان عمله نوعا من القومسيون « السمسرة » ، والتشهيل أو ما يشبه ذلك ، على حسب أدق التخمينات التى توصل اليها كارل ، ولعل عمله كان نوعا من العمل الذى لا وجود له فى أوربا . ذلك لان العمل لم يكن يتوقف على نقل البضائع من المنتج الى المستهلك أو التاجر ، لكنه كان تداولا لكل انواع السلع الضرورية ، والمواد الخام التى تتداولها الشركات فيما بينها ، وبين الاحتكارات الصناعية .. وقد كانت طبيعة العمل تبعا لهذا هى شكل ما من النشاط الذى يتضمن الشراء ، والتخزين ، والنقل ، والاتجار فى الكميات الهائلة من البضائع ، كل ذلك فى وقت معا ، ولهذا كان لابد أن تتوفر له أقصى درجات الدقة ، والاتصالات الدائمة التى لا تنقطع ، الاتصالات التليفونية والتلغرافية بكل عملائها المختلفين . ولم تكن صالة عمال التلغراف أصغر ، بل كانت أكبر كثيرا من صالة مكتب التلغراف فى مدينة كارل ، التى أتيح له ذات مرة أن يلقى عليها نظرة ، بمساعدة

زميل من زملائه فى المدرسة ، كان له من يعرفونه فيها ، وكان من الممكن رؤية أبواب أكشاك التليفونات وهى تفتح ، وتغلق من أى مكان اتفق للمرء أن ينظر نحوه ، بداخل صالة التليفونات ، وكانت الضجة بداخلها تكاد تدفع المرء الى الجنون ٠٠ فتح خاله أول باب من هذه الابواب ، ورأى كارل تحت الضوء الكهربائى الساطع ، عاملا معزولا تماما عن كل صوت يمكن أن يصدر عن الباب ٠٠ تطوق رأسه حلقة من الصلب وتضغط السماعتان على أذنيه ٠ كانت ذراعه اليمنى موضوعة فوق منضدة صغيرة ، ويبدو كما لو كانت ثقيلة بدرجة غريبة ، وكانت الاصابع وحدها تمسك بقلم رصاص ، مستمر فى الارتماش بانتظام وسرعة لا انسانيتين وكان مقتضبا فى الكلمات التى كان يقولها فى « المرسل » ، وكان المرء يلاحظ غالبا ، أنه رغم ما يبدو عليه من التأهب طالبا رفع الصوت او راغبا فى مزيد من الدقة فى المعلومات ، فان الجملة التالية التى يسمعها كانت ترغمه على أن يخفض عينيه ، وان يمضى فى الكتابة قبل ان يتمكن من تنفيذ نيته ، وعلاوة على ذلك فانه لم يكن بحاجة الى ان يقول شيئا ، كما اوضح ذلك الخال جيكوب لكارل فى صوت طيع ، ذلك لان هذه المحادثة نفسها التى يقوم بها هذا العامل ، كانت تجرى فى نفس الوقت بواسطة عاملين آخرين ، ويمكن بعد ذلك بمقارنة التقريرات المختلفة ، تجنب الاخطاء قدر المستطاع .
وعندما خرج الخال جيكوب وكارل فى تلك اللحظة من الكشك ، انسل ساع الى داخله ، وخرج بالمذكرات التى فرغ العامل من تدوينها لتوه ، وفى داخل القاعة كان يرتفع ضجيج متواصل بسببه الناس الذين يندفعون هنا وهناك ، لم يقل احد الى اللقاء ، كما ان التحيات كانت ممنوعة،وكان كل واحد يقفو اثر خطوات الذىيسبقه متخذا نفس الوجهة ، مركزا عينيه على الارض ، التى كان عليه ان يقطعها باسرع ما يمكنه ، أو يلقى بنظرة سريعة الى كلمة ، أو علامة هنا أو هناك على الاوراق التى يحملها فى يده ، والتى يتلاعب بها الهواء فى أثناء حركته المسرعة !

ـ « لقد حققت شيئا خارقا بالفعل ! »

قالها كارل فى مرة من المرات التى قام فيها بتجولاته خلال المبنى الذى استغرقه عدة ايام ليجوس فى كل اجزائه ، حتى ولو لم يكن عليه سوى ان يلقى مجرد نظرة على كل قسم .
ـ « دعنى أذكر لك أيضا ، اننى بدأت فى انشاء هذا كله بنفسى

منذ ثلاثين عاما ، وكان عملي محدودا في ذلك الوقت ، بالقرب من احواض السفن ، ولو تصادف وعهد الى بتفريغ خمس عبوات في يوم واحد ، فقد كنت اعتبره يوما عظيما ، واعود الى المنزل منتفخا بالزهو ، واليوم تغطي مخازني ثالث المساحات الكبيرة في الميناء ومخزني القديم هو الان المطعم والمخزن الذى يضم حاجيات الحمالين الذين يعملون لدى ، والذين يشكلون خمسا وستين فرقة .

قال كارل : « ان هذا مدهش في الحقيقة »

واجابه خاله منهيا حديثه : « ان التطورات في هذا البلد سريعة دائما »

وذات يوم ظهر خاله فجأة قبل الغداء مباشرة ، ذلك الغداء الذى كان كارل يتوقع ان يتناوله وحيدا كعادته وطلب منه أن يرتدى بذلته السوداء في الحال ، وان يصحبه لتناول الغداء بصحبة اثنين آخرين من اصدقائه في العمل ، وبينما كان كارل يبدل ملابسه في الحجرة المجاورة ، جلس خاله الى المكتب ، وتطلع الى التمرينات الانجليزية التى كان كارل قد انتهى توا من ادائها ، ثم أنزل ذراعه الى جانبه ، وصاح في دهشة قائلا بأعلى صوته : « مستوى من الدرجة الاولى ، حقيقة ! »

وواصل كارل ابدال ملابسه في ارتياح لاشك فيه ، عند سماعه هذه الكلمات التي تمتدحه ، الا انه على كل حال كان قد أصبح الان واثقا تمام الثقة من انجليزيته .

وفي حجرة طعام خاله ، التى ما زال يذكرها منذ الليلة الاولى لوصوله ، نهض رجلان طويلان ، متينا البنيان ، واقفين ، كان احدهما يدعى « جرين » وكان الاخر ، يدعى « بوللاندر » ، كما اتضح من خلال الحديث اللاحق ، ذلك ان خاله لم يكن يتفوه تقريبا بكلمة تتناول أحدا من معارفه ، وكان دائما يترك الفرصة لكارل ، حتى يكتشف من خلال ملاحظته ما الذى كان هاما ، أو مثيرا للاهتمام في أمرهم ، وخلال تناول الغداء ، لم يدر بينهم من الحديث سوى ما يتناول أمور العمل ، الذى كان يعنى بالنسبة لكارل درسا ممتازا في المفردات الانجليزية التجارية ، وترك كارل وحيدا لينشغل بأمر طعامه ، كما لو كان طفلا ، ليس عليه سوى أن يجلس معتدلا وأن يحصر اهتمامه في افراغ طبقه ، الا ان مستر جرين مال على المائدة نحوه ، وسأله بالانجليزية دون ان يغيب عن باله ان ينطق كل كلمة باقصى ما يمكنه من الوضوح ، ماذا كانت على

وجه العموم انطباعاتك الاولى عن أمريكا ؟ وبنظـــرات قليلة جانبية وجهها نحو خاله ، أجاب كارل تقريبا اجابة كاملة فى الصمت التام الذى أعقب ذلك السؤال ، واستخدم لارضاء نفسه ، وايضـــا كنوع من الامتنان عددا من تعبيرات نيويورك المتميـــزة . واندفع الرجال الثلاثة مما فى الضحك عندما نطق باحدى الجمل ، وخشى كارل أن يكون قد ارتكب خطأ ملحوظا لـكن لا ، فقد فسر له مستر « بوللاندر » انه كان قد قال بالفعل لتوه ، شيئا غاية فى الظرف . وفى الحقيقة كان المستر « بوللاندر » قد بدا وكانه قد شغف بكارل بصورة ما بالفعل ، وبينما عاد الخال جيكوب ، ومستر جرين ثانية الى التشاور فى شئون أعمالهما طلب مستر « بوللاندر » من كارل ان يقترب بمقعده ، وساله اسئلة لا حصر لها عن اسمه ، وعائلته وعن رحلته ، واخيرا ، لـكى يعطيه فرصة راح فى سرعة ، وهو يضحك ، ويسعل يحكى له عن نفسه ، وعن ابنته التى يعيش معها فى منزل ريفى صغير على مقربة من نيـــويورك ، حيث يقضى فيه امسياته فقط ، لانه كان مديرا لاحد البنوك ، ولان عمله يفرض عليه التواجد طوال اليوم فى نيويورك ، ولقد وجهت لـكارل الدعوة بالذهاب الى المنزل الريفى فى حرارة ، ذلك ان امريكيا حديثا على هذا النحو ، ويفتقر كذلك الى التجربة لابد ان يكون فى حاجة الى استحمام من حين لآخر من « نيويورك » . وســـال كارل خاله فى الحال ، أن يأذن له بقبول هذه الدعوة ، فسمح له خاله بذلك فى سرور واضح ، وان يكن دون تحديد وقت معين أو حتى دون أن يعيرها كثيرا من الاهتمام ، كما توقع كارل ومستر « بوللاندر »

لـكن فى اليوم التالى ، استدعى كارل الى أحد مكاتب خاله ـ كان لخاله عشرة مكاتب مختلفة فى هذا المبنى وحده ، حيث وجد خاله ، ومعه المستر « بوللاندر » مضطجعين تقريبـــا على نفس الصورة فى مقعدين وثيرين .

قال له خاله : ان مستر « بوللاندر » ، الذى كان من الممكن تمييزه فى ظلمة المساء التى كانت تخيم على الحجرة ، قد حضر لكى يصحبك معه الى منزله الريفى ، كما قيل بالامس . فاجاب كارل قائلا : لم أكن أعلم ان ذلك كان سيتم اليوم ، والا كنت قد اعـــددت نفسى لذلك .

فقال خاله : اذا لم تكن على استعداد ، فلعله من الافضـــل أن تؤجل هذه الزيارة الى وقت آخر .

وصاح مستر « بوللاندر » قائلا : وما هي حاجتك الى الاستعداد ، ان الشاب يجب ان يكون مستعدا دائما لاى شيء

فقال خاله مستديرا نحو ضيفه : لا يتعلق الامر به ، لكن عليه ان يصعد ثانية الى حجرته ، وسوف يسبب هذا تأخيرك

فقال مستر « بوللاندر » : يوجد متسع من الوقت لهذا ، لقد عملت حساب التأخير ، وغادرت مكتبي مبكرا

فقال الخال جيكوب : هل رأيت مدى الاضطراب الذى احدثته زيارتك الان بالفعل ؟

قال كارل : انني في غاية الاسف الا انني سوف اكون هنا ثانية في خلال دقيقة واحدة ، واندفع خارجا

قال مستر « بوللاندر » : لا تتعجل انك لا تسبب لي اقل ازعاج ، بل على العكس ، انه ليسرني ان تقوم بزيارتي .

ــ سوف يفوتك درس الركوب غدا .. هل الغيته ؟

قال كارل : لا .. لست ادرى .. لقد بدأت هذه الزيارة التي كان يتطلع اليها ترهقه الان

وتساءل خاله : وهل تنوى الذهاب على الرغم من ذلك ؟

وتدخل مستر « بوللاندر » ، ذلك الرجل العطوف ، لمساعدة كارل ، قائلا : سوف نتوقف في طريقنا عند مدرسة الركوب ، وندبر امر كل شيء

قال الخال جيكوب : ثمة شيء آخر هو ان « ماك » سيتوقع ذهابك .

فقال كارل : انه لن يتوقع ذهابي لانه سوف يذهب على كل حال الى المدرسة .

فقال الخال جيكوب : حسنا اذن ، وكأن اجابة كارل لم تكن سوى مجرد حجة واهية

وتدخل المستر « بوللاندر » مرة اخرى لحل المشكلة ، قائلا : لكن .. كلارا .. كانت كلارا هي ابنة مستر بوللاندر ، تتوقع حضوره هي ايضا وفي هذا المساء نفسه ، ولا شك ان لها الافضلية على « ماك »

قال الخال جيكوب : بالتأكيد .. حسنا ، اذن ، اسرع بالذهاب الى حجرتك

وبحركة بدت كما لو كانت حركة لا ارادية ، دق عدة مرات على ذراع المقعد ، وكان كارل قد اصبح لحظتها عند الباب ، عندما

اوقفه خاله ثانية بسؤاله :
ــ بالطبع ، ستكون هنا ثانية ، غدا صباحا ، لتحضر درس اللغة الانجليزية

فصاح المستر « بوللاندر » قائلا : لـكن ياسيدى العزيز ، وهو يستدير مندهشا فى مقعده الى الحد الذى سمحت له بها ضخامته :

ــ الا يمكنه ان يبقى معنا على الاقل حتي بعد الغد ؟ الا يمكننى ان احضره معى فى الصباح الباكر بعد غد ؟

فرد الخال جيكوب قائلا : ليس ثمة مجال للسؤال فى هـــذا الشأن ، فلا يمكننى ان اسمح بانقطاع دراسته على هذا النحو ، وفيما بعد ، عندما يتاح له الحصول على وظيفـة ثابتـة من نوع ما ، ساكون مسرورا عندما اتركه يقبل هـــذا النوع من الدعوات الممتدة لوقت اطول .

وفكر كارل فى نفسه قائلا : « يا له من اعتراض »

واكتأب المستر « بوللاندر » قائلا : لكن فقط لمدة أمسية واحدة ، ليلة واحدة ؟ انها لا تكاد فى الحقيقة تستحق العناء .

قال الخال جيكوب : هذا ما اعتقده انا ايضا .

فقال المستر « بوللاندر » : على المرء ان يقبل ما يتيسر له ، ثم عاد ثانية الى الضحك ، قائلا : حسنا .. ســـانتظرك .. ملوحا لـكارل ، الذى أسرع مبتعدا عندما لم يقل خاله شيئا اكثر من ذلك .

وعندما عاد بعد قليل ، مستعدا للرحلة ، وجد مستر «بوللاندر» وحده فى الغرفة ، كان خاله قد غادرها وهز مستر « بوللاندر » يدى كارل بكلتا يديه فى مرح ؛ كما لو كان يريد أن يؤكد لنفســه كل التأكيد ، ان كارل كان ذاهبا معه فى نهاية الامر . وكان كارل لايزال مضطربا نتيجة لتعجله ، ومع ذلك فقد ضغط يدى مستر « بوللاندر » بدوره . كان يكاد يطير فرحا لفكرة الزيارة

ــ « اليس خالى غاضبا لذهابى ؟ »

ــ « لا مطلقا .. انه لا يقصد كل ما قال جديا .. انه فقط مهتم بأمر تعليمك اهتماما شديدا »

ــ « هل أخبرك هو نفسه انه لا يقصد ما قاله جديا ! » ..

ــ « او .. نعم » ، قالها المستر « بوللاندر » ، وهو يضغط على الحروف فى بطء ، مؤكدا بهذا انه لا يمكنه ان ينطق كذبا ..

ـ « انه من الغريب الا يكون راغبا فى ان يسمح لى بزيارتك ، مع انك صديقه ! » ..

وعلى الرغم من ان مستر « بوللاندر » هو ايضا لم يكن يوافق على ذلك ، الا انه لم يجد تفسيرا للأمر ، وكان كلاهما ، وهما ينطلقان بعربة مستر « بوللاندر » خلال المساء الدافىء ، قد راحا يقلبان هذا الامر طويلا فى راسيهما ، على الرغم من انهما قد تحدثا فى امور اخرى. كانا يجلسان ملتصقين. وكان كارل متشوقا لسماع اكبر قدر ممكن عن الآنسة « كلارا » كما لو كان نفاد صبره لطول الرحلة يمكن ان يخففه الاستماع الى القصص التى تجعل الوقت ينقضى فى سرعة . لم يسبق له من قبل ان مر فى شوارع نيويورك فى المساء ، لكن على الرغم من ازدحام الارصفة والشوارع العامة بالحركة التى يتغير اتجاهها فى كل لحظة ، كما لو كانت زوبعة ، وكان الزئير المنبعث عن حركة الشوارع ، يبدو اشبه باصوات كائنات غريبة لا صلة لها بالبشرية مطلقا . وكان كارل وهو يجهد فى تركيز انتباهه لالتقاط كلمات مستر « بوللاندر » لم يكن يرى شيئا سوى معطف مستر « بوللاندر » الغامق ، الذى كان موثقا بسلسلة ذهبية .. وخارج الشوارع الرئيسية حيث كان رواد المسارح يصخبون لخوفهم الشديد ، من ان يكون الوقت قد تأخر بهم ، وبينما هم يسرعون فى طريقهم بخطوات مهرولة ، او يمرقون فى عربات ، بأقصى سرعة ممكنة ، كانا قد وصلا بسرعة عادية الى الضواحى ، حيث تحولت سيارتهما عن طريقها بواسطة رجال البوليس الذين يركبون الجياد ، اكثر من مرة ـ الى الشوارع الفرعية .. ذلك لان الطريق الرئيسى كانت تملؤه مظاهرة قام بها عمال المعادن المضربون ، وكان المرور الضرورى ، يسمح له باستعمال مفترق الطرق . وعندما خرجت سيارتهما من الظلام الذى يخيم على الطرقات الضيقة ، عبرت احد هذه الشوارع الهامة ، الفسيحة التى تكاد تكون فى اتساع الميادين ، وبدا على كل من الجانبين رصيف لا ينتهى ، ممتلىء بحشود متحركة من الناس الذين يتقدمون فى بطء الى الامام ، حيث كانت اناشيدهم اكثر تجانسا من أى صوت انسانى آخر مفرد . وكان يمكن رؤية رجال البوليس على ظهور الجياد فى الشوارع العمومية التى ظلت خالية ، وهم يتحركون هنا وهناك ، أو وهم يجلسون فوق جياد ساكنة لا تأتى بأية حركة أو .. حاملى الاعلام او الاشرطة المتلشة ببعض الكتابات ، تمتد

بعرض الشارع فوق رءوس المتظاهرين ، او .. زعيم عمالى محاط بالزملاء والاعوان ، او .. ترام كهربائى لم يتمكن من الفرار بسرعة ولهذا توقف الآن مظلما ، وخاليا ، بينما السائق والكمسارى يستلقيان على الرصيف . وجماعات صغيرة من المتفرجين الفضوليين يقفون على البعد ، يرقبون المساعدين . كانوا متسمرين فى اماكنهم على الرغم من انه لم يكن لديهم ادنى فكرة عما كان يجرى .

الا ان كارل كان يضطجع الى الخلف فى سعادة ، وكانت فكرة انه سيكون الآن ضيفا عزيزا ، فى منزل ريفى ساطع الضياء ، محاط باسوار عالية ، وتقوم على حراسته كلاب الحراسة المدربة ، كانت هذه الفكرة قد ملأته بالرضا البالغ ، ومع انه كان قد بدا الآن يشعر بالنعاس يغالبه ، ولم يعد قادرا على ان يلتقط تماما ما كان مستر « بوللاندر » يوجهه اليه ، او كان يسمع اجزاء منقطعة من حديثه على الاكثر ، فقد راح يلوم نفسه بين الحين والآخر ، ويدعك عينيه حتى يرى ان كان مستر « بوللاندر » قد لاحظ نعاسه ؟ ! ذلك .. ان هذا كان شيئا حاول كارل ان يتجنبه بأى ثمن .

** معرفتي **
me3refaty.blogspot.com

الفصل الثالث

منزل ريفى بالقرب من نيويورك

« حسنا ، لقد وصلنا » ، قالها مستر « بوللاندر » فى لحظة من لحظات شرود كارل . كانت العربة قد توقفت أمام منزل ، كأغلب المنازل التى يملكها الاثرياء فى ضواحى نيويورك ، منزل يتسع ، ويمتد الى أبعد مما ينبغى لمنزل ريفى أعد لسكنى أسرة واحدة فقط . ولما لم يكن يوجد أى ضوء ينبعث منه ، سوى بصيص كان ينبعث من أحد جوانب طابقه الأسفل، فقد كان من الصعب أن يقدر المرء مدى ارتفاعه . وكانت تنبعث أمام المنزل اصوات تصدر عن حفيف اشجار جوز الهند ، وثمة ـ كانت البوابة قد فتحت على مصراعيها عندئذ ـ ممر قصير يفصل المنزل عن تلك الاشجار ، ويؤدى الى درجات الباب الخارجى للمنزل . أحس كارل بالتعب عند هبوطه من العربة ، حتى لقد بدأ يظن ان الرحلة كانت رحلة طويلة على نحو ما ، وسمع فى ظلام الممر الذى كانت تظلله اشجار جوز الهند ، صوت فتاة الى جانبه ، تقول : « هـذا اذن هو المستر جيكوب اخيرا ! » ، فقال كارل وهو يتناول اليد التى مدتها اليه تلك الفتاة التى لم يتمكن من ان يتحقق من شكلها : « ان اسمى هو روسمان !» وقال مستر « بوللاندر » موضحا : « انه ابن اخت جيكوب فقط ، اما اسمه فهو كارل روسمان ! »

فقالت الفتاة التى لم تكن تلتفت كثيرا الى الاسماء : « لن يقلل هذا من سرورنا لرؤيته »

والح كارل هو ايضا فى التساؤل ، وهو يسير متجها نحو المنزل بين مستر « بوللاندر » ، وبين الفتاة : « هل انت الآنسة كلارا ؟ »

قالت : « نعم » ، واضاء وجهها فى هذه اللحظة شعاع ينبعث من داخل المنزل ، وكانت تميل برأسها نحو كارل ، وهى تضيف : « الا اننى لا اريد ان اقدم نفسى هنا فى الظلام » .

وفكر كارل ، وهو يفيق اكثر كلما تقدم فى السير ، قائلا فى نفسه : « هل كانت تنتظرنا بجوار البوابة ؟ »

قالت كلارا : « على فكرة لدينا ضيف آخر هذه الليلة ! »

فصاح « بوللاندر » منفعلا : « مستحيل ! »

وقالت كلارا : « انه مستر جرين »
فتساءل كارل ، وكان الهاما قد تملكه : « متى وصل ؟ »
ـ « منذ دقيقة واحدة ، الم تسمعا صوت سيارته التى كانت تتقدم سيارتكما ؟ »
وتطلع كارل الى اعلى ، نحو مستر « بوللاندر » ، ليرى ما سيفعله فى هذا الموقف ، الا ان « بوللاندر » كان قد دس يديه فى جيبى بنطلونه ، وكانت قدماه قد تسمرتا فى ارض الممر :
ـ « لا خير فى الحياة خارج نيويورك ، فهى لا تعفيك من الازعاج ، وسوف نحاول تدبير منزل لنا فى مكان ابعد كثيرا من هذا المكان ، حتى ولو كلفنى بلوغه ان اقود سيارتى الى منتصف الليل ! »
وظلوا واقفين امام الدرجات المؤدية الى باب المنزل الخارجى .
قالت كلارا : « لكن وقتا طويلا قد انقضى بالفعل ، منذ زارنا مستر جرين آخر مرة ! » ، كانت تتفق مع ابيها فيما قال ، لكنها كانت تحاول تهدئته ، والتخفيف من ضيقه .
قال « بوللاندر » : « ولماذا جاء فى هذه الليلة بالذات ؟ ! » ، وقد تدحرجت الكلمات فوق شفته السفلى المتهدلة فى غضب ، كانت ترتجف ، كما كان يرتجف كل جسده الثقيل المترهل فى وضوح .
قالت كلارا : « لماذا حقا ؟ »
وقال كارل ، مندهشا هو نفسه للتعاطف الذى ربطه بهذين الشخصين اللذين كانا غريبين تماما عنه قبل يوم واحد : « ربما لن يلبث حتى يعود ثانية من حيث اتى ! »
قالت كلارا : « اوه .. لا ، ان اعمالا هامة تربطه ببابا ، وقد يستغرق بحثها وقتا طويلا ، فلقد هددنى فور وصوله مازحا بقوله : « ان على ان اظل واقفة حتى الصباح ان كان قد راق لى ان ابدو امامه فى صورة المضيفة المهذبة ! »
فصاح « بوللاندر » ، وكأن شيئا لم يكن اشد سوءا مما سمع ، قائلا : « هذه هى القشة الاخيرة .. اذن فهو ينوى البقاء طوال الليل ؟ .. واضاف قائلا : « اننى أشعر بشىء من الرغبة » ، ورشت عبارته هذه بشىء من القدرة على المرح ، « اننى اشعر بالفعل بشىء من الرغبة يا مستر روسمان ، فى ان أضعك ثانية فى داخل العربة ، واعود بك مباشرة الى خالك ! » ، لقد ضاعت هذه الليلة الآن مقدما ، ومن يدرى متى يسمح لك خالك بزيارتك لنا هنا ثانية ، الا اننى لو عدت بك ثانية الى نيويورك الليلة ، فلن يكون

امامه ان يرفض السماح لك بزيارتنا فى المرة القادمة ! »

وامسك بيد كارل ، لكى يشرع فى تنفيذ فكرته فى اللحظة نفسها ، الا ان كارل لم يتزحزح من مكانه ، ورجت كلارا اباها ان يتركه ، فلن يكونا هى وكارل على الاقل فى حاجة الى السماح لمستر جرين بازعاجهما مطلقا . وفى النهاية كان « بوللاندر » نفسه يخشى ان يكون قراره قد اصبح قرارا حاسما بحيث لا يمكنه ان يتحول عن تنفيذه ، و .. فوق ذلك — وربما كان هذا هو القرار الحاسم فملا — كانوا قد سمعوا فجاة مستر جرين ، يهتف من أعلى الدرج ، الى الحديقة ، قائلا : « اين انتم بحق الجحيم ؟ »

فقال المستر « بوللاندر » : « اننا قادمون ! » ، وراح يصعد الدرجات ، وخلفه كارل ، وكلارا اللذان تفحصا الآن بعضهما فى الضوء .

قال كارل فى نفسه : « ما اشد احمرار شفتيها ؟ » ، وتذكر شفتى مستر «بوللاندر» وكيف تحولتا الى هذه الصورة الساحرة ، فى شفتى ابنته !

قالت : « سنتوجه بعد تناول العشاء مباشرة ، الى حجرتى ، لو رغبت فى ذلك ، وهكذا يمكننا على الاقل ان نتخلص من مستر جرين ، حتى لو تحتم على بابا ان يبقى معه ، ولعلك ان تكون لطيفا فتعزف لى على البيانو ، فقد قال لى بابا ان لك مقدرة فائقة على العزف ، ويؤسفنى أشد الاسف ان أصرح لك باننى لا استطيع مطلقا ، ان اتمرن على العزف ، واننى لم المس البيانو الذى امتلكه مطلقا ، رغم حبى الشديد للموسيقى ! »

كان كارل على اتم الاستعداد لتلبية رجاء كلارا ، مع انه كان يود لو كان فى امكان المستر « بوللاندر » ان ينضم اليهما ، الا ان رؤيته لهيئة مستر جرين العملاقة — كان كارل قد اعتاد على رؤية كرش بوللاندر — عندما بدت لهم قامته فى أعلى الدرج ، وهم يصعدون درجات السلم ، قد طردت كل أمل كان قد تبقى لدى كارل فى انتزاع بوللاندر بعيدا عن هذا الرجل ، فى تلك الليلة !

واستقبلهم مستر جرين فى لهفة ، وكان وقتا طويلا كان قد انقضى بالفعل دون طائل ، تناول ذراع مستر « بوللاندر » ، ودفع كارل وكلارا امامه نحو حجرة الطعام ، التى كانت تبدو مبهجة غاية البهجة بالازهار التى كانت منسقة فوق المائدة ، والتى كانت تنبثق

من بين الاغصان والاوراق الخضراء ، فجعلت وجود مستر جرين شيئا مؤسفا على نحو مضاعف . كان كارل يحدث نفسه بهذا ، بينما كان ينتظر الى جوار المائدة حتى جلس الآخرون ، وكانت تتملكه الرغبة فى ان تظل الابواب الزجاجية التى تفتح على الحديقة مفتوحة كما كانت ، ذلك ان شذا قويا كان يهب الى داخل الحجرة وكان المرء كان يجلس تحت تعريشة زهور ، عندما نفخ مستر جرين منخاريه ، واندفع لاغلاق هذه الابواب الزجاجية نفسها ، منحنيا الى الترابيس التى فى اسفلها ، ومرتفعا على اطراف اصابع قدميه ، مادا ذراعه الى اعلى لاغلاق الترابيس العليا ، فعل ذلك فى نشاط الشباب ، حتى ان الخادم عندما اسرع اليه ، لم يجد شيئا قد تبقى له ليقوم به ، وكان اول ما تفوه به مستر جرين عندما عاد بعد ذلك الى المائدة ، هو التعبير عن دهشته لأن كارل كان قد طلب موافقة خاله على قيامه بهذه الزيارة . ودفع ملعقة ممتلئة بالشوربة الى فمه ، ثم ملعقة أخرى ، وراح يشرح لكلارا التى كانت تجلس الى يمينه ، ومستر « بوللاندر » الذى الى يساره ، لماذا كان مندهشا بهذه الصورة ، وكم كان الخال جيكوب قلقا فى اهتمامه بكارل ، حتى ان عطفه عليه كان عطفا بالغا الى حد ابعد ما يكون عن عطف خال على ابن أخته !

وحدث كارل نفسه قائلا : « انه ليس قانعا بتدخله غير المرغوب فيه هنا ، وانما يصر أيضا على التدخل بينى وبين خالى.. « ولم يتمكن كارل من ابتلاع قطرة واحدة من الشوربة الذهبية اللون ، لكنه راح بعد ذلك يصب الشوربة فى صمت فى داخل حلقه ، لانه لم يرغب فى ان يظهر ما شعر به من الغضب ، واستمر تناول الوجبة فى بطء مؤلم .

ولم يظهر مستر جرين الذى كانت كلارا تعاونه فى تناول وجبته ، شيئا من الحيوية أو النشاط ، وكان يطلق ضحكة عالية بين الحين والآخر كلما سنحت الفرصة ، وترك المستر « بوللاندر » نفسه يستغرق فى المناقشة مرة أو مرتين ، عندما كان مستر جرين يتحدث عن الاعمال ، الا انه سرعان ما انسحب حتى من الحديث عن الاعمال هى أيضا ، وكان على مستر جرين ان يغريه على الحديث ، بالعودة اليه ثانية على غير توقع . وفوق ذلك فقد ظل مستر جرين يكرر قوله بأنه لم يكن ينوى القيام بهذه الزيارة المفاجئة .. وعندما كان مستر جرين يقول ذلك ، كان كارل يتسمع كما لو كان شخصا ما

يتهدده ، وكانت كلارا قد تشبثت به ، و .. قالت له ان اللحم المشوى موجود الى جـــوار مرفقـــه ، وقالت انه الآن فى حفلة عشاء ! ويضيف جرين قائلا : ان الامر الذى جاء لمناقشته كان امرا ذا اهمية خاصة ، الا ان أهم جزء فيه كان من الممكن أن يتم بحثه فى المدينة ، فى هذا اليوم ، مع ترك التفاصيل الثانوية لاتمام بحثها فى اليوم التالى أو فى اى يوم آخر فيما بعد .

ولهذا فقد استدعى بالفعل الى مكتب المستر « بوللاندر » ، قبل موعد الانصراف بوقت طويل ، الا انه لم يجد المستر «بوللاندر» فى مكتبه ، وكان عليه لهذا ان يتصل تليفونيا بمنزله ، ليخبرهم بأنه لن يعود هذه الليلة ، واستقل سيارته بعد ذلك الى هنا .

فقال كارل فى صوت مرتفع ، قبل ان يجد اى شخص آخر فرصة للرد على جرين : « اذن ، فيجب على ان اعتذر اليك ، لاننى الملوم على ترك مستر بوللاندر لمكتبه مبكرا اليوم، واننى لفىغاية الاسف!»

وحاول مستر بوللاندر أن يخفى وجهـــه خلف فوطة السفرة ، بينما ابتسمت له كلارا ابتسامة لم تكن تنم عن عطفها ، بل كانت تشى برغبتها فى التأثير عامه على نحو ما .

وقال مستر جرين وهو يمزق حمامة مشوية بضربات قاطعة من سكينه :

ـ « لم يطلب أحد منك ان تعتذر ، بل اننى على عكس ذلك مغتبط جدا لقضاء الليلة فى هذه الصحبة السارة ، بدلا من تناول العشاء وحدى فى منزلى ، حيث لا يوجد لدى سوى مدبرة منزل عجوز هى التى اجدها فى انتظارى ، وأنها عجوز جدا ، حتى ان أقصى مجهود يسمها ان تبذله هو ان تنتقل من باب المطبـــخ الى المائدة فحسب ، واضطجع انا فى مقعدى الى الخلف منتظرا بضـــع دقائق فى كل مرة ، ارقبها فيها وهى تقطع رحلتها الشاقة ، ولم تتوقف هذه الرحلة الا اخيرا عندما أقنعتها فى النهاية بأن تترك مهمة توصيل الاطباق من المطبخ حتى باب حجرة الطعام لخادمى ، الا ان الرحلة من باب حجرة الطعام حتى المائدة هى المهمة التى لا تزال تقوم الآن بأدائها على قدر ما يسمنى الاستنتاج ! »

صاحت كلارا قائلة : « يا للسماء ، ما أشد اخلاصها ! »

ـ « نعم .. لا يزال يوجد اخلاص فى هذه الدنيا »

قالها المستر جرين ، وهو يضع شريحة من الحمامة فى داخل فمه ، حيث قام لسانه بالتقاطها فى الحال ، وتصـــادف ان لاحظ

كارل ذلك ؛ فاحس بالغثيان ، ونهض واقفا ، وامسكت به كلارا من يده وامسكه مستر بوللاندر من اليد الاخرى .
قالت كلارا : « لم يحن وقت نهوضك من على المائدة بعد » ، وعندما جلس ثانية فى مكانه ، همست له قائلة : « سوف نختفى معا بعد لحظات قليلة ، فتذرع بالصبر ! »

وكان مستر جرين فى تلك الاثناء يتناول طعامه فى هدوء ، كما لو كانت مهمة مستر بوللاندر وكلارا الطبيعية هى تهدئة كارل بعد ان اصابه بالغثيان .
كانت وجبة العشاء تمضى فى بطء ، مثقلة بالارهاق الذى كان يسببه تدخل مستر جرين فى كل مجال ، والذى لم يمنعه من ان يدخر هجوما جديدا ، بداه فى طاقة متجددة ، وقد بدأ هجومه كما لو كان قد عزم على ان يستجم من عادات مدبرة منزله العجوز ، فراح يزجى المديح المرة بعد المرة للآنسة كلارا ، ويطرى خبرتها فى تدبير المنزل ، وقد ارضى هذا المديح غرورها فيما يبدو ، وكان كارل على نقيضها يحس برغبته فى ايقاف هذا المديح ، وكانه كان هجوما موجها فى صورة ما ، ومع ذلك فلم يقنع مستر جرين بمهاجمة كلارا على هذا النحو ، بل اعلن اسفه عددا من المرات على شهية كارل الضعيفة — دون ان يرفع راسه عن الطبق الذى امامه — تلك الشهية التى تبدو له ضعيفة ضعفا شديدا خلافا لما كان يتوقعه .

ودافع مستر « بوللاندر » عن شهية كارل ، على الرغم من انه كان عليه أن يشجعه على تناول المزيد من الطعام ، بما أنه كان هو المضيف . كان كارل قد أصبح فى غاية الحساسية بسبب الضيق الذى كان يعانيه طوال فترة تناول الطعام ، حتى لقد فسر كلمات مستر بوللاندر ، خلافا لفكرته الطيبة عنه ، على انها نوع من عدم الكرم ، وكان هذا سببا آخر لاندفاعه فجاة الى تناول الطعام فى نهم وبسرعة لا تليق ، لمجرد ان يجلس مسترخيا بعد ذلك بقية الوقت ، تاركا سكينه وشوكته أمامه على المائدة بلا حركة ، حتى لقد احتار الرجل الذى كان يقوم بالخدمة على المائدة ، فيما كان ينبغى عليه أن يفعل بهما .
قال مستر جرين ، وهو يحاول أن يوحى بأن ما قاله من الكلمات انما تعنى رغبته فى المزاح ، وذلك بأن شدد قبضته على سكينه وشوكته : « سوف اخبر خالك غدا ، كيف انك قد تسببت فى اغضاب الآنسة كلارا بعدم تناول عشائك » ، واستانف حديثه

قائلا وهو يداعب بأصابعه أسفل ذقن كلارا التى اسلت جفونها وتركته يفعل ذلك : « انظر الى الفتاة .. كيف اطرقت براسـها الى أسفل ؟ ! »

ثم صاح ، وهو يضطجع فى مقعده الى الخلف : « ابنتها الصغيرة المسكينة ! » ، ضاحكا بتثاقل الرجل المتخم بالطعـام . وحاول كارل عبثا ان يجد سببا لسلوك مستر بوللاندر . كان يجلس ناظرا فى طبقه ، وكأن أهم الاحداث كانت تجرى لحظتها على صفحته ، ولم يجذب مقعد كارل قريبا منه ، وعندما بدأ يتحدث ، وجه حديثه الى المائدة كلها ، بينما لم يوجه شيئا لـكارل بصورة مباشرة ، وكان كارل يعانى كذلك من ان جرين ذلك الخليع المتبد ، من ابنـاء نيويورك ، كان قد تجرأ على ان يدلل كلارا عمدا ، وان يهينه ، وهو ضيف مستر بوللاندر أو يعامله على الاقل ، وكأنه كان طفلا ، وان يمضى على تلك الصورة ، فى مواصلة سلوكه البشع الذى لم يكن كارل يدرى الى اى حد يسمه أن يحتمله . وعندما نهضوا من على المائدة ـ عندما لاحظ جرين نية الجميع ـ كان هو اول من نهض من عليها ، وبدا كما لو كان قد جر الآخرين الى الاقتداء به ، تحول كارل جانبا الى احدى النوافذ الهائلة التى تحيطهـا اطارات ضيقة بيضاء ، وتفتح على الشرفة ، والتى كانت فى حقيقة أمرها عندما تطلع اليها وهو يقترب منها أبوابا حقيقية ، ترى ما الذى طرأ على كراهية مستر بوللاندر وابنته ، تلك الكراهية التى اظهراها فى البداية نحو جرين ، والتى بدت حينذاك الى حد ما غير واضحة لكارل الذى لم يتمكن من ان يفهم لها سببا ؟ ماذا طرأ على تلك الـكراهية حتى يقفا الآن مع الرجل ، ويومئا اليه ، كان الدخان يتصـاعد من سيجار مستر جرين الذى اهداه له بوللاندر ، سيجار غليظ بالصورة التى كان والد كارل قد ذكرها له فى أحيـان ، على انها حقيقة ، ولعله لم يكن قد رآه بالفعل بعينيه ! كان الدخان ينتشر فى انحاء الحجرة ، حاملا تاثير جرين حتى الى الاركان والزوايا التى لم يطرقها بنفسه ، وكان فى امكان كارل ان يشعر من على البعـد الذى كان يقف عنده بالدخان وهو يلسع انفه ، وبدا سلوك جرين الذى كان كارل قد حدق فيه بلفتة سريعة من راسه ، سلوكا مشينا فى راى كارل ، وبدأ كارل يفكر فى انه كان واضحا وضوحا كافيا له الآن ان خاله كان قد عارض قيـامه بهذه الزيارة ، كل تلك المعارضة ، لانه كان يعلم فى بساطة مدى ضعف شخصية مسـتر

« بوللاندر » ، وتوقع لهذا ، احتمـال ان يتعرض كارل للاهانة بشكل ما ــ ولم يكن مصيبا فى هذا بالطبع ــ أما بخصوص الفتاة الامريكية ، فان كارل لم يحبها هى ايضا ، على الرغم من انها كانت قريبة غاية القرب من الصورة الجميلة التى تخيلها عليها ، وكان كارل قد دهش بالفعل للتألق الغريب الذى بدا به وجهها منذ أن بدات ملاطفات مستر جرين لها ، وخاصة التألق الذى ومضت به عيناها المتيقظتان ، والثوب المحبوك على جسدها ، ذلك الثوب الذى لم ير مثله من قبل ، وبعض طيات صغيرة من النسيج الاصفر اللون ، وشت بقوة الانفعال ، الا ان كارل لم يبال بشىء من ذلك ، وكان يسره ان يتخلى عن فكرة الذهاب الى حجرتها ، لو امكنه ان يفتح الباب الذى الى جواره ــ وقد وضع يده على المزلاج محاولا أن يفتحه ويقفز بداخل العربة او ــ لو كان السائق نائما بالفعل ــ يسير على قدميه عائدا الى نيويورك . كانت الليلة الصافية بقمرها الساطع ، ملكا خالصا لكل شخص ، وبدا له الخوف من اى شىء فى الخارج شيئا لا معنى له ، وتخيل ــ وقد بدأ يشعر بالسعادة فى تلك الحجرة لاول مرة ــ كيف سيتمكن فى صباح الغد ــ فليس فى امكانه ان يصل الى نيويورك قبل ذلك الوقت ــ من ان يصيب خاله بالدهشة ، حقا ، انه لم يسبق له ان دخل حجرة نوم خاله ، ولا كان يعلم حتى اين كانت تقع من ذلك المبنى ، الا انه سرعان ما سيفلح فى العثور عليها ، ثم .. يدق على الباب ، وعند الصيحة المعهودة : « ادخل » ، يندفع داخلا الى الحجرة ، مصيبا خاله العزيز بالدهشة ، خاله الذى يعرفه حتى الآن فى كامل ثيـابه ، وازراره مغلقة حتى ذقنه ، جالسا فى فراشه بملابس نومه ، وعيناه المغمضتان بالدهشة مثبتتان على الباب ، وقد لا تكون تلك المفاجأة فى حد ذاتها امرا شديد الاثر ، الا ان المرء عليه ان يقدر النتائج التى قد تترتب عليها ، فربما امكنه ان يتناول فطوره مع خاله لاول مرة ، وسيكون خاله فى الفراش ، ويجلس هو امامه على مقعد ، ويوضع الفطور على منضدة صغيرة بينهما ، وربما اصبح هـذا الفطور الذى جمعهما ، ترتيبا ثابتا فيما بعد ، وربما تمكنا خلال تناول ذلك الفطور ــ بالفعل ــ ان يتحدثا الى بعضـهما فى صراحة اكثر ، ولقد كان انعدام الثقة المتبادلة بينهما ، فى نهاية الامر ، هو السبب فى انه كان يظهر شيئا من الجموح ، او العناد بمعنى أصح ، ولا يزال الى اليوم يبدو لخاله على هذه الصورة ، وحتى لو اضطر

الى قضاء الليلة هنا ـ ويبدو ان هـذا هو ما سيحدث بالفعل ، لسوء الحظ ، على الرغم من انهم قد تركوه يقف وحيـدا الى النافذة ، ويتسلي بالتطلع خارجها ـ فلعل هذه الزيارة غير الموفقة ، ان تكون هى نقطة التحول فى علاقته بخاله ، و .. ربما يكون خاله مستلقيا فى فراشه ، ومستغرقا فى هذه اللحظات نفسها فى نفس الافكار .

واستدار فى شيء من الرضا ، كانت كلارا تقف الى جواره ، وتقول له : « الا يسرك ان تشترك معنا على الاطلاق ؟ الا تحاول ان تشعر نفسك ، ولو قليلا ، انك هنا ، فى منزلك ؟ هيا .. سأقوم بمحاولة اخيرة معك ! »

قادته عبر الحجرة ، الى الباب ، وكان السيدان يجلسان الى مائدة جانبية ، يشربان فى اكواب مرتفعة ، سائلا خفيفا فوارا ، لم يكن كارل يدرى ما هو ، وكان يود لو تذوقه . وكان مرفقـا المستر جرين معتمدين على المنضدة ، وكان وجهه قريبا جدا من وجه مستر بوللاندر ، ولو ان امرءا غيره لا يعرف مستر بوللاندر ، فربما ظن ان خطة اجرامية كانت تدبر بينهما ، وليس عملا مشروعا ، بينما تعقبت عينا مستر بوللاندر ، كارل ، الى الباب بنظرة ودية ، ولم يوجه مستر جرين نظرة واحدة الى كارل ، خلافا للقـاعدة الثابتة ، بأن عينى المرء تتعقبان لا اراديا ما تتعقبه عينا من يتحدث اليه ، وبدا لـكارل ان تصرف مستر جرين المدائى الواضح الى هذا الحد ، كان يشير الى اعتقاده ان عليهما هو وكارل ان يتقاتلا بالفعل ، وان يشتبكا بالايدى ، والى انه من المحتم ان تحسم الملاقة بينهما عن هذا الطريق الذى ينتهى فى اللحظة الحاسمة بانتصـار أحدهما وانهيار الآخر .

قال كارل فى نفسه : « لو كان هذا هو ما يعتقده ، فهو أحمق ، اننى ـ فى الحقيقة ـ لا اريد شـيئا منه ، وعليه ان يتركنى فى سلام ! »

وما كاد يخطو الى الردهة ، حتى خطر له انه ربما كان قد بدا فظا فى سلوكه ، ذلك ان عينيه كانتا مركزتين فى جمود ، على جرين، حتى ان كلارا كان عليها أن تسحبه الى خارج الغرفة . ومضى فى صحبتها الآن طائعا ، وعندما كانا يمران خلال الردهات ، لم يسعه الا أن يصدق عينيه بصعوبة فى البداية ، حينمـا كان يرى خادما بعد كل عشرين خطوة تقريبا ، فى ملابس فاخرة ، ممسكا بشمعدان

ضخم ، له عمود فى غاية الضخامة ، حتى كان الخادم يضم كلتا يديه معا ليتمكن من الامساك به .

قالت كلارا ، وهى تحاول ان تفسر له ذلك : « ان التركيبات الكهربائية الجديدة ، قد تم تركيبها هناك فى حجرة الطعام فقط ، ولقد اشترينا هذا المنزل منذ وقت قريب ، وكان علينا ان نقوم باعادة بنائه كله تقريبا ، وقد كان هذا هو اقصى ما يمكننا ان نقوم به لاعداد منزل قديم كهذا المنزل ، بكل ما فيه من الاشياء الغريبة ! » .

قال كارل : « اذن فلديكم فى امريكا منازل قديمة بالفعل ، أيضا ؟ »

فقالت كلارا ضاحكة ، وهى تجذبه الى الامام : « بالطبع .. ان لديك افكارا غريبة عن امريكا ! »

قال فى ضيق : « لا يجب أن تضحكى منى ! » ، فهو فى النهاية يعرف أوروبا وامريكا ، بينما لا تعرف هى سوى امريكا !

وفى اثناء سيرهما ، دفعت كلارا احد الابواب ، فانفتح ، بدفعة خفيفة من يدها ، وقالت دون توقف : « هذا هو المكان الذى سوف تنام فيه ! »

كان كارل يريد ان يتفحص الحجرة كلها فى الحال ، الا ان كلارا صاحت فى نفاد صبر ، وارتفع صوتها حتى اوشك على الصراخ ، قائلة : انه سيكون أمامه من الوقت ما يتسع لذلك فيما بعد ، وان عليه ان يمضى معها أولا ، ونشبت بينهما مشادة فى الردهة ، حتى خطر ببال كارل انه ليس ملزما بان يفعل كل ما تأمره به كلارا ، فخلص نفسه منها ، واندفع الى داخل الحجرة . وكان الظلام الذى يبعث على الحيرة ، كثيفا خارج الشباك ، وتبين فى وسط الظلام بعض الاغصان الممتدة من شجرة ضخمة كانت تتطوح فى الحديقة ، وكان فى مقدوره سماع تغريد الطيور ، ولم يكن يستطيع تمييز أى شىء فى داخل الحجرة ، ولا حتى أن يتلمس طريقه خلالها ، ذلك أن ضوء القمر لم يكن قد دخلها بعد ! وشعر كارل بالاسف لانه لم يحضر معه بطاريته الكهربائية التى كان خاله قد أعطاها له ، ففى هذا المنزل كانت البطارية الكهربائية شيئا لا غنى عنه مطلقا ، وكان يمكن للمرء أن يرسل الخدم الى فراشهم باعطائهم واحدة من تلك البطاريات الكهربائية !

وجلس على حافة النافذة ، وحدق فى الظلام ، وراح يتسمع ،

وبدا ان طائرا ما ، قد تسبب كارل فى ازعاجه ، لانه كان يصفق بجناحيه بين أوراق الشجرة العتيقة ، وكان صفير قطار من قطارات الضواحى ، ينبعث من مكان ما عبر الحقول ، وكل شيء كان ساكتا تماما فيما عدا ذلك .

ولم يمض وقت طويل حتى عادت كلارا مندفعة الى داخل الحجرة ، وصاحت فى غضب ظاهر : « ما معنى ذلك ؟ » وضربت قميصها بيدها .

وقرر كارل الا يرد عليها بشيء ، حتى تظهر شيئا من الأدب ، الا انها تقدمت نحوه بخطوات واسعة ، وهى تصيح فى دهشة : « حسنا .. هل ستأتى معى ، أم لا ؟ » وضربته سواء عن عمد ، أو فى غمرة ارتباكها ، ضربة شديدة على صدره ، حتى لقد أوشك ان يسقط خارج النافذة ، لو لم يكن فى اللحظة الاخيرة ، قد انزلق من على حافة النافذة ، حتى لامست قدماه ارض الحجرة !

قال لها فى لوم : « ربما كنت قد وقعت خارج النافذة ؟ ! »

ـ « مما يؤسف له انك لم تقع ، لماذا تبدو غبيا الى هذا الحد ؟ سوف اجذبك خارج هذه الحجرة فى المرة القادمة ! »

وامسكت به بالفعل ، وحملته تقريبا بين ساعديها المدربتين حتى النافذة ، وكانت الدهشة قد استولت عليه فلم يخلص نفسه من بين ساعديها ، ثم عاد الى نفسه ، وتملص بجذعه متخلصا من بين ذراعيها ، وامسك بها بدوره .

قالت فى الحال : « اوه .. انك تؤلمنى ! »

لكن كارل احس انه من الخطأ ان يتركها ، وسمح لها بحرية الحركة التى تتيح لها اتخاذ أية خطوات تريدها ، لكنه تبعها ، ملتصقا بها بشدة . كان من السهل ان يقبض عليها بشدة بملابسها المحبوكة .

همست : «اتركنى» ، وكان وجهها المتضرج ، قريبا من وجهه ، حتى لقد كان يجهد نفسه لكى يرى وجهها : « اتركنى ، سوف اعطيك شيئا لا تتوقعه ! » .

وفكر كارل فى نفسه : « لماذا تتنهد على هذا النحو ، اننى لا اسبب لها اى الم ، فلست أضغط عليها ، انما امنعها فقط من الحركة ، فاننى لا اضمن ما قد تفعله ؟ » ، وظل متشبثا بها ، لكن فجأة ، فى لحظة غفلة ، وبعد لحظة من السكون ، أحس مرة أخرى فجأة بقواها تصارع جسده ، ثم انطلقت متخلصة من قبضته ،

ثم شلت حركته ، بحركة من حركات المصارعة ، وضربت قدميه بركلة بارعة من ساقها المشوقة ، حركة غريبة عليه ، القته ارضا امامها فى سيطرة مدهشة ، ثم وقفت تلهث قليلا، بجانب الحائط ، كانت هناك اريكة بجوار ذلك الحائط ، كان هو قد انطرح عليها ، وتشبث بها فى سقطته ، وظلت هى على مسافة كافية من مكانه ، وقالت : « انهض الآن لو استطعت ! » .

ـ « ايتها القطة .. ايتها القطة المتوحشة ! » . كان ذلك هو كل ما استطاع كارل ان يصيح به ، فى ثورة غضبه ، واحساسه بالعار: « لابد انك معتوهة ، ايتها القطة المتوحشة ! » .

قالت له : « احذر ما تقول ! » ، ومدت يدها الى حنجرته ، التى راحت تضغط عليها بغاية العنف حتى ان كارل لم يتمكن من التقاط انفاسه الابصموبة ، بينما لوحت بقبضتها الاخرى الى خده ، ولمسته كما لو كانت تجرب صفعه ، ثم اعادتها الى الخلف تدريجيا الى ابعد فابعد ، على استعداد لتوجيه لطمة له فى اية لحظة .

وسالته قائلة : « ما قولك ، لو اننى عاقبتك على وقاحتك مع آنسة بارسالك الى منزلك وقد احمرت اذناك من شدة اللطمات ؟ ربما افادك هذا فى ان تصبح شخصا طيبا طوال ما تبقى من حياتك ، مع انه لا يبدو عليك الاستعداد لتذكر ذلك . اننى آسفة فى الحقيقة من اجلك ، فانت فتى حسن الشكل الى درجة كبيرة ، ولو انك كنت قد تعلمت المصارعة اليابانية ، فربما كنت قد ضربتنى ، وعلى اية حال .. على اية حال ، فاننى اشعر برغبة شديدة فى لطم اذنيك الآن ، وانت مستلق امامى ، ولعلنى اندم لاننى لم افعل ، لكن لو اننى فعلت ذلك ، فدعنى اقل لك اننى سافعله لاننى لا استطيع مقاومة رغبتى تلك ، ولن تكون لطمة واحدة بالطبع تلك التى سأسددها لك ، بل اننى سامضى فى تسديد اللطمات الى اذنيك ، ولن اتوقف حتى تغطيك الكدمات الزرقاء والسوداء ، وربما كنت واحدا من هؤلاء الرجال الشرفاء ـ يمكننى ان اصدق ذلك بسهولة ـ وسيشق عليك ان تتحمل العار الذى اصابك بلطمك على اذنيك ، وستبتعد فى الحال . لكن لماذا كنت فظيعا فى سلوكك معى بهذه الصورة ؟ الا تحبنى ؟ الا يستحق مجيئك الى غرفتى اقل العناء ؟ آه .. احذر ، اننى ساصفعك الآن فجاة ، ساصفعك فى التو واللحظة ، و .. لو عفوت عنك فى هذه الليلة ، فاعمل على ان

تسلك سلوكا افضل فى المرة القادمة . اننى لست خالك حتى احتمل طبعك الشكس ، ومهما يكن الامر ، فدعنى اوضح لك ، اننى لو تركتك الآن فلملك لاتحتاج الىالظن بانالمار الذى يلحقك بتساوى سواء لطمتك ، أو عفوت عنك ، سوف اصفعك على وجهك بغاية ما يسعفنى العنف ، وقد لا تظن انت اننى فملت ذلك . اننى لا ادرى ما الذى سيقوله ماك عندما احكى له عن ذلك كله ! »

وعندما طرا ماك على بالها ، تراخت قبضتها ، واحس كارل فى انفماله بأن ماك قد انقذه ، وظل فترة قصيرة بمدها يحس بقبضة كلارا ، وكانها تقبض على حنجرته لا تزال ، ولهذا تلوى فى مكانه لحظة قبل ان يمود الى سكونه مرة اخرى ، مستلقيا فوق الاريكة.

وطلبت منه ان ينهض ، فلم يرد عليها ، كما انه لم يتحرك مطلقا. واشملت هى شممة فى مكان ما ، واضاءت الحجرة ، وظهر على السقف شكل متمرج بتاثير ضوء الشممة ، الا ان كارل بقى ملقيا برأسه على الاريكة حيث تركتها كلارا ، ولم يتحرك قيد اصبع ، وتمشت كلارا عبر الحجرة ، وكان يسمع حفيف الثوب حول ساقيها وهى تذرع الغرفة ، ثم بدا وكانها قد توقفت فترة طويلة عند النافذة .

وسمعها تساله فى النهاية : « هل انتهيت من عنادك ؟ » ، وتبين كارل انه من المستحيل ان يجد الراحة فىهذه الحجرة التىخصصها له مستر بوللاندر ، ليقضى فيها ليلته ، وظلت الفتاة تتجول فى انحاء الحجرة ، وتتوقف لتتحدث اليه بين الحين والآخر . وكان هو قد ضاق بها من اعماقه . وكل ما كان يتطلع اليه هو ان يستفرق فى النوم فورا ، ثم يغادر هذا المنزل بمد ذلك . لم يرغب حتى فى ان يذهب الى الفراش ، كان يريد ان يبقى على الاريكة حيث كان ، وكان ينتظر اللحظة التى تغادر فيها تلك الفتاة الحجرة ، حتى يقفز الى الباب خلفها ، فيغلقه ويحكم رتاجه ، ثم يمدد نفسه ثانية فوق الاريكة ، واحس برغبة شديدة فى ان يتمطى ويتثاءب ، الا انه لم يحب ان يفمل ذلك فى وجود كلارا ، ولهذا بقى مستلقيا يحدق فى السقف ، وهو يشمر بأن وجهه كان يزداد ، ويزداد جمودا ، ومرت أمام عينيه بقمة لعلها كانت ذبابة ، حامت حوله دون أن يتحقق تماما من طبيمتها .

وتقدمت كلارا نحوه ، مرة اخرى ، وانحنت أمام عينيه ، فلو لم يحرك جفونه لامكنه مع ذلك ان يراها جيدا .

قالت : « انني ذاهبة الآن ، وربما رغبت في ان تاتي لرؤيتي فيما بعد ، ان باب حجرتي هو الرابع ، بعد باب هذه الحجرة ، في نفس هذا الجانب من الردهة ، فاترك الابواب الثلاثة التالية ، والباب الذي يليها هو الباب المطلوب ! لن اهبط الى الطابق الاسفل، ثانية ، بل سأبقى في حجرتي . لقد سببت لي الارهاق انا أيضا ، و .. لن أتوقع مجيئك بالطبع ، لكن .. لو رغبت في المجيء ، فتعال ! وتذكر أنك قد وعدت بأن تعزف لي على البيانو ، ربما كنت تشعر بانك قد انطرحت هامدا ، وانك لا تستطيع ان تتحرك من مكانك ، حسنا اذن ، ابق حيث انت ، وتمتع بالنوم الهادىء ، ولن أذكر لوالدي شيئا عن عراكنا العارض ، لا شيء في الوقت الحاضر ، اقول ذلك الآن إذا كنت تحس بشيء من الانزعاج له ! » ، وعلى الرغم من ارهاقها ، الذي كان يبدو واضحا في حركتها ، انطلقت في خفة الى خارج الحجرة !

وجلس كارل في مكانه على الفور ، كان يتعذر عليه مواصلة احتمال ذلك الاستلقاء ، نهض ، وتقدم نحو الباب لمجرد تحريك اطرافه ، وتطلع منه الى الردهة . كم كانت مظلمة ! وشعر بالغبطة عندما اغلق الباب ، واحكم رتاجه ، وجلس مرة اخرى على مائدته ، على ضوء الشمعة ، واستقر رايه على عدم البقاء لحظة اخرى في هذا المنزل ، ورأى ان يهبط الى مستر بوللاندر ، وان يخبره صراحة بمعاملة كلارا له ـ واضعا في اعتباره الا يهتم مطلقا لمحاولة دفاعه عنها ـ ويطلب منه ان يسمح له ، بالعودة ـ لهذا العذر الكافي ـ سواء بالعربة ، او سيرا على الاقدام الى منزل خاله ! ولو ابدى مستر « بوللاندر » اعتراضا على عودته في نفس الليلة ، فسيطلب منه كارل حينئذ ان يامر خادما على الاقل ، بان يقوده الى اقرب فندق ، وربما كان من الثابت ان احدا لا يعامل ضيوفه على النحو الذي كان كارل يفكر فيه ، الا انه من النادر ايضا ان يعامل الضيوف بالاسلوب الذي عاملته به كلارا ، ولقد ظنت بالفعل أنها كانت رقيقة عندما وعدته بانها لن تذكر شيئا عما حدث بينهما لمستر بوللاندر ، لقد كان ذلك في الحقيقة امرا شنيعا غاية الشناعة . هل كان قد دعي الى مباراة للمصارعة ؟ لو كان قد دعي الى ذلك ، فانه سيكون خجلا أيضا لان فتاة يبدو انها قد انفقت الجانب الاكبر من حياتها في تعلم المصارعة قد طرحته ارضا ، وربما كانت فوق ذلك ، قد تلقت تدريبا على يدي ماك . وفي

امكانها أن تخبر ماك بما شاءت ، فماك شخص ذكى للغاية ، وكارل واثق تمام الثقة من ذكائه ، على الرغم من أن الفرصة لم تسنح له ولو لحظة واحدة ليتأكد من ذلك ، الا ان كارل يعلم ايضا انه لو كان قد تلقى تدريبا على يدى ماك بدوره ، فلا شك انه كان سيبدى تفوقا ابعد كثيرا مما أظهرته كلارا من التفوق فى المصارعة ، اذن لحضر الى هنا مرة اخرى ، فى يوم من الايام ، حتى بلا اية دعوة ، وشرع فى دراسة المعركة ، دراسة محكمة ، تدهش لها كلارا غاية الدهشة ، ثم تناول كلارا هذه نفسها ، وطرحها على نفس الاريكة التى طرحته عليها الليلة !

وكان عليه الآن ان يجد طريقه ثانية الى حجرة الطعام ، التى كان قد ترك فيها قبعته لارتباكه عندما غادرها ، فى مكان ما ، وسوف يأخذ الشمعة بالطبع فى يده ، لكن لم يكن سهلا أن يجد المرء وجهته حتى فى ضوء الشمعة ، فلم يكن يعرف ، مثلا ، موقع حجرته هذه بالنسبة لحجرة الطعام ، وكانت كلارا فى طريقهما الى هنا قد راحت تجذبه ، فلم تترك له أقل فرصة للتطلع حوله ، والتعرف على الطريق ، كما كان باله مشغولا ايضا بمستر جرين ، وبالخدم الذين كانوا يحملون الشمعدانات الضخمة ، وباختصار ، لم يكن بسعه بالفعل أن يتذكر ان كانا قد صعدا طابقا أو طابقين ، أو انهما لم يصعدا اى سلالم على الاطلاق ، ولهذا فقد حاول ان يقنع نفسه بأنهما كانا قد ارتقيا سلما ما ، لكنه وجد أمام الباب درجات كان عليه أن يصعدها ، فلماذا لا يكون هذا الجزء من المنزل مرتفعا قليلا عن مستوى ارض الحديقة هو أيضا ؟ لو اتيح له فقط شعاع من الضوء يتسرب من احد الابواب التى تتتابع فى تلك الردهة أو صوت يمكنه ان يسمعه على البعد ، مهما كان خافتا ؟

كانت ساعته ــ التى اهداها له خاله ــ تشير الى الحادية عشرة ، فاخذ الشمعة ومضى الى الردهة ، وترك باب حجرته مفتوحا ، فاذا لم يوفق فى العثور على طريقه ، فيمكنه على الاقل ان يعود ثانية الى حجرته ، ويمكنه فى حالة الضرورة القصوى أن يصل الى حجرة كلارا أيضا ، ولكى يضمن عودته الى الحجرة ، وضع مقعدا فى فتحة الباب ، فربما انغلق من نفسه . وفى الردهة اكتشف امرا سيئا ــ كان قد استدار الى اليسار ، مبتعدا بالطبع عن حجرة كلارا ــ فقد اندفع فى وجهه تيار هوائى ، كان من الممكن رغم انه كان تيارا ضعيفا ان يطفىء شمعته بسهولة ، لهذا اضطر الى

ان يحوط بيده على لهب الشـمعة ، وكثيرا ما كان يتوقف حتى يعود اللهب الذاوى الى التوهج من جديد ، كان يتقدم فى طريقـه ببطء ، وبدا ذلك وكانه يضاعف من طول الطريق ، وكان كارل قد قطع مسافة طويلة ، بطول حائط أصـم ، خال من الابواب او الفتحات ، ولم يكن فى مقدور المرء ان يتخيل ماذا كان يقع خلف ذلك الحائط ، حتى بلغ بابا بعد آخر ، وتتابعت الابواب ، وحاول كارل ان يفتح بعضها ، لـكنها كانت جميعا مغلقة ، وكانت الحجرات تبدو خالية ، كانت مساحة واسعة جدا ، على نحو غاية فىالاسراف وفكـر كارل فى الحى الشرقى من نيـويورك ، ذلـك الحى الذى وعده خاله بأن يصحبه اليه ، حيث يقال ان عددا من الاسر كانت تعيش معا فى حجرة صغيرة ، وان منزل الاسرة باكملها لم يكن سوى ركن من أركان الحجرة الواحـدة ، يتكدس فيه الاطفـال حول والديهم ، بينما يظل مثل هذا العدد الـكبير من الحجرات الفسيحة خاويا هنا ، ويبدو ان الغرض من وجودها هو فقط ترديد الصوت عندما يدق المرء على باب كل منها . وبدا له مستر « بوللاندر » شخصا ضلله اصدقاؤه المزيفون ، وتمادى فى الهيام بابنتـه التى تتسبب فى خرابه . ولا شك ان الخال جيكوب كان صائبا فى حكمه عليه ، وقد كان من مبادىء خاله الا يحاول التاثير على كارل فى حكمه بنفسه على الآخرين ، وقد كانت مبادىء خاله هـذه ، هى السبب فى هذه الزيارة، وفى كل هذا التجول الحائر خلال تلك الردهات

سوف يخبر خاله غدا بصراحة مطلقة عن هذا كله ، مدليا باحكامه الخاصة على كل شىء ، وسوف يسعد خاله دون شك بالاستماع الى احكام ابن اخته ، حتى عليه هو نفسه ، وربما كانت مبادىء خاله هذه ، هى الحقيقة ، ربما كانت هى الشىء الحقيقى الذى يتمتع به خاله ، وربما كانت هذه المبادىء قد اساءت كارل بصورة ما ، الا ان استياءه بدا له الآن على غير اساس .

وفجأة انتهى الجدار القائم على أحد جوانب الردهة ، وظـهر على امتداده درابزين ، بارد جدا ، من الرخام ، وواجه كارل الفراغ الحالك ـ فهل كانت هذه الردهة هى البهو الرئيسى للمنـزل ؟ ـ كان من الممكن على ضوء الشمعة رؤية سقف مقبى ـ فلماذا لم يمرا هو وكلارا بها ؟ وما هو الغرض من هذه الحجرة الهائلة الشديدة الارتفاع ؟ ان المرء يقف هنا كما لو كان واقفا فى بهو كنيسـة من الـكنائس ! واسف كارل غاية الاسف لانه لن يبقى فى هذا المنزل

حتي الصباح ، فقد كان يود لو اطلعه مستر بوللاندر على كل اجزاء المنزل فى ضوء النهار ، وفسر له كل شيء .

كان الدرابزين قصيرا للغاية ، فلم يلبث كارل حتى وجد نفسه يسير بطول ردهة مغلقة ، وباستدارة مفاجئة اندفع مسرعا نحو الحائط ، وكان الحرص الشديد الذى كان يمسك به الشمعة فى تشنج قد منعها من السقوط ، والانطفاء . وبدت له تلك الردهة وكأنها بلا نهاية ، ولم تكن بها نافذة واحدة ، حتى يمكنه من خلالها ان يتبين اين كان ، ولا كان يتحرك فوقه شيء فى الطابق الاعلى ، ولا تحته ـ وبدأ كارل يدور فى حلقة ، وكان لديه أمل ضعيف فى انه سيتمكن من الوصول الى باب غرفته مرة اخرى ، ولكنه لم يتمكن من العودة الى الحجرة المرتفعة ، ولا الى الدرابزين ، وكان قد منع نفسه عن الصياح حتى الآن ، لانه لم يكن يرغب فى اثارة ضجة فى منزل غريب فى مثل تلك الساعة المتأخرة ، لكنه تحقق الآن ان تجوله لن يوصله الى شيء فى هذا المنزل المظلم ، وكان على وشك ان يطلق عقيرته ، صائحا بأعلى صوته : « هالو ! » ، حتى يتردد صدى صيحته بطول الردهة فى الاتجاهين ، عندما لمح ضوءا خافتا يقترب خلفه ، فى نفس الطريق الذى سلكه ، وامكنه الآن ان يدرك طول تلك الردهة الممتدة فى استقامة ، كان ذلك المنزل عبارة عن قلعة ، لا مجرد منزل فحسب ، وكان فرحه لرؤية هذا البصيص المنقذ فرحا بالغا ، حتى لقد نسى كل حذره ، واندفع فى اتجاه الضوء . وكان لا يزال ممسكا بشمعته المطفاة بعد أن خطا بضع خطوات قليلة ، لكنه لم يعد يلقى بالا اليها الآن ، لأنه لن يكون فى حاجة اليها بعد ذلك ، فقد لمح خادما عجوزا يحمل فانوسا ويتقدم نحوه، وسوف يدله هذا الخادم فى الحال على الطريق الصحيح

تساءل الخادم ، وهو يرفع فانوسه فى وجه كارل، فيضيء وجهه هو أيضا : « من انت ؟ » كان وجهه وقورا الى حد ما ، بسبب اللحية الهائلة البيضاء التى كانت تنتهى فوق صدره فى حلقات دائرية . وقال كارل فى نفسه : « لابد أن يكون خادما أمينا ، ما داموا قد سمحوا له باطلاق لحية كهذه » ، وكان يحدق بامعان فى اللحية بطولها وعرضها ، دون حرج ، لان الرجل كان يتفحصه هو الآخر بدوره ، وأجاب قائلا ، بأنه ضيف على مستر « بوللاندر » ، وانه قد ترك حجرته ذاهبا الى حجرة الطعام ، الا انه لم يجد الطريق اليها .

قال الخادم : « آه . . نعم ، اننا لم ننته من التركيبات الكهربائية بعد ! »
فقال كارل : « اعلم ذلك ! » .
وساله الخادم قائلا : « الا تريد أن تشعل شمعتك من الفانوس ؟ ! »
فقال كارل ، وهو يشعلها : « لو سمحت ! »
وقال الخادم : « يوجد كثير من هذه التيارات الهوائية فى هذه الردهات ، والشموع تنطفىء بسهولة ، وهذا هو السبب فى اننى أفضل الفانوس عليها ! »
فقال كارل : « نعم ، ان الفانوس عملى أكثر منها ! »
وقال الخادم ، وهو يرفع الفانوس الى بدلة كارل : « لماذا تغطيك كل هذه القطرات من الشمع ؟ »
فصاح كارل فى انزعاج ، قائلا : « اننى لم الاحظها مطلقا ! » أحس بالانزعاج لانها كانت بدلته السوداء التى قال خاله انها تبدو عليه أفضل مما عداها ، وها هى قد تلوثت الآن بهذه البقع ، كما انها لم تسلم كذلك من مباراة المصارعة التى دارت بينه وبين كلارا . تبين ذلك الآن ايضا ، وكان الخادم كريما جدا ، حتى انه قام بتنظيف البدلة بقدر المستطاع ، وظل كارل يستدير حول نفسه ، وهو يشير له الى بقعة هنا ، وبقعة أخرى هناك ، وكان الرجل يزيلها جميعا فى طاعة .
وتساءل كارل عندما استانفا طريقهما ثانية : « لكن لماذا كانت التيارات الهوائية هنا بهذه الكثرة ؟ ! »
قال الخادم : « حسنا ، لانه لا يزال يجب اتمام الكثير من المبانى ، ان عملية اعادة البناء قد بدأت فقط ، فى الحقيقة ، الا انها تسير فى بطء شديد ، وقد قام عمال البناء أخيرا باضراب ، ولعلك تعلم ذلك ، كما أن بناء منزل بهذه الضخامة يسبب كثيرا من المشاكل ، بالاضافة الى أن عديدا من الثغرات قد حدثت فى الجدران ، ولم يسد أحد تلك الثغرات بعد ، ولهذا تمرح التيارات الهوائية فى كل أنحاء المنزل ، ولو اننى لم اسد اذناى بقطعتين من القطن ، لما كان فى مقدورى ان احتملها ! »
فتساءل كارل قائلا : « هل يجب على اذن ان اتحدث فى صوت اكثر ارتفاعا ؟ »
قال الخادم : « لا . . ان صوتك واضح ، لكن عند عودتك مرة اخرى الى هذا الجانب من المنزل ، وخاصة هذا الجزء منه ، بالقرب من المقصورة التى ستنفصل فيما بعد عن باقى المنزل ،

فسوف تجد انالتيارات قد اشتدت بصورة لن يسمك ان تحتملها!»
ـ « اذن فان الدرابزين الذى على امتداد هذه الردهة ، يؤدى الى مقصورة ! »
ـ « نعم ! » .
قال كارل : « لقد ظننت ذلك منذ قليل ! »
قال الخادم : « انها مقصورة تستحق الرؤية فى الحقيقة ، ولعل مستر ماك ، لولاها ما كان قد اقدم على شراء هذا المنزل لو كان لى أن أقول ذلك ! »
وتساءل كارل : « مستر ماك ؟ لقد ظننت ان هذا المنزل ملكا لمستر بوللاندر ؟ ! »
قال الخادم : « نعم ، ملكه دون شك ، الا ان مستر ماك كان هو الذى قام بشرائه ، الا تعرف المستر ماك ؟ ! »
قال كارل : « اوه .. نعم اعرفه ، لكن ما هى علاقته بمستر « بوللاندر » ؟ ! »
قال الخادم : « انه خطيب السيدة الصغيرة ! »
قال كارل ، وهو يتوقف لحظة : « لم اكن أعلم ذلك بكل تأكيد !»
وتساءل الخادم : « اترى الامر مدهشا الى هذا الحد ؟ ! »
فاجابه كارل قائلا : « انني فقط افكر فى هذا الامر ، فلو لم يعلم المرء جيدا حقيقة تلك العلاقات ، لكان من السهل ان يتورط فى أشد انواع الاخطاء ! »
قال الخادم : « أما ما يدهشنى انا ، فهو انهم لم يخبروك بشىء عن هذا ! »
فقال كارل ، وهو يشعر بالارتباك : « نعم .. هذا حق ! »
وقال الخادم : « ربما ظنوا انك تعلم ، فهى تعد الآن اخبارا قديمة بالفعل ، لكن ها نحن قد وصلنا .. » وفتح بابا ، ظهرت خلفه درجات سلم يؤدى مباشرة الى الطابق الاسفل ، ثم الىالباب الخلفى لحجرة الطعام التى كانت مضيئة ما زالت ، كما كانت عند وصول كارل .
وقبل أن يهبط كارل متجها نحو حجرة الطعام ، التى كان يصدر عنها صوت مستر بوللاندر ، ومستر جرين ، وهما مستغرقان فى حديثهما الذى لم ينقطع منذ ساعتين ، قال الخادم : «سانتظرك هنا لو شئت ، لكى أصحبك مرة أخرى الى حجرتك ، فمن الصعب أن يجد المرء طريقه هنا بسهولة فى الليلة الاولى ! »

فأجابه كارل الذى لم يدر لماذا احس بالحزن الذى دفعه الى ان يدلي للخادم بهذا التصريح: «لن تراني حجرتي هذهمرة اخرى ! »
وقال الخادم مبتسما فى شيء من الرقة ، وهويربتعلى ذراع كارل:

« لن تجد صعوبة فى عودتك اليها ، كتلك الصعوبة التى لقيتها هذه المرة ! » ، ولعل الخادم كان قد فسر كلمات كارل على انه كان ينوى قضاء بقية الليلة فى غرفة الطعام ، يتحدث ، ويشرب مع السيدين ، ولم يشأ كارل ان يصرح بمزيد من الاعترافات عندئذ وجال فى خاطره ايضا ان هذا الخادم ، الذى احبه اكثر من اى خادم آخر فى هذا المنزل ، يمكنه أن يدله على الطريق الى نيويورك ولهذا قال له :

ــ « لو انتظرتني هنا ، فسوف يكون هذا كرما شديدا منك ، وانني أتقبله شاكرا ، وسوف أعود بعد لحظة ، على كل حال ، واخبرك بما سوف افعله ، واعتقد انني قد اكون فى حاجة الى مساعدتك » .

قال الخادم : « حسنا » ، ووضع فانوسه على الارض ، ثم جلس فوق قاعدة منخفضة لعلها كانت بعضا من آثار ترميم المنزل « سوف انتظرك هنا ، اذن ، ويمكنك ان تترك معى شمعتك أيضا ! » ، قال ذلك لكارل وهو يهم بهبوط درجات السلم ممسكا بالشمعة المضاءة فى يده . .

قال كارل : « انني لا اعي الآن ما افعله ! » ، واعطى الشمعة الخادم الذى أومأ له فحسب ، وكان من الصعب أن يقطع المرء بما اذا كانت ايماءته تلك مقصودة ، او انها كانت مجرد حركة عفوية صدرت عنه عندما راح يتحسس لحيته بيده . .

فتح كارل الباب الذى اضطرب فى صوت مرتفع رغما عنه ، فقد كان عبارة عن لوح واحد من الزجاج ، كان يوشك على ان يقفز مخلوعا من مكانه عندما يفتح فى غير احتراس ، دفعه كارل متعجلا من مقبضه ، وتركه يتأرجح خلفه فى اضطراب مزعج ، وكان كارل يريد أن يدخل الغرفة هادئا غاية الهدوء ، واحس دون أن يستدير نحو البابه بأن الخادم يقف خلفه ، كان قد نهض من جلسته فوق القاعدة وتبعه ، لكى يغلق الباب خلفه بحذر دون أن يصدر عنه اى صوت .

وجه كارل حديثه للسيدين قائلا : « اغفرا لى ازعاجي لكما » . فنظرا اليه بوجهين مستديرين ، قد علتهما الدهشة ، والقى كارل

فى هذه الاثناء بنظرة سريعة فى أنحاء الحجرة ، ليرى ان كانت قبعته فى مكان ما ، الا انه لم يعثر عليها ، وكانت الاطباق التى فوق المائدة قد رفعت جميعا ، فظن فى ضيق ان قبعته ربما كانت قد رفعت أيضا الى المطبخ مع الاطباق .

سأله مستر بوللاندر : « لكن اين تركت كلارا ؟ » . بدا ان تهجم كارل لم يسبب له اى ازعاج ، لانه كان قد اعتدل فى مقعده ، وأدار وجهه ناحية كارل ، وبدا عدم الاكتراث على وجه مستر جرين الذى اخرج من جيبه كتابا من كتب الجيب ، اضخم فى الحجم وعدد الصفحات من اى كتاب آخر من نوعه ، وراح يبحث بين صفحاته عن صفحة ما ، لكنه ظل يقرأ صفحات اخرى منه فى أثناء بحثه عن تلك الصفحة .

قال كارل : « لى رجاء ارجو الا تسىء فهمه ! » ، وكان قد اندفع مسرعا نحو مستر « بوللاندر » ، ثم وضع يده على ذراع مقعده ، حتى يقترب منه بقدر ما يستطيع .

وتساءل مستر « بوللاندر » : «وماعسى أن يكون هذا الطلب ؟ !» وكان ينظر الى كارل نظرة صريحة واضحة : « انه طلب أوافق عليه مقدما ! » ، ووضع ذراعه حول كارل ، وسحبه بين ركبتيه ، واستسلم كارل ، مع أنه كان يشعر بانه كان كبيرا بالنسبة لهذا التدليل ، الا أن هذه المعاملة جعلت تصريحه بطلبه مع ذلك أكثر صعوبة

وأضاف مستر « بوللاندر » متسائلا : « ما الذى احسست به بصراحة ، بوجودك هنا ، الا ترى ان المرء يجد شيئا من الحرية عند خروجه من المدينة الى الريف ، عادة ؟ ! » ونظر بطرف عينه نحو مستر جرين ، نظرة لها معنى لا تخطئه المين ، وان كان كارل قد حجب تلك النظرة عن مستر جرين الى حد ما : « أن هذا الشعور ينتابنى عادة كل مساء ! »

وحدث كارل نفسه قائلا : « انه يتكلم ، وكأنه لا يعلم شيئا عن هذا المنزل الهائل ، وهذه الردهات التى لا حصر لها ، ولا عن المقصورة والحجرات الخالية ، او الظلام الذى يجثم فوق كل مكان ! »

قال مستر « بوللاندر » : « حسنا .. وما هو طلبك ؟ » ، وجذب كارل الذى كان يقف صامتا اليه فى ود .

قال كارل : « ارجو .. » ، ولم يكن فى مقدوره مهما حاول خفض صوته أن يمنع جرين الذى كان يجلس خلفه من سماع كل شىء ، وقد كان يسره لو تمكن من اخفاء هذا الطلب عنه ، هذا

الطلب الذى قد يفسر بسهولة على أنه اهانة موجهـــــة لمستر « بوللاندر » : « ارجو .. ان تسمح لى بالعودة الى منزلى الآن ، رغم تأخر الوقت ! » .

وما ان تفوه بأسوا ما فى طلبه ، حتى انطلقت البقية كلها بعد ذلك ، فقال دون أدنى مواربة اشياء لم يكن قد فكر فيها من قبل : « اننى أريد قبل كل شىء ، ان أعود الى منزلى ، وسوف يسرنى ان ارجع ثانية الى هنا ، ويسعدني ان اكون حيث تكون يامستر بوللاندر ، لكننى لا استطيع ان ابقى هنا الليلة بالذات ، انك تعلم ان خالى لم يكن راغبا فى السماح لى بهذه الزيارة ، ولست اشك فى انه كان يملك اسبابا كافية لذلك ، كما توجد لديه دائما اسباب كافية لكل شىء يعمله ، وقد تهيأ لى من الجسارة ما جعلنى افرض عليه بالفعل ان يسمح لى بها ، على الرغم من انه كان على صواب . اننى قد قمت ببســاطة باستغلال عطفـــه على ، اننى لم اهتم مطلقـــا باعتراضاته ، لاننى أعلم تمام العلم ، أن تلك الاعتراضـــات لم تكن لتغضبك يا مستر « بوللاندر » ، لانك صديقه المفضل ، افضـل أصدقاء خالى جميعا ، ولا يمكن لأى شخص آخر أن يقارن بك مطلقا من بين أصدقاء خالى ، وقد كان هذا هو العذر الوحيد لعدم طاعتى لخالى ، مع انه عذر لا يكفى ، ولعلك لا تعرف الـكثير عن علاقتى بخالى ، ولهذا فسأذكر لك النقاط الاساسية فى هذه العلاقة ، فالى أن تنتهى دراستى للغة الانجليزية ، وطالما لم اتحول الى الحياة العملية كلية ، فاننى اعيش معتمدا كل الاعتماد على كرم خالى الذى اقبله ، بالطبع ، لصلة القرابة التى تربطنا . ولا يجب لن تظن ان بامكانى حتى الآن ان اكسب عيشى بسهولة ، وقد شـــاء الله ان يحرمنى من كل وسيلة اخرى أستعين بها على مواجهـــة الحياة ، وأصرح بأن تعليمى لم يكن تعليما عمليا يؤهلنى لـكسب العيش ، لقد اجتزت بدرجات متوسطة اربع سنوات دراسية باحدى المدارس الثانوية باوروبا ، الا ان هذه الدراسة لاتجدى شيئا ، ولاتنفع المرء بالمرة فى مواجهة الحياة ، ذلك لان مدارسنا متخلفة غاية التخلف فى تدريس أساليب مواجهة الحياة ، وقد تضحك لو اننى اخبرتك بالاشياء التى تعلمتها فى تلك السنوات الأربع ، ولو أتيح لصبى مثلى أن يمضى فى دراسته ، فينتهى من الدراســة الثانوية ، ثم يلتحق بالجامعة ، فربما افاده ذلك فى النهاية ، وزوده بمعرفة تامة ، تؤهله للقيام بعمل من الاعمال ، وتمنحه الثقة فى قدرته على الـسعى وراء

الرزق ، لكنني ـ لسوء الحظ ـ لم اتمكن من مواصلة الدراسة المنتظمة ، ويخيل الى احيانا اننى لا اعرف شيئا بالمرة ، وعلى اية حال ، فارقى معلوماتى لا يمكنها ان تعيننى على مواجهة الحياة فى أمريكا . لقد ادخلت حديثا بعض الاصلاحات على نظم التدريس ببعض المدارس الثانوية فى بلدى ، فاصبحت تدرس اللغات الحديثة، وقد تدرس احيانا بعض المواد التجارية ، الا ان تلك النظم الحديثة لم تكن قد وجدت بعد ، عندما انتهيت من دراستى الابتدائية ، والتحقت بالمدرسة الثانوية ، ولاشك ان والدى كان يريدنى ان اتعلم اللغة الانجليزية ، لكن لم يكن فى مقدورى ان اتنبأ وقتها بسوء حظى ، وبأننى سأحتاج الى استعمال اللغة الانجليزية فى يوم من الايام ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فقد كان على ان أتعلم فى المدرسة اشياء اخرى كثيرة ، فلم يتسع وقتى لدراسة اللغة الانجليزية ، اننى اذكر هذا كله لكى اوضح لك مدى اعتمادى على خالى ، والى اى حد اعتبر نفسى مدينا له ، نتيجة لذلك . ولعلك توافقنى على ان وضعى ، نظرا لهذه الظروف ، لا يسمح لى بأن اسيئه ادنى اساءة ، أو اعصى حتى اوامره التى لا يعلنها . فلو كان لى ان اكفر ولو عن نصف الغلطة التى ارتكبتها الآن بالفعل بمجيئى الى هنا بغير رضاه ، فيجب على أن اعود الى المنزل فى الحال » .

خلال هذه الخطبة الطويلة التى القاها « كارل » ، كان مستر « بوللاندر » يستمع فى انتباه ، ويضغط على كارل من حين لآخر ضغطا خفيفا ، لم يكن كارل يشعر به ، وخاصة كلما كان كارل يذكر اسم (خاله جيكوب)، وكان يحدق فى جدية ، مرات عديدة ، وكأنه كان يتوقع شيئا من جرين ، الذى كان مشغولا بكتاب الجيب الذى كان يتصفحه . وكان كارل قد بدأ يشعر بقلقه يزداد ، ويزداد ، كلما اتضحت له علاقته بخاله اكثر فاكثر خلال خطبته ، وحاول لا شعوريا تخليص نفسه من ذراع بوللاندر . كل شىء هنا كان يعوقه ، الطريق المؤدى الى خاله ، خلال الباب الزجاجى ، و .. هبوط الدرجات ، والسير بطول الطريق ، وعلى امتداد الطرق الريفية ، وخلال الضواحى ، الى الشارع الرئيسى العريض حيث يقوم منزل خاله ، تهيأت له كلها شبكة دقيقة التنظيم ، تستلقى هنالك خاوية ، وملساء ، وممهدة ، تدعوه بأعلى صوتها . واختلطت رقة مستر « بوللاندر » ، بسماجة مستر جرين . كان

كل ما جاء يرجوه من هذه الحجرة الممتلئة بالدخان هو السماح له بالمودة ؛ واحس بانفصاله عن مستر بوللاندر ، وبرغبته فى محاربة مستر جرين ، وكان كل ما حوله عبارة عن خوف غامض ، كانت وطأته قد جعلته عاجزا عن الرؤية .

وتراجع خطوة الى الخلف ، ثم توقف على مسافة متساوية من مستر بوللاندر ، ومستر جرين .

تساءل مستر « بوللاندر » قائلا ، وهو يمسك بيد مستر جرين فى توسل ، مستديرا نحوه : « اليس لديك شيئا تقوله له ؟ »

وقال مستر جرين : « لست ادرى ماذا يمكننى ان اقوله له » ، قالها مستر جرين بعد ان اخرج خطابا من بين صفحات كتاب الجيب اخيرا ، ووضعه امامه على المائدة ، واضاف قائلا : « ان رغبته فى العودة الى خاله مسالة تخصه ، وبامكان المرء ان يزعم ان عودته تجلب السرور الى خاله ، ما لم يكن قد تسبب بالفعل فىاغضاب خاله غضبا شديدا بعصيانه له ، ذلك العصيانالذى كان هو كل ما امكنه ان يقدمه لخاله . ولست اشك فى هذه الحالة انه من الافضل له ان يبقى هنا . من الصعب ان يقطع المرء بشىء ، اننا كلينا صديقان لخاله . وليس من السهل أن يقول المرء انكانت صداقتى لخاله اوثق ، او صداقة مستر بوللاندر له ، ومع ذلك فنحن لا يمكننا ان نعرف ما الذى يفكر فيه خاله الآن خاصة بينما تفصلنا هذه المسافة التى تبلغ عدة اميال ، عن نيويورك » .

قال كارل ، وهو يقاوم نفوره ، مقتربا من مستر جرين : « يمكننى ان افهم مما قلته انك أنت أيضا ترى انه من الافضل لى أن أعود الى خالى فى الحال » .

فأجاب مستر جرين قائلا : « لم اقل شيئا من هذا ! » ، وعاد مرة أخرى الى تأمل الخطاب ، وراح يمر بأصابعه على حوافه ، ويبدو انه كان يرى ان مستر بوللاندر قد وجه اليه سؤالا ، وانه اجاب عليه ، على حين لا علاقة له بكارل على الاطلاق .

عند ذلك تقدم مستر « بوللاندر » نحو كارل ، واقتاده فى رقة مبتعدا عن مستر جرين ، فى اتجاه النافذة الكبيرة ، ثم قال وهو ينحنى على أذن كارل ، ويمر بمنديله على وجهه تمهيدا لما يود أن يقوله ، حتى اصطدم المنديل بأنفه ، فافرغه مستخدما منديله : «عزيزى مستر روسمان ، لا يتبادر الى نفسك الظن بانى اريد ان استبقيك هنا على الرغم منك : هذه مسالة لا مجال فيها للشك ،

ولا يمكننى ان اضع السيارة تحت تصرفك ، اننى اعترف بذلك ، لانها قد وضعت فى جراج عام يبعد مسافة غير قصيرة من هنا ، فلم يتسع لى الوقت بعد لبناء جراج هنا ، ولا يزال امامى ان اعيد بناء كل شىء هنا ، كما ان السائق لا يبيت هنا ايضا ، ولكنه ينام فى مكان ما بالقرب من ذلك الجراج ، ولست آدرى انا نفسى بالفعل اين ينام . وعلاوة على ذلك ، فليس الوقت الآن وقت عمله ، ولا يتوقع المرء ظهوره الا فى الوقت المناسب فقط ، فى الصباح . مع اننى لا اعتبر هذا كله عقبات تحول دون عودتك الى خالك ، لانك لو صممت على ذلك ، فسوف أصحبك فى الحال الى اقرب محطة سكة حديد ، رغم بعدها عن هذا المكان ، حيث لايمكنك ان تصل الى خالك فى هذه الحالة ، قبل وصولك اليه فى صباح الغد ، فى عربتى ، الا بوقت قصير ، فسوف نعود معا الى نيويورك فى السابعة صباحا » .

قال كارل : « سوف اذهب اذن بالقطار يا مستر بوللاندر بالفعل ، اننى لم افكر فى استخدام القطار مطلقا ، ولقد ذكرت انت نفسك اننى يمكننى ان اصل بالقطار قبل وصولى معك فى صباح الغد ، بعربتك ! »

ــ « لكن الفارق لن يكون ذا اهمية فى هذه الحالة ! »

قال كارل : « حتى ولو لم يكن الفارق كثيرا .. حتى لو حدث ذلك يا مستر بوللاندر ، اننى يسرنى دائما ان اجىء ثانية الى هنا ، ذاكرا عطفك بالطبع ، هذه هى الحقيقة ، اذا قدر لك بعد ما رايته من سلوكى هذه الليلة ان تدعونى لزيارتك مرة اخرى ، وربما امكننى ان اشرح لك فى زيارتى القادمة ، على نحو اكثر وضوحا ، لماذا كانت كل دقيقة تبعدنى عن خالى الآن ، مسالة بالغة الخطورة! »

واضاف قائلا ، كما لو كان قد حصل بالفعل على الاذن بالرحيل : « لكننى ارى انه لا ضرورة لان تصحبنى بنفسك الآن ، لا ضرورة لذلك فى الحقيقة بالمرة ، ويوجد خادم يقف الآن خارج هذه الغرفة ، يسره ان يدلنى على الطريق الى المحطة ، والآن ينبغى على فقط ان ابحث عن قبعتى ! » .

وبهذه الكلمات مضى عبر الحجرة ، ليلقى نظرة سريعة اخيرة ، عسى ان تكون قبعته فى مكان ما .

قال مستر جرين : « يمكننى ان ازودك بقبعة ! » ، واخرج قبعة من جيبه قدمها له قائلا : « ربما نفعتك الآن هذه القبعة ! » .

وتوقف كارل مندهشا ، ثم قال : « لكننى لا يمكننى ان انتزع منك قبعتك ، ويمكننى بدلا من ذلك ان امضى حاسر الرأس ، لست فى حاجة الى اى شيء ! » .

ـ « خذها ، انها ليست قبعتى ! » .

قال كارل : « فى هذه الحالة ، اشكرك !» ، وتناول القبعة متعجلا ، حتى لا يتأخر اكثر من ذلك ، وارتداها ، ولم يتمالك نفسه من الضحك ، لانها كانت تناسبه تماما ، ثم خلعها ثانية ، وتفحصها ، الا انه لم يجد بها الملامة الخاصة التى كان يبحث عنها ، كانت تبدو وكانها قبعة جديدة للغاية ، قال : « انها تناسبنى تماما ! » .

صاح المستر جرين ، وهو يضغط على المائدة بابهامه : « اذن فالقبعة تناسبك ؟ » .

كان كارل فى طريقه الى باب الحجرة ، ليبحث عن الخادم ، عندما نهض مستر جرين ، وتمطى بعد وجبته الدسمة ، وراحته الطويلة ، وضرب صدره بيده عدة ضربات مدوية ، وقال لكارل فى صوت يجمع بين النصيحة والامر :

ـ « يجب عليك قبل ان ترحل ان تقول وداعا للآنسة كلارا ! »

ووافقه مستر بوللاندر ، الذى كان قد نهض واقفا هو ايضا ، قائلا : « نعم ، يجب ان تفعل ذلك ! » ، ومن طريقة نطقه لهذه الكلمات ، كان يمكن للمرء ان يقول انها لم تكن قد خرجت من اعماقه ، وراح يخبط بيده فى ضعف على جانب بنطاونه ، ويزرر جاكتته ، ثم يفك ازرارها مرة اخرى ، تلك الجاكتة البالغة القصر ، والتى لم تكن تصل الى عجزه ، طبقا للموضة السائدة ؛ الا انها كانت رداء لا يليق برجل ضخم الجثة كمستر بوللاندر . وكان فى امكان المرء ان يلاحظ فى وضوح ، وهو يقف بجوار مستر جرين ، ان سمنة مستر بوللاندر لم تكن مظهرا من مظاهر الصحة ، كان ظهره السمين محنيا الى حد ما ، وبدا كرشه ناعما ومترهلا ، كان يبدو عبئا عليه بالفعل ، وكان وجهه السمين شاحبا ، ومهموما وربما كان مستر جرين يبدو اكثر بدانة من مستر بوللاندر ، الا انها كانت بدانة متناسقة ، ومتوازنة فى جميع اجزاء جسده ، وكان يقف بكعبيه متلاصقين ، كانه جندى ، ويرفع رأسه فى استقامة مرحة ، كان يبدو كرياضى كبير ، او كابتن فرقة رياضية .

واستانف مستر جرين حديثه قائلا : « عليك ان تذهب الآن اولا

الى الآنسة كلارا ، فقد يسرك هـــذا ، كما انه يتناسب تماما مع ترتيباتي الزمنية ، فلدي في الحقيقة امرهام ســـوف اخبرك به قبل أن تغادر هذا المنزل ، أمر لعله يحسم أيضا مسالة عودتك الى نيويورك او عدم عودتك اليها ، الا انني مضطر لسوء الحظ ، بناء على التعليمات التي تلقيتها ، الا أفشي لك شيئا مما لدى قبل منتصف الليل ، وعليك أن تدرك انني آسف أنا نفسي لذلك ، ففيه اقلاق لراحتي هذه الليلة ، لكنني سألتزم بالتعليمات التي تلقيتها ، انها الحادية عشرة والربع الآن ، ويمكنني ان افرغ في خلال الفترة الباقية من الوقت من مناقشـــة اعمالي مع مستر بوللاندر ، تلك المناقشة التي قطعتها انت ، ويمكنك انت ايضا ان تقضي وقتا ممتعا مع الآنسة كلارا ، وعليك أن توافينا هنا في تمام الثانيـة عشرة ، حيث انهي اليك بما يتحتم عليك أن تلم به » .

فهل كان في وسع كارل أن يرفض هذا الطلب ، الذي يفرضـه عليه التادب ، والعرفان بفضل مستر بوللاندر ، والذي توجه اليه به ، علاوة على ذلك ، رجل وقح ، في حقيقة الامر ، ولا مبال ، بينما لم يتدخل مستر بوللاندر الذي يعنيه هذا الامر بكلمة ، ولا حتى بنظرة ؟ وماذا عساها أن تكون تلك الاخبار الهامة التي لم يكن له أن يعلمها قبل منتصف الليل ؟ ان لم تكن هذه الاخبار لتعجل بعودته في خلال ثلاثة ارباع الساعة الباقية هذه على الاقل ، بـدلا من تضييعها عليه كاملة ، فلا شك انها أخبار لا تهمه في شيء . الا ان ما كان يحيره اكثر هو تفكيره فيما اذا كان سيجد الجرأة على زيارة كلارا أصلا ، على الرغم من عدائها له ، فلو كان معه الآن خنجر كذلك الذي اعطاه له خاله ، ليستعمله ثقلا للخطـــابات ! فلن تكون حجرة كلارا تلك دون شك ســوى وكر خطير لا يعرف الامان . كان يستحيل عليه تماما أن يذكر شيئا يسيء الى كلارا هنا ، فلقد كانت ابنة بوللاندر ، وخطيبة ماك أيضا : كما عرف اخيرا ، فلو كانت قد سلكت معه سلوكا مغايرا بعض الشيء ، لكان قد اعجب بها في الحقيقة لتلك الروابط التي تربطهـــا ببوللاندر ، وماك . كان لايزال مستغرقا في كل تلك الخواطر ، عندما أدرك أن أحدا لم يكن ينتظر منه ردا على الاطلاق ، ذلك ان جرين قد فتح الباب ، وقال للخادم الذي هب واقفا من فوق القـاعدة التي كان يجلس عليها « اصحب هذا الشاب الى الآنسة كلارا ! » .

حدث كارل نفسـه ، عندما هرول الخادم ، وهو يئن لضعفـــه ،

واقتاده فى صمت تام ، نحو حجرة كلارا : « هذا هو اذن الاسلوب الذي يتم به تنفيذ الاوامر هنا ! » ، وعندما مر كارل من أمام حجرته ، التى كان بابها مفتوحا لايزال ، سأل الخادم ان يتيــــح له الفرصة لــكي يدخلها للحظة ، على امل أن يجمع شتات نفســه ، الا ان الخادم لم يسمح له بذلك .

قال له : « لا .. يجب أن تاتى معى فورا الى الآنسة كلارا ، لقد سمعت ذلك بنفسك ! » .

قال كارل : « ولــكنني اريد دخول الحجرة لمدة دقيقة فقط ! » كان يتطلع الى الاسترخاء ، مستلقيا فترة وجيزة فوق الاريكة ، محاولا اضاعة الوقت حتى يحين منتصف الليل .

فقال الخادم : « لا تحاول أن تعوقنى عن أداء واجبى ! » .

وحدث كارل نفسه ، قائلا : « يبدو انه يظن ان ذهابي الى الآنسة كلارا هو نوع من العقاب » ، وسار بضع خطوات قليلة ، لكنــــه توقف بعدها ثانية فى عناد .

قال الخادم : « تقدم أيها السيد الصغير ، ما دمت لم ترحل ، انني اعلم انك ترغب فى الرحيل الليلة ، الا اننا لا نحقق عادة ما نرغبه ، ولقد اخبرتك بالفعل ان رحيلك يكاد يكون مستحيلا ! »

فقال كارل : « انني لا ارغب فى الرحيل ، الا انني ســـأرحل بالفعل رغم ذلك ، وانني ذاهب الى الآنسة كلارا فقط ، لــكى أقول لها .. الى اللقاء ! »

قال الخادم : « هـــل الامر كذلك ؟ ! » ، ولاحظ كارل ان الخادم لم يكن يصدق ما قال : « فلماذا اذن لا ترغب فى أن تقول لها الى اللقاء ؟ .. هيا .. تعال ! »

جاءهما صوت كلارا ، قائلة :

ـ « من الذى فى الردهة ؟ » ، وشاهداها وهى تنحنى وتتطلع الى الردهة براسها ، خارج احد الابواب القريبة ، وفى يدها لمبــة مكتب كبيرة لها غطاء أحمر ، واسرع الخادم اليها ، وذكر لها سبب وجوده ، وتبعه كارل متباطئا . قالت كلارا : «لقد جئت متأخرا !»

ولم يرد عليها كارل فى الحال ، ولــكنه قال للخادم فى رفق ، لــكن فى لهجة آمرة فيها شىء من الحزم ، لانه كان قد فهم الآن شخصية هذا الرجل : « سوف تنتظرنى امام هذا الباب » .

قالت كلارا : « لقد كنت على وشك الذهاب الى الفراش » ، ووضعت اللمبة فوق المنضدة ، واغلق الخادم الباب من الخارج فى

هدوء : « انها الحادية عشرة والنصف الآن تماما ! » .
فقال كارل متسائلا وكأن هذا الخبر كان نذيرا له بالاسراع : « هل تعدت الحادية عشرة والنصف ؟ » ، فى هذه الحالة اذن ، يجب على ان اقول الى اللقاء فى الحال ، لانني يجب ان اكون فى حجرة الطعام فى تمام الساعة الثانية عشرة ! »
قالت كلارا : «وماهو هذا الامر الذى يدعوك الى هذه العجلة !»
كانت تسوى فى شرود طيات قميص نومها ، وكان وجهها متوردا، وكانت تبتسم ، فراى كارل انه لم يكن هناك ما ينذر بوقوع اشتباك فى مشاجرة أخرى مع كلارا ؟ وأضافت قائلة : « هل يمكنك مع ذلك أن تعزف لى قليلا على البيانو كما وعدنى بابا بالامس ، وكما وعدت انت الليلة ؟ »
قال : « نعم ، ولكن أليس الوقت متأخرا لذلك الآن ! » ، كان يحاول ان يرضيها ، لان سلوكها كان مختلفا الآن تماما عن ذى قبل ، كما لو كانت قد ارتفعت الىمستوى رقةبوللاندر، وماك ايضا.
قالت : « نعم ، ان الوقت متأخر بالفعل ! » . وبدا وكأن رغبتها فى الاستماع الى العزف قد تلاشت الآن ، لانها أضافت تقول : « كما ان أى صوت يصدر الآن ، سيتردد صداه خلال المنزل كله ، واخشى لو عزفت ان يستيقظ الخدم الذين ينامون فى الطابق العلوى ! »
ـ « لست كما ترين مصرا على العزف ، وآمل ان اعود مرة اخرى ، فى اى يوم آخر ، او اذا لم يثقل عليك ، أن تقومى بزيارة خالى ، وتلقين نظرة على حجرتى أثناء وجودك ، فانا أمتلك بيانو رائعا ، أهداه لى خالى ، ولو شئت فسوف أعزف لك حينئذ كل مقطوعاتى ، وان لم تكن كثيرة لسوء الحظ ، كما انها لا تليق أيضا بذلك البيانو الرائع ، الذى يصلح لعازف بارع ، لكن ربما أتيح لك الاستماع الى عزف لا بأس به ، لو حددت لىمقدما موعد قيامك بهذه الزيارة ، لان خالى ينوى احضار مدرس مشهور لكى اتدرب على يديه .. ولك ان تتخيلى الى اى حد أترقب حضور ذلك المدرب . ولا شك ان عزفه سيكون جديرا بان تشرفينى بزيارتك للحظات خلال درس من هذه الدروس ، وحتى اكون صريحا معك غاية الصراحة ، فانني اعترف لك بارتياحى لتأخر الوقت ، وبأننى لن اعزف لك الآن ، فأنا لا اجيد العزف فى الحقيقة ، ولو عزفت لك الآن ، فسوف تدهشين لرداءة عزفى ، فاسمحى لى الآن بالرحيل ،

كما انموعد ذهابك الىالفراش ،فوقذلك ،لابد أنه قدحان الآن!»
واضـاف قائلا بابتسـامة ، عندما كانت كلارا تتطلع اليه فى رقة ، ويبدو كانها لا تضمر له أية ضغينة بسبب المشاجرة ، ومد لها يده:
« فى بلدى يقول الناس ، نوما هنيئا ، وأحلاما سعيدة ! »
قالت دون أن تتناول يده : « انتظر ، فلعلك تريد أن تعزف لى رغم ذلك » . واختفت خلال باب جانبى صغير ، كان ألبيانو بجانبه
وحدث كارل نفسه قائلا : « وما هو الحل فى هذه الحالة ..
لا يمكننى ان ابقى طويلا، حتى ولو بدا سلوكها معى بهذه الرقة! »
وانبعثت طرقة على باب الحجرة ، وهمس الخادم من خلال فرجة الباب الضيقة ، دون أن يجرؤ على فتحه : « اسمح لى ، لقد دعيت الآن ، ولا يمكننى أن انتظرك أكثر من ذلك ! »
فأجابه كارل ، وكان يحس الآن بالثقة فى قدرته على أن يجد الطريق الى حجرة الطعام بمفرده : « يمكنك الذهاب اذن ، لـكن اترك لى فانوسك أمام الباب ، كم الساعة الآن ؟ ! »
قال الخادم : « الثانية عشرة الا الربع تقريبا ! »
قال كارل فى نفسـه : « ان الوقت ينقضى فى بطء » ، وتذكر كارل حين هم الخادم باغلاق الباب أنه لم يمنحه بقشيشا ، فأخرج شلنا من جيبه ــ كان يحمل قطع الفكة المعدنيـــة الآن تشخلل فى جيب بنطلونه على الطريقة الامريكية ، أما اوراق البنكنوت فكان يضعها فى جيب صديريه ــ ، وناول الشلن للخادم قائلا: «خذ هذا مقابل عطفك ! »
وكانت كلارا قد عادت ، وهى تربت على شعرها المرتب باصابعها عنـــدما خطر لـكارل الا يترك الخادم ينصرف ، والا فمن الذى سيدله على الطريق الى محطة السكة الحديد ؟ حسنا ، لا شك ان مستر « بوللاندر » سيتمكن من أن يتصيد خادما من مكان ما ، وربما كان ذلك الخادم العجوز قد دعى الى حجرة الطعام ، وعلى هذا فسوف يعود الى جلوسه فوق القاعدة التى جلس عليها من قبل
ــ « الن تعزف لى حقا على البيانو ولو قليلا ؟ ! ان المرء نادرا ما يستمع الى الموسيقى هنا ، فمن المؤسف أن يفقد المرء فرصـــة تتاح له بالاستماع الى قليل من العزف ! »
قال كارل : « ان عـــلى اذن أن ابدا العـــزف فى وقت غير مناسب ! » ، وجلس الى البيانو فى الحال ، دون أن يضع فى اعتباره شيئا آخر سوى تأخر الوقت .

وسألته كلارا : « هل تحتاج الى نوتات موسيقية معينة ؟ ! »
فاجابها قائلا : « لا .. شكرا ، اننى حتى لا اجيد قراءة الموسيقى قراءة صحيحة » .
وبدأ يعزف ..
كانت قطعة صغيرة تلك التى كان يجيد عزفها ، وكان يجب ان يعزفها فى بطء ، حتى يمكن فهمها ، وخاصة بالنسبة للغرباء ، الا انه عزفها مسرعا فى مارش واحد صاخب ، وهبط السكون الذى كان قد تشوش فى كل انحاء المنزل مرة اخرى ، عندما فرغ كارل من العزف . وظلا جالسين فى مكانهما ، وكانهما قد تجمـــدا من الارتباك ، فلم يأتيا بأية حركة .
ثم قالت كلارا : « عزف جيد بالفعل ! » ، لم يكن يوجد اى شكل من اشكال المجاملة يصـــلح لاطراء كارل بعـــد ذلك العرض الموسيقى الذى فرغ منه باقصى سرعة .
سألها قائلا : « كم الساعة الآن ؟ » .
ـ « الثانية عشرة الا الربع ! »
قال : « اذن فلا يزال امامى قليل من الوقت ! » ، وحدث نفسه قائلا : « ترى ما هى تلك القطعة الاخرى ؟ » ، ثم اضـاف قائلا : « لايمكننى ان اعزف القطع العشر التى اعرفها جميعا ، الا اننى يمكننى ان اعزف من بينها لحنا واحدا على الاقل بصورة جيدة قدر المستطاع ! وبدأ فى عزف لحنه المفضــل ، وهو « انشـــودة الجندى » ، فى بطء شديد ، حتى اثار فى نفس من تستمع اليه ، الرغبة فى الاستماع الى قطعة اخرى ، رفض كارل أن يعزفها فى البداية ، ثم اضطر الى ان يعزفها اخيرا على مضض ، كان عليه اولا أن يبحث عن المفاتيح بعينيه كما يفعــل عنـــد عزف اى من مقطوعاته ، ثم تذكر قطعة اخرى كانت تنتهى بنفس نهاية القطعـة التى يعزفها ، فاستغرق فى تذكر النهاية الصحيحة . ثم قال بعد أن فرغ من العزف : « لست عازفا مجيدا ! » ، وهو يتطلع الى كلارا ، والدموع تترقرق فى عينيه !

ثم انبعث صوت تصفيق من الحجرة المجاورة ، فصـــاح كارل قائلا وهو يتراجع فجأة الى الخلف : « يوجـد شخص آخر كان يستمع ! »
فقالت كلارا برقة : « انه ماك ! » ، وسمع كارل بالفعل صـوت ماك ، وهو يهتف : « كارل روسمان .. كارل روسمان ! »

فقفز مطوحا ساقيه من فوق مقعد البيانو ، وفتح الباب ! رأى ماك شبه مضطجع فى فراش ثنائى ضخم ، بينما تنتشر البطاطين فوق ساقيه فى اضطراب ، ورأى كذلك ستارة من الحرير الازرق كانت هى الديكور الوحيد للفراش ، كانت تشى بذوق تلميذات المدارس ، وكان الفراش بسيطا فيما عدا ذلك غاية البساطة ، شائع الطراز ، ومصنوعا من الخشب الرخيص ، وكانت ثمة شمعة تحترق فوق المنضدة التى بجوار الفراش ، لكن الملاءات ، وثياب ماك الليلية كانت بيضاء ناصعة كلها ، حتى ان ضوء الشمعة الساقط عليها كان ينعكس على نحو يبهر الابصار ، وكانت الستارة تشع هى أيضا ، عند حوافهـا على الاقل ، بتموجاتها الخفيفة الحريرية ، المتهدلة . وكان باقى الفراش الى جوار ماك مباشرة غارقا ، كما كان يغرق كل شىء آخر فى ظلام حالك ، ومالت كلارا تستند الى عمود الفراش ، وعيناها مثبتتان لحظتها على ماك .

هتف ماك وهو يمد يده الى كارل قائلا : « هاللو .. انك تعزف عزفا جيدا جدا ، ولم اكن أعلم حتى الآن الا بموهبتك فى ركوب الخيل فقط ! »

قال كارل : « لست أجيد لا هذا ولا ذاك ! » ، ولو كنت أعلم انك كنت تستمع لما كنت قد عزفت ، لاشك فىذلك ، الا أن هـذه السيدة الصغيرة .. » ، وتوقف كارل عن متابعة حديثه ، كان قد تردد فى ان يقول (خطيبتك) بعد ان رأى ماك وكلارا يشتركان بالفعل فى نفس الفراش !

ورد ماك قائلا : « الا اننى ادركت وجود تلك الموهبة ، وهكذا تحتم على كلارا ان تغريك بالمجىء من نيويورك الى هنا ؛ والا ما اتيح لى ان استمع الى عزفك بالمرة ، ولا شك انه عزف هواة ، واضح جدا ، وخاصة فى المقطوعتين الاخيرتين ، وقد كانتا بسيطتين غاية البساطة ، وتمرنت انت جيدا على عزفهما ، ولقد ارتكبت خطأ أو اثنين ، الا انهما قد سببا لى سرورا زائدا ، مع تجاوز حقيقة اننى عادة لا استخف بالعازفين مهما كان مستوى عزفهم ، لكن الا تجلس ؟ الا تمكث معنا فترة قصيرة ؟ ! قدمى له مقعدا يا كلارا ! »

قال كارل فى خشونة : « شكرا ، لا يمكننى أن أبقى ، وان كان يسعدنى ذلك ، ولقد قضيت وقتا طويلا فى هـذا المنزل قبل أن أكتشف وجود مثل تلك الغرفة المريحة ! »

قال ماك : « سوف أعيد بناء كل شىء على هذا الطراز ! »

وفى تلك اللحظة دق جرس ما اثنتا عشر دقة فى تتابع سريع ، كل دقة منها فى أعقـــاب الاخرى ، وكان كارل يكاد يحس بهبات الهواء الذى حركته ذبذبة دقات ذلك الجرس الهائل فوق خديه ، اى نوع من القرى تلك القرية التى يوجد بها مثل ذلك الجرس ؟..

قال كارل مندفعا الى الردهة ، وهو يمد يده لماك وكلارا ، دون ان يشد على ايديهما : « لقد حان وقت ذهابى ! »

لم يجد الفانوس أمام الباب ، وندم على تسرعه فى منح الخادم بقشيشا ، وراح يتحسس طريقه بطول الحائط الى حجرته ، لكنه ما كاد يقطع نصف المسافة اليها ، حتى راى مستر جرين ، وهو يتطوح مسرعا نحوه ، وقد رفع يده الى اعلى بشمعة ، بينما تقبض أصابع يده نفسها على خطاب .

ــ « روسمان ، لماذا لم تات ؟ لماذا تركتنى انتظرك ؟ وما الذى ابقاك بحق الجحيم كل هذا الوقت مع الآنسة كلارا ؟ »

حدث كارل نفسه قائلا : « يا لها من اسئلة لا حصر لها ! » ، ثم ها هو الآن يدفعنى الى الحائط ! » ، وكان جرين حقـــا قد توقف ملتصقا بكارل ، الذى كان عليه أن يستند بظهره الى الحائط، وكان جرين قد بدا فى هـــذه الردهة فى حجم بالغ الضـــخامة ، فتساءل كارل بينه وبين نفسه ، ساخرا ، ان كان جرين قد التهم مستر بوللاندر أيضا ؟

ــ « انك لست رجلا يعول على كلمته دون ريب ، فلقــــد وعدت أن تهبط الى فى الطابق الاســـفل ، فى تمام الساعة الثانية عشرة ، وبدلا من أن تفعل ما وعدت به ، بقيت هنا تحوم حول باب الآنسة كلارا ، لـكننى كنت قد وعدت باطـــلاعك على بعض الاخبار الهامة ، وها هى » .

ثم سلم كارل الخطاب . وقرأ كارل فوق مظروفه : « الى كارل روسمان ، يسلم له شخصيا ، عند منتصف الليل ، حيثما وجد »

قال مستر جرين ، بينما كان كارل يفض الخطاب : « اظن اننى كنت أستحق ان تتقدم الى بالشكر ، لمجرد حضورى بالعربة الى هنا من نيويورك بسببك ، بدلا من ان تنتظر منى أن اطاردك أيضا فى هذه الردهات ! »

قال كارل ، وهو يستدير الى مستر جرين ، بمجرد أن نظر الى الخطاب : « انه من خالى ، لقد كنت اتوقعه ! »

ورد عليه مستر جرين قائلا ، وهو يرفع الشمعة الى اعلى :

« سواء كنت تتوقعه أو لا تتوقعه ، فشيء لا يهمني بالمرة ، عليك فقط ان تقراه ! »

وقرأ كارل على ضوء الشمعة :

ابن اختي العزيز ..

انني في حقيقتي ، كما لعلك قد تحققت الآن خلال فترة صداقتنا البالغة القصر ، رجل اعمال ، وربما كان هذا أمرا لا يسر ، بل لعله ان يكون شيئا محزنا ، لا يحزن فقط هؤلاء الذين يتصادف احتكاكهم بي ، بل انه ليحزنني أنا نفسي ايضا ، الا أن أعمالي هي التي صنعتني ، وليس لاحد أن يطلب مني ان اتخلى عن طبيعتي ، ولا حتى انت يا ابن أختي العزيز ، ولقد كنت انت اختياري الاول فلو كان لي أن اقبل شيئا من قبيل هجومك الشامل على طبيعتي ، لكنت انتزعتك عندئذ من وسط الناس جميعا ، بيدي هاتين اللتين تمسكان الآن بهذا الخطاب ، واجلستك فوق راسي ، لكن لما لم يكن لي أن افعل شيئا من هذا ، فيجب على بعد حادثة اليوم ، أن اقصيك عني في الحال ، وانني أرجو منك الا تزورني بنفسك ، ولا أن تحاول أن تتصل بي كذلك لا بالكتابة ، ولا عن طريق الوسطاء . ولقد قررت انت هذه الليلة أن تفارقني ، على غير رغبتي ، فاثبت اذن عند قرارك هذا مدى الحياة ، فعندئذ فقط يكون قرارا جديرا برجل . ولقد اخترت مستر جرين ، افضل أصدقائي ، ليحمل اليك هذه الاخبار ، ولا شك انه سيجد شيئا من الكلمات المشجعة لكي يقولها لك ، ولا تحضرني انا الآن مثل تلك الكلمات . انه رجل قادر على التاثير في الآخرين ، وسيزودك ولو كمجرد مجاملة لي فحسب ، ببعض نصائحه ، ومعونته في خطواتك الاولى المستقلة التي تخطوها . وسيفسر لك انفصالنا الذي يبدو لي الآن ، مرة اخرى ، مستعصيا على الفهم وانا انهي هذا الخطاب . ان على يا كارل أن أقول لنفسي المرة بعد الاخرى ، انه ليس لي أن أتوقع خيرا من أسرتك . فلو نسي مستر جرين أن يسلمك صندوقك ومظلتك ، فذكره بهما .

مع افضل تمنياتي بتوفيقك المقبل .

المخلص لك
خالك جيكوب

تساءل جرين : « هل انتهيت من القراءة ؟ »

قال كارل : « نعم .. هل أحضرت معك الصندوق والمظلة ؟ »

قال جرين : « ها هو » ، ووضع صندوق كارل السفرى القديم ، الذى كان يخفيه خلف ظهره حتى الآن بيده اليسرى ، على الارض بجوار كارل .

وعاد كارل فسأله مرة أخرى : « والمظلة ؟ »

قال جرين : « كل شيء هنا ! » ، واخرج كذلك المظلة التى كانت مدلاة من أحد جيوب بنطلونه ، ثم اضاف قائلا : « لقد أحضر هذه الاشياء ، رجل يدعى شوبال ، وهو مهندس فى خط هامبورج ـ أمريكا الملاحى ، وذكر انه كان قد وجدها فوق ظهر الباخرة ، ولعلك تجد وسيلة لكى تتقدم اليه بالشكر فى فرصة ما ! »

فقال كارل ، وهو يضع المظلة فوق الصندوق : « لقد حصلت الآن ثانية على أشيائى القديمة على الاقل ! »

ورد عليه مستر جرين قائلا : « لكن عليك أن تهتم بها أكثر من هذا فى المستقبل ، ولقد طلب منى السناتور ان انبهك الى ذلك ! ثم أضاف متسائلا بدافع الفضول الخالص فيما يبدو : « يا له من طراز غريب من الحقائب ، هذا الصندوق ؟ ! »

فأجابه كارل قائلا : « انه واحد من تلك الحقائب التى يصحبها الجنود فى بلدى معهم عند انضمامهم الى الجيش ، لقد كان حقيبة الجيش القديمة الخاصة بأبى ، انه صندوق مفيد أيضا للغاية ، واضاف بابتسامة ، وهو يتطلب منك لهذا الا تتركه خلفك فى مكان من الاماكن ! »

فقال مستر جرين : « لقد تلقيت درسا كافيا بعد كل شيء ، واظن انه ليس لك خال آخر فى أمريكا ، وثمة شيء آخر بقى لك معى ، هو تذكرة سفر بالدرجة الثالثة الى سان فرانسسكو ، وقد قررت أن ارسلك اليها ، أولا لان فرص كسب العيش تتاح لك بوفرة فى الغرب ، ولان لخالك ، من ناحية أخرى ، يدا فى كل شيء هنا ، ستجد له يدا فى اى عمل تراه مناسبا لك ، ويجب الا يقع اى لقاء بينكما مطلقا . ويمكنك فى سان فرانسسكو أن تقوم بما يروق لك من الاعمال ، فابدأ اذن من القاع ، وحاول أن تشق طريقك شيئا فشيئا ، صاعدا الى أعلى ! »

لم يجد كارل اى نوع من الخداع فى هذه الكلمات ، ولقد بلغته الاخبار السيئة ، التى ظلت مخبأة فى جراب جرين طوال الليل ، وبدا له جرين الآن شخصا مسالما وربما أمكن له أن يتحدث اليه فى صراحة ، لعله لايستطيع ان يتحدث بها الى اى شخص آخر .

كما انه كان افضل شخص امكن اختيـــاره ، على الرغم منه ، ليحمل اليه مثل ذلك السر ، وتلك الرســـالة المؤلمة ، وقد كان حتما عليه ان يبقى شخصا مريبا طالما كان عليه أن يحتفظ بها بينه وبين نفسه !

قال كارل : « سوف اغادر هذا المنزل فى الحال ! » ، وكان يأمل ان يجد قراره هذا تأييدا من مستر جرين لخبرته فى هــذا الشأن ، ثم اضاف قائلا : « ذلك اننى كنت قد دعيت الى هــذه الزيارة مجاملة لخالى ، ولا محل الآن لوجودى هنا كشخص غريب ، فهل تتكرم بأن تدلنى على الطريق الى خارج هــذا المنزل ؟ وأن تخبرنى كيف أصل الى اقرب فندق ؟ ! »

قال جرين : « يمكننى أن أفعل ذلك باسرع مما تتــوقع ، واعتقد انك لا تتحرج من التصريح لى بما تريدنى ان إفعـــله من اجلك ، اليس كذلك ؟ ! »

توقف كارل فجاة ، وهو ينظر الى الخطوات الواسعة التى كان جرين يخطوها .. ان مثل هذه العجلة تبدو مريبة للغاية ، فأمسك لهذا بذيل معطف جرين ، وقد ادرك فجاة حقيقة الموقف ، قائلا : « هناك شيء آخر يجب عليك ان تفسره لى ، فعلى المظروف الذى سلمته لى ، قد كتب أن على أن اتســـلمه عند منتصف الليل ، حيثما تصادف وجودى ، فلماذا اذن والامر كذلك ، حجزتنى هنا عن الرحيل فى الساعة الحادية عشرة والربع ؟ لقد خالفت بذلك ما وجه اليك من تعليمات ! » .

وشوح جرين بيده ، وهو يجيب قائلا ، فى ضيق بالغ ، اتضح منه مدى سخافة سؤال كارل : « هل كان مكتوبا فوق المظروف ان على ان اقتل نفسى من الاجهاد فى مطاردتك ، والسعى فى اثرك ، وهل تشير محتويات الخطاب ادنى اشارة الى ان التعليمات التى تتضمنها يمكن ان تفسر على هذا النحو ؟ ! » اننى لو لم اكن قد حجزتك هنا ، لـكان على حينئذ ان اسلمك الخطاب بالتحديد ، فى الطريق العام !

فقال كارل فى غير اقتناع : « لا .. ان الامر ليس كذلك ، فلقد كتب على المظروف : « يسلم عند منتصف الليل » ، وربما يكون التعب قد نال منك عندئذ ، فلم يسمك ان تتعقبنى بالمرة ، ولعلنى كنت قد وصلت الى منزل خالى عند منتصف الليل ، ولنفرض مثلا أن مستر بوللاندر لم يخطر بباله ان شيئا من هذا يمكن ان يحدث ،

او أنه كان من واجبك انت ، باختصار، ان تعيدنى الى خالى بعربتك التى تجاهلت وجودها بالمرة بتلك الصورة المتعمدة ، وخاصة اننى كنت متشبثا بالعودة ، الم يذكر نص الخطاب فى غاية الوضوح ان منتصف الليل كان هو الموعد المحدد لى ؟ وانك الملوم وحدك ، بعد ان فاتنى هذا الموعد ؟ ! »

نظر كارل الى جرين نظرة ماكرة ، ورأى ان الخجل امام هذه المواجهة كان قد علا وجه الرجل مختلطا بالفرح لنجاح تدبيره ، حتى تمالك نفسه فى النهاية ، ليقول محتدا ، وكأنه يضع حدا لاتهامات كارل ، رغم ان كارل كان قد لاذ بعد ذلك بالصمت لفترة طويلة : « لا تتفوه بكلمة اخرى ! »

ورفع كارل مرة أخرى صندوقه ، ومظلته ، وسار بهما نحو باب صغير دفعه ، فانفتح امامه .

ووجد كارل نفسه فى الخلاء لدهشته ، ورأى درجات سلم خارجى بلا درابزين كان يؤدى الى الحديقة ، كان عليه فقط أن يهبط درجاته ، ثم يستدير نحو اليمين حتى يبلغ الممر الذى يؤدى الى الشارع .

وفى ضوء القمر الساطع استطاع فى سهولة ان يتبين طريقه ، وكان يصله نباح الكلاب المتزايد التى كانت تنطلق بلا قيد فى ارجاء الحديقة تحت ضوء القمر ، وتقفز هنا وهناك بين ظلال الاشجار ، وكان يسمع فى السكون صوت ارتطام تلك الكلاب فوق العشب بعد قفزاتها الهائلة .

وتمكن كارل من مغادرة الحديقة ، دون ان تتعرض له الكلاب ، ولم يكن يدرى على وجه اليقين ، فى اى اتجاه كانت تقع نيويورك. الا انه لم يكن عندما غادر الحديقة ، قد انتبه الى شىء من التفاصيل التى قد تصبح ذات نفع له الآن ، ثم قال فى نفسه اخيرا انه لايوجد الآن ما يدفعه الى الذهاب الى نيويورك ، حيث لا يتوقع مجيئه احد ، وحيث يوجد بالتأكيد رجل معين لا يتوقع مجيئه مطلقا ، وعلى هذا فقد اختار اتجاها صادفه ، وانطلق سائرا فيه .

الفصل الرابع

الطريق الى رمسيس

فى الحانة الصغيرة التى بلغها كارل بعد فترة قصيرة من السير ، والتى كانت عبارة عن مجرد مطعم صغير ، كان سائقو لوريات وعربات نيويورك يتناولون طعامهم فيها ، وكانت تستعمل احيانا كمأوى ليلى ، طلب كارل ارخص فراش يمكنه ان يقضي فيه ليلتـه ، وكان قـد راى انه يجب عليه ان يبدأ فورا فى التقشف . وعندما كان يقف فى انتظار تلبية طلبه ، لوح له صاحب الحانة طالبا منه ان يصـعد الى أعلى الدرج ، كما لو كان خادما بسيطا ، واستقبلته فى اعلى الدرج عجوز شمطاء ، شعثاء الشعر ، كانت متجهمة لانها كانت قد نهضت من نومها ، وراحت تحذره ــ دون ان تستمع اليه مطلقا ــ لا يحدث أية ضوضاء ، وان يتقدم فى هدوء بينما كانت تتقدمـــه حتى بلغت حجرة ، اغلقت بابها خلفه ، بعد أن همست له قائلة : « هست » !

ولم يتمكن كارل فى البداية من أن يدرك هل كانت ستائر النافذة مسدلة أو انه لم تكن توجد بالغرفة نافذة على الاطلاق ، فقد كان الظلام حالـكا ، لـكنه تبين فى النهاية كوة جذب غطاءها ، فانتشر بداخل الحجرة قليل من الضوء ، ورأى بالحجرة فراشين ، كانا مشغولين كليهما بالفعل ، فقـــد كان يستلقى فوقهما شـــابان ، مستغرقين فى نوم عميق ، لم يكن شكلهما يوحى بالاطمئنان للوهلة الاولى بلا سبب مفهوم . كانا مستغرقين فى النوم بملابسهما كاملة ، وكان أحدهما ينتعل حذاءه أيضا .

رفع أحد الشابين المستغرقين فى النوم ، عندما كشف كارل غطاء الـكوة ، ذراعيه وساقيه قليلا الى أعلى فبدا منظره غريبا ، حتى ان كارل لم يستطع الا أن يضحك فى نفســـه بالرغم من حذره .

وسرعان ما تحقق كارل من انه ــ على الرغم من عدم وجود أى شيء بالغرفة يمكنه ان ينام فوقه ، لا فراش ولا اريكة ، ولا أى شيء ــ لن يمكنه ان ينام هنا بحال من الاحوال . فلم يكن فى مقدوره ان يجازف بفقدان صندوقه الذى عثر عليه أخيرا ، وبفقدان النقود التى يحملها . الا انه لم يرغب فى مغادرة المكان أيضا ، فلم يكن

يدرى كيف يواجه المراة العجوز وصاحب الحانة اذا غادر المكان بهذه السرعة ، ولعله بعد هذا كله ، ان يكون آمنا هنا على الاقل، نفس الامان الذى قد يتاح له فى الخلاء ، اذا هو غادر المكان فى هـــذا الوقت المتأخر من الليل ، ولا شك أنه كان من الغريب الا يجد بالحجرة اى اثاث بقـــدر ما أمكنه الرؤية فى ذلك الضـــوء الخافت ، لـكن ، ربما كان هـــذان الشـــابان خادمين بالحانة ، وعليهما ان ينهضا من نومهما فى وقت مبكر استعدادا لخدمة النزلاء ، ولعلهما لهذا السبب كانا ينامان بملابسهما . فلم يكن أمامه ما يدعو للفخر فى هذه الحالة ايضا دون شك ان كان عليه ان ينـــام فى حجرتهما بعد ان يغادراها ، لـكنه على اية حال امر يقل فيه عنصر المجازفة . ومع ذلك فليس له ان يستغرق فى النوم استغراقا تاما ، مهما كانت الاحوال ، حتى يتأكد من صحة افتراضاته هذه بصورة لا تقبل الشك .

وتحت الفراش كانت توجد شمعة بجوارها بضعـــة اعواد من الثقاب ، زحف كارل فى حذر ، وتناولها ، لم يكن يخشى اشعال الشمعة ، فقد كانت الحجرة تخصه كما تخص الشابين الآخرين ، اللذين كانا قد نعما بالنوم الى ما بعد منتصف الليل ، بالاضافة الى انفرادهما بالفراشين اللذين كان يعدهما ميزة لا تعدلها ميزة اخرى فى تلك اللحظات ، ومع ذلك فقد كان يتجول فى انحاء الحجرة بغاية الحذر حتى لا يتسبب فى ايقاظهما

كان يود اولا ان يفحص محتويات صندوقه ، ويجرد اشيـــاءه التى لا يكاد يذكرها الآن بصورة واضحة ، تلك الاشياء التى لاشك قد اختفى أهمها بالفعل . فما أن تمتد يد شوبال الى شئ حتى يكاد يتلاشى الامل تقريبا فى ان تسترده ثانية كما كان . وربما كان قد توقع بالطبع بقشيشا كبيرا من الخال جيكوب ، لـكن لو ان شيئا قد فقد بالفعل من محتويات الصندوق ، فعليه ببســـاطة أن يلقى لومه على الحارس الاصلى للصندوق ، مستر باتربوم !

ولقد انزعج كارل عندما نظر فى داخل الصندوق للوهلة الاولى . كم من الساعات انفقها خلال رحلته ، فى ترتيب ، واعادة ترتيب اشيائه ، لـكى يجد كل شىء الآن مضطربا بداخله ذلك الاضطراب الشنيع ، حتى أنه لم يكد يدير المفتاح فى القفل حتى تقفز الغطـــاء الى أعلى تلقائيا

ثم اكتشف فى التو لفرحته ، ان السبب الوحيد فى تلك الفوضى،

هو ان شخصا ما كان قد اضاف الى محتويات الصنـــدوق ايضا بدلته التى كان يرتديها خلال الرحلة ، ولم يكن الصندوق بالطبع ، ليتسع لها الا بصعوبة . لم يكن اى شىء من محتويات الصندوق قد فقد ولم يجد فى الجيب السرى لجاكتته جواز سفره فقط ، بل وجد ايضا النقود التى كان والداه قد زوداه بها ، واصبح لهذا ، بالاضافة الى ما كان يحمل من نقود ، مزودا الآن بقدر كاف من المال ، وحتى الملابس الداخلية التى كان يرتديها عند وصوله كانت موجودة كذلك بداخل الصندوق وكانت قد غسلت ، ولم كيها . وضع نقوده وساعته فى داخل جيبه السرى الامين من فوره . وكان الشىء الوحيد الذى أسف له كارل هو ان قطعة لحم السالامى الفيرونيزية التى كانت موجودة فى الصنـــدوق ، كانت قد خلفت رائحتها على كل الملابس ، فلو استطاع ان يجد طريقة لازالة تلك الرائحة من الملابس التى كان عليه ان يتجول بها فى كل مكان لمدة شهور ؟

وبينما كان يبحث عن شىء ما فى قاع الصندوق ـ وهو كتاب مقدس فى حجم الجيب ، وبعض اوراق الخطابات ، وصور فوتوغرافية لوالديه ـ سقطت القبعة من فوق راســه الى داخل الصندوق ، وتبينها على الفور من حروفها المتآكلة ، كانت هى قبعته نفسها ، التى كانت والدته قد أعطته اياها ليرتديها فى اثناء الرحلة ، ولم يكن قد استعملها رغم ذلك على الباخرة من قبيل التوفير فقد كان يعلم ان الناس فى امريكا يرتدون القبعة المستديرة بدلا من القبعـة المالية ، ولم يكن يريد ان يستهلك هذه القبعة لذلك قبل ان يصل الى امريكا ، وها هو مستر جرين قـــد أســـتعملها فقط لمجرد استغفاله ، فهل كان الخال جيكوب قد نبـــه عليه بان يفعل ذلك ايضا ؟ وبحركة حانقة لا شعورية جذب كارل غطاء الصنــدوق ، فانغلق مدويا فى عنف .

لم يعد أمامه الآن اية حيلة فى الامر ، فقد استيقظ النائمان ، تمدد أولهما وتثاءب ثم تبعه الآخر فى الحال ففعل نفس الشىء . كانت كل محتويات الصندوق مكومة فوق المنضدة ، فلو كان هذان الرجلان لصين ، فلم يكن عليهما الا ان يتقدما نحوه ، ويضـــعا ايديهما على ما يروق لهما . وتقدم كارل وهو يحمل الشمعة فى يده نحو الفراشين ، كمحاولة لمواجهة هذا الاحتمال ، والتأكد من حقيقة وضعه ونسر لهما كيف دخل هـــذه الحجرة فلم يبد عليهما

انهما كانا ينتظران أى تفسير ، فقد ظلا يحدقان اليه فحسب دون ان يتمكنا من الرد عليه ، فقد كان النوم يغلبهما ، ولم يجد كارل على وجهيهما أثرا للدهشة أو استنكارا لوجوده . كانا شابين ، الا ان العمل الشاق ، أو الفقر كان قد ابرز عظام وجنتيهما بصورة ملحوظة ، وكانت تتهدل من ذقنيهما خصلات لحيتين شمشاويتين وكان شعرهما اشمث كذلك ، وبدا انه لم يحلق منذ فترة طويلة ، لانه كان متلبدا فوق فروتى راسيهما . ودعكا اعينهما الفائرة التى كان النوم لايزال يغلقهما

وقرر كارل ان يستغل جيدا حالة الضعف المؤقت التى كانا يبدوان عليها فى تلك اللحظة فقال : « ان اسمى هو كارل روسمان . واننى المانى الجنسية ، فاذكرا لى اسميكما لو تفضلتما بذلك ، بما اننا نشغل معا نفس الغرفة ، ومن اى بلد جئتما ، واصرح لكما كذلك باننى لا اتطلع الى مزاحمتكما فى فراشيكما . فلقد وصلت متاخرا. وليست لدى أدنى رغبة فى النوم ، على أية حال ، كما انه لاينبغى لكما ان تسيئا فهم حالى نظرا للبدلة الحسنة التى أرتديها ، فأنا معدم تماما ، وبلا ادنى امل » .

واشار اصغر الرجلين ـ وهو ذلك الذى كان ينام منتملا حذاءه ـ بيديه وساقيه وحركة جسده ، بما يدل على عدم اهتمامه بهذا كله وبأنه لا يملك وقتا للاستماع الى هذه المعلومات ، واستلقى ثانية على الفراش ، متاهبا لاستئناف نومه فى الحال ، لكنه قال ملوحا بيده قبل ان يعود الى النوم : « هذا الشاب الذى هناك يدعى روبنسون ، وهو ايرلندى ، اما انا فادعى ديلا مارش ، وانا فرنسى ، والآن ارجوك ان تلزم الهدوء ! » وما ان فرغ من ذلك ، حتى اطفأ شمعة كارل بنفخة شديدة من فمه ، والقى براسه فوق الفراش .

قال كارل فى نفسه : مستديرا نحو المنضدة « حسنا لقد زال الخطر الآن مؤقتا ! » ، فاذا لم يكن نومهما الان مفتعلا ، لكان كل شىء على ما يرام . وكان الشىء الوحيد الذى لم يرتح اليه ، هو ان احدهما كان ايرلنديا ، ولم يكن فى امكان كارل أن يتذكر فى اى كتاب كان قد قرأ ذات مرة ، عندما كان فى بلده ، ان على المرء اذا قدر له أن يذهب الى امريكا ، ان يحذر الايرلنديين ، وقد كانت أمامه ، عندما كان يقيم فى منزل خاله ، فرصة ممتازة بلا شك ، كان يمكنه ان يستفسر فيها عن ذلك الخطر الايرلندى ، لكنه

كان قد اعتقد حينذاك بانه كان قد تحصن تماما ضد كل الاخطار حتى نهاية حياته . فقد اهمل بحث ذلك الامر تماما ، ورأى كارل ان عليه أن يلقى الآن على الاقل نظرة فاحصة ، على الرجل الايرلندى فى ضوء الشمعة ، التى اشعلها ثانية ، ووجد ان الرجل يبدو محتملا فى حقيقة الامر اكثر من الرجل الفرنسى ، كانت وجنتاه لاتزالان تحملان اثرا من الاستدارة ، وكان يبتسم فى نومه ، بصورة ودود ، بقدر ما أتيح لكارل ان يرى ، عندما كان يقف على أطراف اصابعه على مسافة بعيدة من الرجل وهو يتطلع اليه .

وقرر كارل بصورة قاطعة الا ينام على الرغم من كل شيء ، وجلس فوق المقعد الوحيد بالحجرة ، واجل اعادة ترتيب اشيائه بداخل الصندوق لبعض الوقت ، ثم تناول صورة فوتوغرافية لوالديه ، كان يقف فيها والده الشاب منتصب القامةخلف والدته ، التى جلست فوق مقعد ذى مسندين ، منطوية على نفسها الى حد ما ، وكانت احدى يدى والده تستند على ظهر المقعد ، بينما كانت يده الاخرى المضمومة تستقر فوق كتاب مصور فوق ترابيزة صغيرة كانت بجانبه ، وكانت ثمة صورة فوتوغرافية أخرى كانت تضم كارل مع والديه ، وكانا يتطلعان اليه فيها باهتمام ، بينما كان هو يحملق فى الكاميرا كما طلب منه المصور ، الا انه لم يحضر معه هذه الصورة عند رحيله .

وتفحص الصورة التى أمامه فى تركيز ، وحاول ان يواجه نظرة والده من مختلف الزوايا ، الا أن والده لم يتجسد أمام عينيه ، مهما كان يحاول ان يعدل تعبير وجهه فى الصورة بتحريك الشمعة فى اتجاهات مختلفة ، ولا كان شاربه الكثيف الافقى ، يبدو حقيقيا هو أيضا . لم تكن صورة جيدة الا ان والدته رغم ذلك كانت قد تبدت له على نحو افضل ، كان فمها مزموما كما لو كانت تعانى ألما ، ولا بد لها مع ذلك ان ترغم نفسها على الابتسام ، وبدا لكارل أن أى شخص ينظر الى هذه الصورة لابد سيفاجأ بهذا الشعور ، حتى لقد بدأ يدرك انه كان تفسيرا مبالغا فيه ، فكيف يمكن لصورة فوتوغرافية ان تشى بالمشاعر الدفينة بهذا الوضوح ؟ وحول نظرته قليلا ، بعيدا عن الصورة وعندما تفحصها ثانية لاحظ يد والدته التى امتدت الى الامام ، تركت مسند الكرسى وتحركت الى مقدمة الصورة ، فبدت قريبة منه جدا حتى بدا فى امكانه أن يتناولها ويقبلها ، وفكر هل من الواجب عليه ان

يكتب الى والديه ، مع انهما قد حذراه الا يكتب اليهما ، (وخاصة والده الذى نبه عليه فى حزم بالغ بالا يفعل ذلك وهو يودعه فى هامبورج) . فى تلك الليلة الاليمه ، كان قد اتخذ قرارا حاسما بالا يكتب اليهما ، عندما اخبرته والدته وهى تقف الى النافذة بأن عليه ان يرحل الى امريكا ، لكن ماذا يهم قرار صبى عديم الخبرة ، فى مثل تلك الحالة ؟.. وبعد تلك التطورات الجديدة ! ولعله كان قد قرر أيضا حينئذ ان شهرين فى امريكا سوف يتسمان له لكي يبلغ منصب قائد الجيش الامريكى المرابط ، لا أن يقبع الآن هنا فى مثل هذا الوكر الى جانب اثنين من المشردين : فى مطعم خارج نيويورك ، هذا المكان الذى كان يناسبه تماما ، طالما لم يكن أمامه سوى أن يقبله ، وتفحص وجهى والديه بابتسامة كما لو كان يحاول أن يقرأ فى ملامحهما مدى استعدادهما لأن يتلقيا اخبارا من ابنهما .

وشغله مقدما خوفه من أن يدركه الارهاق فى النهاية ، والا يتمكن من البقاء مستيقظا طوال الليل ، و .. سقطت الصورة من بين يديه ، فوضع وجهه فوقها ، واستمتع بملمسها البارد تحت خده ، وفى شيء من الارتياح استغرق فى النوم .

واستيقظ فى الصباح المبكر عندما احس بلكزة تحت ابطه ، كان الرجل الفرنسى قد سمح لنفسه بأن يلكزه تلك اللكزة ، الا ان الايرلندى كان يقف ايضا الى جانب المنضدة ، وكانا يتطلعان اليه بلا مبالاة ، كتلك التى أبدياها تجاهه فى أثناء الليل ولم يدهش كارل لانهما لم يوقظاه معهما عندما استيقظا ، فلم يكن هناك ما يدعوه الى الارتياب فى حركاتهما المتلصصة لانه كان غارقا تماما فى نومه وبدا له انهما لم يبذلا مطلقا ادنى مجهود فى ارتداء ثيابهما ، كما بدا له من مظهرهما أنهما لم يغتسلا كذلك .

وقدما اليه نفسيهما الآن فى شيء من التكلف على انهما ميكانيكيان ظلا متعطلين لمدة طويلة فى نيويورك ، ولهذا كان الحال قد انحدر بهما الى هذه الصورة ، ولكي يبرهن له روبنسون على ذلك ، فك أزرار سترته ليبين له انه لم يكن يرتدى قميصا فوق جسده ، الا أن المرء كان يسعه أن يخمن ذلك من تهدل ياقة السترة التى كانت قد أحكمت فقط الى العنق ! وقد كانا فى طريقهما الى مدينة صغيرة هى باترفورد ، وتبعد مسافة يومين سيرا على الاقدام من نيويورك ، حيث اشيع أن فرص العمل تتوفر بها . ولم تبدر

منهما اية اعتراضات على انضمام كارل اليهما ، ووعدا بان يتبادلا حمل صندوقه ، وان يجدا له عملا ايضـــا كصبى اذا تمكنا من العثور على عمل لهما ، وهو امر يسهل تدبيره اذا توفر العمـــل اساسا ، ووافقهما كارل على ذلك ، فنصحاه فى لهجة ودية ان يخلع بدلته الجيدة التي يرتديها ، والتي ستموقه فى بحثه عن عمل، وقد كان فى تلك الحانة نفسها فرصـــة صالحة للتخلص من تلك البدلة ، لان المراة العجوز تتجر فى الملابس القديمة ، وفى الحال ، عاونا كارل ـ الذى لم يكن قد قرر بصورة نهائية ما سيفعله فى امر البدلة ـ على خلعها ، واختفيا بها ، وعندما خلا كارل الى نفسه . وكان لايزال تحت تأثير النعاس ، ارتدى فى تكاسل بدلته القديمة، وهو يلوم نفسه لانه قد وافق على بيع البدلة الجيدة ، التى قد تعوقه الآن بالفعل عن الحصول على عمل كصبى ، الا انها تتيح له أن يظهر فى صورة حسنة الى حد كاف ، عندما يتطلع الى وضـع افضل فى فرصة اخرى ، وفتح الباب فى الحال لـكى يدعو الرجلين الى العودةبالبدلة ، ليواجههما عندما فتحالباب واقفين أمامه،مزودين بنصف دولار وضماه فوق المنضدة امامه ثمنا لبدلته ، وفى الوقت نفسه كان يبدو عليهما الانشراح الى حد انه كان يصعب على المرء الا يعتقد بأنهما قد استفادا بشىء من الثمن ، وانهما قد استفادا فائدة كبيرة أيضا ، لشدة قرف كارل !

لـكن ام يكن هناك متسع من الوقت حتى يتحدث اليهما كارل فى هذا الشأن ، فقد اندفعت المراة العجوز الى داخل الحجرة ، وهى تغالب نومها كما بدت فى الليـــلة السابقة ، وراحت تدفعهم جميعا أمامها الى خارج الحجرة وهى تقول لهم ان الحجرة يجب ان تخلو الآن لوجود بعض النزلاء الجدد ولم يكن هناك مجال لبحث هذا الامر ، ولم تكن هناك حاجة الى القول بأنها كانت تفعل ذلك كمجرد خدمة ، وكان على كارل عندما شرع فى جمع اشـــيائه فى داخل الصندوق ، ان يتطلع اليها ، وهى تجمعها بدلا منه بكلتا يديها وتقذف بها فى عنف الى داخل الصـــندوق ، كانت تحاول التخلص منهم كما لو كانوا ثلاثة من الحيوانات الـكاسرة ، تريد ان تطردهم خارجا بأسرع ما يمكنها ، وظل الميكانيكيان يراوغانها ، ويدوران حولها ويجذبان طرف ردائها ، ويلطمانها فوق ظهرها ، لكن لو انهما كانا يعتقدان أنهما بذلك يساعدان كارل لكانا مخطئين فى ظنهما خطأ بالغا ! وعندما اغلقت العجوز الصـــندوق ، القت

بقبضه بين اصابع كارل ، ودفعت الميكانيكيين ، وساقتهم جميعا أمامها الى خارج الحجـرة وهي تهدد ، بأنهم ان لم يسـارعوا بالخروج ، فانها لن تقدم لهم القهوة ، وبدا واضحا انها قـد تناست تماما ان كارل لم يكن فى صحبة الميكانيكيين من البداية ، لانها كانت قد طاردتهم جميعا ، ولما كان الميكانيكيان قد باعا لها بدلة كارل ، فوق ذلك ، فقد وشى ذلك كله بشيء من التضامن بينهما وبينها .

كان عليهم ان يذرعوا الممر ذهابا وجيئة وقتا طويلا ، واقسم الرجل الفرنسى الذى كان قدامسك بذراع كارل، فىوضوح منقطع النظير مهددا بان يطرح صاحب الحانة أرضا لو جرؤ على الظهور، وضرب قبضتيه المطبقتين فى هياج ، كما لو كان يستعد للمواجهة. واخيرا ظهر صبي ضئيل برىء المظهر ، كان صغيرا للغاية حتى لقد كان عليه ان يقف على اطراف اصابعه لـكى يناول القهوة للرجل الفرنسى ، ولم يكن هناك لسوء الحظ شيء سوى العلبة الصفيح ، ولم يكن فى مقدورهم ان يوضحوا للصبى حاجتهم الى الاكواب .

وهكذا لم يكن عليهم سوى ان يتناوبوا تناول القهوة من العلبة الصفيح ، الواحد منهم بعد الآخر بينما يقف الآخران فى انتظـار دورهما ولم يكن كارل ليقبل تناول القهوة على هذا النحو ، لـكنه لم يرغب ايضا فى اهانة الآخرين ، ولهذا رفع العلبة الصفيح الى شفتيه عندما حان دوره ، الا انه لم يشرب شيئا منها رغم ذلك .

وطوح الرجل الفرنسى بالعلبة عـلى الدرجات الحجرية ايذانا بالرحيل وغادروا الحانة دون ان يلحظهم احد وتقدموا نحو ضباب الصباح الـكثيف الضارب الى الاصفرار ، وساروا فى صمت جنبا الى جنب على حافة الطريق ، وكان على كارل ان يحمل صندوقه لان الآخرين لم يظهرا ما يدل على استعدادهما لحمله ليتيحا له ان يرتاح قليلا . الا عنـدما كان كارل يطلب منهما ذلك ، وكانت تندفع من حين لآخر سيارة من خلال الضباب وكان الثلاثة يديرون رءوسهم ، ليتطلعوا نحو السيارة التى تبـدو هائلة الحجم ، ثم تنطلق كالسهم ، حتى انهم لم يتمكنوا من رؤية احد بداخلها ، ثم اخذت تقابلهم صفوف من العربات التى تحمل التموين الى نيويورك، تلك العربات التى كانت تندفع فى عكس اتجاههم فى صفوف خمسة تشغل عرض الطريق ، ويستمر ذلك التتابع الذى لا ينقطع ، حتى ان احدا لم يكن يمكنه ان يعبر الطريق الى الجانب الآخر ، وكان

الطريق يتسع احيانا حتى يبدو اشبه بميدان ، كان يقوم فى منتصفه هيكل شبيه بالبرج ، يقف بداخله رجل بوليس مهمته الاشراف على حركة كل شيء ، وكان يوجه تلك الحركة فى الطريق الرئيسى ، والطرق الجانبية التى تتصل به ، بمؤشر صغير فى يده وكان هذا الرجل هو المشرف الوحيد على حركة المرور الى أن تصـــل تلك الحركة الى الميدان التـــالى ، والى عســـكرى المرور التالى ، ويتم توجيهها فى أثناء ذلك بكفاءة ، وتلقائية باليقظة الصامتة التي يبديها سائقو اللوريات والعربات ، ولقد دهش كارل اشد الدهشة للهدوء الشامل ، فلولا خوار القطيع اللامبالى الذى كان فى طريقـــه الى المجزر ، فلعلك لم تكن لتسمع سوى وقع الاقدام ، وطنين موتورات العربات ، ولم تكن سرعة تلك العربات بالطبع واحدة على الدوام ، وكانت تقوم حركة تنظيم واسعة النطاق للمرور فى بعض الميادين بسبب اندفاع حركة السيارات من الشوارع الجانبية ، فكانت صفوف طويلة من العربات تتوقف فجاة عندئذ ، وهى تهتز عدة بوصات الى الامام ، لكن بعد لحظات قصيرة ، كان كل شيء يندفع الى الامام مرة أخرى بسرعة الضوء . ثم تتوقف الحركة كلها ثانية دفعة واحدة ، كما لو كانت قد توقفت كلها بفرملة واحدة ، وتمضى تلك الحركة كلها فى جو رائق ، بلا ادنى اثر للغبار الذى يرتفع تحت العجلات من الطريق ، لم يكن هناك مارة ، ولا بائعات يسرن وحيدات بطول الطريق نحو المدن كما فى بلد كارل ، لـكن من حين لآخر كانت تظهر عربات لورى ضخمة ، كانت تقف فوقها ما يقرب من العشرين امراة بالسلال على ظهورهن ، ولعلهن كن بائعات ، فقـد كن يمددن اعناقهن لينظرن الى حركة المرور فى صبر نافد للاسراع بالسير ، وكانت ثمة لوريات تحمل رجالا يتطلعون حولهم وايديهم فى جيوب بنطلوناتهم ، وكانت تلك اللوريات تحمـــل دائما بعض الـكتابات المختلفة ، وعلى احدها قرأ كارل بصيحة دهشـــة :

« مطلوب عمال ميناء لوكالة جيكوب للتصـــدير » ، وتصادف أن كانت تلك السيارة تسير فى بطء على نحو ما ، وكان رجل ضئيل الحجم ، محنى الظهر ، ودود بصورة ما ، يقف على سلمها ، وقـد وجه هذا الرجل الدعوة اليهم لاعتلاء سطح العربة ، واختبأ كارل خلف الميكانيكيين كما لو كان خاله فى اللورى ، ومن الممكن ان يراه ، ولقد ارتاح لرفض زميليه لتلك الدعوة ، على الرغم من انه قـد وجد ظلا من الاهانة فى الطريقة المستهترة التى رفضاها بها . فهل

كان لهما ان يعتبرا نفسيهما قد بلغا من السمو حدا يمنعهما من العمل لخاله ؟.. ولقد قال لهما شيئا من هذا فى كلمات مقتضبة بالطبع ، واستدار ديلامارش اليه وطلب منه عدم التدخل فى الامور التى لا يفهمها لان تلك الطريقة فى جميع الرجال هى احتيال شنيع، كما ان شركة جيكوب شركة سيئة السمعة فى جميع انحاء الولايات المتحدة ، ولم يجب كارل بشيء ، الا انه ، منذ تلك اللحظة ظل ملتصقا بالرجل الايرلندى ، وطلب منه ان يحمل منه الصندوق قليلا ، وقد فعل الرجل ما طلبه منه ، بعد ان توجه اليه كارل بهذا الطلب عددا من المرات من قبل ، الى ان اتضح ان كل ما كان يريده من الصندوق هذه المرة عندما قبل ان يحمله ، كان لحم السالامى الفيرونيزى ، الذى يبدو انه كان قد لاحظ وجوده قبل ان يغادر الحانة ، وكان على كارل ان يفض لفة اللحم لكن الرجل الفرنسى ، اختطفها ، وشرحها قطعا قصيرة بسكين أشبه بالخنجر، والتهم الجـــزء الاكبر منها ، وحصل روبنسون على قطعة من حين لآخر فحسب ، ولم يحصل كارل الذى أجبر بعد ذلك على حمـــل الصندوق ، على شيء مطلقا ، ولعلهما قد افترضا انه كان قد حصل على نصيبه من لفة اللحم مقدما ، وقد بدا له من السخف ان يرجوهما التفضل عليه بشريحة منه ، فلم يطلب شيئا ، لكنه كان يشعر بالمرارة مع ذلك لسلوكهما نحوه .

وكان الضباب قد تلاشى عندئذ ، وتألق على البعد جبل شاهق، كان يتراجع كقمم الامواج ، الى الخلف ، صاعدا نحو قمة متباعدة يظللها غبش ضوء الشمس ، وعلى جانبى الطريق كانت تمتد حقول مهملة تحيط بالمصانع الكبيرة ، التى كانت ترتفع مجللة بالدخان ، فى الريف الرحب ، وكانت قطاعات من المساكن المنعزلة قد شيـــدت جزافا هنا وهناك ، وكانت نوافذها التى لا حصر لها تموج بالحركة المتزايدة والاضواء ، بينما فوق الشرفات الصغيرة نساء واطفال مشغولون باشياء عديدة ، نصف مختبئين ، ونصف ظاهرين خلف الملابس المغسولة ، المعلقة من مختلف الانواع ، المنشورة لكى تجف والتى كانت ترفرف حولهم عند هبوب نسيم الصباح ، وتتموج بشدة ، ولو شردت عينا المرء عن البيوت ، لرأى العصافير فى أعلى الفضاء ، وطائر السنونو فى أسفل ، ينطلق فوق رءوس المارة

كان هناك الكثير مما كان يذكر كارل ببلده ، ولم يكن يمكنه ان يقرر هل أصاب بمغادرته نيويورك ، وتجوله فى الداخل ام اخطأ .

ففى نيويورك يوجد البحر ، الذى يعنى الفرصة للعودة فى أية لحظة الى بلده ، ولهذا توقف فجاة ، وقال نرفيفيه انه يشعر برغبته فى العودة الى نيويورك اخيرا وعندما بدا له ان ديلامارس كان يسحبه باستخفاف الى الامام ، رفض ان يساق اثنى السير ، واحتج قائلا أن من شانه هو أن يقرر بنفسه ان كان يرغب فى السير او يرغب فى العودة ، وكان علي الرجل الايرلندى ان يتدخل ، وان يوضح ان باترفورد هى مدينة افضل من نيويورك ، وكان عليهما ان يعاملاه باللين البالغ فترة من الوقت ، قبل ان يواصل السير معهما فى النهاية ، وحتى عندما سار معهما لم يكن قد اذعن الا لانه كان قد قال فى نفسه انه ربما كان من المستحسن ان يوغل فى الابتعاد من نيويورك حتى لا يعود التفكير فى العودة الى وطنه امرا سهلا ، وانه سوف يعمل بلا شك ، ويحاول أن يتقدم من حالة الى حالة افضل منها ، ما لم تعقه تلك الافكار المثبطة التى توسوس له احيانا بالعودة .

واصبح الآن هو الذى يتقدم الآخرين فى السير ، وكانا مغتبطين لحماسه ، حتى لقد حملا عنه الصندوق بالتناوب دون ان يطلب اليهما ذلك ، ولم يستطع كارل ان يتبين كيف امكنه أن يحقق لهما تلك السعادة ، وكانوا قد بلغوا الآن مكانا مرتفعا ، وعندما كانوا يتوقفون هنا وهناك ، كانوا ينظرون خلفهم الى مشهد نيويورك وميناءها ، وهو يمتد متسعا تحتهم ، وشاهدوا الجسر الذى يربط نيويورك ببروكلين وكان معلقا فى رشاقة فوق النهر الشرقى ، ولو ضيق المرء حدقتى عينيه لبدا له ذلك الجسر وكانه يرتعش وكان يبدو خاليا من الحركة ، وتحته امتد لسان أملس من الماء ، وكانت كلتا المدينتين الهائلتين تقومان هنالك خاليتين ، وبلا معنى ، وكان من الممكن تمييز المنازل الهائلة من المنازل الصغيرة المنخفضة وربما كانت الحياة تمضى على عادتها فى أعماق الشوارع غير المرئية ، الا انهم لم يكونوا يشاهدون فوقهم فى السماء سوى دخان خفيف ، بدا مع ذلك وكانه واقف لا يتحرك ، وكان يتبدد فى سهولة ، وكان الهدوء قد ساد الى الميناء ، الذى يعد اكبر موانىء العالم ، وكان فى مقدور المرء ان يتوهم من حين لآخر ، ربما تحت تاثير تذكره لمنظر قريب العهد ، أنه يرى باخرة تمخر العباب على مسافة قريبة من الميناء ، الا انه كان من الصعب تتبع تلك الباخرة وقتا طويلا ، لانها كانت تخرج عن مجال الرؤية ، ولا يعود فى الامكان رؤيتها ثانية

وقد رأى ديلامارش وروبنسون اشياء كثيرة فى وضوح ، وكانا يشيران الى اليمين والى اليسار ، واذرعهم ممتدة تتحرك فوق الميادين والحدائق التى ذكروها باسمائها ، ولم يفهمها كيف قضى كارل شهرين فى أمريكا ، ولم يكد يرى رغم ذلك سوى شارع واحد فقط من المدينة ، وقد وعداه بأن يصحباه الى نيويورك ، عندما يحصلان على المال فى باترفورد ، وان يتيحا له رؤية كل المشاهد التى تستحق الرؤية ، واماكن التسلية والمتعة بالطبع أيضا ، وعندما بلغ به التفكير الى هذا الحد ، بدأ روبنسون يتغنى بأعلى صوته بأغنية شاركه فيها ديلامارش بالتصفيق ، وادرك كارل انها كانت أحد ألحان الاوبرا المعروفة فى وطنه ، وقد سره سماعها فى ترجمتها الانجليزية كما لم يتمتع بسماعها من قبل فى بلده ، وهكذا فقد كونوا جوقة صغيرة فى الهواء الطلق ، اشتركوا فيها جميعا وبقيت المدينة التى كان عليها ان تشاركهم الاستمتاع بذلك اللحن فى لا مبالاتها تحت اقدامهم .

وتساءل كارل فى احدى المرات عن موقع وكالة جيكوب ، فدفع ديلامارش وروبنسون بأصبعيهما فى الهواء مباشرة يشيران الى الموقع ، وربما الى موقع آخر يبعد عنه بعديد من الاميال وعندما استأنفوا سيرهم ثانية سألهما كارل : متى يمكنهم ان يعودوا الى نيويورك ، اذا تمكنوا من الحصول على عمل ؟ واجابه ديلامارش قائلا : ان بامكانهم أن يعودوا اليها فى خلال شهر ، فالعمل متوفر فى باترفورد والاجور مرتفعة ، وسيضمون نقودهم بالطبع فى رأسمال مشترك ، حتى يمكن ان يختفى الفرق الذى قد تسببه الصدفة بين دخولهم ، كما ينبغى ان يحدث بين الاصدقاء . ولم ترق لكارل فكرة الرأسمال المشترك ، على الرغم من ان اجره كصبى سيقل كثيرا بالطبع من أجر العامل الماهر ، واستأنف روبنسون الحديث قائلا : انهم على أية حال اذا لم يوفقوا فى الحصول على عمل فى باترفورد ، فسوف يتجولون بطبيعة الحال فى أماكن ابعد من باترفورد ، وربما وجدوا عملا فى المزارع ، او ربما حاولوا الحفر بحثا عن الذهب فى كاليفورنيا ، وقد اعجب كارل بهذه الفكرة الاخيرة ، بعد ما سمعه من حكايات روبنسون عن مناجم الذهب

تساءل كارل الذى لم يكن مستعدا لمزيد من الرحلات المرهقة المشكوك فى نتائجها قائلا لروبنسون : لكن لماذا تعمل ميكانيكيا اذا كنت ترغب فى العمل فى حقول التنقيب عن الذهب ؟

فاجابه روبنسون قائلا : « لماذا اعمل ميكانيكيا ؟ لكيلا اموت جوعا ، ومع ذلك فالاموال تتدفق وفيرة فى حقول التنقيب عن الذهب » .

قال ديلامارش : « كانت تتدفق فى وقت من الاوقات ! »

فقال روبنسون : « ولا تزال تتدفق للآن ! » وراح يحكى حكايات عن اناس لا حصر لهم من معارفه ، اصبحوا هناك الآن من الاثرياء ، وما زالوا يقيمون هناك ، الا انهم لم يعودوا فى حاجة بالطبع الى ان يعملوا الآن ، لكنهم سيساعدونه على أن يحقق الثراء ، لصداقتهم القديمة به ، وسيساعدون أصدقاءه هم ايضا بالطبع .

قال ديلامارش : « سنجد أعمالا فى باترفورد دون شك ! » وعبر بقوله هذا عن رغبة كارل ، مع ان هذا القول لم يكن أمرا مؤكدا كل التأكيد .

وتوقفوا فى اثناء اليوم مرة عند احد المطاعم ، وجلسوا خارجه فى الهواء الطلق ، الى مائدة بدت لكارل وكأنها قد صنعت من الحديد ، وأكلوا لحما مسلوقا كان من الصعب تقطيعه الى شرائح ، فكانوا يفرمونه بسكاكينهم وشوكاتهم ، وكان الخبز مصنوعا على هيئة اسطوانة ، وقد انفرزت فى كل من الرغيفين سكين كبير : وقد ضمت الوجبة ايضا خمرا أسود اللون كان يحرق الحلق ، الا ان ديلامارش وروبنسون كانا يستيفان شربه ، وقد ظلا يرفعان كوبيهما بعديد من الانخاب ، ويقرعان الكوبين عاليا فى الهواء من حين لآخر ، والى مائدة مجاورة كان يجلس بعض العمال فى قمصان صفراء ، يتناولون نفس الشراب ، وكانت العربات تمر من امامهم بأعداد كبيرة ، وتثير الغبار فوق المائدة ، وكانت صحف كبيرة توزع على الجالسين ، وتثور مناقشات حادة حول اضراب قام به عمال البناء ، وكان اسم « ماك » يتردد كثيرا فى خلال تلك المناقشات وتساءل كارل عن صاحب الاسم ، وعلم انه والد « ماك » الذى يعرفه ، وانه أكبر مقاول للمبانى فى نيويورك ، وقيل ان هذا الاضراب قد يكلفه عدة ملايين وانه يهدد وضعه المالى بالخطر ، ولم يصدق كارل كلمة واحدة مما كان يقوله هؤلاء الناس المضللون ، الحانقون .

وقد أفسد استمتاع كارل بتلك الوجبة قلقه لفكرة دفع ثمن تلك الوجبة بأكملها ، وأيهم سوف يدفع وكان من الطبيعى فى رايه ان

يدفع كل منهم ثمن وجبته فقط ، الا ان ديلامارش وروبنسون كانا قد اشارا عرضا الى ان اجر مبيتهما عن الليلة الماضية قد افرغ جيبيهما ، ولم يكن لديهما ساعة او خاتم او اى شىء ليبيعاه . ولم يستطع كارل ان يواجههما بانهما كانا قد احتجزا لنفسيهما جانبا من ثمن بدلته فقد كانت مواجهتهما بذلك تعد اهانة ، وفراقا الى الابد .

الا ان ما اثار دهشة كارل اكثر هو ان ديلامارش وروبنسون ، لم يزعجا نفسيهما بامر الدفع ، بل على العكس كانا فى حالة معنوية مرتفعة ، حتى انهما راحا يحاولان مغازلة الجرسونة التى كانت تتحرك فى خيلاء متبخترة من مائدة الى اخرى ، وكان شعرها يتهدل على كتفيها ، وفوق حاجبيها وخديها ، فكانت ترميه الى الخلف بيدها ، حتى تقدمت اخيرا نحو مائدتهم ، فظننا انهما سيفوزان منها ببعض الكلمات الودية ، لكنها وضعت يديها فوق المنضدة ، وتساءلت : « من الذى سيدفع ؟ » فاشارت يدا ديلامارش وروبنسون بغاية السرعة الى كارل ، ولم يفاجا كارل لانه كان يتوقع ذلك ، ولم يجد باسا من ان يدفع مرة حساب رفيقيه اللذين ينتظر منهما المساعدة بدوره ، على الرغم من انه كان يفضل بالطبع لو ناقشا معه الامر بصراحة قبل اللحظة الحاسمة وشغله كذلك امر اخراج النقود من جيبه السرى ، فقد كان ينوى الاحتفاظ بنقوده لتنفعه فى حالة الاحتياج البالغ ولكى تنفعه الآن ايضا فيتمكن من ان يبدو ندا لصديقيه ، كان التفوق الذى يتفوق به عليهما لامتلاكه هذا المال ، واخفائه كذلك عنهما ، يبدو فى وضوح تفوقا راجحا ، لانهما على عكسه ، كانا قد عاشا فى امريكا منذ طفولتهما ، ولانهما كانا يتمتعان بالمهارة الكافية والخبرة التى تعينهما على كسب المال ولانهما لم يتعودا على حياة افضل من الحياة التى يمارسانها الآن . ورأى كارل ان خطته فى التوفير يجب الا تتاثر لاضطراره الى دفع الحساب الآن فيمكنه ببساطة أن يستغنى عن ربع دولار ، يضعه امامهما فوق المنضدة ، ويخبرهما بانه هو كل ما يملك ، وانه كان ينوى ان يقتسمه معهما فى طريقهم الى باترفورد . ذلك ان ربع دولار يكفى جدا لرحلة على الاقدام ، الا انه لم يكن يدرى هل كان ما يحمله من العملات الصغيرة يكفى حتى يخرج من بينها الربع دولار . ولقد كانت العملات الصغيرة التى يحملها موجودة على اية حال فى تجويف جيبه السرى هى ايضا

الى جانب اوراق البنكنوت ، وكان من الصعب ان يخرج ما يريده دون أن يفرغ كل محتويات جيبه فوق المنضدة ولم يكن يريد ان يعرف رفيقاه شيئا عن الجيب السرى على الاطلاق وبدا صديقاه مشغولين رغم ذلك لحسن الحظ بأمر الجرسونة ، دون ان يشغلهما مطلقا بالطبع كيف سيتمكن كارل من اخراج النقود لدفع الحساب ، وكان ديلامارش قد مد يده وسحب الجرسونة بينه وبين روبنسون متعللا بأن عليها ان تكتب فاتورة الحساب ، فلم يكن امامها لكى تتخلص من توددهما المنيف الا ان دفعت وجهيهما بعيدا بباطن راحتيها ، عندئذ جمع كارل وهو يتصبب عرقا باحدى يديه تحت المنضدة قطع النقود التى تحسسها ، واخرجها من جيبه السرى قطعة بعد قطعة بيده الاخرى .

وظن بعد فترة طويلة ، لانه لم يكن قد اعتاد بعد على العملة الامريكية ، انه قد اخرج من قطع العملة الصغيرة ما يساوى المبلغ المطلوب ، فوضعها فوق المنضدة ، ووضع رنين النقود فوق المنضدة فى الحال حدا لمعاكستهما للجرسونة ، واتضح لشدة غيظ كارل ولدهشة الجميع ان دولارا كاملا قد وضع فوق المائدة . ولم يتساءل اى منهما لماذا لم يذكر كارل شيئا عن هذه النقود التى كانت تكفى لدفع اجر رحلة مريحة لثلاثتهم بالقطار الى باترفورد ، الا ان كارل شعر بالارتباك الشديد لخطئه رغم ذلك ، واعاد كارل بقية النقود الى جيبه بعد دفع الحساب الا ان ديلامارش كان قد اختطف من بين اصابعه احدى قطع العملة ، وأعطاها كبقشيش للجرسونة التى احتضنها بيد بينما ناولها قطعة العملة بيده الاخرى

وشعر كارل بالامتنان لهما ، لانهما لم يذكرا شيئا عن نقوده عندما غادر ثلاثتهم المطعم ، وقرر كارل فى احدى اللحظات أن يعترف لهما بما يحمله من المال ، لكنه تراجع عن ذلك فى الحال لانه لم يجد ما يدعوه الى هذا الاعتراف وبلغوا عندما اوشك الليل على الحلول منطقة خلوية خصبة وكانت الحقول حولهم على امتداد الرؤية لا نهاية لها كانت تمتد فوق تلال منخفضة تكتسى بالخضرة الزاهية ، وفيلات ريفية فاخرة تزين الطريق على الجانبين ، وساروا عدة ساعات بين أسوار الحدائق المذهبة وعبروا نفس المجرى البطىء عددا من المرات ، وكثيرا ما كانوا يسمعون ضوضاء القطارات التى كانت تنطلق فوق الكبارى المرتفعة .

كانت الشمس قد اوشكت ان تختفى خلف قمم الغابات البعيدة ،

عندما صعدوا مرتفعا مدرجا ، يعلوه دغل من الاشجار الكثيفة ، ومددوا انفسهم فوق العشب لكى ينالوا شيئا من الراحة بعد رحلتهم الطويلة . استلقى ديلامارش وروبنسون فوق العشب فى استرخاء تام ، وجلس كارل واخذ يرقب الطريق الذى كانوا يرتفعون فوق مستواه ببضع ياردات والى السيارات التى كانت تنطلق فوقه بخفة ، الواحدة خلف الاخرى ، كما كانت تنطلق طوال اليوم ، وكان عددا هائلا منها ينطلق باستمرار من مكان ما بعيدا كل البعد ، بينما تنتظر سيارات اخرى فى مثل عددها فى مكان بعيد آخر ، ولم ير كارل طوال اليوم كله ان سيارة منها قد توقفت ولا راى راكبا واحدا هبط من احدى تلك السيارات .

واقترح روبنسون ان يقضوا الليل فى هذا المكان ، لانهم كانوا مجهدين غاية الاجهاد ، ولانهم سيتمكنون بمبيتهم هنا ان يواصلوا رحلتهم فى الصباح الباكر ، كما انهم لن يجدوا علاوة على ذلك ، مكانا مناسبا ارخص من هذا المكان لقضاء الليلة ، قبل أن يهبط الظلام ، وكان ديلامارش يرى نفس الراى ، فاضطر كارل الى التصريح بانه يحمل نقودا تكفى لدفع اجر مبيتهم جميعا فى احد الفنادق ، واجابه ديلامارش قائلا : انهم لا يزالون فى حاجة الى النقود ، وانه يحسن الاحتفاظ بها فى الوقت الحاضر ، لم يحاول اخفاء حقيقة انهما كانا يتطلعان الى الاستعانة بنقود كارل ، ومضى روبنسون بعد قبول اقتراحه الاول ، فاقترح اقتراحا آخر ، قائلا ان عليهم قبل أن يتاهبوا للنوم ، ان يتناولوا وجبة كاملة ، لكى تجدد نشاطهم فى الصباح ، وان على احدهم ان يذهب ليحضر طعاما لثلاثتهم من الفندق القريب الذى يقوم فى الطريق الرئيسى ويحمل اللافتة المضاءة التى كتب عليها « الفندق الغربى ».. ولما كان كارل اصغر الثلاثة . ولم يبد اى من الآخرين استعداده للقيام بهذه المهمة ، فقد تطوع كارل من فوره بأن يقوم هو بها وانطلق عبر الشارع فى طريقه الى الفندق ، بعد ان أعلن الآخران انهما يريدان لحم خنزير ، وخبزا ، وبيرة .

ولابد انهم كانوا على مقربة من احدى المدن الكبيرة ، لان أول حجرات الفندق التى دخلها كارل كانت تمتلىء بضوضاء حشد صاخب ، وكان يقف بداخل البوفيه الذى كان يمتد بطول تلك الحجرة على الجانبين عدد كبير من السفرجية كانوا يرتدون مرايل بيضاء ، ويندفعون بلا توقف هنا وهناك ، دون أن يتمكنوا من

تلبية كل طلبات زبائنهم الذين نفد صبرهم فارتفعت اللعنـــات فى اصوات صاخبة ، وكانت دقات القبضات فوق المائدة تتمالى دون توقف من جميع الجهات ولم يلق احد بالا الى كارل ، ولم يوجد اى نوع من انواع الخدمة فى الصالون باكمله . وكان على الزبائن الذين تجمعوا الى موائد صغيرة كانت تتسع كل منها لثلاثة اشخاص تقريبا ان يبحثوا بانفسهم عما بريدونه فى البوفيه ، وفوق كل مائدة كانت تستقر زجاجة كبيرة ممتلئة بالزيت او الخل او شيء من هذا القبيل . وكان الزبائن يصبون شيئا من تلك الزجاجة فوق الطعام الذى يحضرونه من البوفيه قبل أن يتناولوه ، فلو استطاع كارل ان يبلغ ذلك البوفيه اولا ، حيث ستواجهه الصعوبات الحقيقية بعد ذلك ، لكثرة عدد الزبائن الذين كانوا يتزاحمـــون عليه ، فربما استطاع ان يشق لنفسه طريقا بين تلك الموائد التى لا حصر لها . ولم يكن ليصل الى شيء من هذا بالطبع مهما حرص دون ان يتسبب فى كثير من الازعاج للزبائن ، الذين كانوا يتقبلون مع ذلك اي ازعاج بتبلد تام . وحتى عندما اندفع كارل بعنف بجانب احدى تلك الموائد فقلبها راسا على عقب ، مع ثقته بانه لم يكن هو السبب فى انقلابها. ثم اعتذر دون ان يفهم أحد على ما يبدو معنى لهذا الاعتذار، كما انه لم يتمكن هو ايضا من ادراك هدف تلك الصيحات التى حاصرته فى هياج . لم يجد عند البوفيه مكانا غير بضع بوصات قليلة فى صعوبة بالغة ، وظل مختفيا فى الزحام لفتـــرة طويلة لان مرافق الرجال كانت تدفعه من كلا الجانبين . وبدا كما لو كان التقليـــد المتبع هنا هو أن تضع مرفقك على افريز البوفيه ، وتسند راسك على يدك . ولم يستطع كارل أن يدفع ذكرى الدكتور كرامبـــال مدرس اللغة اللاتينية من خيـــاله وكيف كان يكره ذلك الوضع ، وكيف كان يتسحب فى هدوء ويضرب على غير توقع . مرفقك من فوق الدرج مازحا ، بالمسطرة التى كانت تظهر فجاة من حيث لاتدرى.

كان كارل قد انضغط الى حافة افريز البوفيه ، لانه ما كاد يبلغه حتى وضعت مائدة خلفه وظلت احدى القبعات تتحرك خلف ظهره كلما انحنى صاحبها الى الخلف قليلا فى أثناء حديثه . وبدا كذلك ان الامل فى حصوله على اى شيء من هؤلاء الجرسونات كان قد تلاشى ، حتى بعد ان انصرف جاراه الشرســـــان ، وهما يحملان ما طلباه وتمكن كارل مرة أو مرتين من ان يجذب مريلة أحد الجرسونات عبر حاجز البوفيه ، الا ان الجرسون كان يندفع

مخلصا مريلته من بين أصابع كارل فى ضيق . ولم يتوقف واحد منهم ليستمع اليه ، مع أنهم لم يكونوا مشغولين الا بمجرد الاندفاع هنا وهناك، فلو كان أمكن وجود شيء من المأكولات المطلوبة فى متناول يد كارل ، لحمل ما يريده منها ، وسأل عن الثمن ، ثم دفعه وتخلص من ذلك الزحام وهو يتنفس الصعداء لكن لم يكن امامه سوى الاطباق التى تمتلىء بالاسماك الشبيهة بالرنجة بجوانبها القاتمة ، التى تشع بلون ذهبى عند حوافها ، وربما كانت تلك الاطباق مرتفعة الثمن ، مع انها لم تكن لتغنى من جوع وكان أمامه كذلك كثير من زجاجات الروم ، الا انه لم يرغب فى ان يحمل الروم الى صديقيه ، لانهما كانا يتناولان المشروبات الروحية الشديدة كلما واتتهما الفرصة ، ولم تكن عند كارل ادنى رغبة فى تشجيعهما على التمادى فى ذلك .

وهكذا لم يبق امام كارل الا ان يبحث عن مكان آخر يمكنه ان يحصل منه على طلبه ، فعاد ادراجه ثانية ، الا ان الوقت كان قد تقدم بصورة واضحة ، وكانت الساعة المعلقة على الحائط المواجه ، تلك الساعة التى كان على المرء ان يدقق النظر اليها حتى يتبين فى وضوح عقربيها من خلال الدخان المتكاثف ، كانت تشير الى ما بعد التاسعة . الا ان بقية الحاجز الذى امام البوفيه كان اكثر ازدحاما بالزبائن من المكان الذى كان يقف فيه من قبل ، ذلك المكان المنعزل فى ركن الحجرة ، وظلت الحجرة تزدحم اكثر فاكثر كلما تقدم الوقت وظل الزبائن الجدد يتدافعون وهم يشقون طريقهم عبر الباب الرئيسي وتتزايد بازديادهم صيحات التهليل المرتفعة ، وفى اماكن متعددة أخلى بعض الزبائن الافريز الذى امام البوفيه فى جراة ، وجلسوا فوقه وراحوا يتبادلون الشراب ، وقد كان ذلك الافريز الذى جلس فوقه هؤلاء ، هو افضل الاماكن فى تلك الحجرة على الاطلاق فمن فوقه كان يمكنك أن تشمل الحجرة كلها بنظرتك.

وظل كارل يتقدم تحت ضغط الزحام الا ان أمله فى الحصول على أى شيء كان قد تلاشى تماما ، ووجه كارل اللوم الى نفسه ، لانه تطوع باداء هذه المهمة ، دون ان يكون على دراية بالاحوال هنا على الاطلاق ، ولسوف يصرخ صديقاه فى وجهه - ومن حقهما أن يفعلا ذلك - وربما تبادر الى ذهنهما الظن بانه لم يحضر معه شيئا فقط لمجرد الاحتفاظ بنقوده لنفسه ، وكان قد بلغ جانبا من جوانب الحجرة راى فيه اطباقا ممتلئة باللحم الساخن، والبطاطس

المسلوقة تغطي كل الموائد ، وينهمك الزبائن في التهامها ، فلم يفهم كيف تمكن هؤلاء الزبائن من الحصول على تلك الأطباق .

ثم لمح امامه على بعد بضع خطوات سيدة مسنة ، كان يبدو عليها بوضوح انها تتبع هيئة موظفي الفندق ، كانت تلك السيدة تتحدث وتضحك مع احد الزبائن ، وظلت في اثناء حديثها تغرز دبوسا في شعرها ، وقرر كارل في الحال ان يتقدم الى تلك المراة بطلباته ، لانها كانت تقف متميزة كاستثناء وسط الهرج المختلط ، ولانهاكانت هي المراة الوحيدة في الحجرة كلها لسبب بسيط آخر هو انها كانت هي الوحيدة من بين موظفي الفندق التي استطاع كارل ان يصل اليها ، هذا اذا لم تندفع مبتعدة عنه لشئونها الخاصة عند أول كلمة يتوجه بها اليها الا ان العكس تماما هو ما حدث . فما كاد كارل يهم بالحديث اليها بل يحوم حولها فحسب للحظات ، عندما نظرت جانبا ولمحته حتى قطعت حديثها ـ كما يحدث غالبا في خلال مناقشة من المناقشات لتساله في رقة . وفي لغة انجليزية واضحة كوضوح الانجليزية التي في « كتاب القواعد » ان كان يريد شيئا .
قال كارل : « نعم ، في الحقيقة » فلا يمكنني ان أحصل على شيء من اي مكان في هذه الحجرة .
قالت : « اذن تعال معي يابني » ثم ودعت محدثها الذي رفع لها قبعته كدلالة على التادب ، لم تكن معقولة مطلقا في هذه الحجرة ثم اخذت كارل من يده ، ومضت نحو البوفيه فدفعت احد الزبائن جانبا ، ورفعت مصراعا الى اعلى ، وتقدمت بطول ممر خلف البوفيه حيث كان عليهما ان يتفاديا الاصطدام « بالجرسونات » الذين كانوا يندفعون هنا وهناك بلا كلل ، وفتحت بابا مزدوجا كان مخبئا في الحائط ، ادى بهما مباشرة الى مخزن واسع رطب ، وقال كارل لنفسه : « عليك ان ترقب كيف تجري الامور في هذه الاماكن »

وسالته المراة وهي تنحني اليه في حنان : « حسنا ماذا تريد ؟ » كانت غاية في البدانة حتى ان جسدها ارتمش عندما انحنت ، الا ان وجهها كان بالمقارنة الى جسدها رقيق التكوين ، واحس كارل وهو يتطلع الى الانواع التي لا حصر لها من الماكولات التي رصت في عناية فوق الارفف ، والمناضد ، باغراء هذه الاصناف الجديدة يدفعه الى محاولة التفكير في وجبة أخرى يختارها من وحي اللحظة وان يحملها بدلا من طلبه الاصلي ، خاصة أنه قد يحصل عليها بثمن رخيص الى حد ما من تلك السيدة الواسعة النفوذ ، الا انه في

النهاية لم يذكر شيئا سوى لحم الخنزير ، والخبز ، والبيرة ، ولم يمكنه ان يذكر شيئا آخر افضل من هذه الاشياء .

تساءلت المراة ، « الا تريد شيئا آخر ؟ »

فأجابها كارل قائلا : « لا شكرا .. الا اننى اريد كمية تكفى ثلاثة أشخاص »

وعندما سألته المراة عمن يكون الآخران ؟ اخبرها كارل فى كلمات قليلة مختصرة عن رفيقيه واحس بشىء من السرور لتوجيهها بعض الاسئلة اليه .

قالت المراة : « لكن هذا الطعام هو وجبة السجون » كانت تنتظر منه فيما يبدو أن يطلب شيئا آخر ، الا أن كارل الذى أصبح يخشى ان ترفض هذه المراة ثمن الوجبة وان تمنحه اياها كهدية ، ظل صامتا .

قالت المراة : « لن يستغرق اعداد هذا الطلب وقتا طويلا » . وتقدمت نحو احدى المناضد فى نشاط غريب على سيدة فى مثل بدانتها وقطعت بسكين طويل رفيع حاد قطعة كبيرة من لحم الخنزير تمتلىء فى غزارة ببقع الدهن ، وتناولت رغيفا من فوق أحد الرفوف ورفعت ثلاث زجاجات بيرة من الارض ووضعتها جميعا فى سلة خفيفة من القش ناولتها الى كارل ، وأوضحت له بينما كانت تفعل ذلك انها قد احضرته الى هنا لان طعام البوفيه على الرغم من انه طعام دسم بالفعل ، الا انه يفقد طزاجته بسبب الدخان والبخار اللذين تمتلىء بهما الحجرة ، الا ان أى طعام يعد طعاما جيدا بالنسبة لهؤلاء الذين فى الخارج . وقد أصيب كارل بالذهول البالغ عندئذ ، لانه لم يكن يدرى كيف تمكن من ان يحوز مثل تلك المعاملة الخاصة . وفكر فى رفيقيه اللذين لم يكونا ليبلغا هذا المخزن على الاطلاق . على الرغم من كل خبرتهما الامريكية . بل كان عليهما ان يقنعا بطعام البوفيه الذى لا طعم له . لم تكن ضوضاء حجرة الصالون تصل مطلقا الى هنا . وربما كانت الجدران سميكة للغاية حتى تحتفظ تلك الحجرة المقبية بهذه الرطوبة . وكان كارل يمسك الآن بالسلة المصنوعة من القش فى يده . وكانت قد انقضت بضع لحظات . الا انه لم يفكر لا فى الدفع ولا فى الانصراف الا عندما همت المراة بان تضيف الى السلة ـ كهبة ـ زجاجة شبيهة بتلك الزجاجات التى تستقر فوق الموائد فى الخارج . عندئذ تحرك كارل ، وهو يرفضها فى رجفة .

وتساءلت المراة : «هل امامك رحلة طويلة اخرى ابعد من هنا ؟»
فاجابها كارل قائلا : « الى باترفورد » .
فقالت المراة : « لـكن هذه الرحلة رحلة شاقة اخرى عليك ان تقطعها » .
قال كارل : « انها رحلة تستغرق يوما آخر » .
فقالت المراة : « الا تستغرق اكثر من ذلك ؟ » .
قال كارل : « اوه .. لا » .
ورتبت المراة بعض الاشياء فوق المنضدة ، ودخل احد السفرجية وتطلع حوله متسائلا ، فاشارت له الى قصعة هائلة كانت تستقر فوقها كومة عالية من السردين ، وقد نثر فوقه قليل من البقدونس فحملها السفرجى عندئذ الى داخل الصالون بين يديه المرفوعتين.
وتساءلت المراة قائلة : « ولماذا تقضى الليلة فى الهواء الطلق ، لدينا هنا متسع لك ، فتعال واقض الليلة معنا فى الفندق » .
وبدت الفكرة مغرية لـكارل جدا ، وخاصة بعد ان قضى الليلة السابقة مرهقا غاية الارهاق ، فقال فى تردد لـكن فى شىء من الفخر : « ان امتعتى هناك فى الخارج » .
فقالت المراة : « عليك اذن ان تحضرها الى هنا ، فليست عقبة تعوقك عن المجىء » .
فقال كارل : « لـكن ماذا عن رفيقى ، وكان يدرك بالفعل انهما عقبة دون ادنى شك » .
قالت المراة : « يمكنهما ان يقضيا الليلة هنا ايضا ، بالطبع ، فتعال لا تكن متعبا الى هذا الحد » .
قال كارل : « ان صديقى رفيقان لا بأس بهما . انهما الآن ليسا فى غاية النظافة » .

فتساءلت المراة فى تجهم : « الم تلاحظ القذارة فى الصالون ، اننا مستعدون تمام الاستعداد لاسوأ الحالات » .. حسنا ، سوف اخلى ثلاثة اسرة فى الحال ، فقط اخشى الا يوجد مكان الا فوق السطح ، لان الفندق مكتظ بالنزلاء ، ولقد كان على ان انتقل الى حجرة بالسطح انا ايضا ولـكنها على اية حال افضل من قضاء الليلة فى الخارج .
قال كارل : « لا يمكننى ان احضر صديقى هنا ، وتخيل بنفسه الضجة التى سوف يحدثها الرجلان فى ممرات الفندق الفخم ، وسوف يتسبب روبنسون فى تلطيخ كل شىء ، ولن يتردد ديلامارش

فى مماكسة هذه المراة نفسها » .
قالت : « لست ادرى لماذا لا يبدو ذلك ممكنا ، ولكن اذا كنت تصر على ذلك ، فاترك اذن صديقيك ، وتعال بمفردك » .
قال كارل : « لن يحدث ذلك ، انهما صديقاى ولا يمكننى الا ان ارتبط بهما » .
قالت المراة وهى تدير عينيها بعيدا عنه : « انك عنيد جدا ، فمندما يعاملك الناس معاملة طيبة ، ويبدون شيئا من الاهتمام بامرك ، تفعل انت كل ما فى وسعك لكى تعوقهم عن ذلك » .
وادرك كارل ذلك كله ، الا انه لم يجد مخرجا ، وعلى هذا ، فقد قال :
- اشكرك غاية الشكر على كرمك ثم تذكر انه لم يدفع ثمن طلباته ، فسال عن المبلغ الذى عليه ان يدفعه ؟
قالت المراة : « يمكنك ان تدفع لى عندما تعيد الى السلة ، ولا بد ان تعيدها الى فى صباح الغد على الاكثر » .
قال كارل : « اشكرك .. وفتحت له بابا يؤدى مباشرة الى الخارج ، وقالت له وهو يهم بالخروج منحنيا : « طابت ليلتك .. وان كنت لم تفعل ما كان يجب عليك ان تفعله » .. وعندما اصبح على بعد بضع ياردات قليلة ، صاحت خلفه مرة اخرى قائلة : « الى صباح الغد » .
وعندما اصبح فى الشارع سمع مرة اخرى الصخب الشديد الصادر من الصالون ، وكان يختلط الآن بزئير الرياح ، وكان سعيدا لانه لم يخرج عن طريق الصالون المزدحم ، وكانت طوابق الفندق الخمسة مضاءة لحظتها وقد انارت الطريق امام الفندق حتى الجانب الآخر وكانت السيارات تمرق فى الطريق ، وان لم تكن تتتابع فى استدرار الا انها كانت تبدو اسرع منها فى اثناء النهار ، وهى تتحسس طريقها بواسطة الاشعة البيضاء التى تصدر عن مصابيحها الامامية ، تلك المصابيح التى كان ضوؤها يشحب فى المنطقة المضاءة امام الفندق ، لكى تتوهج مرة اخرى عندما تندفع بعيدا فى داخل الظلام .
وجد كارل صديقيه مستغرقين فى النوم ، الا انه كان منشغلا بما هو اهم من ذلك ، وبينما كان يهم لحظتها بوضع الطعام الذى أحضره بصورة مغرية فوق قطعة من الورق ، وبعد كل شىء بصورة كاملة قبل ان يوقظ صديقيه ، لمح فى فزع صندوقه الذى كان قد

تركه مغلقا فى سلام ، مفتوحا وحوله فوق العشب تتناثر حوالى نصف محتوياته .

صاح قائلا : « انهضا ، لقد مر اللصوص من هنا ، وانتما مستغرقان فى النوم ! » .

تساءل ديلامارش : « لماذا ؟ هل فقد شيء ؟ ! » لم يكن روبنسون قد استيقظ تماما ، لكن امتدت يده على الرغم من ذلك الى البيرة !

صاح كارل : « لست ادرى ، الا ان الصندوق مفتوح ، وانه لاهمال بالغ ان تستغرقا فى النوم ، وتتركا الصندوق هنا تحت رحمة من يشاء ! »

وضحك ديلامارش وروبنسون ، و .. قال ديلامارش : « اذن فلا تتغيب طويلا مرة اخرى فى اى مكان ، انها لم تكن سوى خطوة او خطوتين الى الفندق ، ومع ذلك فقد استغرقت منك ثلاث ساعات ، انفقتها لكى تذهب الى الفندق وتعود ثانية ، ولقد كنا جائعين ، وظننا انك ربما كنت تحتفظ بشيء من الطعام فى داخل الصندوق ، ولهذا فقد داعبنا القفل حتى انفتح ، الا اننا لم نجد شيئا بداخله فى النهاية ، ومن السهل اعادة اشيائك الى داخله مرة اخرى » .

قال كارل : « هذا هو الامر اذن ، كان يحدق فى السلة التى افرغت فى الحال ، ويستمع الى الضجة الغريبة التى كان يحدثها روبنسون ، وهو يشرب ، لان البيرة بدت وكانها تغطس الى اسفل حلقه ، ثم تفور الى اعلى مرة اخرى فى صوت كالصفير قبل ان تهبط الى معدته ! »

تساءل عندما هدا الآخران ليلتقطا انفاسهما : « هل نلتما كفايتكما الآن ؟ ! » .

فتساءل ديلامارش : « لماذا .. الم تتناول عشاءك فى الفندق ؟ » كان قد اعتقد ان كارل يطالب بنصيبه من الطعام .

وقال كارل ، وهو يتجه نحو صندوقه : « اذا اردتما المزيد ، فاسرعا اذن ! » .

قال ديلامارش لروبنسون : « يبدو عليه الحنق ! » .

فقال كارل : « لست حانقا ، لكن هل تعتقد انه من الصواب ان تفتحا صندوقى عنوة ، وتطوحا بحاجياتى هنا وهناك فى اثناء غيابى ؟ اننى اعلم ان على المرء ان يتوقع الكثير من اصدقائه .

وكنت قد تهيأت لذلك ، الا ان هذا قد فاق كل ما توقمته وسوف اذهب لقضاء الليلة فى الفندق ولن ارافقكما الى باترفورد ، فافرغا من تناول العشاء بسرعة لاننى يجب ان أرد السلة ! » .

قال ديلامارش : « استمع اليه الآن يا روبنسون ، ان اسلوبه فى الحديث الينا اسلوب رائع ، انه المانى بالفعل ولقد حذرتنى انت منه فى البداية ، الا اننى احمق طيب القلب ، وعلى هذا فقد سمحت له بالحضور معنا رغم ذلك ، لقد منحناه ثقتنا ، وصحبناه معنا طوال النهار ، واضعنا نصف يوم على الاقل بسببه ، والآن ــ لمجرد ان شخصا ما فى الفندق قد خدعه ــ يدير لنا ظهره ، يدير لنا ظهره ببساطة ، لكن لانه المانى كاذب فهو لا يفعل ذلك صراحة ، لكنه يتخذ صندوقه علة ، ولانه المانى خبيث فهو لا يتركنا دون ان يطعننا فى شرفنا ، ويتهمنا باللصوصية ؛ لمجرد اننا لهونا قليلا بصندوقه .

قال كارل ، وهو يعيد اشياءه داخل الصندوق ، دون ان يستدير نحوهما :

ــ كلما تحدثت أكثر ، بدا لى فراقى لكما يسيرا ، اننى اعرف تماما معنى الصداقة ، ولقد كان لى اصدقاء فى أوروبا ايضا ، الا ان احدا منهم لم يحدث أن اتهمنى باننى قد سلكت معه سلوكا زائفا أو حقيرا ، ولست على اتصال باى منهم الآن بالطبع ، لكن لو اتيح لى الرجوع مرة أخرى الى اوروبا فسوف يسرون لرؤيتى ، وسوف يرحبون بى فى الحال كصديق ، اما بالنسبة لكما يا ديلامارش وروبنسون فانا أبدو وكأننى قد خدعتكما ، هل فعلت بعد أن تصرفتما معى بهذا الكرم ــ ولن انسى ذلك ابدا ــ فاصطحبتمانى ، ووعدتمانى بالعمل كصبى فى باترفورد ، الا ان هذا ليس هو الامر بالمرة ، واننى لا انظر اليكما نظرة سيئة لانكما لا تملكان شيئا ، الا انكما تحقدان على الاشياء القليلة التى امتلكها ، وتحاولان ان توجها الى الاهانة بسببها ، ولا يمكننى ان احتمل ذلك . لقد فتحتما صندوقى عنوة ، ولم تقدما كلمة اعتذار واحدة بل انكما توجهان الى الشتائم بدلا من ذلك ، وتسبان جنسى ايضا ، وهذا ببساطة يجعل بقائى معكما مستحيلا ، وعلى الرغم من كل شىء فلا ينطبق عليك هذا الكلام يا روبنسون . فى الحقيقة فلست ألومك على شىء سوى اعتمادك البالغ على ديلامارش

قال ديلامارش : «والآن نراك .. وهو يتقدم نحو كارل» ثم يدفعه

دفعة خفيفة ، كما لو كان يؤكد قصده .. « والآن نراك على حقيقتك لقد ظللت طول اليوم تركض خلفى ، متملقا بذيل معطفى ، وتفعل كل ما افعله ، وظللت صامتا كالفار ، لكن الآن ، لان شخصا ما فى الفندق يؤازرك ، بدات فى استعراض قوتك ، انك مخادع تافه ، ولست واثقا من اننا سنتحمل هذا النوع من الخداع ، لست متأكدا تماما من اننا سنضطرك الى دفع ثمن ما تعلمته من مراقبتك لنا طوال اليوم اننا سنتحمل هذا النوع من الخداع ، اننا نحسده يا روبنسون ، نحسده ـ هذا ما يقوله ـ على ممتلكاته. ان اجر يوم عمل واحد فى باترفورد ـ ولا داعى لذكر كاليفورنيا ـ يتيح لنا أن نحصل على عشرة أضعاف ممتلكاتك الظاهرة لنا حتى الآن ، وتلك التى تخفيها ايضا فى بطانة ذلك المعطف ، فاحفظ لسانك تماما .

ونهض كارل من امام صندوقه ، وراى روبنسون يتقدم نحوه هو أيضا وهو لا يزال تحت تاثير النعاس ، الا انه كان منتعشا قليلا بتاثير البيرة ثم قال : اذا بقيت هنا اكثر من ذلك ، فربما حدث ما سوف يزيدنى دهشة فوق دهشتى ، ويبدو لى انكما تنويان ضربى .

قال روبنسون : « لا يمكن ان يستمر صبر المرء الى الابد » .

فقال كارل دون ان يرفع عينيه عن ديلامارش : « يجب عليك ان تظل بعيدا عن هذا الموضوع ياروبنسون ، فانك فى اعماقك تعلم اننى على حق ، الا انك قد نهضت لتتظاهر بتاييدك لديلامارش».

تساءل ديلامارش : « لعلك تفكر فى ان ترشوه » .

قال كارل : لم يخطر ذلك ببالى ، اننى سعيد لاننى ساتركما ، ولا أريد أن ارتبط اكثر من هذا باى منكما ، ثمة شيء واحد فقط ، أريد ان اقوله لكما وهو أنكما تلومانني لانني امتلك نقودا اخفيها عنكما ، فلنفرض اذن ان ذلك كان صحيحا ، فهل ليس من حقى ان افعل ذلك مع اناس لم اعرفهم الا منذ بضع ساعات قليلة فقط ، واليس السلوك الذى تسلكانه نحوى الآن هو الدليل الواضح على مدى صحة تدبيرى .

قال ديلامارش لروبنسون : «اصمت» على الرغم من ان روبنسون لم يكن قد تحرك ، ثم قال لكارل : « بما انك تستعرض تقديرك للأمانة هذا الاستعراض الزائد ، فلماذا لا تدعم قليلا ايضا هذا التقدير بأن تفتح قلبك لنا على نحو ودى ، وتخبرنا بصراحة لماذا

تريد أن تذهب الى الفندق ؟
وكان على كارل ان يتراجع خطوة نحو الصندوق ، فقد اندفع ديلامارش حتى لاصقه ، ولم يكن ديلامارش ليحيد عن غرضه ، لهذا ركل الصندوق جانبا ، ثم تقدم خطوة اخرى ، ودق قدمه فوق فوطة بيضاء ، كانت ملقاة فوق العشب وردد سؤاله مرة اخرى .
وصعد المرتفع رجل يحمل فى يده بطارية كهربائية قوية الضوء ، وكان ظهوره اجابة مباشرة على سؤال ديلامارش ، كان قادما من ناحية الطريق ، ومتجها نحو الثلاثة . كان الرجل واحدا من سفرجية الفندق، وعندما لمح كارل هتف قائلا: لقد بحثت عنك ما يقرب من نصف الساعة. وقد طفت بكل الاشجار التى على جانبى الطريق ، فقد ارسلتنى المديرة لاقول لك انها تريد السلة التى اعارتك اياها .
قال كارل فى صوت يرتعش من الهياج : ها هى ..

وانتحى ديلامارش وروبنسون جانبا متصنعين الوداعة ، كعادتهما دائما عند ظهور احد الغرباء ذوى المظهر الرقيق ، والتقط السفرجى السلة وقال : « ولقد طلبت منى المديرة ايضا ان أسألك ان كنت قد غيرت رايك ، وترغب فى قضاء الليلة بالفندق ، والسيدان ايضا مسموح لهما أيضا بالمبيت ، اذا رايت ان تصحبهما معك .. ان السرر قد اعدت بالفعل لثلاثتكم ، ان الجو دافىء الليلة بالفعل ، لكن المرء يجب الا يأمن المبيت فى مكان كهذا ، فأنت معرض دائما للثعابين » .
قال كارل : « بما ان المديرة قد تكرمت بهذه الدعوة ، فاننى اقبل دعوتها فى النهاية » ... وانتظر ان يقول رفيقاه شيئا ، الا ان روبنسون ظل واقفا هنالك فى صمت تام ، وكان ديلامارش يتطلع الى النجوم ، ويداه فى جيبى بنطلونه ، وكانا ينتظران أن يصحبهما كارل معه دونما جلبة » .
قال السفرجى : « فى هذه الحالة ، فانه على ان اصحبك الى الفندق بمفردك ، وان احمل امتعتك الى هناك » .

قال كارل : « ارجو ان تنتظر لحظة من فضلك » ، وانحنى كارل ليعيد الاشياء القليلة التى كانت متناثرة فوق العشب ، الى داخل الصندوق .
واعتدل فجاة ، كان يبحث عن الصورة الفوتوغرافية التى كان قد وضعها فوق ملابسه فى داخل الصندوق ، دون ان يعثر لها على

اثر، كل شيء آخر كان موجودا بداخل الصندوق ماعدا تلك الصورة .
قال لديلامارش في توسل : « انني لا اجد الصورة الفوتوغرافية»
وتساءل ديلامارش قائلا : « اى صورة ؟ »
قال كارل : « صورة والدى »
فقال روبنسون : « اننا لم نر صورا بداخل الصندوق مطلقا يا مستر روسمان »
قال كارل : « الا ان هذا مستحيل بالفعل » ، واجتذبت نظراته الضارعة السفرجي فاقترب منه : « لقد كانت فوق السطح ، والآن لا اثر لها ، وارجو الا تكونا قد عبثتما بصندوقى هنا وهناك »
قال ديلامارش : « اننا لم نرتكب اى خطأ ، ولم يكن هناك اى صور في الصندوق »
قال كارل للسفرجي الذى كان يبحث عن الصورة فوق العشب : « لقد كانت أهميتها بالنسبة لى تفوق كل ما عداها ، ذلك لانه لا يمكن تعويضها ، فليس في امكانى ان احصل على صورة اخرى» ، وعندما توقف السفرجي عن البحث اليائس ، اضاف كارل قائلا :

لقد كانت الصورة الوحيدة التى كنت أحملها معى لوالدى »
فقال السفرجي عندئذ في صوت مرتفع ، دون أدنى محاولة لتلطيف الالفاظ :
– وربما أمكننا ان نفتش جيوب هذين السيدين
قال كارل في الحال : « نعم ، لابد لى من العثور على الصورة ؛ لكن قبل تفتيش جيوبهما ، دعنى أقل لهما ، ان من يعيد الى تلك الصورة طائما ، ففي امكانه ان ياخذ صندوقى بكل ما فيه »

وبعد لحظة من الصمت التام ، قال كارل للسفرجي : « يبدو ان صديقى يفضلان تفتيش جيوبهما ، الا اننى ما زلت عند وعدى باعطاء الصندوق بكل ما فيه لمن توجد في جيبه الصورة ، ولا يمكننى ان افعل شيئا اكثر من ذلك »
وشرع السفرجي في تفتيش ديلامارش الذى بدا ان مهمة تفتيشه اصعب من مهمة تفتيش روبنسون ، الذى ترك كارل يفتش جيوبه بنفسه ، قائلا لكارل ، انه يجب أن يتم تفتيشهما في وقت معا ، والا تخلص احدهما من الصورة خلسة ، وما ان وضع كارل يده في جيب روبنسون حتى عثرت أصابعه على تلفيمة تخصه لكنه لم يخرجها ، ونادى على السفرجي قائلا له : « لا تنتزع أى شيء يتصادف ان تجده في جيوب ديلامارش ، بل اتركه له في مكانه ،

فلست أريد سوى الصورة ، الصورة فقط »
ولامست يد كارل وهو يقوم بتفتيش جيب الصدر فى سترة روبنسون ، صدر الرجل المسترخى ، الساخن فانتابته الخشية من أن يكون قد ظلم رفيقيه ، وقد دفعه هذا الخاطر الى أن يسرع فى مهمته ما استطاع . لكن كان ذلك كله عبثا ، فلم يجد أثرا للصورة لا فى جيوب روبنسون ، ولا فى جيوب ديلامارش .
قال السفرجى : « شيء سيىء » .

واجابه كارل قائلا : « لعلهما قد مزقا الصورة والقيا بقصاصاتها بعيدا ، لقد كنت احسبهما صديقين ، الا انهما فى اعماقهما لايريدان لى سوى الشر ، ولا ينطبق شيء من هذا على روبنسون ، فلم يخطر له قط ان تلك الصورة تهمنى الى هذا الحد ، وانما يقع اللوم على ديلامارش »
وكان كارل يرى الآن السفرجى وحده بلمبته التى تضيء دائرة صغيرة أمامهما ، فى حين اختفى ديلامارش وروبنسون وكل شيء آخر خلفهما فى ظلام حالك
ولم يعد هناك مجال لدعوة الرجلين الى الفندق مع كارل

ورفع السفرجى الصندوق فوق كتفه ، والتقط كارل السلة ، وانطلقا فى السير ، وكان كارل قد بلغ الطريق عندما افاق فجاة من أفكاره ، فتوقف ، وصاح فى الظلام : « استمعا الى ، لو كانت الصورة مع احدكما وراى ان يحضرها الى فى الفندق ، فما زال وعدى باعطائه الصندوق قائما أيضا فى هذه الحالة ، واقسم أننى لن أهاجمه اطلاقا »
لم يتلق ردا على ذلك ، فقط كلمة مكتومة كان من الممكن سماعها كانت بداية صيحة كان روبنسون سيطلقها ، الا ان فمه اغلق فى الحال ، أغلقه ديلامارش فيما يبدو ، وانتظر كارل طويلا ، لعل الرجلين اللذين فوق المرتفع يغيران رايهما ، وصاح مرة ، بعد مرة : « اننى ما زلت هنا »
لكنه لم يتلق ردا ، فيما عدا ان حجرا تدحرج الى اسفل لعله لم يكن قد سدد باحكام ..

الفصل الخامس

الفندق الغربي

واقتيد كارل عندما بلغ الفندق الى احد المكاتب ، حيث كانت المديرة تملي خطابا ، وهي تمسك بمفكرة في يدها ، على سكرتيرة شـابة ، كانت تجلس الى آلة كاتبة . وكان الاملاء بالغ الدقة ، والدقات الواثقة الخفيفة تتتابع فوق مفاتيح الآلة الكاتبة التى كانت تتسابق مع دقات الساعة المعلقة فوق الحائط المقابل التى كانت تسمع فقط من حين الى آخر ، بينما عقرباها يشيران الى ما بعد العاشرة والربع .

ـ هذا انت ! قالتها المديرة ، وهي تغلق مفكرتها ، وتقفزت السكرتيرة واقفة ، ووضعت الغطاء فوق الآلة الـكاتبة ، دون ان ترفع عينيها عن كارل في اثناء قيامها بتلك الحركات الآلية . كانت تبدو كتلميذة صغيرة ، وكان معطفها مكويا في عناية ، ومثنيا بالمكواة كذلك عند الـكتفين ، وكان شعرها مكوما ، ومرفوعا الى أعلى ، وكان مما يثير الدهشة الى حد ما ، بعد ملاحظة هذه التفاصيل ، ان ترى جاذبية وجهها ! وبعد ان انحنت للمديرة اولا ، ثم لكارل ، غادرت الحجرة ، والقى كارل نظرة لا ارادية مستفسرة نحو المديرة

قالت المديرة : ان مجيئك شيء رائع في النهاية ، وماذا عن صديقيك ؟

قال كارل : انني لم احضرهما معي !

قالت المديرة ، وكأنها تفسر الامر لنفسها : انهما سيرحلان في الصباح المبكر جدا فيما اعتقد

قال كارل في نفسه : لـكن الا تعتقد ان على أن ارحل مبكرا انا ايضا في تلك الحالة ؟ ولـكي يضع حدا لهذا الالتباس ، قال : لقد افترقنا في ظروف سيئة !

وبدا ذلك للمديرة خبرا سارا ، فقد قالت : اذن فانت حر الآن؟

قال كارل : نعم ، انني حر ! وبدا وكأنه لا يوجد اى شيء آخـر أتفه من حريته تلك

تساءلت المديرة قائلة : قل لي ، الا تحب ان تحصل على وظيفة هنا في الفندق ؟

قال كارل : احب جدا ، الا انني لا اكاد أعرف شيئا ، فانا مثلا ،

لا يمكنني ان استعمل الآلة الكاتبة !
قالت المديرة : لا اهمية لهذا ، فسوف تمطى لك وظيفة صغيرة تبدأ بها حياتك العملية ، وسوف يكون شانك بعد ذلك ان تشق طريقك الى اعلى عن طريق الكد والانتباه ، لكن مهما تكن الاحوال ، فانني اعتقد انه من الخير لك ، ومن الاصوب أن تستقر فى مكان ما ، بدلا من التجول على غير هدى ، كما تفعل الآن ، فلست أعتقد انك قد خلقت لشيء من هذا !

قال كارل فى نفسه : سوف يرضى خالى من هذا ايضا ، واوما موافقا ، وتذكر فى تلك اللحظة نفسها بانه لم يقدم لها نفسه بعد ، على الرغم من ان المديرة قد ابدت مثل هذا الاهتمام بامره ، فقال : ارجو أن تغفرى لى ، لاننى لم أقدم لك نفسى حتى الآن ، ان اسمى هو كارل روسمان !
ـ انك المانى ، الست كذلك ؟
قال كارل : نعم ، لم يمض على وقت طويل فى امريكا !
ـ من اى مكان اتيت الى امريكا ؟
قال كارل : من براغ ، فى بوهيميا !
صاحت المديرة قائلة بالانجليزية فى تحيز بالغ للألمان ، وهى تفرد ذراعيها فى الهواء :
لقد توقعت هذا ، اذن فنحن مواطنان ، فاسمى هو جريتا ميتزلباخ واننى من فيينا ، واعرف براغ جيدا ، فقد عملت نصف عام فى « الاوزة الذهبية » فى ميدان فنسلاوس ، لقد توقعت ذلك بالفعل !
تساءل كارل قائلا : متى كان ذلك ؟ !
ـ منذ سنوات بعيدة ، بعيدة مضت !
قال كارل : لقد هدم مبنى «الاوزة الذهبية» العتيق منذ عامين !
قالت المديرة : حسنا ، حسنا ، وهى مستغرقة تماما فى افكارها عن الايام الماضية ! لكنها فجاة انتعشت ثانية ، فامسكت بكلتا يدى كارل ، وصاحت : والآن وقد ظهر انك مواطن من نفس وطنى ، فليس لك ان ترحل من هنا باى حال من الاحوال ، يجب الا تسىء الى بذلك ، فما رايك مثلا فى ان تعمل كعامل مصعد ؟ فقط قلها تكن قد أصبحت عامل مصعد ، ولو كنت قد اطلعت على شيء من طبيعة هذا البلد ، لتحققت من انه ليس من السهل الحصول على مثل هذه الوظيفة ، فوظيفة عامل مصعد هى افضل

بداية فى الحياة يمكن ان تحلم بها ، فهي تتيح لك الاتصال المباشر بكل ضيوف الفندق ، والناس تراك دائما ، وتمهد اليك بالقيام ببعض المهام الصغيرة ، وباختصار فلديك الفرصة كل يوم لتحسين وضعك ، وسوف أرتب كل شيء بنفسي فاترك الامر لى !

قال كارل ، بعد وقفة قصيرة : احب جدا ان اكون عامل مصعد بالفعل ! كان من الحمق ان يتردد فى قبول وظيفة عامل مصعد ، نظرا لدراسته الثانوية ، فلديه هنا فى امريكا اكثر من سبب يدفعه الى ان يخجل من دراسته الثانوية ، وبالاضافة الى ذلك ، فكارل كان يعجب دائما بعمال المصاعد ، وكان ينظر الى وضعهم باعتباره مجرد زينة !

تساءل بعد ذلك قائلا : الا يتطلب هذا العمل الالمام باللغة ؟ !

ــ انك تتحدث الالمانية ، ولغتك الانجليزية سليمة ، حسنة . وهذا يكفى تماما !

قال كارل ، الذى راى انه من الافضل الا يتجاوز عن هذا العمل الوحيد الذى يدعوه للفخر : لقد تعلمت اللغة الانجليزية فقط فى خلال الشهرين ونصف الشهر التى انقضت على وجودى فى امريكا !

قالت المديرة : ان هذا فى حد ذاته يعد تزكية كافية ! تذكرنى بالصعوبات التى واجهتنى عند بدء تعلمى اللغة الانجليزية ، كان ذلك بالطبع منذ ثلاثين عاما ، ولقد كنت اتحدث عن ذلك بالامس فقط ، ذلك ان الامس كان عيد ميلادى الخمسين ، وحاولت بابتسامة ان تقرأ فى وجه كارل انطباعه عن مثل هذه السن الوقور !

قال كارل : اننى اتمنى لك اذن مزيدا من السعادة !

قالت وهي تهز يد كارل ، وتتطلع فى كآبة الى تلك الجملة الالمانية العتيقة التى جاءت تلقائيا على طرف لسانها : حسنا ، ان السعادة هى دائما النفع ، ثم صاحت فجأة : اننى احتجزك هنا ، ولا بد انك متعب .. ويمكننا ان نتحدث غدا عن كل شيء بصورة افضل ، ان سرورى بلقاء احد مواطنى قد جعلنى انسى كل شيء آخر ، هيا ، سوف أدلك على حجرتك !

قال كارل : أرجو ان تسمحى لى بخدمة اخرى ــ وهو يتطلع الى التليفون الذى يستقر فوق المنضدة ــ من الممكن فى صباح الغد ان يحضر لى صديقاى العابران هذان ، صورة فوتوغرافية احتاجها جدا ، فهل تتفضلين بأن تبلغى البواب تليفونيا بأن يرسل الرجلين

الى ، أو أن يطلبني عندئذ حتى اهبط للقائهما ؟
قالت المديرة : بلا شك ، لـكن ماذا لو سلما الصورة الى البواب؟ وما هي هذه الصورة ، لو كان لى أن أسأل ؟
قال كارل : انها صورة لوالدى ، ولـكنني يجب ان اتحدث بنفسي الى الرجلين !
ولم تجب المديرة بشيء اكثر من ذلك ، وابلغت امرها تليفونيا الى البواب الذى ذكرت له رقم ٥٣٦ ، على انه رقم حجرة كارل !
ثم سارا بعدئذ عبر باب يواجه باب المدخل ، وعبر ممر قصير ، حيث كان صبى مصعد ، صغير السن يستند الى درابزين احـد المصاعد ، مستغرقا فى النوم ! قالت المديرة فى رقة ، وهى ترافق كارل الى داخل أحد المصاعد : قد نفعل ذلك نحن ايضـــا ! ثم اضافت بينما يرتفع بهما المصعد الى اعلى : فيوم عمل يتراوح بين عشر واثنتى عشرة ساعة ، هو بالفعل شيء كثير بالنسبـة لطاقة صبى كهذا ! الا ان امريكا بلد غريب ، ولتاخذ هذا الصبى مثلا ، لقد أتى الى هذا المـكان منذ نصف عام فحسب ، فى رفقة والديه ، وهو ايطالى ، وهو يبدو الآن ، وكأنه لا يتحمل العمل ببساطة ، فعلى وجهه يرتسم الارهاق ، وهو ينام فى أثناء أداء عمله ، مع انه بالطبع صبى مجتهد جدا .. لكن عليك فقط ان تمهله ستة أشهر اخرى ، فسوف تراه قادرا على احتمال عبء العمل فى بساطة ، وسوف يغدو رجلا قويا ، فى خلال خمس سنوات أخرى ، وفى وسعى أن أنفق الســـاعات الطوال فى سرد مثل تلك الحالات ، ولست انت واحدا من هؤلاء ، لانك بالفعل فتى قوى الآن ، فانت فى السابعة عشرة ، اليس كذلك ؟ !

فأجاب كارل : سوف أتم السادسة عشرة فى الشهر القادم !
فقالت المديرة : لم تبلغ السادسة عشرة بعد ايضا ؟ اذن فلست فى حاجة الى أن تخشى شيئا ! وفى اعلى المبنى قادت كارل نحو حجرة كانت تبدو واحدة من غرف السطح ، ذات سطح مائل الا انها كانت تبدو مريحة بالفعل ، وتضيئها لمبتان

قالت المديرة : « لا تدهش للأثاث الذى فى الحجرة ، فليست هذه واحدة من غرف الفنـــدق ، لـكنها احدى غرفى الخاصة ، ولدى ثلاث غرف منها ، وعلى هذا فلن تسبب لى مطلقا اى ازعاج، وسوف أغلق الابواب الداخلية التى توصل هـذه الغرف بعضـها ببعض ، وهكذا يمكنك ان تخلو الى نفسك وغدا ستحصل بالطبع

على غرفة خاصة بك ، كموظف جديد فى الفندق ، فلو كان صديقاك قد جاءا معك ، لكنت قد وضعتكم معا فى الغرفة العلوية الواسعة ، حيث ينام خدم الفنــدق ، لـكن لانك بمفردك ، فاننى ارى من الافضل لك أن تبقى هنا ، على الرغم من انه لا يوجد سوى الاريكة لتستلقى فوقها ، والآن نم فى راحة ، واستجمع نشاطك لعملك ، ولن يكون الغد فى مثل شدة اليوم ، وقسوته ! »

ـ اشكرك شكرا بالغا حقا على عطفك !

قالت وهى تتوقف عند باب الحجرة : « انتظر ، سوف اعمل ترتيبى بحيث لايوقظك احد فى الصباح المبكر ! » واتجهت الى باب جانبى يفتح الى خارج الحجرة ، وطرقته ، صائحة : « تيريز ! »

فأجاب صوت السكرتيرة : « نعم يا مدام ! »

ـ عندما توقظيننى فى الصباح ، فاذهبى الى حجرتى عن طريق الممر ، فثمة ضيف ينام فى هذه الحجرة ، وهو مرهق غاية الارهاق، وابتسمت لـكارل وهى تقول ذلك : « هل تسممين ؟ ! »

ـ نعم يا مدام !

ـ حسنا اذن ، طابت ليلتك !

ـ طابت ليلتك !

قالت المديرة ، وهى تحاول أن تفسر الامر لـكارل : « لقـد عانيت من النوم السيىء لمدة سنوات ، ولى فى وضعى الحالى كل الحق فى أن ارتاح ، ولست احتمل الازعاج فى الحقيقه باية صورة من الصور ، لان كل مخاوفى القديمة لا تزال تنتابنى حتى الآن ، وتحرمنى من النوم ، فلو قدر لى ان استغرق فى نومى فى الساعة الثالثة صباحا ، فاننى اعتبر نفسى سعيدة الحظ ، لـكن لما كان على ان انهض بأعباء عملى فى الخامسة .. او الخامسة والنصف على الاكثر ، فلا بد من ان يوقظنى شخص ما ، ولابد له من ان يحاول ايقاظى فى رفق بالغ ، حتى لا يسبب لى مزيدا من تلف الاعصاب ، فاعصابى تالفة بالفعل غاية التلف .

وهكذا .. فتيريز توقظنى ، الا اننى قـد اخبرتك الآن بالفعل بكل شيء يمكن ان اخبــرك به ، ولم اذهب حتى الآن .. طابت ليلتك ! ومرقت الى خارج الحجرة ، على الرغم من ضخامة حجمها !

وكان كارل يريد أن ينام ، فقد كان مرهقا غاية الارهاق طوال اليوم ، ولم يكن ليتطلع الى مكان مريح لينام فيه ، افضل من هذا المكان ، لم تكن الغرفة غرفة نوم بلا شك ، بل كانت غرفة معيشة

المديرة ، أو حجرة استقبالها على وجه التحديد ، وكان ثمة وعاء للغسيل قد وضع خصيصا من اجل استعمال كارل فى تلك الليلة ، الا انه لم يشعر برغبة فى أن يمس أى شيء من محتويات الحجرة فى تلك الليلة ، كان يتطلع فقط الى شيء من الاحســـاس بوجوده وكان صندوقه هنالك فى انتظاره ، ولا شك انه لم يوضع فى مكان آمن كهذا المكان لمدة طويلة وفوق بوفيه منخفض ذى ادراج ينتشر فوقه غطاء من الصوف كالشبكة كانت تستقر بضـــع صـــور فوتوغرافية فى اطاراتها ، وتوقف كارل أثناء تجوله فى انحاء الحجرة ليتطلع اليها .

كانت صورا قديمة كلها تقريبا لفتيات فى ملابس عتيقة الطراز ، غير مريحة ، وكانت قبعة صغيرة محلاة بتاج تزين فى اهمال رأس كل فتاة من تلك الفتيات ، بينما كانت اليد اليمنى لـكل منهن ، تستند فوق مقبض شمسية ، وكانت تلك الفتيات يواجهن من ينظر الى صورهن الا ان عيونهن لم تكن لتلتقى بعينيه ، وبين صـــور الرجال اصطدمت عينا كارل بصفة خاصة بصورة جندى شـاب كان قد وضع قبعته فوق منضدة ، وكان يقف منتصبا بخصلات شعره الثائر ، الاسود ، ونظرة رضا مكبوتة ، تنم عن عنجهية ، ويبدو ان شخصا اعاد تلوين ازرار ردائه بنقط من طلاء ذهبى . لعل هذه الصور كلها تكون قد جاءت من أوروبا ، وكان من الممكن ان يتأكد كارل من ذلك بالتطلع الى ظهر تلك الصور ، الا انه لم يرغب فى ان يمد يده اليها ، وكان يود لو يضع صـــورة والديه فى الغرفة التى سيشغلها ، على نحو تلك الصور الموضوعة هنا .

وكان كارل قد تمدد فوق الاريكة ، وتأهب للنوم بعد أن اغتسل من قمة رأسه الى أصابع قدميه ، وكان قد فعل ذلك بغاية الهدوء نظرا لوجود الفتاة التى تجاوره فى الغرفة ، عندما خيل اليه انه سمع طرقا خفيفـــا على أحد الابواب ، ولم يستطع أن يكتشف للوهلة الاولى على اى باب من الابواب كانت تلك الطرقات ، ولعلها كانت ضوضاء غير مقصودة ، الا انها قد تكررت فى الحال ، ولم يكن كارل قد استغرق فى النوم عندما تكرر ذلك الطرق فوق الباب وكانت طرقة واضحة الآن بكل تأكيد .. وظهر ان تلك الطرقـــة الاخيرة كانت على الباب المؤدى الى حجرة السكرتيرة ، ومشى كارل على أطراف اصابعه الى الباب ، وتساءل فى رقة بالغة ، حتى اذا كانت الفتاة التى فى الغرفة الاخرى نائمة رغم ذلك الطرق ، فلا

يتسبب فى ان يوقظها من نومها : « هل تريدين شيئا ؟ »
وجاءه الرد فى الحال فى نفس الصوت الخافت البالغ الرقة :
« الا تفتح الباب ؟ » ان المفتاح فى الجانب الذى أمامك !
قال كارل : « بلا شك ، الا اننى يجب ان أرتدى شيـــئا من ملابسى أولا ! »
مضت فترة قصيرة من الصمت ، ثم قالت الفتاة : « لست فى حاجة الى ان تفعل ذلك ، افتح الباب ، ثم عد الى فراشك ثانية ، سوف انتظر قليلا أمام الباب »
ـ حسنا ، قالها كارل ونفذ اقتراح الفتـــاة ، واضـاء النور الـكهربائى كذلك ، ثم قال عندئذ : « اننى فى فراشي الآن ! » ، فى صوت مرتفع الى حد ما . ثم ظهرت السكرتيرة خارجة من ظلام غرفتها فى كامل ثيابها ، كما كانت عندما غادرت مكتب المديرة ، ويبدو انها لم تكن قد فكرت فى النوم !
قالت : « أرجو أن تسمح لى » ، وهى تتهادى بصورة ما أمام أريكة كارل « وارجو الا تذكر شيئا من زيارتى هـذه لك ، ولست أريد انازعجك طويلا ، فاننىأعلم انك مرهقغاية الارهاق ! »
قال كارل : « لست مرهقا الى هذا الحد ، لـكننى أعتقد انه ربما كان من الافضل أن أرتدي شيئا من ملابسى ! » وكان عليه أن يرقد متمددا تماما حتى يمكنه أن يسحب فوقه الغطاء ، حتى عنقه ، لانه لم يكن لديه رداء للنوم !
قالت : « سأبقى لحظة فقط ! » وهى تتطلع حولها باحثة عن مقعد ، ثم أضافت تقول : « هـــل يمكننى أن أجلس بالقرب من الاريكة ؟ ! » وأومأ كارل بالايجاب ، فوضعت مقعدها لصـــق الاريكة ، حتى كان على كارل أن يلتصق بالحائط لـكى يتمكن من رؤية وجهها جيدا . كان لها وجه مستدير ، رقيق التكوين ، فيما عدا ان حاجبيها كانا يبدوان مرتفعين بصورة ملحوظة ، وربما كان ذلك بتأثير تسريحة شعرها التى لم تكن تناسبها ، وكانت ملابسها نظيفة جدا ، ومرتبة ، وكانت تعتصر منديلا فى يدها اليسرى .
وتساءلت : « هل ستمكث هنا طويلا ؟ ! »
فاجابها كارل قائلا : « لم يستقر الراى فى هذا الشان بعد ، لـكننى أعتقد اننى سابقى ! »
قالت : « سيكون هذا رائعا » ، ومرت بمنديلها فوق وجهها ، وذلك لاننى أشعر بالوحدة القاسية هنا !

قال كارل : « ان هذا يدهشنى ، ان المديرة تعطف عليك عطفا زائدا ، أليس كذلك ؟ ! انها لا تعاملك كموظفة مطلقا ، ولقد ظننت بالفعل انك احدى قريباتها ! »
قالت : « اوه .. لا ، ان اسمى هو تيريز بيرشتوند ، وقد أتيت من بوميرانيا ! »

وقدم كارل ايضا نفسه ، وتطلعت اليه مباشرة للمرة الاولى ، وكانه بدا فجاة غريبا اكثر مما كان عندما ذكر لها اسمه . وظلا صامتين لفترة قصيرة ، ثم قالت : « يجب الا تظن اننى ناكرة للجميل ! » ، فلولا المديرة ، لكنت الآن فى حال اسوا كثيرا من حالتي الحاضرة ، ولقد كنت اعمل بين فتيات المطبخ هنا فى الفندق ، وكنت معرضة جدا للفصل من عملى هنا ، لاننى لم أكن احتمل العمل الشاق ، فانهم يتوقعون منك فى المطبخ ان تقوم بمجهودات خارقة ، منذ شهر اغمى على واحدة من فتيات المطبخ ، اغمى عليها ببساطة تحت ضغط الارهاق ، وكان عليها ان تمكث فى المستشفى اسبوعين ، وانا نفسى لست فى صحة جيدة ، ولقد كنت دائمة المرض فى طفولتى ، وكنت بطيئة فى النمو لهذا ، ولعلك لا تتخيل .. هل تتخيل اننى فى الثامنة عشرة ؟ الا اننى ازداد قوة الآن !
قال كارل : « لابد ان العمل هنا شاق بالفعل ، ولقد رايت صبى مصعد فى الطابق الاسفل ينام واقفا فوق قدميه ! »
قالت : « ان عمال المصاعد قد اعتادوا بالفعل على ذلك ! كما انهم يحصلون على مبالغ كبيرة من منح البقشيش ، ومع ذلك فليس عليهم ان يبذلوا جهدا من قبيل الجهد الذى يتطلبه العمل الذى تقوم به فتيات المطبخ . ولقد كنت سعيدة الحظ بالفعل مرة فى حياتى كلها فقد أرسلت المديرة ذات يوم فى طلب فتاة ، لتقوم بترتيب فوط السفرة استعدادا للمادبة ، وكان هناك ما يقرب من خمسين فتاة فى المطبخ وتصادف ان كنت انا التى انطبقت عليها شروط المديرة ، فتم اختيارى ! حسنا .. ولقد قمت بالعمل الذى اسندته الى بصورة حازت رضاها ، فقد كنت ماهرة دائما فى ترتيب فوط السفرة ، وهكذا احتفظت بى الى جانبها منذ ذلك اليوم ، وقامت بتمرينى ، على مراحل ، حتى أصبحت سكرتيرتها ولقد تعلمت منها الكثير !
تساءل كارل : « هل توجد اعمال كتابية كثيرة هنا ! »

واجابته قائلة : « اوه .. توجد اعمال كثيرة جدا أكثر مما يمكنك أن تتصور ، ولقد رأيت بنفسك انني كنت اقوم بعملي حتى الحادية عشرة والنصف هذه الليلة ، وهذا امر عادي جدا ، ولست اكتب بالطبع على الآلة الكاتبة طوال الوقت ، لكنني أقوم أيضا بعديد من المهمات في المدينة ! »

تساءل كارل قائلا : « هل هي مدينة كبيرة ؟ »

فاجابته قائلة : « كبيرة جدا انني لم اتمتع بمشاهدتها كلها ، لكن .. الا تريد الآن بالفعل ان تستغرق في النوم ؟ »

قال كارل : « لا .. لا .. انك لم تذكري لي بعد لماذا جئت لزيارتي الآن ؟ »

ــ لانني لا أجد من اتحدث اليه . انني لا اشكو ، لكن لا يوجد في الحقيقة من يمكنني ان اتحدث اليه ، ويسعدني انني وجدت شخصا ما في النهاية ، شخصا يسمح لي بأن احادثه .. ولقد رأيتك في الصالون ، في الطابق الأسفل .. كنت قد دخلت لحظتها أبحث عن المديرة عندما اصطحبتك الى داخل المخزن » .

قال كارل : « ان ذلك الصالون مكان مزعج ! »

اجابته : « انني لا اراه الا نادرا في هذه الايام ، لكنني أريد فقط ان اقول ان المديرة تعطف علي كما لو كانت امي ، لكن هناك اختلافا هائلا بين وضعينا ، حتى انني لا أستطيع ان اتحدث اليها في شيء من الحرية . ولقد كانت لي صديقات من بين فتيات المطبخ ، غير انهن قد غادرن هذا المكان منذ زمن بعيد ، ولا أكاد اعرف الفتيات الجديدات اللاتي حللن مكانهن وبالاضافة الى ذلك ، فانه غالبا ما يبدو لي العمل الذي اقوم به الآن عملا مرهقا بصورة تفوق عملي السابق في المطبخ ، حتى انني لا اتمكن من القيام به على خير وجه ، كما كنت افعل في عملي السابق ويخيل لي غالبا أيضا ان المديرة تحتفظ بي فقط بدافع الشفقة ، وفوق هذا كله فان هذا العمل يحتاج الى دراسة أفضل من الدراسة التي تلقيتها ولا بد لي من ذلك لكي اصلح كسكرتيرة . من الخطأ ان اصرح بذلك لكنني غالبا ما اشعر بهذا كله . واحسه الى حد يوشك أن يؤدي بي الى فقدان عقلي ، « بحق الاله » واندفعت تتكلم في سرعة وتلمس في حركات خاطفة كتف كارل لانه كان يخفي يديه تحت البطانية .. لا تذكر للمديرة كلمة من هذا ، والا فانني بهذا اكون قد قضي علي ، فلو سببت لها ألما ، بالاضافة الى انشغالها

بامرى ، فسوف يكون ذلك شيئا يزيد عن طاقتها على أن تحتملنى .
فأجابها كارل قائلا : لن اذكر لها بالطبع اى شىء ..
قالت : كل شىء اذن على ما يرام ويجب عليك ان تبقى هنا فسوف اكون فى غاية السرور لو بقيت ، ويمكننا ان نصبح صديقين لو شئت . فعندما رايتك ، احسست بان فى امكانى ان اثق بك ، الا اننى ـ وتأمل الى اى حد ابدو ملعونة ـ كنت خائفة ايضا من ان تجعلك المديرة سكرتيرها بدلا منى ، وتفصلنى . ولقد قضيت وقتا طويلا وانا جالسة الى نفسى فى الحجرة المجاورة ، اقلب الامر من كل وجوهه بينما كنت انت فى مكتب المديرة فى الطابق الاسفل ، حتى انتهيت اخيرا الى انه قد يكون من الخير لك ان تاخذ مكانى ، لانك ستؤدى هذا العمل ، دون شك بكفاءة لا تتوفر لى ، فلو لم ترغب فى القيام بالمهمات التى ترسل بسببها الى المدينة ، فسوف أواصل أنا القيام بهذه الخدمات ، لكننى فيما عدا ذلك ساكون اكثر نفعا بعودتى الى المطبخ خاصة واننى قد اصبحت الآن اقوى مما كنت !..

قال : لقد تقرر كل شىء الآن بالفعل فساكون انا عامل مصعد وسوف تبقين انت فى عملك كسكرتيرة ، لو انك لمحت للمديرة بخططك هذه فسوف اخبرها بما قلته لى الآن واننى آسف مقدما على اننى سأقول لها هذا كله ..

واخافت لهجة كارل تيريز خوفا شديدا ، حتى انها القت نفسها أرضا الى جوار الاريكة ، وهى تبكى وتخفى وجهها فى ملابس نومه.
قال كارل : اوه .. سوف لا اخبرها بشىء ، لكن يجب الا تقولى لها شيئا انت ايضا .

ولم يستطع ان يمنع نفسه الآن من ان يخرج الى حد ما ، من تحت غطائه ويتحسس ذراعها فى رقة ، الا انه لم يلق الكلمات المناسبة التى يمكنه أن يهدئها بها ، امكنه فقط أن يدرك أن حياة هذه الفتاة حياة مريرة ، واخيرا واساها ما استطاع حتى لقد خجلت من بكائها ، وتطلعت اليه فى امتنان ، ونصحته بان يستغرق فى النوم حتى الصباح ، ووعدته ان تاتى اليه فى الساعة الثامنة لتوقظه ان وجدت امامها متسعا من الوقت
قال لها كارل : « انك ماهرة غاية المهارة فى ايقاظ الناس ! »
قالت : « نعم .. يمكننى ان افعل بعض الاشياء ، ومرت بيدها فى رفق فوق ملابس نومه ، وكأنها تصافحه مودعة ، ثم اندفعت نحو حجرتها »

واصر كارل فى اليوم التالى على ان يبدأ عمله فى الحال ، على الرغم من ان المديرة كانت قد اشـــارت عليه بأن يقضى اليوم فى زيارة المدينة فاخبرها فى صراحة انه سيجد أمامه فرصـــا عديدة لرؤيتها فيما بعد الا ان أهم شىء أمامه الآن هو ان يبدأ العمـــل فقد كان قد قطع دراسته فى أوروبا بلا هدف ، وها هو ذا يبدأ الآن مرة أخرى حياته كعامل مصعد فى سن لعل الطموحين من اقرانه ان يكونوا قد أصبحوا فيها مهيئين لعمل اكثر خطورة ، ولقد كان من الخير ، ومن الضرورة له أن يبدأ حياته كعامل مصعد، لـــكن من الضرورى له أيضا ان يتقدم بغاية السرعة فى مثل هـــذه الظروف .. لم يرق له مطلقا ان يتسكع فى شوارع رمسيس ، ولم يقبل أيضا ان يتمشى قليلا مع تيريز عندما اقترحت عليه ذلك ، أنه لم يكن يستطيع ان يطرد من رأسه تلك الفكرة الثابتـــة التى تتلخص فى أنه ربما هبط ان لم يعمـــل بكل قواه الى مستوى ديلامارش وروبنسون .

وعدل ترزى الفندق على مقاس كارل زيا كان لواحد من عمال المصاعد ! وكان زيا مثقلا للغاية بالازرار المذهبة والشرائط الذهبية الا انه جعل كارل يرتجف قليلا عندما ارتداه ، فقد كانت الجاكتة القصيرة ضيقة تحت الذراعين بوجه خاص وجامدة تفوح منها رائحة العرق الذى لا حيلة فى ازالته ، ذلك العرق الذى نضـــح عـــلى الجاكتة من أجساد الصبية العديدين الذين ارتدوها قبله ، وكان لا بد ان تعدل مقاسات الجاكتة حتى تناسب كارل ، وخاصـة بالنسبة للصدر ، لان جاكتة واحدة من الجاكتات الثمانى الاخرى لم تناسب مقاسه .. على الرغم من بعض الاصلاحات الضرورية ، ومع أن رئيس الترزية كان يراجع مقاييس تلك الجاكتة ، ولقد طوحها الى الخلف مرتين داخل المشغل ، بعد ان كانت قد انتهت على ما يبدو ـ ورغم ذلك كله ، تم الاصلاح والتعديل فى نحو خمس دقائق وغادر كارل حجرة الترزى مرتديا ـ بالفعـــل ـ بنطلونا ضيقا يناسبه ، وجاكتة ، كانت محكمة عليه جدا بالرغم من كل التأكيدات القاطعة التى كان رئيس الترزية ينفى بها ذلك فاغرت كارل على الانهماك فى القيام بتمرينات التنفس ، لانه كان يريد ان يطمئن ان كان فى وسعه أن يتنفس بالفعل وهو يرتديها .

ثم اوضح كارل ذلك لرئيس السفرجية ، الذى كان يرأسه ، وهو رجل نحيل وسيم ، له أنف كبير ، ويبدو فى العقد الخامس

من عمره ، ولم يكن لدى رئيس السفرجية وقت لتبادل كلمة واحدة معه ، ودق الجرس ببساطة طالبا احد عمال المصاعد ، الذى تصادف ان كان نفس صبى المصعد الذى رآه كارل بالامس .

ناداه رئيس السفرجية باسمه الاول جياكومو الذى كان كارل قد قضى وقتا حتى يتبينه ، ذلك انه لم يكن يمكن تمييزه فى النطق الانجليزى ووجهت التعليمات الى الصبى بأن يدل كارل على الواجبات التى على عامل المصعد ان يقوم بها الا انه كان صبيا خجولا ومتعجلا حتى ان كارل لم يكن يفهم شيئا من تلك المعلومات القليلة التى كان عليه ان يذكرها له . ولا شك فى ان جياكومو كان مستاء ايضا لانه كان قد نقل من عمله فى المصعد ، بسبب كارل فيما يبدو ، وتعين عليه ان يساعد الفتيات فى ترتيب الحجرات ذلك النقل الذى بدا له تخفيضا فى وضعه وكان يدرك هذا بسبب بعض الخبرات الخاصة التى لم يبح بها رغم ذلك . وكانت خيبة الامل التى اصيب بها كارل هى اكتشافه ان عامل المصعد لاشأن له فيما يتعلق بميكانيكية المصعد لكن عليه فقط ان يحركه بالضغط فوق بعض الازرار ، على حين يقوم ميكانيكيو الفندق باداء كل الاصلاحات التى يحتاج اليها اى مصعد فى حالة تعطله.. فمثلا ، على الرغم من ان جياكومو قد قضى نصف عام فى الخدمة كعامل مصعد فانه لم ير مطلقا بعينيه لا المحرك الموجود فى داخل القبو ولا أجزاء المصعد الداخلية التى تسهم فى حركته ، مع ان ذلك ، كما قال هو نفسه كان سيسره ! وكان العمل فى الحقيقة مملا ونوبات العمل التى تمتد اثنتى عشرة ساعة وتتغير نهارا مرة واخرى ليلا ، تعد نوبات مرهقة جدا ، حتى ان المرء لايمكنه ببساطة تبعا لقول جياكومو ، ان يحتملها اذا لم ينم واقفا على قدميه بضع دقائق من حين لآخر ولم يعقب كارل بشىء على هذا القول الا انه كان يدرك تماما ان هذه الحيلة نفسها هى التى كلفت جياكومو وظيفته .

وكان كارل فى غاية السرور لان المصعد الذى سيعمل به كان مخصصا للأدوار العليا لانه لم يكن عليه ان يتعامل مع الضيوف الاثرياء ، الذين يعدون اكثر الزبائن ارهاقا لعامل المصعد وتشديدا فى أوامرهم ولم يكن له ان يعرف الكثير من المصاعد الاخرى لهذا بدا له هذا العمل طيبا كمجرد بداية .

وادرك بعد انقضاء الاسبوع الاول انه كان كفئا تماما للوظيفة

وكانت اللوحة النحاسية فى مصعده اكثر لمعانا من مثيلاتها فى المصاعد الاخرى ولم يكن يوجد فى اى من المصاعد الثلاثين الاخرى اى شىء يجعله جديرا بان يقارن بمصعد كارل ، وربما بقى المصعد لامعا على الدوام لو ان الصبى الآخر الذى يتناوب معه العمل فيه بذل شيئا من الجهد يقرب مما يبذله كارل من الجهد الخارق دون أن يزداد اهمالا كلما ازداد انتباه كارل الى واجباته. كان ذلك الصبى مواطنا امريكيا يدعى رينيل وهو فتى مغرور ذو عينين سوداوين ، وخدود ناعمة مجوفة الى حد ما ، وكان يرتدى بذلة خاصة جميلة فى الليالى التى كان يخلو فيها من العمل ، عندما كان يهرع الى المدينة متعطرا وكان اكثر من هذا يسال كارل من حين لآخر ان يقوم بعمله امسية من الامسيات متعللا بان عليه ان يذهب الى مكان ما لظرف عائلى دون ان يلقى بالا الى تناقض تلك الحجج التى كان يلفقها مع مظهره المبتهج ، ورغم ذلك فقد احبه كارل ، وكان يسره ان يرى رينيل وهو يقف الى جانب المصعد ببذلته الرائعة قبل ان يغادر الفندق فى احد تلك الامسيات ، وهو يتعلل بالمعاذير مرة اخرى بينما يجذب قفازيه ثم يتسلل خارجا عبر الردهة وبالاضافة الى ذلك فقد رأى كارل انه من الطبيعى له ان يرضى زميلا أكبر منه على هذا النحو فى البداية ولم يكن كارل ينوى ان يجعل ذلك تقليدا ثابتا ذلك ان تحريك المصعد الى أعلى والى أسفل ، كان عملا مرهقا فى ذاته الى حد كاف ، وخاصة فى الامسيات حيث لا يتاح له أن يتوقف لحظة واحدة عن الحركة .

وهكذا تعلم كارل ايضا كيف يؤدى تلك الانحناءة العميقة السريعة التى يتعين على صبية المصاعد ان يؤدوها ، وان يتناول منح البقشيش بغاية الخفة ، فكانت تلك المنح تختفى فورا فى جيب صديريه ، دون ان يتمكن احد من ان يستشف من تعبير وجهه ان كان البقشيش كبيرا او زهيدا وكان يفتح باب المصعد للسيدات فى شىء من الرقة ، ويدخل الى المصعد خلفهن متباطئا لانهن فى عنايتهن بقبعاتهن وملابسهن وزينتهن ، يستغرقن وقتا طويلا فى الحركة ، بخلاف الرجال ، الى داخل المصعد. ويظل فى اثناء تحرك المصعد ، ملتصقا ببابه لانه اكثر الاماكن حيادا ويعطى ظهره الى النزلاء ، ويظل ممسكا فى يده بمقبض الباب لكى يكون مستعدا عند لحظة بلوغ الطابق المطلوب ، لان يفتح الباب على مصراعيه ، على كلا الجانبين دون تعطيل النزلاء او مفاجأتهم ، وما ان يربته

احدهم فوق كتفه ليساله فى اثنـــاء الصعود عن شيء ما ، حتى يستدير اليه فى لباقة كما لو كان يتوقع السؤال ويجيبه فى صوت مرتفع ، وفى أحيان بعد انتهاء حفلات المسرح خاصة ، او وصول احد القطارات السريعة يكون الزحام شديدا ، على الرغم من وجود كل تلك المصاعد العديدة بالفندق فلم يكن كارل يفرغ من توصيل مجموعة من النزلاء الى الطابق الذى يريدونه ، حتى يقفل راجعا مرة اخرى الى هؤلاء الذين ينتظرونه فى الطابق الاســفل ، وكان فى مقدوره بجذب سلك كهربائى كان يمر خلال المصعد ، ان يزيد من سرعة المصعد العادية ، على الرغم من ان ذلك كان ممنـــوعا طبقا للتعليمات ، وكان يعد امرا على جانب كبير من الخطورة كذلك فلم يكن كارل يفعل ذلك عندما يكون المصعد مشغولا بالنزلاء لـكنهم ما ان يغادروه الى الطابق الذى يقصدونه ، وتحين عليه العودة لاحضار عدد من النزلاء الآخرين حتى يجذب كارل ذلك السلك دون ادنى تردد مصعدا تنهيدات قوية منتظمة كالبحارة ، وكان يعلم بالاضافة الى ذلك ان صبية المصاعد الآخرين يفعلون ذلك هم ايضا. ولم يكن يريد ان يلجأ النزلاء الذين ينتظرونه اليهم ، وكان بعض الضيوف الذين يمكثون لفترات طويلة فى الفندق ـ وهى عادة شائعة هنا ـ يقولون فى ابتســـامة ، عنـــدما يلمحونه : انه هو عامل مصعدهم ! وكانت هذه البوادر التى تنم عن المطف تجد قبـــولا رزينا من كارل ، لا يفتقر الى الشعور تجاههم بالعرفان ، وكان يقوم احيانا اذا لم يكن متعجلا غاية العجـــلة كعادته باداء بعض الخدمات الصغيرة ، باحثا عن شيء أو آخر يكون النزيل قد نسيه فى حجرته ، ولا يريد أن يتكلف مشـــقة العودة الى الحجرة مرة اخرى للبحث عنه ، فكان كارل يحلق وحده عاليا بمصعده الذى يبدو مصعده الخاص بالفعل فى تلك الحالات ، ويدخـــل الحجرة الغريبة ، حيث تواجهه أشياء عجيبة لم يكن قد راى شبيها مثلها من قبل متناثرة هنا وهناك أو تتدلى من شماعات الملابس ، ويشم رائحة مميزة لنوع غير مألوف من الصابون أو العطر ، أو معجون الاسنان ، ويسرع بالعودة ، فلا يتباطأ دقيقة واحدة دون داع ، وفى يده الشيء المطلوب مع انه لم يكن قد تلقى ســـوى معلومات غامضة فى العادة لا يمكن ان تحدد على وجـــه الدقة ذلك الشيء المطلوب البحث عنه وكان كارل يأسف فى أحيان كثيرة لانه لم يكن يعهد اليه بقضـــاء خدمات تستغرق وقتا اطول ، من قبل تلك

الخدمات التى كان يعهد بادائها الى مساعدين بمينهم ، أو سعاة مزودين بالدراجات واحيانا بالموتوسيكلات ، وكان أقصى ما كان يكلف به هوعمل من الاعمال البسيطة فى حجرة الطعام أوحجرة القمار.

وبعد انتهاء نوبة عمل تستغرق اثنتى عشرة ساعة ، يفرغ من اداء عمله فى الساعة السادسة مساء لمدة ثلاثة ايام ، وفى السادسة صباحا فى الايام الثلاثة التى تليها ، كان كارل يفرغ من نوبة عمله حينئذ مرهقا غاية الارهاق حتى انه كان يتوجه مباشرة الى فراشه دون ان يلتفت الى اى شخص ، وكان فراشه فى عنبر نوم صبية المصاعد ، وكانت المديرة التى تبين له انها لم تكن تتمتع بكل تلك السلطة التى تخيلها فى ليلته الاولى ، قد حاولت ان تخصص له غرفة مستقلة ، ولعلها كانت لتنجح فى ذلك ، الا انه عندما راى الصعوبات التى واجهت هذه الرغبه .. وراى انه كان عليهـا ان تتصل برئيسه المباشر ـ رئيس السفرجية ـ بصورة متواصلة ، رفض هو ذلك بنفسه واقنعها بصدق نيته فى رفض هذه الغرفة المستقلة قائلا لها انه لايرغب فى اثارة حسد الصبية الآخرين له لحصوله على ميزة لم يحققها بالفعل بمجهوده .

وكان العنبر ينقصه الكثير دون شك ، حتى يصبح مكانا هادئا صالحا للنوم ، فقد كان لكل صبى جدوله الخاص الذى يتضمن مواعيد أكله ، ونومه وتسليته والخدمات الطارئة التى قد يعهد بها اليه فى خلال ساعات راحته الاثنتى عشرة ، وعلى هذا فقد كان المكان يعج دائما بالضجيج فكان البعض ينامون ، والبطاطين تغطى آذانهم محاولين ان يتفادوا الصخب الدائر ، ولو نهض واحد منهم فانما ينهض لكى يصرخ فى غضب محتجا على الضوضاء التى يحدثها الآخرون ، حتى لقد كان النائمون يستيقظون على صراخه مهما كان نومهم عميقا ، وكان لكل صبى تقريبا غليون يستغرق فى تدخينه كنوع من الرفاهية ، وحصل كارل ايضا على غليـون لنفسـه ، وسرعان ما اعتاد على تدخينه . وكان التدخين بالطبع ممنوعا فى وقت العمل ونتيجة لذلك كان كل فرد يمارس التدخين فى عنبر النوم ان لم يكن نائما بالفعل ولهذا كانت سحابة كثيفة من الدخان تحيط بكل فراش وكانت الحجرة كلها تكاد تغرق فى ضباب شامل ومع ان الجميع كانوا قد اتفقوا على اضاءة المصابيح فقط فى احد جانبى العنبر فى اثناء الليل الا ان تنفيذ ذلك كان مستحيلا ، فلو كان لهذا الاقتراح ان ينفذ لكان فى مقدور كل من يرغب فى النوم ،

ان ينام فى هدوء فى جانب العنبر الغارق فى الظلام .. وقد كان العنبر فسيحا يتسع لاربعين فراشا ، بينما يمكن للباقين ان يلعبوا النرد او الورق ، او يفعلـــوا كل ما يحلو لهم من امور أخرى يلزم الضوء لممارستها فى الجانب الآخر المضاء ، وكان على كل من يرغب فى النوم ، على حين يقع فراشه فى دائرة الضـــوء ، أن يستلقى فوق أى فراش شاغر فى نصف العنبر الغارق فى الظلام ، فالاماكن الشاغرة تتوفر دائما ولا يمكن لاحد ان يعترض على أن يستعمل غيره فراشه الخاص بصفة مؤقتة ، لكن كان من المستحيل الالتزام بهذا النظام ، ولو لليلة واحدة ، فقد يصادف ان يدعى اثنان من الصبية الى مكان مظلم ليختطفا لحظات يستغرقان فيهما فى النعاس ، ثم فجأة يشعران بالرغبة فى ان يلعبا دورا من الورق فوق لوح من الخشب يمدانه فى المساحة الخالية بين فراشيهما ، ويفتحان النور القريب منهما بالطبع فيتسبب الضوء فى ايقــاظ النائمين الذين يتصادف ان تتقابل وجوههم مع اشعة ذلك الضوء ،

ويتلوى الواحد منهم بطبيعة الحال مستديرا على جانبه الآخر ليبتعد عن مواجهة الضوء لفترة قصيرة ، لـكنه لا يجد امامه فى نهاية الامر سوى أن ينهض ليشرع بدوره فى لعب الورق مع جاره المرهق ، نيضىء ضوءا آخر ، وينتشر بهذا أيضا تدخين الفليون فى كل مكان ويوجد ــ للحقيقة ــ بعض من يتعمدون النوم هنا وهناك ــ وكان كارل عادة من بين هؤلاء ــ وكان هـــؤلاء يضــطرون الى دفن رءوسهم تحت الوسائد بدلا من أن يضعوها فوق تلك الوسائد ، لـكن من اين للنوم ان يتأتى لاى منهم ، اذا نهض من يشغل الفراش المجاور فى منتصف الليل ، وتأهب للخروج لـكى يعربد فى المدينـــة

بضع ساعات قليلة يختطفها قبل ان يحل موعد عمله فيغسل وجهه محدثا كثيرا من الضجة وينثر الماء حول حوض الغسيل المثبت عند راس كل فراش ، ولا يرتدى فردتى حذائه أيضا الا فى ضجة ، بان يدقهما بقدميه على الارض لـكى يدخل فيهما قدميه جيدا ، وقد كانت اغلب احذية الصبـــية ضيـــقة جدا على الرغم من طرازها الامريكى ، ولـكى يتمكن فى النهاية من استكمال تأهبه للهو ، لا يجد امامه بدا من ان يرفع وسادة من على وجه جاره ، تلك الوسادة التى حاول الجار أن يحتمى بها طويلا حتى يتمكن من النوم منتظرا ان ينهض ذلك الجار لـكى يثور فى وجهه محتجا ، وكان الصبية الذين يغرمون بالالعاب الرياضية ، صبية صـــغار السن ، مفعمين

بالنشاط غالبا ، ويحرصون على الا تفوتهم الفرصة لاداء التمرينات فى مثل ذلك الوقت ايضا فاذا حدث ان نهضت فزعا من نومك فى الليل ، على هدير اصوات صارخة فتأكد من انك ستواجه مباراة كاملة للملاكمة بجانب فراشك على ارضية العنبر بينما يتحلق تلك المباراة جمع من النظارة الخبيرين بقواعد اللعبة جالسين فوق السرر والنور مضاء فى كل مكان .. وقد حدث ذات مرة فى مباراة للملاكمة من تلك المباريات التى تحدث فى منتصف الليل ان وقع احد الملاكمين فوق كارل عندما كان مستغرقا فى النوم وكان اول ما وقعت عليه عينا كارل عندما استيقظ هو نهر من الدم كان يتدفق من انف الصبى فلطخ ــ قبل ان يجد كارل الفرصة ليتلاشى التلوث ــ ملابس كارل واغطية فراشه ، وكان كارل يقضى اغلب ساعات راحته الاثنتى عشرة فى محاولة الاستغراق فى النوم .. وكان يجد نفسه معرضا لاغراء شديد فى مشاركة الآخرين فى استمتاعهم العميق بوقتهم ، لكن كان يشغل باله عندئذ أن هؤلاء الآخرين قد تمكنوا فى حياتهم العملية من ان يبلغوا حدا لم يبلغه بعد ، وان عليه

لهذا ان يلحق بهم عن طريق العمل الشاق والانصراف عن اللهو بقدر الامكان .. ومع هذا فعلى الرغم من شوقه وحاجته الملحة الى ان يحصل على كفايته من النوم لانهماكه فى العمل بكل قواه الا انه لم يلجأ الى الشكوى للمديرة ولا لتيريز عن تلك الاحوال التى تجرى فى عنبر النوم فى الوقت المخصص للراحة . ذلك ان الآخرين كانوا يعانون جميعهم من تلك الاوضاع دون ان يتذمروا منها بالفعل وبالاضافة الى ذلك فقد راى كارل ان صعوبة الحصول على الراحة فى عنبر النوم كانت جزءا من الوظيفة التى قبلها شاكرا عندما عرضتها المديرة عليه .

وقد حدث منذ اسبوع ، عند تغير نوبة عمله ، من النوبة النهارية ، الى النوبة الليلية ان حصل على فترة راحة لمدة اربع وعشرين ساعة ، قضى جانبا منها فى زيارة المديرة مرة أو مرتين ، وفى تبادل بضع كلمات قلائل مع تيريز فى ركن او آخر كالعادة ، او فى الردهة ، ونادرا ما كان يتحدث اليها ــ فى الحقيقة ــ فى داخل غرفتها ، كلما التقى بها بعد فراغها من عملها لدقيقة أو دقيقتين . وقد رافقها فى احيان اخرى كذلك الى المدينة ، حيث كانت تقوم باداء بعض المهام بها ، وكانت تلك المهمات تتم دائما فى اسرع ما يمكن من الوقت ، فكانا يندفعان الى اقرب محطة من محطات

الانفاق ، فى خطوات متعجلة تقارب الجرى ، وكان كارل يحمل السلة ، وكانت رحلة القطار تنتهى فى لحظة ، وكان القطار يندفع بهما فى الفراغ ، فسرعان ما يغادرانه ، ويصعدان السلالم جريا فى الجانب الآخر من المحطة دون ان ينتظرا المصعد ، الذى كان يعد بطيئا جدا بالقياس الى تعجلهما ، ثم تظهر الميادين الفسيحة التى تتفرع منها الشوارع ، فيبدو الميدان اشبه بالنجمة ، بالشوارع التى تتفرع عنه ، وتصلهما ضجة المرور المتدفقة على الفور من كل جانب ، بلا توقف ، الا ان كارل وتيريز كانا يلتصقان ببعضهما ويسرعان الخطا نحو المكاتب المختلفة ، ومحلات الغسيل والكى ، ومخازن البضائع ، والمحال التجارية لينجزا المهمات التى لم يكن فى الامكان طلبها بسهولة بالتليفون ، وغالبا ما تكون عبارة عن مشتريات بسيطة ، أو مجرد تقديم شكاوى عارضة ، وسرعان ما لاحظت تيريز ان معونة كارل ، كانت معونة لايستهان بها بالفعل وانها كانت تسهل مهمتها فى أحيان كثيرة ، ففى صحبته لم تكن تضطر الى الانتظار طويلا ، حتى يلتفت اليها البائعون المنهمكون فى العمل ، كما كان يحدث لها قبل ذلك ، لان كارل كان يتجه مباشرة نحو طاولة البيع ويدق فوقها بقبضته حتى يأتى اليه اى شخص ، فيتوجه اليه بالطلبات ، فى انجليزيته التى لم يتمكن منها بعد ، والتى كانت تتسم لهذا بالحذلقة الى حد ما ، فكان يسهل تمييزها وسط مائة لهجة اخرى ، كان يلوح عبر حواجز عالية من البشر ، ويتقدم دون تردد نحو الاشخاص الذين قد ينسحبون فى غطرسة الى اركان المحال الواسعة مبتعدين عنه ، فكان يتعقبهم . ولم يكن يفعل هذا كله بدافع الغرور ، ولا لعدم تقديره للمصاعب ، بل لانه كان يشعر بانه فى وضع مرموق يمنحه بعض الامتيازات ، فلم يكن « الفندق الغربى » زبونا يستهان به ، وكانت تيريز فوق هذا ، فى اشد الحاجة الى المعونة على الرغم من خبرتها بهذه الاعمال .

كانت تقول له غالبا ، فى سعادة ، عند عودتهما من مهمة ناجحة نجاحا ملحوظا : « يجب عليك دائما ان تأتى معى ! »

وكان كارل قد دخل حجرة تيريز ، خلال فترة الشهر والنصف التى انقضت على وجوده فى رمسيس ، ثلاث مرات فقط ، فى زيارات طويلة ، كانت تستغرق كل منها بضع ساعات . وقد كانت حجرة تيريز اصغر بالطبع من حجرات المديرة ، وكانت محتوياتها القليلة مكومة حول النافذة ، لكن كارل كان قد استطاع

ان يتذر مزايا العزلة ، فى حجرة هادئة خاصة ، حق قدرها ، بعد خبرته بعنبر النوم ، ومع انه لم يعلن ذلك ، فقد لاحظت تيريز الى اى حد كان يحب البقاء فى داخل حجرتها . ولم تكن تكتم عنه شيئا من اسرارها ، ولم يكن من السهل عليها فى الحقيقة ان تطلعه على شيء من اسرارها عند زيارته لها فى الليلة الاولى . كانت طفلة غير شرعية ، وكان والدها ملاحظ عمال البناء ، قد ارسل فى طلبها هى وامها من بوميرانيا . وبدا وكان كل واجب والدها قد انتهى عند هذا الحد ، او كما لو كان التقاؤه بالمراة المنهمكة بالعمل ، والطفلة العليلة فى الميناء قد خيبا كل توقعاته ، فقد رحل الى كندا بعد فترة قصيرة من وصولهما الى امريكا دون ادنى تفسير لرحيله ، ولم تتلقيا خطابا منه ، ولا امكنهما ان تتصلا به بصورة من الصور ، ولم يكن ذلك يثير شيئا من الدهشة ، فى الحقيقة ، لانهما كانتا قد ضاعتا ، ولم يعد من السهل العثور على مقرهما وسط مساكن الحي الشرقى من نيويورك .

وفى احدى المناسبات روت تيريز لكارل ــ الذى كان يقف الى النافذة بجوارها ، يتطلع الى الشارع تحتهما ــ قصة موت امها ، وكيف كانتا تهرولان هى وامها ذات ليلة شتوية ــ ولابد انها كانت فى الخامسة من عمرها عندئذ ــ خلال الشوارع ، وكل منهما تحمل صرة فى يدها ، باحثتين عن ماوى تقضيان فيه ليلتهما ، وكيف امسكت امها بيدها فى البداية ــ فقد كانت عاصفة ثلجية قد هبت ، ولم يكن من السهل التقدم فى السير ، حتى تخدرت يد تيريز ، ثم تركتها امها دون مبالاة بما قد يحدث لها ، حتى لقد تشبثت الطفلة بذيل رداء امها . وكانت تيريز تتعثر دائما ، بل لقد كانت تسقط على الارض ، الا ان امها كانت تبدو وكأنها قد غابت عن الوعي ، وتابعت سيرها دون ان تتوقف ، واية قسوة تلك التى تواجهها فى نهاية الامر ، خلال شوارع نيويورك المستقيمة فى اثناء تلك العواصف الثلجية ! لم يكن لكارل عهد بالشتاء فى نيويورك ، فلو سرت فى عكس اتجاه الريح ، التى تظل تدوم وتدوم ، فلن يمكنك مطلقا ان تفتح عينيك ولو للحظة ، فالريح تسوط وجهك بالثلوج طوال الوقت ، وتظل تسير ، وتسير ، الا انك لا تتمكن من ان تتقدم خطوة واحدة الى الامام ، كانت تلك الرياح تدفعك الى الياس ، وتتميز الطفلة بالطبع عن المراة ، ففى امكان الطفلة ان تنحنى تحت الريح ، وتنفذ من خلالها ، ولعلها

تجد شيئا من السرور فى تلك المقـاومة ، ولهذا فلم تكن تيريز تدرك حقيقة حال امها فى تلك الليلة ، وهى تعتقد الآن اعتقـادا راسخا ، بانها لو كانت قد سلـكت سلوكا اكثر تعقلا تجاه أمها ـ لقد كانت بالطبع مجرد طفلة صغيرة جدا ـ فلعل أمها لم تكن تلقى مثل تلك الميتة البائسة . لم تكن امها قد عثرت على اى عمل خلال يومين ، وكانت قد انفقت آخر ما معها من نقود ، وامضيا اليوم فى العراء دون ان تتبلغا بشىء ، ولم تكن الصرتان اللتـان تحملانهما تحتويان على شىء سوى بضع نفايات لا نفع فيها ، ولم تجرؤا على القائهما ربما تحت تاثير بعض الاوهام عن احتمـال نفعهما . وكان لدى امها امل العثور على عمل فى الصباح التالى ، فى بناء جديد ، الا ان والدة تيريز كانت تخشى ـ كما حاولت أن تشير الى ذلك طوال النهار ـ من انها قد لا تتمكن من أن تفيـد من تلك الفرصة ، لانها كانت تحس بالانهاك الشديد ، ولانها كانت قد تقيات فى ذلك الصباح نفسه كمية كبيرة من الدم فى الشارع ، أثارت فزع المارة ، وكانت تأمل فقط فى ان تبلغ مكانا يتاح لها فيه شىء من الدفء والراحة ، وكان من المستحيل فى تلك الليلة بالذات ان تجدا ركنا فى اى مكان . وفى احيان لم يكن البواب يسـمح لهما بالدخول الى مدخل اى منزل ، حيث تحتميان الى حـد ما من شدة البرد ، على الاقل ، لـكنهما لو اسـتطاعتا ان تغافلا البواب ، فقد كانتا تمرقان حينذاك خلال ردهات ثلجية ، مرهقة ، وتصعدان درجات لا حصر لها ، وتدوران حول شرفات ضيقة ، تطل على افنية ، وتطرقان الابواب عبثا ، ولم تواتهما الجراة لحظة واحدة فى التحدث الى اى شخص ، ثم كانتا فى احيان اخرى تلحان فى التوسل الى كل من تلتقيان به ، وجلست امها مرة او مرتين ، فاقدة التنفس فوق احدى درجات السلالم المنعزلة الصـامتة ، وجذبت تيريز التى راحت تتمنع ، الى صدرها ، وقبلتها فى عنف مؤلم ، على شفتيها ، وعندما تحققت تيريز فيما بعد ، من ان تلك القبلات ، كانت هى آخر قبلات امها لها ، دهشت جدا من غبائها البالغ حتى انها لم تتمكن من ان تدرك ذلك فى حينـه ، على الرغم من انها لم تكن فى ذلك الوقت سوى مخلوقة صـغيرة للغاية . وانفتحت بعض الابواب التى مرا بها ، لـكى يخرج منهـا ضباب مكبوت ، وفى البخار المشبع بالدخان الذى كان يملأ تلك الحجرات ، كما لو كانت تحترق ، لم يمكنهما أن تتحققا من وجود

شيء ، سوى مجرد شبح يلوح فى الطرقة ، لم يشجعهما على ان تتوقعا شيئا من الضيافة فى داخل المكان ، لا بصمته البليد ، ولا بغمغمته المقتضبة . وعندما تتأمل تيريز الماضى ، تذكر ان امها كانت تبحث فقط فى الساعات الاولى من تلك الليلة عن مأوى بالفعل ، لانها لم تتحدث بعد منتصف الليل الى احد مطلقا ، مع انها كانت لا تزال تقف على قدميها ، لم توجه حتى مجرد كلمة مقتضبة الى اى مخلوق ، حتى الفجر ، ومع ان كل تلك المساكن لم تغلق ابوابها طوال الليل ، وكانت خطوات الناس لا تكاد تنقطع الا انها لم تكن تقوى على مواجهتهم ، ولم تكونا تسيران مسرعتين من مكان الى مكان ، الا انهما كانتا تتحركان بآخر ما فى وسع قواهما الواهنة ان تسمحا به ، بنوع من الزحف المتثاقل فى حقيقة الامر . ولم يسع تيريز ان تحدد ان كانا قد طافا بنحو عشرين مسكنا منذ منتصف الليل حتى الساعة الخامسة صباحا ، أم الثانية ، ام الواحدة فقط بعد منتصف الليل ، كانت ردهات تلك المساكن تتسع ، وتتسع فى خبث ، ويبدو من الصعب ان يجد المرء طريقه عبر تلك المساحات الخاوية ، وكم بدا لهما انهما كانتا تزحفان المرة بعد المرة خلال الردهة نفسها التى لم تكن تتغير ، وكأنهما لم تنتقلا من منزل الى منزل آخر . ولا تكاد تذكر تيريز ، سوى ذكرى غامضة ، خروجهما من باب ذلك المنزل الذى طافا بردهاته بلا نهاية ، فقط لمجرد ان تقفلا راجعتين ، او هكذا بدت لها نتيجة طوافهما ، حتى بلغا الشارع ، وغابا فيه ثانية . وكان ذلك بالطبع عذابا لا معنى له بالنسبة لطفلة مثلها ، فان تسحبها أمها أحيانا ، وتتشبث هى فى أحيان اخرى بذيل رداء امها ، دون كلمة تشجيع واحدة ، كان يبدو لها امرا محيرا ، وفى حيرتها تلك ، كان التفسير الوحيد الذى كان يسعها ان تتوصل اليه ، هو ان امها تريد ان تهرب منها ، ولهذا فان تيريز خوفا على نفسها شددت قبضتها على ذيل رداء امها باحدى يديها ، فلم تتركه ، حتى عندما كانت امها تمسك بيدها الاخرى .

وكانت تنخرط فى البكاء من حين لآخر ، لانها لم تكن تريد ان تتركها امها وحيدة وسط هؤلاء الناس الذين كانت خطاهم تتردد فوق درجات السلالم امامهما ، أو الناس الذين كانوا يأتون خلفهما ، أو هؤلاء الذين يختفون فى منحنى السلم أسفلهما ، أو هؤلاء الناس الذين يتشاجرون فى الردهات ، امام أحد الابواب ، ويدفعون

بعضهم بعضا الى داخله ، والرجال السكارى كانوا يتجولون كذلك حول المكان ، وهم يرفعون عقيرتهم بالغناء فى كآبة ، وكانت امها محظوظة وهى تنسل وتيريز فى يدها من بين اذرعهم الممدودة التى كانت تكاد تسد الطريق . وفى مثل تلك الساعة المتاخرة من الليل ، عندما لا يلقى احد انتباها بالفا الى اى شىء ، وعندما يصبح تشديد كل امرىء على حقوقه امرا لا يستحق العناء ، كان يمكنهما دون شك أن تجدا لنفسيهما مكانا فى أحد الفنادق الرخيصة الشائعة التى يديرها أصحابها ، والتى كانا قد مرا بالعديد منها ، الا ان تيريز لم تكن تدرك ذلك ، وكانت امها أبعد ما تكون عن التفكير فى الراحة ، ووجدهما الصباح ، مستندتين ، فى فجر يوم شتوى صحو ، الى جدار احد المنازل ، وربما كانتا قد استغرقتا فى النوم لفترة قصيرة فى مكانهما ، وربما كانتا تحملقان حولهما بعيون مفتوحة ، واتضح ان تيريز كانت قد فقدت صرتها ، وراحت امها تضربها عقابا لها على اهمالها ، الا ان تيريز لم تسمع ، ولم تحس باية صفعة من تلك الصفعات التى تلقتها ، ثم سارتا مرة أخرى فى طريقهما فى الشوارع التى كانت قد بدات تستيقظ ، وكانت أم تيريز تسير بجوار الحائط ، وعبرتا احدى القناطر ، حيث ظلت كف أمها تمسح الصقيع من فوق الدرابزين ، وتوجهتا ، فى النهاية ــ وقتها واجهت تيريز ذلك كامر واقع ، الا انها الآن لايمكنها أن تفهمه ــ الى نفس المبنى الذى كان يتعين على امها أن تتوجه اليه فى ذلك الصباح . ولم تخبرها أمها بما اذا كان عليها ان تنتظرها ، أو ان عليها أن تمضى الى حيث تشاء ، واعتبرت تيريز ذلك امرا بالانتظار ، لان ذلك هو ما فضلت ان تفعله ، وهكذا جلست فوق كومة من الطوب ، وراحت تتطلع حولها بينما كانت أمها تفك صرتها ، وتأخذ منها قطعة زاهية من القماش ، شدتها حول ثوبها الذى قضت فيه ليلتها ، وكان الارهاق قد نال من تيريز حتى انها لم تستطع ان تعاون امها . ودون ان تدلى أمها لملاحظ عمال البناء باسمها ، كالعادة ، ودون ان تستفسر من أحد عن أى شىء : شرعت تصعد السلم ، كما لو كانت بالفعل تعلم العمل الذى يتعين عليها ان تقوم بادائه . ودهشت تيريز لذلك ، لان حاملة المونة تعمل عادة على الارض ، تخلط الجير ، وتحمل الطوب ، وتقوم ببعض الاعمال المتواضعة الاخرى . ولهذا فقد ظنت تيريز ان امها سوف تضطلع اليوم باداء نوع مختلف من العمل يعود عليها بأجر أكبر ، فابتسمت

لها وهي تغالب نعاسها !

لم يكن البنـــاء قد ارتفع كثيرا ، كان قد بلغ الطابق الاول فوق الارض فحسب ، ولهذا فقد كانت السقالة المرتفعة التي ترتفع الى باقى الهيكل ، لا تزال بدون تلك العوارض الخشبية التى تشدها الى بعضها البعض، وكانت ترتفع عاليا نحو السماء الزرقاء . وعندما بلغت أمها قمة الحائط ، دارت بمهارة حول البنائين الذين راحوا فى بلادة يضعون الطوبة فوق الطوبة ، فلم يلقوا بالا اليها لسبب غير مفهوم ، وبأصابع رقيقة تحسست طريقها بحذر بطول حاجز خشبى كان يستعمل كدرابزين ، وكانت تيريز مندهشة ، وهى تغالب نومها أسفل البناء ، لتلك المهارة ، وتهيأ لها ان أمهـا كانت ترمقها فى عطف ، لـكن امها كانت قد بلغت الآن فى أثناء سيرها كومة صغيرة من الطوب ، كان الحاجز ينتهى خلفها ، ويبـدو أن الحائط كان ينتهى أيضا بعدها ، الا انها لم تتوقف عند ذلك الحد ، بل سارت فى طريقها لا تلوى على شىء ، حتى تجاوزت كومة الطوب ، ويبدو ان مهارتها قد زايلتها بعد ذلك ، لانها أسقطت تلك الـكومة من الطوب ، وسقطت خلفها الى الارض ، وسيل من قوالب الطوب فى اعقابها ، ثم بعد لحظات قليلة ، انفصلت كتلة كثيفة من الخشب من مكان ما ، وتهاوت فوقها الى الارض ، وكان آخر ما تذكره تيريز عن أمها هى رؤيتها لها وهى ممددة هنالك فى ردائها الذى شدت فوقه تلك الخرقة ، ذلك الرداء الذى كانت قد أتت به من بوميرنيا ، وكانت ســاقاها منفرجتان على اتساعهما فى رقدتها ، تغطيهما تقريبا تلك الـكتلة الخشبية الثقيلة التى كانت قد سقطت فوق الجزء الاعلى من جسمها ، بينما هرع الناس مسرعين من كل صوب ، وصاح رجل فى غضب ، من فوق قمة الحائط .

كان الوقت متاخرا عندما فرغت تيريز من قصتها . وكانت قد روتها بفيض من التفاصيـــل ، على غير عادتها ، وخصـــوصا فى بعض أجزائها القليلة الاهمية ، كما فعلت عند وصفها لاعمـدة السقالة وكل منهــا ترتفع على حدة نحو السـماء ، وكانت تضطر الى ان تتوقف من آن لآخر ، بينما تترقرق الدموع فى عينيها ، كانت ادق تفاصيل احداث ذلك الصباح لا تزال ماثلة فى ذاكرتها فى قوة بعد مرور اكثر من عشر سنوات ، ولان رؤيتها لوالدتها فوق حائط المنزل غير الـكامل ، كانت هى آخر ذكرى حية لها ، فقد ارادت ان تستحضرها بغاية ما يمكنها من الوضوح أمام صديقها ،

وحاولت ان تعود اليها بعد ان فرغت من قصتها ، لكن صوتها تهدج بعد ذلك ، ودفنت وجهها بين راحتيها،ولم تتفوه بكلمة اخرى

وكانت أمامهما ساعات مرحة كذلك فى حجرة تيريز ، فقد راى كارل عند زيارته الاولى لها ، كتابا مدرسيا فى المعاملات التجارية ملقى بداخل الحجرة ، فسالها ان تعيره اياه ، واتفقا فى الوقت نفسه ايضا على أن يقوم كارل بحل التمرينات الواردة بالكتاب ، ثم يحضرها الى تيريز ، التى كانت قد درستها بالفعل من خلال ما املته عليها احتياجات عملها ، لتقوم بتصحيحها . وكان كارل يستلقى فى فراشه بعنبر النوم ، ليالى بطولها ، وقد وضع قطعتين من القطن فى اذنيه ، وراح يتقلب بين الحين والآخر متخذا كل ما يمكن تصوره من الاوضاع التى قد توفر له الراحة فى استلقائه فوق الفراش ، ليقرأ فى الكتاب ، ويكتب حلول التمرينات فى سرعة ، فى مفكرة صغيرة ، بقلم حبر كانت المديرة قد اعطته له . كتشجيع على قيامه بعمله بانتظام ، وقيامه كذلك بكتابة قائمة جرد طويلة منسقة كلفته بكتابتها ، وقد استطاع ان يستفيد من اغلب المضايقات المذهلة التى كان يسببها له الصبية الآخرون ، ذلك بان راح يسالهم دائما عن تذليل بعض الصعوبات الصغيرة التى كانت تواجهه فى استعمال اللغة الانجليزية ، حتى تعبوا من أسئلته وتركوه فى سلام وغالبا ما كانت الدهشة تنتابه ، وهو يرى ان الآخرين . قد قنعوا بحظهم الحاضر من الحياة ، وانهم لا يشعرون بأن وضعهم هذا يجب ان يكون وضعا مؤقتا ، وانهم كانوا لايستطيعون كذلك ان يدركوا معنى الحاجة الى اتخاذ قرار حاسم بشأن مستقبلهم ، وعلى الرغم من ان كارل كان قدوة لهم ، فى هذا كله ، الا انهم لم يقرءوا شيئا مطلقا فيما عدا بضع نسخ قذرة ، وبالية ، من الروايات البوليسية ، كانت تنتقل من فراش الى فراش .

وفى لقاءاتهما كانت تيريز تقوم بتصحيح تمرينات كارل ، وربما بشيء من العناء ايضا ، وكانت تقوم بينهما خلافات فى الراى ، فكان كارل يستشهد بآراء استاذه العظيم الذى كان كارل يدرس على يديه فى نيويورك لتدعيم رأيه ، الا أن آراء هذا السيد لم تلق من اهتمام تيريز اكثر مما كان يلقاه من اهتمامها اختراعات صبية المصاعد – الذين كان كارل يستعين بهم – فى قواعد اللغة . ولهذا كانت تتناول القلم الحبر من يد كارل وتشطب الفقرات التى كانت مقتنعة بخطئها . لكن كارل كان فى مثل تلك الحالات التى تحتمل

الشك ، لانه لم يكن له ان يعرض الامر على سلطة اعلى من تيريز ، يشطب لمجرد الاحتياط الخطوط التى كانت تخطها تيريز فى مفكرته ، على نقيض ما كتبه هو ، وكانت المديرة تظهر احيـــانا ، وتعطى قرارها فى المشكلة لصالح تيريز ، لـكن ذلك لم يكن ليحسم الخلاف بما ان تيريز كانت سكرتيرتها . وكانت تيريز تصدر مع ذلك فى الوقت نفســه عفوا عاما ، ذلك لان الشاي كان قد حان موعد اعداده ، كما يكون قد تم ايضا الارسال فى طلب الـكمك ، ويلح كارل على ان يقص حكايات عن أوروبا كانت المديرة تقاطعه كثيرا فى أثنائها ، فتظل تستفسر ، وتندهش ، حتى لقـــد تحقق كارل من مدى التغيير الشامل الذى طرأ على أوروبا فى وقت قصير نسبيا ، ومدى التغيير الذى لعله ان يكون قد حدث منذ رحيله هو عن أوروبا ، والتغيير الذى سوف يستمر دائما .

وربما كان كارل قد امضى نحو شهر فى رمسيس ، عندما قال له رينيل ذات ليلة وهو يمر به ، ان رجلا يدعى ديلامارش قـــد استوقفه امام الفندق ، وساله عن كارل ، ولما لم يكن ثمة سبب يدعوه الى الامتناع عن التصريح له بالحقيقة ، فقد اجابه رينيل فى صدق ان كارل يعمل صبى مصعد ، وان كانت لديه آمال فى تحسين وضعه كثيرا ، الى الاحسن ، بسبب الاهتمام الذى تبديه المديرة نحوه ، ولاحظ كارل الاهتمام الذى ابداه ديلامارش نحو رينيل ، لانه كان قد دعاه بالفعل الى تناول الطعام فى تلك الليلة .

فقال كارل : « لست اريد أن أعرف ديلامارش اكثر من ذلك ، ومن الافضل لك ان تحترس منه انت أيضا ! »

قال رينيل ، وهو يتمطى : « انا ؟ » ، ثم اسرع مبتعدا .

كان رينيل أحسن الصبية مظهرا ، فى الفندق ، وكان يشاع بين الصبية الآخرين ـ مع ان احدا لم يعرف من الذى بدا بسرد تلك القصة ـ ان سيدة كانت قد اقامت بالفندق فترة من الوقت ، كانت قد قبلته فى المصعد ، وهذا هو فقط الشىء الذى اتضح امره على الاقل حتى الآن ، بين السيدة وبين رينيل ، وكان الذين يعلمون بتلك الاشاعة يجدون لذة كبرى فى التطلع الى تلك السيدة المتحررة وهى تمر بخطواتها الهادئة ، الخفيفة ، ونقابها الرقيق ، وجسدها المحبوك فى ردائها الدانتيل ، ذلك ان مظهـــرها الخارجى لم يكن يشير أقل اشارة ، الى ان هذا التصرف من الممكن ان يصدر عنها .

وكانت تلك السيدة قد اقامت فى الطابق الاول ، الذى لم يكن

يخدمه مصعد رينيل ، الا ان المرء لم يكن يسمه بالطبع ان يمنع النزلاء من دخول اي مصعد آخر ، اذا كان مصعدهم مشغولا فى تلك الاثناء ، وعلى هذا فمن حين لآخر كان يحدث ان تستعمل تلك السيدة مصعد كارل ورينيل ، لكن فقط عندما يكون رينيل فى نوبة عمله ، وربما كان ذلك قد حدث مصادفة ، الا ان احدا لم يصدق ذلك ، وعندما تحرك المصعد بهما ، حدثت فتنة بين صبية المصاعد لم يسمهم ان يضبطوا فيها جماح انفسهم ، وكان من الضرورى ان يتدخل رئيس السفرجية ، وقد فعل ، ذات مرة ، واخيرا سواء كانت السيدة ، او الاشاعة هى السبب ، فقد بقيت الحقيقة الواقعة وهى ان رينيل كان قد تغير ، فأصبح اكثر ثقة بنفسه ، وترك تلميع المصعد كلية لكارل الذى كان ينتظر فقط حتى تتاح له الفرصة المناسبة لسماع تفسير جذرى لهذه النقطة ، ولم يعد من الممكن رؤية رينيل فى عنبر النوم ، لم يحدث ان هجر اى صبى آخر مجتمع صبية المصاعد بهذه الصورة ، لانهم كانوا بصفة خاصة ـ فيما يختص بالعمل على الاقل ـ يتكاتفون تماما مع بعضهم البعض، وكانت لهم جمعيةخاصة بهم كانت ترعاها ادارة الفندق

ومض كل هذا فى ذهن كارل ، فى نفس الوقت ، مختلطا ببعض الافكار التى تدور حول ديلامارش ، الا انه مضى فى عمله كالمعتاد . وعند منتصف الليل ، كانت تنتظره مفاجاة صغيرة ، فقد احضرت له تيريز ، التى كانت تدهشه دائما بهداياها الصغيرة ، تفاحة كبيرة ، وقالبا من الشيكولاتة ! تحدثا معا للحظات ، وهما منتبهان الى رحلات المصعد التى كانت تقطع حديثهما من حين لآخر ، ثم تحدثا عن ديلامارش ، وادرك كارل انه لابد ان يكون قد خضع لتأثير تيريز حقا ، عندما انتهى كما انتهت من الحديث عنه الى انه

رجل خطير ، لان هذا كان هو رايها فى ديلامارش ، بعد أن سمعت ما ذكره لها كارل . وكان كارل يعتقد انه كان مجرد انسان عديم التدبير ، قد سمح لعزيمته أن تنهار أمام النحس الذى واجهه ، ومن السهل عليه أن ينقذ نفسه من هذا الوضع . الا ان تيريز عارضته فى عنف ، وأصرت ، بعد أن القت عليه خطبة طويلة ، على أن يعدها بألا يتحدث الى ديلامارش مرة أخرى . وبدلا من ان يعدها راح كارل يجادلها ، طالبا منها ان تذهب الى فراشها ، فقد جاوز الوقت منتصف الليل ، وعندما رفضت هددها بأن يترك عمله ، ويأخذها الى حجرتها ، وعندما أبدت استعدادها

أخيرا للذهاب ، قال : « لماذا تزعجين نفسك الى هذا الحد ، دون داع يا تيريز ؟ وعلى اية حال فانني على استعداد لان اعدك بالا اتحدث الى ديلامارش ، ما لم يصعب على، ان اتجنب ذلك ، ان كان وعدي هذا يساعدك على ان تنامي مرتاحة البال ! »

ثم وصل حشد من النزلاء ، وكان الصبي الذي يعمل بالمصعد المجاور قد دعي للقيام بمهمة اخرى ، فاصبح على كارل ان يعمل بالمصعدين معا ، وتذمر بعض النزلاء لتعطيلهم ، وربت سيد كان يرافق احدى السيدات ، بالفعل على كتف كارل ، بعصاء التي يتوكأ عليها ، في رقة ، يطلب منه الاسراع ! تنبيه لم يكن ثمة ما يدعو اليه بالمرة ! ولم يكن يضير هؤلاء النزلاء مطلقا ، اذا وجدوا مصعدهم معطلا ، ان يتوجهوا مباشرة الى مصعد كارل ، الا انهم بدلا من ذلك ، اندفعوا الى المصعد الآخر ، وتوقفوا امامه . وقد امسك احدهم بمقبض الباب ، وفي احيان كانوا يدخلون المصعد مباشرة ، وهو تصرف كان صبية المصاعد ممنوعون من السماح به لأحد ، صراحة ، طبقا للتعليمات ، ومهما كانت الظروف .

وهكذا كان على كارل ان يندفع من هذا المصعد الى ذاك ، حتى اجهد غاية الاجهاد . دون ان يتبادر الى ذهنه ، انه قد قام بالفعل باكثر من واجبه ، وطلب منه فوق هذا كله ، في حوالي الساعة الثالثة صباحا ، حمال عجوز كانت قد ربطته به صداقة وطيدة ، ان يؤدي له مساعدة بسيطة ، الا ان كارل لم يتمكن من تلبية طلبه ، لان النزلاء كانوا يقفون امام كلا المصعدين ، وكان ذلك يتطلب منه بديهة سريعة لكي يقرر في الحال اي المجموعتين يبدا بها اولا . ولهذا ارتاح كارل عند عودة الصبي الآخر ، وصاح في وجهه ، موجها اليه بضع كلمات يلومه بها على غيابه طوال تلك الفترة ، على الرغم من انه ، ربما لا يكون مسئولا عن ذلك التاخير

وجاءت فترة من الهدوء بعد الساعة الرابعة صباحا ، كان كارل في اشد الحاجة اليها ، فاستند مجهدا الى الدرابزين بجوار مصعده ، وراح يقضم التفاحة متأنيا ، وفاحت منها رائحة قوية عندما قضمها ، وراح يحدق امامه الى مدخل غارق في الضوء ، تحيطه نوافذ المخازن المرتفعة ، التي كانت تتدلى خلفها كميات هائلة من الموز كانت تسطع في خفوت وسط الظلام .

مرض روبنسون

لم ربت شخص ما على كتفه ، فدس كارل التفاحة مسرعا فى جيبه ، وقد ظن انه لا بد بالطبع نزيل من نزلاء الفندق ، وهرول الى المصعد ، دون ان ينظر الى الرجل .

قال الرجل : « مساء الخير يامستر روسمان ، اننى روبنسون !»

فقال كارل وهو يهز راسه : « ولكنك تبدو مختلفا تمام الاختلاف ! »

قال روبنسون ، وهو يتامل ملابسه ، التى كانت تتالف من قطع مختلفة ، قد تبدو كل منها ، فاخرة للغاية فى حد ذاتها ، لكنها كانت غاية فى التنافر مع بعضها البعض ، حتى لقد بدت رثة بالفعل ، وكان أول ما يسترعى الانتباه صديرية بيضاء ، كانت تستعمل للمرة الاولى فى وضوح ، وكانت محلاة باربعة جيوب صغيرة ذات حروف سوداء ، حاول روبنسون ان يلفت اليها انتباه كارل بأن نفخ صدره : « نعم .. لقد تحسنت حالى ! »

فقال كارل ، وهو يتذكر عندئذ بدلته البسيطة الجيدة ، التى ربما كان يبدو بها على قدم المساواة مع رينيل ، تلك البدلة التى باعها صديقاه اللئيمان : « لكن ملابسك هذه ملابس غالية » .

فأجابه روبنسون قائلا : « نعم ، اننى اشترى لنفسى شيئا تقريبا كل يوم ، ما رايك فى الصديرية ؟ ! »

قال كارل : « انها جيدة جدا ! »

فقال روبنسون : « الا ان هذه الجيوب ، ليست جيوبا حقيقية لقد صنعت فقط لتبدو كذلك ! » ، وتناول يد كارل ، وأدناها من جيوبه لكى يتفحصها بنفسه ، الا ان كارل تراجع من فوره ، ذلك ان رائحة لا تطاق ، هى رائحة البراندى ، كانت تنبعث من فم روبنسون .

قال كارل ، وهو يتراجع الى الدرابزين : « لقد بدات تشرب ثانية ! »

فقال روبنسون : « لا ، اننى لا افرط فى الشراب ! » ، ثم اضاف قائلا فى لهجة اخرى ، تناقض حالة انبساطه السابقة :

« واى شيء آخر يمكن ان يفعله المرء فى هذه الدنيا ؟ ! » ، وقطعت حديثهما رحلة للمصعد ، وما كاد كارل يعود ثانية الى الطابق الاسفل، حتى تقدم نحوه عامل تليفون يطلب منـــه ان يبحث عن طبـــيب الفندق ، لان سيدة فى الطابق السابع قد اغمى عليهـــا ، وخلال قيامه بهذه المهمة ، تمنى كارل فى نفســه ان يختفى روبنسون قبل عودته ، لانه لم يكن يحب ان يراه احد معه ، وعندما تذكر تحذير تيريز ، لم يرغب فى ان يتصـــل به ديلامارش أيضـــا ، الا ان روبنسون كان فى انتظاره ، بجمود الرجل الذى افرط فى الشراب ، ومر فى تلك اللحظة احد كبار موظفى الفندق ، وكان يرتدى الفراك ، والقبعة العالية ، الا انه لم يلتفت لحسن الحظ ، على ما يبدو الى ذلك الدخيل .

قال روبنسون ، وهو يغمز لـكارل فى اغراء : « الا ترغب فى زيارتنا يا روسمان ؟ اننا نحيا حياة راقية الآن ! »

فتساءل كارل قائلا : « هل هذه الدعوة موجهة الى منك ، أو من ديلامارش ؟ ! »

قال روبنسون : « منى ومن ديلامارش ، من كلينا معا ! »

ــ اذن دعنى اقل لك ، ويمكنك ان تنقل هذا الى ديلامارش ، ان ما بيننا ان لم يكن قد اتضح لك هذا حتى الآن ، قد انتهى ولقد سببتما لى ضررا لم يسببه لى غيركما من قبل ، فهل عزمتما على الا تتركانى فى سلام ، حتى الآن ؟ !

قال روبنسون مشمئزا ، وقد ترقرقت فى عينيه دموع سريعة : « ولـكننا صديقاك ، وقد طلب منى ديلامارش ان اخبرك بأنه يترك لك حرية القبول أو الرفض ، اننا نعيش الآن مع برونيلدا ، وهى مغنية فاتنة ، وعند ذكر اسمها ، شرع فى الغناء فى صوت راعش مرتفع ، الا ان كارل أسكته فى الحال ، هامســا : « اغلق فمك على الفور ، الا تدرى أين أنت ؟ ! »

فقال روبنسون فزعا غاية الفزع لغنائه بذلك الصوت المرتفع :

ــ روسمان ، اننى صديقك ، اننى صديقك بالفعل ، فقل لى ما تشاء . ولـكنك تشغل الآن تلك الوظيفة المتـــازة هنا ، فهل يمكنك ان تقرضنى شيئا من النقود ؟ !

قال كارل : «سوف تشرب بها فقط ، ولماذا ؟ ، اننى ارى زجاجة براندى فى جيبك ، ولابد انك كنت تشرب منها عندما ذهبت أنا ، فقد كنت فى تمام وعيك قبلها ! »

فقال روبنسون : « اننى اشرب فقط حتى يمنحنى الشراب شيئا من العزم عندما اكون مكلفا بمشوار خارج البيت ! »

فقال كارل : « حسنا ، لن اهتم بامرك اكثر من هذا ! »

فقال روبنسون وهو يفتح عينيه على اتساعهما : « لكن ماذا عن النقود ؟ ! »

قال كارل متسائلا ، وهو يضع يده فى جيب صديريته ، لانه كان قد قرر ان يضحى بما جمعه من البقشيش فى تلك الليلة : « اظن ان ديلامارش قد كلفك بأن تعود اليه بالنقود ؟ حسنا ، ساعطيك شيئا منها ، لكن فقط بشرط ان تنصرف فى الحال ، والا تعود ثانية الى هنا ، فلو اردت ان تتصل بى ، فيمكنك ان ترسل لى خطابا ، « كارل روسمان ، عامل مصعد ، الفندق الغربى » ، وسيصلنى حتما ، الا اننى اخبرك مرة اخرى ، بأنه لا يجب عليك أن تأتى مطلقا الى هنا للبحث عنى ، فهذا مكان عملى ، ولا وقت لدى هنا للزوار ، حسنا ، هل تقبل النقود بتك الشروط ؟ ! »

واطرق روبنسون فقط ، ردا على ذلك التساؤل الذى وجهه اليه كارل ، وهو يتنفس فى جهد ، فلم يفهم كارل معنى اطراقته تلك ، فعاد يسأله : « نعم ، أم لا ؟ ! »

عندئذ اومأ روبنسون اليه ، طالبا منه ان يقترب ، وهمس اليه وهو يتلوى بصورة تدل على حقيقة حالته : « روسمان ، اننى اشعر بوطأة المرض الشديد ! »

فصاح كارل : « يا للشيطان ! » ، وسحبه بكلتا يديه الى درابزين السلم ، واندفع سيل من القىء من فم روبنسون الى الارض ، وفى اللحظات التى كان يتمالك فيها نفسه ، كان يمد يده باحثا عن كارل فى ضعف ، وتخبط !

وكان يقول عندئذ : « انك فتى طيب القلب ! » او « لقد توقف الآن ! » ، ولم يكن يقصد بهذا مرضه ، رغم ذلك ، او يقول : « الخنازير ، اى نوع من الخمر هذا الذى صبوه فى جوفى ؟ ! » ، ولم يكن كارل يطيل البقاء الى جانبه لحيرته ، واشمئزازه ايضا ، فراح يذرع المكان ذهابا وجيئة ، من الممكن الا يرى احد روبنسون لو بقى هنا فى ذلك الركن بجوار المصعد ، لكن ماذا يحدث لو تصادف ورآه احدهم ، واحد من هؤلاء النزلاء الاثرياء الصحابين ، الذين يتأهبون دائما للشكوى كلما وقعت عيونهم على اى موظف من موظفى الفندق ، فيثور هذا ، ناقما فى

ثورة غضبه على كل شيء ، وماذا لو رآه أحد مفتشى الفنادق ، الذين يتغيرون دائما ، ولا يكاد يتعرف عليهم لهذا سوى أعضاء هيئة ادارة الفندق ، حتى ان المرء قد اعتاد أن يشتبه فى اى شخص يتلفت حوله ، ويحسبه مفتشا من مفتشى الفنادق ، مع انه قد لا يكون سوى مجرد شخص مصاب بقصر النظر ؟ وقد يتصادف ان يمر أحد السفرجية الذين فى الطابق الارضى ، فى طريقه الى المخازن ليحضر شيئا ـ ذلك ان البوفيه يعمل طوال الليل ـ فتصدمه رؤية ذلك الخليط المقزز فوق أرضية المدخل ، فيتصل بكارل تليفونيا ليسأله : « بحق الاله » عما حدث ! فهل يسع كارل ان ينكر معرفته بروبنسون فى تلك الحالة ؟ ولو استطاع أن ينكر معرفته به ، فهل يمكن الا يكون روبنسون من الغباء والانهيار ، بحيث لا يتعلق بخناق كارل بدلا من ان يعتذر ؟ وهل من الممكن الا ينتهى ذلك بفصل كارل من عمله فى الحال ؟ بما انه كعامل مصعد ، ليس سوى شخص بسيط لا يؤبه به ، لانه اقل هيئة موظفى الفندق الضخمة كلها شأنا ، واسهلهم جميعا استبدالا بغيره ، فهل يحتمل وضع كوضعه ، ان يسمح لاحد أصدقائه بأن يلوث الفندق ؟ بالاضافة الى ان هذا قد ينتج عنه ايضا هرب الزبائن ؟ فهل يمكن التسامح مع صبى مصعد له مثل هذا الصديق ؟ ويسمح له فوق ذلك بزيارته بالفعل فى وقت عمله ؟ الا يبدو صبى مصعد على هذه الصورة ، سكيرا هو نفسه ، وربما أسوأ من ذلك ؟ وقد لا يبدو اى افتراض آخر معقولا ، كان يظنوا انه يتخم أصدقاءه بطعام الفندق حتى لا يتمكنوا من ان يمنعوا انفسهم من التقيؤ ، كما فعل روبنسون فى كل انحاء الفندق البالغ النظافة ؟ وكيف يمكن ان يحصر صبى كهذا نفسه فى حدود سرقة الطعام والشراب ، طالما أن فرص السرقة تتوفر له بالفعل بغير حد ، نظرا لاهمال النزلاء البالغ ، فالدواليب تظل مفتوحة فى كل مكان ، والاشياء الثمينة تتناثر فوق المناضد ، وعلب المجوهرات تبقى مفتوحة ، والمفاتيح تلقى حيثما اتفق ؟

وعند ذلك أحس كارل على البعد بخطوات عدد من النزلاء يصعدون درجات مشرب البيرة فى القبو ، حيث انتهت لحظتها حفلة من حفلات المنوعات ، فتوقف بجوار مصعده ، ولم يجرؤ على ان يتطلع نحو روبنسون ، خوفا مما قد يراه .

وقد ارتاح كارل قليلا ، عندما لم يسمع صوتا ، ولا حتى نأمة

من الناحية التى كان يقبع فيهـا روبنسـون ، فخف الى خدمة النزلاء ، وراح يصعد ، ويهبط فى مصمده ، الا انه لم يتمكن من أن يتخلص من شروده ، وكان يتهيأ ، عندما كان يهبط بمصمده الى الطابق الارضى ، فى كل مرة ، لمواجهة كارثة مفاجئة .
واتسع لديه الوقت فى النهاية ، للعناية بروبنسون الذى كان قد خر على ركبتيه فى وضاعة ، فى ذلك الركن ، وقد اكب بوجهه فوق ركبتيه ، وكان قد دفع قبعته المستديرة الجامدة الى مؤخرة راسه
قال له كارل فى لين ، لكن بشىء من الحزم : « يجب ان تذهب الآن بالفعل ، وها هى النقود ، فلو أسرعت ، فيمكننى ان اجد بعضا من الوقت لكى أدلك على أقصر طريق للخروج من هنا ! »
فقال روبنسون وهو يمسح جبهته بمنديل صـغير : « اننى لا اقوى على الحركة مطلقاً ، وسوف اقضى نحبى هنا ، فلا يمكنك ان تتصور مدى ما اشعر به من المرض ، لقد صحبنى ديلامارش الى جميع أوكار الشراب الفاخرة التى يرتادها ، الا اننى لا اكاد اطيق ذلك الشراب الذى يقدمونه هنالك ، ولقـد قلت له ذلك مرارا ! »
قال كارل : « حسنا ، لايمكنك ببساطة ان تبقى هنا ، تذكر اين انت ، ولو اكتشف احد وجودك هنا ، فسـوف تواجهنى المتاعب ، وسوف أفقد عملى ، فهل تريد لى ذلك ؟ ! »
قال روبنسـون : « لا أقوى على النهوض فوق قدمى ، وسوف ازحف الى هذا المكان على أية حال ! » ، وأشار بيده الى المكان الخالى بين درابزين السلم ، وبئر المصعد : « سوف أبقى هنالك بقدر ما يمكننى ان ابقى فى حالتى هذه ، يمكننى أن احتمل البقاء فى هذا المكان ، الا اننى لا أقوى على النهوض ، ولقد حاولت أن انهض عندما صعدت بنزلائك ! »
فقال كارل وهو يجذب ساقى روبنسون قليلا ، لان روبنسون كان يبدو معرضا لخطر الاستغراق فى النوم العميق فى اية لحظة : « اذن فسوف ابحث عن تاكسى ليقلك الى المستشفى ! » ، فشرع روبنسون فى البكاء ، عندما سمع كلمة « المستشفى » التى بدت وكأنها قد أثارت فى نفسه مخاوف رهيبة ، ورفع ذراعيـه نحو كارل ، وكأنه يسترحمه .
فقال كارل ، وهو يضرب يدى روبنسون الممـدودتين نحوه : « اهدأ ! » ، وأسرع نحو الصبى الذى كان قد قام بعمله فى

تلك الليلة ، ورجاه ان يحل محله لفترة قصـــيرة بدوره ، وعاد مسرعا الى روبنسون الذى كان لا يزال ينشـــج بالبكاء ، ورفعه بعنف على قدميه ، وهمس فى اذنه قائلا : « روبنسون ، لو اردتنى ان اساعدك ، فيجب عليك ان تتماسك ، وتحاول ان تسير بمفردك فى توازن ، لمسافة قصيرة ، سوف اصحبك الى فراشى ، حيث يمكنك ان تبقى الى ان تشعر بالتحسن ، ولسوف تدهش للسرعة التى سوف تشفى بها ، لـكن عليك ان تتمقل الآن بالفعـل ، لان الناس يتجولون فى الممرات ، كما ان فراشى يوجـد فى عنبر كبير للنوم ، فلو اثرت انتباه هؤلاء الناس ، فلن اتمكن عندئذ من ان افعل لك شيئا آخر ، كما اننى لايمكننى ان احملك فوق كتفى ، ولو بدا عليك انك تشرف على الموت ! »

قال روبنسون : « سافعل كل ما تطلبـــه منى ، الا انك لن تتمكن من ان تسندنى وحدك ، فهلا اســـتدعيت رينيل ايضـــا ليعاونك ؟ »

قال كارل : « رينيل غير موجود ! »

فقال روبنسون : « نعم ، بالطبع ، ان رينيل الآن مع ديلامارش وقد ارسلنى كلاهما اليك ، لقد اختـــلط على الامر تماما ! » ، وراح كارل يدفعه فى اثناء انشغال روبنسون بهذا الحديث ، وغيره من احاديثه غير المفهومة التى كان يحدث بها نفســه ، الى الامام ، وتمكن من ان يبلغ به احد الاركان فى سلام ، ومن ذلك الركن كان يبدأ ممر خافت الاضاءة ، يؤدى الى عنبر نوم صبيـــة المصـــاعد ، وهرع احد الصبية مسرعا نحوهما ، وتجاوزهما باقصى سرعتـــه لحظتها ، وكان كارل وروبنسون قد اشتبكا فى بضـــع مشاجرات بسيطة حتى الآن ، وكان الوقت عنـــدئذ بين الرابعة والخامسة صباحا هو اشد الاوقات هدوءا ، وادرك كارل انه ان لم يتخلص من روبنسون الآن ، فلن يكون امامه مطلقا ادنى امل فى التخلص منه فى الصباح الباكر ، بعد أن تبدأ نوبة عمل النهار .

وفى اقصى نهاية عنبر النوم ، كانت معركة هائلة ، او تسلية من نوع ما ، قد قامت على قدم وساق ، وكان يمكن سماع التصفيق ، ودقات الاقدام المتهيجة ، وصيحات التشجيع ، وفى الجانب الآخر من العنبر ، ناحية الباب ، كان عدد قليل جدا من الصبية المستغرقين فى النوم فى اسرتهم ، وكان اغلب الصبيـــة الباقين يستلقون فوق ظهورهم ، يحدقون فى السقف ، بينما كان هنا وهناك ، صـــبى

يرتدى ملابسه ، او صبى يخلعها ، حيثما اتفق ، او يقفز احد الصبية المستيقظين من فراشه ليتطلع عن قرب الى ما كان يجرى فى الجانب الآخر من العنبر. وهكذا تمكن كارل من ان يقود روبنسون الذى كان قد تعود الآن على السير ، حتى بلغا فراش رينيل دون ان يلفتا اليهما الانظار ، فقد كان الفراش قريبا جدا من الباب ، وكان خاليا لحسن الحظ ، اما فراش كارل ، كما تبينه كارل من على البعد ، فقد كان يشغله صبى غريب لا يعرفه ، قد استغرق فى النوم فى هدوء ، وما ان احس روبنسون بالفراش تحته حتى تأهب للنوم فى الحال ، وتدلت احدى ساقيه خارج الفراش .

وسحب كارل البطاطين حتى غطى بها وجه روبنسون تماما ، وظن انه ليس بحاجة الى ان يخشى شيئا الآن ، لان الرجل لم يكن ليستيقظ قبل السادسة ، على الاقل ، وسيكون هو بنفسه هنا وقتها ، وربما امكنه بمساعدة رينيل ان يجد وسيلة من الوسائل لتهريبه الى خارج الفندق . لم تكن السلطة العليا فى الفندق تقوم بأى تفتيش على عنبر النوم الا فى حالات نادرة ، وكان صبية المصاعد قد نجحوا منذ سنوات عديدة فى الغاء التفتيش النظامى الذى كان يحدث قبلها ، وهكذا فلم يكن ثمة ما يدعو الى الخوف من هذه الناحية .

وعندما عاد كارل الى مصعده ثانية ، تبين ان مصعده ، والمصعد الذى يجاوره كانا قد اختفيا فى اعلى الفندق ، فانتظر فى رجفة حتى يتضح الامر ، ووصل مصعده الى الطابق الارضى اولا ، وخرج منه الصبى الذى كان قد مرق بجانبه فى الممر منذ فترة قصيرة .

قال له متسائلا : « انت ، اين كنت يا روسمان ؟ لماذا تركت مصعدك ؟ ولماذا لم تبلغ عن غيابك ؟ ! »

قال كارل وهو يشير الى الصبى الذى يعمل بالمصعد المجاور ، والذى كان قد وصل لتوه : « لقد طلبت منه أن يعمل بمصعدى للحظات ، ولقد فعلت ذلك بدلا منه لمدة ساعتين كاملتين ، عندما كانت حركة النزلاء على أشدها ! »

فقال الصبى المقصود بهذا الكلام : « كل هذا لا باس به ، الا انه خطأ ، الا تعلم انه يجب عليك ان تبلغ عن غيابك عن مكان عملك مهما قصر ، الى مكتب رئيس السفرجية ، لقد وضع التليفون هناك من اجل ذلك ، ولقد كان يسرنى ان أقوم بعملك ، لكنك تعلم أنت نفسك ان الامر لم يكن بهذه السهولة ، فقد كان هنا جمع

من النزلاء الجدد ، وصلوا بقطار الرابعة والنصف السريع ، وكانوا يقفون امام كلا المصعدين ، ولم استطع ان استعمل مصعدك اولا واترك من يقفون امام مصعدى فى الانتظار ، هل كان فى مقدورى أن افعل ذلك ؟ وهكذا فقد صعدت بمصعدى اولا ! »

قال كارل متوترا ، بينما لجأ الصبيان الآخران الى الصمت ، « حسنا ! » .

فقال الصبى الذى يعمل بالمصعد المجاور : « حسنا ، وقد كانت تلك اللحظة بالذات هى اللحظة التى قدم فيها رئيس السفرجية ، ورأى الناس ينتظرون امام مصعدك ، ولم يجدك ، فاستشاط غضبا ، وسألنى عن المكان الذى ذهبت انت اليه ، ولما لم اكن موجودا وقت ذهابك ، فلم تكن لدى بالطبع اية فكرة عن مكانك ، لانك لم تخبرنى حتى عن المكان الذى توجهت اليه ، وهكذا فقد اتصل تليفونيا بمنبر النوم مباشرة ، وطلب صبيا آخر ليحل محلك فى الحال ! » .

وتساءل الصبى الآخر قائلا : « لقـــد التقيت بك فى الطرقة ، اليس كذلك ؟ ! »

واطرق كارل .

واكد له الصبى الذى يعمل بالمصعد المجاور : « ولقد قلت له بالطبع فى الحال انك قد طلبت منى ان احل محلك ، لـكن هل يستمع هو الى اى اعتذارات ؟ لا يبدو انك تعرفه ، ولهذا علينا أن نخبرك بأن تتوجه الى مكتبه فى الحال ، ولا يجب عليـــك الا تنتظر اكثر من ذلك ، اذهب الى حجرته ، فلعـــله يعفو عنك فى النهاية ، فانك لم تترك مصعدك سوى دقيقتين بالفعل ، ويجب عليك أن تصر على انك قد طلبت منى أن احل محلك ، ومن الافضل الا تذكر انك قد حللت محلى بالمثل قبلها ، هذه هى نصيحتى لك ، فلا شيء يمكن ان يحدث لى ، لاننى كنت قد استأذنت فى الغياب الا انه لا داعى لذكر ذلك ، وخلطه بهذا الموضوع ، الذى لا علاقة له به ! »

قال كارل : « انها اول مرة اترك فيها مصعدى ! »

فاجابه الصبى الآخر ، قائلا ، وهو يهرول الى مصعده ، فقـد كان البعض قد توجهوا نحوه : « ان الامر يحدث دائما على هـذه الصورة ، الا ان احدا لا يصدق ذلك ! »

وقال الصبى الذى حل محل كارل فى اثناء غيابه ، وهو يشعر

بالاسف الواضح ، من اجل كارل ، وكان صبيا فى جوالى الرابعة عشرة من عمره : « لقد فصلوا صبيانا من هذا العمل بالفعل ، عدد كبير منهم قد فصل فى ظروف كهذه ، الا ان المتبع عادة هو ان يحولوك الى عمل آخر . وعلى قدر علمى فقد حدث مرة واحدة فقط ان قاموا بطرد صبى ارتكب مثل هذا الخطأ الذى ارتكبته ، فيجب عليك ان تجد عذرا مقبولا ، لكن لا تحاول ان تقول له انك شعرت فجأة بالمرض ، فسوف يدفعه ذلك الى الضحك فقط ، ومن الافضل ان تقول ان نزيلا من النزلاء قد ارسلك فى طلب عاجل الى نزيل آخر ، وانك لا تذكر النزيل الاول ، ولم تستطع كذلك ان تعثر على الآخر ! »

قال كارل : « حسنا ، لن يبلغ الامر هذا الحد من السوء ! » لم يكن يمكنه ان يعتقد بعد كل ما سمعه ان الامر سينتهى بسلام ، وحتى لو تم الصفح عن اهماله ، فان روبنسون لا يزال يستلقى هناك فى عنبر النوم ، كفلطة حية ، ومن المحتمل جدا الا يقنع رئيس السفرجية المحب للانتقام بالتقصى السطحى للأمر ، ولا بد له ان يكتشف وجود روبنسون فى نهاية الامر ، ولم يكن هناك حقا حظر صريح يمنع استقبال الغرباء فى عنبر النوم ، الا ان هذا الحظر لم يوجد ببساطة ، لانه لم يوجد ما يدعو لذكر شىء بعيد الاحتمال من هذا القبيل .

وعندما دخل كارل المكتب ، كان رئيس السفرجية يحتسى قهوة الصباح ، فكان يرتشف رشفة من حين لآخر ، وفى نفس الوقت يتفحص قائمة ، يبدو ان رئيس البوابين كان قد أحضرها اليه ، فقد كان بداخل الحجرة هو ايضا ، وهو شخص طويل ، اكرش ، كان رداؤه الفاخر المفرط الزينة — حتى الاكمام والاكتاف كانت مثقلة بالسلاسل الذهبية والاشرطة — يجعله يبدو أعرض منكبا مما هو فى الحقيقة ، وكان شاربه الاسود اللامع مرفوع الى قمتين مدببتين على الطريقة الهنغارية ، ولا يتحرك لاعنف حركة مفاجئة من راسه ، وكانت ملابسه الثقيلة المنشاة تجعله هى ايضا يبدو بتلك الهيئة ، ولم يكن ذلك الرجل يستطيع الحركة الا بصعوبة ، وكان يقف دائما وساقاه متباعدتان جدا ، حتى يتمكن من توزيع ثقل جسمه فوقهما فى شىء من التوازن .

ودخل كارل فى جراة وسرعة كما اعتاد ان يفعل فى الفندق ، ذلك ان التباطؤ ، والوقت الضائع الذى ينقضى فى المجاملات بين الاشخاص

الفارغين ، كان يعد تكاسلا يتصف به صبية المصاعد ، وبالاضافة الى ذلك ، فانه لا يجب أن يبدو كما لو كان يحس بالذنب فى لحظة دخوله ، وتطلع رئيس السفرجية فى سرعة الى اعلى ، عندما فتح الباب ، ثم عاد فورا الى احتساء قهوته ، والى قراءة القائمة درن ان يعير كارل ادنى التفات . الا ان رئيس البوابين الذى كان يتلقى بعض التعليمات السرية على ما يبدو ، أو كان يكلف بابلاغها ، قد بدا عليه الضيق لوجود كارل ، فحملق فيه فى غضب ، وكان يعاود تلك النظرة الساخطة كل بضع دقائق نحو كارل ، براسه المحنى فى تصلب ، وعندما كانت عيناه تلتقيان بعينى كارل ، ويبدو انه كان يحرص على ذلك ، كان يديرهما فى الحال نحو رئيس السفرجية ثانية . الا ان كارل ظن انه لم يكن يريده ان يدخل الحجرة لوجوده هو فيها ، ولان رئيس السفرجية لم يأذن له بالدخول . كان رئيس السفرجية لا يزال يقرأ القائمة ، ويتناول قطعة من الكعك فى أثناء قراءته ، كان ينفض عنها السكر بين الحين والآخر دون ان يرفع عينيه عن القائمة ، وقد وقعت منه فى مرة ورقة من أوراق القائمة على الارض ، فلم يحاول رئيس البوابين أن يلتقطها ، لانه كان يعلم انه لا يستطيع ان ينحني ، ولانه لم يكد يرى ما يدعوه الى ذلك ، لان كارل كان قد انقض على الورقة ، وناولها لرئيس السفرجية ، الذى تسلمها فى حركة عادية لا مبالية من يده ، وكأنها كانت قد ارتفعت تلقائيا من مكانها على الارض حتى بلغت يده ، ولم تنفع كارل تلك الخدمة البسيطة التى تطوع بها فى شيء ، لان رئيس البوابين قد مضى فى توجيه نظراته الغاضبة نحو كارل .

وكان كارل يشعر الآن برباطة الجاش على الرغم من ذلك . فلأن خطاه قد بدا غير ذى اهمية بالنسبة لرئيس السفرجية الى هذا الحد ، راى كارل انه قد يمكنه ان يعتبر هذا دليلا طيبا ، بالاضافة الى ان خطأ كهذا هو شيء تافه ، كما ان عامل المصعد كذلك يعد شخصا قليل الاهمية ، وليس له على هذا أن يتمتع بشيء من الحرية ، الا ان قلة شأنه بالذات هى النقطة التى يجب بناء عليها الا تقوم الدنيا لغلطة بسيطة يرتكبها ، وفوق كل هذا ، فلقد بدأ رئيس السفرجية نفسه حياته العملية عامل مصعد ـ وان تقدمه فى حياته العملية هو فى الحقيقة فخر الجيل الحاضر من صبية المصاعد ـ ولقد كان هو أول من نظم جمعية عمال المصاعد ، ولاشك

انه هو ايضا كان يترك مكان عمله من حين لآخر ، دون اذن ، على الرغم من ان احداً لايمكنه الآن أن يرغمه على الاعتراف ، ومع انه لا يجب نسيان ان بداية رئيس السفرجية ، كصبي مصعد ، قد جعلته اشد قسوة فى حفظ النظام بين صبية المصاعد ، ونزعت من قلبه الرحمة بهم ، الا ان كارل كان يداعب شيئا من الامل فى خلال تلك الدقائق التى كانت تمر فى هدوء .

وكانت الساعة الآن حسب الساعة التى فى مكتب رئيس السفرجية ، قد تعدت الخامسة والربع ، وربما عاد رينيل فى اى لحظة ، ولعله ان يكون قد عاد بالفعل ، لانه لابد ان يلاحظ ان روبنسون لم يعد حتى الآن ، وعلى اية حال فلا يمكن ان يكون ديلامارش وروبنسون فى مكان بعيد جداً عن الفندق الغربى ، وهذا ما خطر ببال كارل ، والا ما كان لروبنسون فى حالته المنهارة ، ان يصل الى الفندق ، والآن ، لو وجد رينيل ان روبنسون ينام فى فراشه ، وهذا ما قد يحدث ، فسوف يكون كل شيء عندئذ على ما يرام ، ذلك ان شخصا عمليا كرينيل ـ وخاصة فيما يتعلق بالامور القريبة من اهتماماته ـ سوف يجد طريقة او اخرى لاخراج روبنسون من الفندق ، وسوف يسهل عليه ذلك ، لان روبنسون لابد ان يكون الآن قد شفى ، وربما كان ديلامارش فى انتظاره أمام الفندق لكى يتولى امره ، وما ان يتم التخلص من روبنسون حتى يتسنى لكارل ان يواجه رئيس السفرجية ببال هادىء أكثر ، وربما اطلق سراحه عندئذ ، بعد شيء من التعنيف الذى سيوجهه اليه رئيس السفرجية ، والذى سيكون ـ بلا شك ـ تعنيفا قاسيا ، ثم سيتشاور مع تيريز ان كان عليه أن يذكر للمديرة الحقيقة كاملة ـ فهو لم يكن يرى غبارا على دوره فى هذا الامر ـ ولو امكن أن يتم هذا ، فسوف يتم انهاء الموضوع كله فى النهاية دون ان يكون قد حدث له أدنى ضرر .

وكان كارل لحظتها يطمئن نفسه بهذه الافكار ، وراح يحصى فى ارتياح المنح التى تلقاها فى تلك الليلة ، فقد كان يحس بان قطع العملة كانت فى جيبه الليلة اثقل من المعتاد ، عندما وضع رئيس السفرجية ، القائمة التى كان يقرؤها امامه على المنضدة ، قائلا : « انتظر لحظة اخرى يا فيودور ، هل يمكنك أن تنتظر ؟ ! » ، ناهضا على قدميه بقفزة واحدة ، وصرخ فى كارل بأعلى صوته ،

حتى ان الصبى قد توقف فقط محملقا ، وقد جمده الرعب ، فى فتحة فمه المظلمة .

– لقد تركت عملك بدون اذن ، فهل تدرى ما معنى هذا ؟ ان معناه الفصل ، ولن استمع الى اية اعتذارات ، عليك ان تحتفظ باعتذاراتك الكاذبة لنفسك ، وتكفينى حقيقة انك لم تكن فى مكان عملك ، فلو تهاونت معك هذه المرة ، واطلقت سراحك ، فان كل صبيان المصاعد الاربعين ، سوف ينطلقون على هواهم فى خلال أوقات العمل ، ويتركوننى وحدى لكى احمل ضيوف الفندق الخمسة آلاف ، فوق كتفى ، واصعد بهم درجات السلم ! »

لم يقل كارل شيئا ، واقترب رئيس البوابين ، وجذب جاكتة كارل من الخلف ، كانت متكرشة الى حد ما ، قاصدا بلا شك أن يلفت نظر رئيس السفرجية الى اهمال كارل فى العناية بزيه .

فتساءل رئيس السفرجية قائلا فى خبث : « ربما كان المرض قد دهمك فجأة ؟ ! »

فالقى عليه كارل نظرة فاحصة ، واجابه قائلا : « لا ! »

فصاح رئيس السفرجية فى صوت أكثر ارتفاعا : « وهكذا فانت لم تكن مريضا أيضا ؟ لابد اذن فى جعبتك كذبة جديدة رائعة ، فبماذا ستعتذر ؟ هيا انطق ! »

– لم أكن اعلم ان على أن اتصل تليفونيا ، لكى أحصل على اذن بترك مكان عملى ! »

قال رئيس السفرجية : « هذا بالفعل رد لا يكلف شيئا ! » ، وقبض على كارل من ياقته ، ودفعه عبر الحجرة ، حتى واجه كلاهما لوحة التعليمات الخاصة بالمصاعد ، التى كانت مثبتة فوق الحائط ، وجاء رئيس البوابين فى اعقابهما .

قال رئيس السفرجية : « ها هى ذى التعليمات ، اقرأها ! » واشار الى احدى الفقرات ، وظن كارل ان عليه أن يقرأها بينه وبين نفسه ، الا ان رئيس السفرجية صاح فيه قائلا : « ارفع صوتك ! » .

وبدلا من ان يقرأ كارل الفقرة فى صوت مرتفع ، قال لرئيس السفرجية ، آملا ان يهدئه : « اننى اعرف كل تلك الفقرات ، فقد حصلت على نسخة من التعليمات ، وقرأتها فى عناية ، وهى تعليمات لا يمكن للمرء أن ينسى شيئا من تفاصيلها ، ولقد عملت هنا لمدة شهرين حتى الآن ، ولم اترك مكانى مرة واحدة ! » .

فقال رئيس السفرجية : « حسنا ، سوف تتركه الآن ! » ، وعاد الى المنضدة ، وتناول القائمة مرة اخرى ، كما لو كان ليواصل قراءتها ، لكنه خبط قبضته فوقها ثانية فوق المنضدة ، وكان شيئا ما قد ساءه عندما تناولها ، وتصاعد الدم فوق حاجبيه ، وخديه ، وراح يذرع الحجرة بخطواته ذهابا وجيئة

ـ كل هذا الازعاج بسبب صبى احمق سخيف ! كل هذا التعطيل بسبب نوبة عمل الليل !

صاح بهذه الكلمات عديدا من المرات ، وقد ملأه العجب

ـ هل تعلم من الذى ظل واقفا ينتظر هناك أمام المصعد ، عندما غادره ذلك الشخص الذى يقف أمامك ، وذهب على هواه ؟ ! تساءل رئيس السفرجية ، مستديرا نحو رئيس البوابين ، وذكر اسما ، أصيب رئيس البوابين ، الذى كان يعرف زبائن الفندق جميعا دون شك ، ويعرف اوضاعهم كذلك ، أصيب بالرعب ، حتى لقد وجد نفسه ينظر الى كارل نظرة خاطفة ، لكى يؤكد لنفسه ان ذلك الصبى ، الذى غادر مصعده ، وترك صاحب ذلك الاسم ينتظر دون ان يجد من يخف لخدمته ، يوجد بالفعل فوق سطح الارض .

قال رئيس البوابين : « ان هذا مخيف ! » ، وراح يهز راسه ببطء فى ذهول نحو كارل ، الذى كان يرقبه فى شرود ، وهو يفكر فى ان صدمة هذا الرجل الغبية ، خطأ آخر عليه أن يدفع ثمنه .

وواصل رئيس البوابين حديثه قائلا ، وهو يسدد ابهامه الضخم السمين المتصلب نحو كارل :

ـ انك الصبى الوحيد الذى يرفض ان يؤدى لى التحية ، فمن تظن نفسك ؟ ان كل صبى يمر بمكتب رئيس البوابين يؤدى لى التحية ، يمكنك ان تفعل ما يحلو لك مع باقى البوابين ، لكننى أصر على ضرورة اتباع اصول اللياقة ، واننى احيانا ما اصطنع عدم ملاحظة سلوكك هذا تجاهى ، لكن عليك ان تعلم اننى أعرف تماما من الذى يقول لى طاب يومك ، ومن الذى لا يقولها ، أيها الجلف ! واستدار مبتعدا عن كارل ، وهو يخطو فى عظمة نحو رئيس السفرجية ، الذى جلس ليكمل تناول فطوره ، ويتفحص جريدة الصباح التى احضرها له لحظتها احد المساعدين .

قال كارل ، وهو يدرك أن عليه أن يصفى حسابه أولا مع رئيس البوابين ، بينما يتجاهله رئيس السفرجية ، ويدرك كذلك أن اللوم

الذى يوجهه اليه الآن رئيس البوابين قد لا يتمخض عن أى ضرر ، الا ان عداءه له يضره بصفة عامة :

« سيدى ، لاشك أننى قد مررت بمكتبك على الاغلب دون ان اؤدى لك التحية ، الا اننى ما زلت حتى الآن حديث المهد بالحياة فى امريكا ، فقد قدمت منذ فترة قصيرة من اوروبا ، حيث يحيى الناس بعضهم بعضا بافراط بالغ ، وهــذا شىء معروف جيدا ، وبالطبع لم أتمكن من ان اتخلص من تلك العادة ، لماذا ، لاننى فى خلال شهرين فقط قضيتهما فى نيويورك ، حيث اتفق لى ان عشت فى وسط راق ، نبهونى طويلا الى اننى أفرط فى توجيــه تحياتى للنـــاس ، وهانت ذا تتهمنى باننى لا أحييك دون غيرك ، لقــد وجهت اليك تحياتى كل يوم ، عديدا من المرات فى اليوم الواحد ، لــكن بالطبع ، ليس فى كل مرة يتصادف ان اراك فيها ، لاننى امر بمكتبك مئات المرات كل يوم ! »

ـ عليك ان تحيينى فى كل مرة تمر فيها بمكتبى ، فى كل مرة بالفعل ، دون استثناء ، عليك ان تقف وقبعتك فى يدك ، طوال الوقت الذى تتحدث فيــه الى ، ويجب ان تخاطبــنى دائما « بياســيدى » ، عنــدما تتوجه الى بالحديث ، ولا تقل لى : « انت ! » وعليك ان تفعل هذا كله دائما ، وفى كل مرة ، فى كل مرة بالحرف الواحد !

فردد كارل قائلا فى لين : « فى كل مرة ؟ ! » بشىء من الحيرة ، لانه تذكر الآن كيف كان يبدو له ، طوال فترة وجوده بالفندق ، ذلك التعبير القاسى المفعم باللوم على وجه رئيس البوابين عندما كان يواجهه ، منذ الصباح الاول ، وهو لايزال عاملا جديدا بالفندق ، ولا يزال حرا فى سلوكه ، ومنطلقا على سجيته الى حد ما ، فتقدم اليه فى ذلك الصباح مندفعا ، وراح يسأله فى الحاح ، وشىء من التشديد ان كان ثمة رجلان قد سألا عنه ، أو تركا لديه صورة فوتوغرافية ، ليسلمها له ؟ ! »

وقال رئيس البوابين مستأنفا حديثه : « وهانت ذا ترى الآن ما جلبه عليك ذلك السلوك ! » ، بينما كان يتقدم ثانية نحو كارل ، ملوحا بيده نحو رئيس السفرجية الذى كان لايزال مستغرقا فى تصفح جريدته ، كما لو كان ذلك السيد هو اداة انتقامه من كارل :

ـ سوف تتذكر فى عملك المقبل ان تتادب فى معاملة البواب ، ولو كان بوابا لحانة نتنة !

تحقق كارل الآن من انه قد فقد وظيفته ، فقد اشار رئيس السفرجية الى ذلك منذ لحظات ، وها هو ذا رئيس البوابين ، يكرر ذلك الآن كحقيقة واقعة . ولا يبدو ان هناك أهمية لتصديق ادارة الفندق ، عندما يتعلق الامر بفصل عامل مصمد . الا ان الامر قد حدث فى سرعة خارقة لم يكن يتوقعها ، فقد عمل هنا لاكثر من شهرين بكل طاقته على العمل ، وبصورة أفضل كثيرا بلا شك من غيره من الصبية الآخرين ، لكن يبدو ان مثل هذه الاعتبارات ، لا يلتفت اليها فى اللحظات الحاسمة ، فى كل مكان فى العالم ، لا فى أوروبا ، ولا فى أمريكا . ان الحكم متعمد ومدبر منذ اللحظات الاولى، من أول كلمة تفوه بها القاضى فى ثورة غضبه ، وربما كان من الافضل له ان يغادر المكان ، ويرحل فى الحال ، وربما كانت المديرة وتيريز نائمتين حتى الآن ، ويمكنه ان يودعهما بخطاب يرسله اليهما ، حتى يجنبهما على الاقل الحزن والاسف اللذين ستشعران بهما عندما يودعهما بنفسه ، ويمكنه ان يعد اشياءه بسرعة فى داخل الصندوق، ويتسلل خارجا فى هدوء . فلو قدر له ان يمكث فى الفندق سحابة اليوم على الاقل ــ وقد يتسنى له ذلك بأن يأوى الى النوم بعض الوقت ــ فلن يفيد هذا سوى تضخيم الحادث ، ليصبح فضيحة ولوما يوجه اليه من كل جانب ، كما أنه سيفرض عليه رؤية تيريز التى لن يحتملها ، وربما بكت المديرة نفسها ، وربما وقع له فوق كل هذا شىء ما على سبيل العقوبة أيضا ، الا ان اكثر ما احنقه هو أن يجد نفسه الآن فى مواجهة اثنين من الاعداء ، يغالطانه فى كل كلمة يتفوه بها ، فلو كف هذا ، فلكى يفعل الآخر بدوره ما شاء له العبث بكلمات كارل ، ويسىء تأويلها . ولهذا ظل صامتا ، وارتاح فى تلك الاثناء لهدوء الحجرة ، فقد كان رئيس السفرجية لا يزال مستغرقا فى قراءة الصحيفة ، بينما وقف رئيس البوابين الى جوار المنضدة ، وانهمك فى ترتيب أوراق قائمته المتناثرة ، تبعا لتسلسل أرقامها ، وهى مهمة كانت تبدو شاقة جدا بالنسبة له ، لقصر نظره الشديد .

ووضع رئيس السفرجية ، صحيفته جانبا فى النهاية ، وتثاءب ، وطمأن نفسه الى وجود كارل فى مكانه ، بنظرة سريعة اليه ثم أدار قرص تليفونه ، وصاح قائلا عدة مرات : « هاللو .. » ، الا ان أحدا لم يجبه ، فقال لرئيس البوابين :

ــ لا أحد يجيب ! وقال رئيس البوابين ، الذى كان يتابع

المكالمة التليفونية باهتمام زائد ، كما لاحظ كارل : « انها الساعة السادسة الا الربع الآن ، ولا بد ان تكون قد استيقظت من نومها ، فدق الجرس بشدة اكثر ! » ، الا ان التليفون رد لحظتها ، دون مزيد من الدق على الجرس ، فقال رئيس السفرجية :

ــ انا ايسبارى الذى يتحدث ! صباح الخير ، ارجو الا اكون قد اقلقت نومك ! اننى آسف ، نعم ، انها السادسة الا الربع ، الا اننى فى غاية الاسف حقا ، لو كنت قد أزعجتك ، ويجب عليك ان ترفعى سماعة التليفون من الجهاز عندما تأوين الى النوم ، لا .. لا .. لا عذر لى فى الحقيقة ، وخاصة ان الامر الذى أريد أن اتحدث اليك بشأنه ، أمر تافه للغاية ، اننى اريد ان ابحثه معك ، لكن لدى بالطبع متسع من الوقت لذلك ، وسوف انتظرك بالطبع ، فاتصلى بى لو تفضلت !

وقال رئيس السفرجية لرئيس البوابين مبتسما ، بينما كان الاخير ينحنى على التليفون وقد ارتسم على وجهه تعبير صارم : « لابد أنها قد هرولت الى التليفون بقميص نومها ! لابد اننى قد ازعجتها بالفعل لان تلك الفتاة التى تكتب لها على الآلة الكاتبة ، توقظها عادة ، لكن يبدو انه قد فاتها أن تفعل ذلك هذا الصباح لسبب أو آخر ، اننى آسف لازعاجها ، فهى عصبية بطبيعتها الى حد كاف ! » .

ــ لماذا تركت التليفون ، وانصرفت ؟ !

فأجابه رئيس السفرجية ، وهو يرفع السماعة ثانية ، عندما رن جرس التليفون ، « لترى ماذا حدث للفتاة ! » ، ثم استأنف حديثه قائلا فى التليفون : « سوف تظهر الفتاة فى الحال ، فلا تنزعجى لكل شىء الى هذا الحد ، انك فى حاجة الى الراحة التامة بالفعل ، والآن ، لنتحدث فى موضوعى البسيط ، يوجد هنا صبى مصعد يدعى ، واستدار حوله بنظرة متسائلة ، وجهها الى كارل ، الذى كان يستمع بانتباه شديد ، فأدلى باسمه فى الحال ، يدعى كارل روسمان ، ولو كنت اذكر جيدا ، فهو الصبى الذى أوليته شيئا من اهتمامك ، ويؤسفني أن اقول لك انه قد اساء رد جميلك ، فقد ترك عمله دون اذن ، وورطنى بهذا فى صعوبات خطيرة ، ولا يمكننى ان اذكر لك النتائج التى قد تترتب على ذلك ، وعلى هذا فقد فصلته الآن من العمل ، فأرجو الا يسيئك ذلك ، ماذا تقولين ؟ فصل ؟ نعم ، فصل ، الا اننى قد اخبرتك الآن بانه قد ترك مصعده

لا .. هنا لا يمكنني في الحقيقة ان اوافقك ياسيدتي العزيزة ، انها مسألة تتعلق بممارستي لسلطتي ، فثمة خطر كبير يترتب على هذا ، فصبي مثله من الممكن أن يفسد المجموعة كلها ، ولا بد من التشدد الذي لا يعرف الرحمة مع صبية المصاعد بالذات ، لا .. لا .. لايمكنني في هذه الحالة أن اجاملك ، على الرغم من رغبتي الشديدة في ارضائك ، وحتى لو انني سمحت له بالبقاء على الرغم من ذلك ، لمجرد ان اسيطر على أعصابي فحسب ، فلن يكون هذا في صالحك ، نعم ، ليس في صالحك أن تستبقيه هنا ، انك تولينه اهتماما لا يستحقه أبدا ، وانني لاعرفه ، واعرفك أيضا ، وانني واثق من انه لن يجلب لك سوى خيبة الامل البالغة : التي يجب ان تتجنبيها بأي ثمن انني أقول لك هذا بغاية الصراحة ، وتحت سمع الصبي نفسه ، لانه يقف فقط على بعد خطوة واحدة مني ، في ثبات هو الوقاحة بعينها ، لابد من فصله ، لا .. لا .. لابد من فصله نهائيا وفي الحال ، لا .. لا .. لايمكن أن أعهد اليه بعمل آخر ، فلا فائدة لي منه على الاطلاق ، وبالاضافة الى ذلك فهنا من يشكون منه أيضا ، ان رئيس البوابين مثلا ، نعم فيودور بالطبع ! لقد اشتكى فيودور من عدم تأدبه ، ومن وقاحته ، ماذا ، أليس هذا كافيا ؟ يا سيدتي العزيزة انك تناقضين طبيعتك باستمرارك في مساندة هذا الصبي ، لا .. لا يجب عليك في الحقيقة أن تضغطي على الى هذا الحد ! »

وانحنى رئيس البوابين في تلك اللحظة ، وهمس في اذن رئيس السفرجية بشيء ما ، فتطلع اليه رئيس السفرجية مندهشا في البداية ، ثم تحدث مسرعا في التليفون ، حتى ان كارل لم يتمكن من ان يسمع ما كان يقوله ، فاقترب منه لهذا ، قليلا على أطراف أصابعه .

قال : « عزيزتي المديرة ، لكي اكون صريحا معك غاية الصراحة فانني اصرح لك بانني لم اكن اعتقد انك تخطئين الى هذا الحد في حكمك على الاشخاص ، فلقد علمت الآن شيئا من ملاكك البريء شيئا لاشك في انه سيقلب رايك فيه رأسا على عقب ، ويؤسفني أن اكون انا الذي انهي اليك بهذا الخبر . ان هذا الصبي المدلل الذي تساندينه ، هذا المثال الرائع للفضيلة ، يندفع الى المدينة في كل ليلة يخلو فيها من العمل ، ولا يعود الى الفندق قبل الصباح ، نعم .. نعم ، ان لدي الدليل على صدق ذلك ، وهو

دليل لا يرقى اليه الشك ، نعم ، والآن هل يمكنك ان تخبريني ، من اين له بالمال الذى ينفقه على تلك المغـــامرات الليلية ؟ أو كيف يمكن أن نتوقع منه الالتفات الى عمله كما يجب فى هذه الحالة ؟ وهل تريدين منى ان امضي فى ذكر تفاصيل ما يفعله فى المدينة ؟ ان صبيا كهذا لابد من التخلص منه باسرع ما يمكن ، وارجو أن تعتبرى ذلك نذيرا بأن تحذرى العناية بالصبيـــة الذين يظهرون مثله ، فجاة من حيث لايدرى أحد ! »

صاح كارل ، وقد ارتاح لهذا الخطأ الذى تهيأ له انهم قـــد وقعوا فيه عندما ظنوا انه يغادر الفندق ليـلا فى أوقات راحته ، ذلك لان هذا الخطأ قد يتمخض عن تقدم غير متوقع للموقف كله : « لـكن ياسيدى ، لابد أن خطأ ما قد حدث ، لقد فهمت ان رئيس البوابين قد اخبرك بانني اخرج الى المدينة كل ليلة ، الا ان هذا ببساطة غير صحيح ، اننى اقضى كل ليلة فى عنبر النوم ، ويمكن أن يؤيد الصبية الآخرون جميعا كلامى هذا ، وعندما لا أكون نائما فاننى انفق وقتى فى دراسة المعاملات التجارية ، لـكننى لم اغادر عنبر النوم ليلة واحدة ، ان من السهل اثبات هذا ، ولا شـك ان رئيس البوابين قد اخطأ فحسبنى شخصا آخر ، وارى الآن ايضا لمـاذا ظن اننى امر به دون أن احييه ! »

فصاح رئيس البوابين ، وهو يلوح بقبضته بدلا من اصـبعه كما يفعل الآخرون عند التحذير ، قائلا : « هل يمكنك ان تمسك لسانك ؟! اذن فقـــد خلطت أنا بينك وبين شخص آخـر ؟! هل فعلت ذلك حقا ؟ ! كيف لى اذن أن استمر فى عملى هنا كرئيس للبوابين ان كان لى أن أخلط بين شخص وآخر ؟ اننى اسألك يا مستر ايسبارى ، كيف يتسنى لى أن أكون رئيس البوابين هنا لو خلطت بين الناس ؟ اننى طوال مدة خدمتى التى امتدت ثلاثين عاما ، لم أخلط مطلقا بين شخص وآخـــر ، ويمكن ان يخـــبرك مئات السفرجية الذين كانوا هنا على عهدى ، بصدق ذلك ، فيبدو كما لو كان على ان أتعلم مهنتى من جديد على يديك ، ايها الصبى الحقير ! بوجهك هذا الناعم الذى لا يمكن ان يخطئه أحد ! وما شأن الخطأ ، على كل حال ، بهذا الامر ؟ يمكنك ان تتسلل الى المدينة من وراء ظهرى ، ولا يتطلب الامر منى سوى ان انظر فى وجهك حتى اتبين انك جلف لا تصلح لشىء ! »

قال رئيس السفرجية الذى بدا ان حديثه مع المديرة قد انقطع

فجأة : « كفى يافيودور ، انه امر بالغ البساطة ، فلا يمنينـــا فى الحقيقة كيف يمضى لياليه ، ولاشك انه يريدنا ان نقوم بمهمـــة التحرى الشامل عن تفاصيل حياته الليلية ، قبـل أن يغادرنا . يمكننى ان ادرك ان هذا يسمده جدا ، وفى وســع كل صبى من صبياننا الاربعين ان يستعرض نفسه ، لو توفرت لديه الرغبة فى ذلك ، وسيقول لك بالطبع انهم قد خلطوا بينه وبين غيره أيضا ، وهكذا ، فلو حاولنا ان نقبل هذا الهراء ، لتمين علينا عندئذ أن نسحبهم جميعا واحدا واحدا كشهود ، وسيتوقف العمل بالطبع تماما فى الفندق كله لبمض الوقت ، ومع انه سيطرد فى نهاية الامر، فلا بد له من ان يستمتع قليلا ، وعلى هذا فسنتجاوز عن ذلك ، لقد خدع المديرة بالفمل حتى الآن ، تلك السيدة الطيبـة القلب ، وسوف نوقفه عند هذا الحد . ولن أستمع الى كلمة أخرى ، لقد فصلت الآن بسبب اهمالك لعملك ، وسوف أعطيك مذكرة للصراف الذى ســيدفع لك اجرك حتى اليوم ، ودعنى أقل لك انه بعد الخطأ الذى ارتكبته اليوم ، فان موافقتى على أن تتناول أجرك هو محض رحمة بك ، واننى افمل ذلك فقط ، مجاملة للمديرة ! »

وقطع حديث رئيس السفرجية ، رنين جرس التليفون مـرة اخرى ، قبل ان يوقع المذكرة ، وبعد أن اســتمع الى الـكلمات الاولى ، صاح فى دهشة : « لا شيء اليوم ســوى متاعب صبيـة المصاعد هؤلاء ! » ثم صاح بعد لحظة : « هذا ما لم نسمع به حتى الآن ! » ، واستدار بعيــدا عن التليفون ، قائلا لرئيس البوابين : « ارجوك يا فيودور ، اقبض على هــذا الصبى الآن ، فلدينا الـكثير مما سنقوله له ! » ، ثم صاح قائلا فى التليفون : « تمال فى الحال ! » .

واستطاع رئيس البوابين الآن ، ان ينفس عن غضبه الذى لم يكن قد أظهره شفهيا ، فقــد قبض بذراعه اليمنى على كارل فى عنف ، لـكنه لم يتمكن من ان يحكم قبضته عليه ، فكان يخفف قبضته من حين لآخر ، ثم شيئا فشيئا كان يعود فيشددها على كارل بغاية القسـوة ، فقد كان قويا جدا ، وبدا ضغطه على كارل وكانه لن يتوقف ، حتى لقد غامت الاشياء أمام عينيـه ، وفوق ذلك فهو لم يكن يقبض فقط علىذراع كارل ، بل كان يضغط جسمه ايضا ، وكانه قد أمر بأن يفعل ذلك ، ويرفمه فوق قدميه بين الحين والآخر الى اعلى ، ويدفمه ، وهو يقول طوال الوقت فى شبه

تساؤل لرئيس السفرجية : « هل يمكنني ان اخلط بينه الآن وبين سواه ، هل يمكنني أن اخلط بينه وبين سواه الآن ؟ ! »

وقد تمكن كارل من أن يرتاح من ضـــغط رئيس البوابين على جسده ، الى حد ما ، عندما دخل رئيس صبية المصاعد ، وهو شاب سمين يدعى « بست » ، كان يلهث ، فلفت انتباه رئيس البوابين لبعض الوقت ، وكان الارهاق قد نال من كارل حتى انه لم يتمكن ، عندما حضرت تيريز لدهشته خلف الشـــاب ، يبـــدو عليها الانهيار ، ووجهها شاحب كوجوه الموتى ، وملابسها متهدلة ، وشعرها مصفف فى اهمال ، لم يتمكن من أن يغتصب ابتسامة لها الا بصـــعوبة بالغة ، وسرعان ما همســـت له وهى تقف الى جواره :

ـ هل تعلم المديرة ؟ !

فاجابها كارل : « لقد اخبرها رئيس السفرجية بالتليفون ! »

فقالت فى سرعة ، وقد التمعت عيناها : « اذن فكل شيء على ما يرام .. كل شيء على ما يرام ! »

فقال لها كارل : « لا ، انك لا تعرفين ما يتهموننى به ، لابد لى من ان أرحل ، لقد اقتنعت المديرة نفسها بذلك فعلا . فأرجوك الا تبقى هنا ، اصعدى ثانية ، وسوف آتى لوداعك فيما بعد ! »

ـ ما الذى تعتزمه ياروسمان ؟ يمكنك أن تبقى ما شـــاء لك البقاء هنا .ان رئيس السفرجية يفعل ما تطلبه منه المديرة ، انه عشيقها ، ولقد اكتشفت ذلك بنفسى منذ وقت قصير ، فـــلا تخش شيئا !

ـ ارجوك يا تيريز ، اذهبى من هنا ، فلا يمكننى ان أدافع عن نفسى كما ينبغى فى اثناء وجودك هنا ، ولا بد لى من ان ادافع عن نفسى دفاعا كاملا ، لانهم يلفقون لى الاكاذيب ، وبقدر ما يمكننى أن أهزمهما دفاعا عن نفسى ، كلما اتسعت أمامى الفرصة للبقـــاء هنا ، ولهذا يا تيريز .. لكنه عندئذ لسوء الحظ ، اضاف هـــذه الـــكلمات لتقلص مفاجىء أصابه ، فتألم له ألما بالغا ، وان كان قد قالها فى صوت خفيض : « فقط لو يتركنى رئيس البوابين ! لم تكن لدي ادنى فكرة عن عدائه لى ، لـــكنه لا يكف عن ضغط ذراعى وليه ! » ، وفى نفس الوقت كان يفكر قائلا فى نفسه : « لماذا اقول ذلك ، لايمكن الا تتأثر اى امرأة لسماع مثل هذه الشكوى ! » ، وبالفعل ، وقبل أن يمنعها بذراعه الطليقة ، كانت تيريز قد تحولت

الى رئيس البوابين قائلة :
ــ أرجوك ياسيدى ، دع روسمان الآن ، انك تؤلمه ، ان المديرة سوف تصل الى هنا بنفسها ، بعد لحظة ، وسوف ترى عندئذ أن هذا كله كان مجرد خطأ ، دعه ، فما هى المتعة التى تجنيهـــا من تعذيبه ؟ ! » ، وجذبت ذراع رئيس البوابين بالفعل ، فأجابها هذا قائلا : « الاوامر يا فتاتى الصغيرة ، الاوامر ! » ، وجذب تيريز اليه ، بيده الطليقة فى تودد ، بينما اعتصر ذراع كارل بيده الاخرى بكل قوته ، وكأنه لم يكن يريد أن يؤذيه فحسب ، بل كانت لديه خطة معينة ، لم تكن قد أنجزت كما ينبغى بالنسبة للذراع التى كان يقبض عليها ! »
وناضلت تيريز بعضا من الوقت لـكى تخلص نفسها من احضان رئيس البوابين ، وكانت تتأهب لـكى تلفت انتباه رئيس السفرجية الذى كان يواصل الاستماع الى « بست » المتبـاطىء ، الثرثار ، عندما دخلت المديرة مسرعة .
فصاحت تيريز : « حمدا لله ! » ، وساد السكون الحجرة للحظة ، سوى تلك الصيحة المدوية ، وقفز رئيس السفرجية ، واقفا على قدميه فى الحال ، ودفع « بست » جانبا .
ــ وهكذا جئت بنفسك ياسيدتى العزيزة ؟ بسبب هذا الامر ؟ ولقـــد كنت أخشى بعد حديثنـــا فى التليفون أن تأتى ، الا اننى لم أعتقد انك ستحضرين بالفعل ، ومنذ حديثنا ذاك فى التليفون تدهورت الحالة التى تساندينها اكثر فاكثر ، واخشى الا يكون فى وسعى أن أفصله فقط، بل قد ارسله الى السجن ايضا ، فاستمعى بنفسك الى تفاصيل الموضوع ، واشار الى « بست » لـكى يدلى بما عنده .
قالت المديرة ، وهى تجلس على مقعد أمر رئيس السفرجية على اخلائه لها : « اننى اريد اولا أن اتحدث قليلا مع روسمان ! » ، قالت : « اقترب منى يا كارل لو سمحت ! » ، فاقترب منهـــا كارل ، أو على الاصح ، جرجره رئيس البوابين الى مكانها .
قالت المديرة ساخطة : « اتركه ، الا تتركه ؟ انه ليس قاتلا ! » فتركه رئيس البوابين فى الحال ، لـكنه قبل ان يتركه سحق ذراعه بضغطة أخيرة بغاية العنف ، حتى طفرت الدموع من عينيـــه هو نفسه ، تحت تأثير الجهد .
صاحت المديرة ، وهى تضـع يداها المطويتان على صـدرها فى

هدوء ، بينما أحنت رأسها قائلة فى لهجة لم تكن تنم عن الاستجواب مطلقا : « كارل ؟ أريد قبل كل شيء أن أقول لك اننى مازلت أثق بك ثقة كاملة ، كما ان رئيس السفرجية هو أيضا رجل عادل ، ويمكننى أن أشهد له بذلك ، واننا نود من أعماقنا أن نستبقيك هنا ! » ، وهنا تطلعت الى رئيس السفرجية بنظرة سريعة ، كما لو كانت ترجوه الا يقاطعها ، الا انه لم يفعل ، واستأنفت حديثها قائلة لكارل : « فانس لهذا كل ماقيل لك حتى الان ، وفوق كل هذا ، فلا يجب عليك ان تأخذ مأخذ الجد ما قد يكون رئيس البوابين قد قاله لك ، انه رجل سريع الهياج ، ولا عجب فى ذلك ، اذا نظرنا الى طبيعة عمله . الا ان له زوجة وأطفالا أيضا ، وهو يعلم ان الصبى الذى يعول نفسه ، لا يحتاج الى مزيد من العذاب ، لان العالم كله سيتحقق من انه يشارك بمجهود ملحوظ فى أعبائه ! » .

كان السكون لايزال يخيم على الحجرة ، ونظر رئيس البوابين الى رئيس السفرجية ، كما لو كان يتوقع منه أن يسانده ، وتطلع رئيس السفرجية الى المديرة ، وهز راسه ، وابتسم « بست » رئيس صبية المصاعد فى سخرية بلهاء ، وهو يقف خلف ظهر رئيس السفرجية ،وكانت تيريز قد انخرطت فى البكاء بصوت غير مسموع ، وقد غلبها الاسى والفرح ، وكانت تحاول أن تخفى مشاعرها عن الآخرين !

الا ان كارل على الرغم من ان ذلك كان من الممكن تفسيره كدلالة سيئة ، لم يتطلع نحو المديرة ، التى كانت تتوقع منه بلا شك أن يفعل ذلك ، بل راح ينظر امامه نحو أرضية الحجرة ، وكانت ذراعه لاتزال تؤلمه ، وكان كم قميصه ملتصقا بالكدمات ، حتى انه كان عليه بالفعل أن يخلع جاكتته لكى يتفحص تلك الكدمات . وكان ما قالته المديرة بالطبع ، شيئا بالغ العطف ، كما انه بدا له على هذا النحو بسبب الطريقة التى انتهجتها فى تناول الامر ، ولا بد أن الآخرين سيظنون أن عطفها مجرد حماقة ، وان كارل كان يحظى بصداقتها التى قامت على أسس زائفة طوال شهرين ، وانه لهذا لم يكن يستحق شيئا اكثر من أن يقع بين يدى رئيس البوابين .

واستأنفت المديرة حديثها قائلة : « اننى أقول هذا ، حتى يمكنك أن تعطينى جوابا شافيا ، ولا شك انك ستتمكن من أن تفعل ذلك

مهما كانت الظروف ، لو كنت قد عرفت طباعك حقا ! »

قال « بست » رئيس صبية المصاعد فجاة فى ادب بالغ ، لكن فى تشويش زائد فى الوقت نفسه : « هل يمكنني لو سمحت أن « اذهب ! » ، ثم تحول الى المديرةقائلا : « ان الامـــر يتلخص فيما ينزف نزيفا قاتلا ! » .

قال رئيس السفرجية « لبست » الذى اندفع خارجا فى الحال : « اذهب ! » ، ثم تحول الى المديرة قائلا : « ان الامر يتلخص فيما يلى : ان رئيس البوابين لم يكن يقبض على هـــذا الصبى عبثا ، ففى عنبر نوم صبية المصاعد فى الطابق الاسفل ، يوجد شخص غريب تماما ، وثمل للغاية ، ولقد اكتشفه الصبية مندسا فى عنـــاية فى أحد الاسرة فى عنبر نومهم ، ولقد ايقظوه بالطبـــع ، وحاولوا أن يطردوه الى خارج العنبر ، الا أن ذلك الشخص أحدث شغبا بالغا ، وصـــاح قائلا بأن الفراش الذى كان يرقد فوقه هو فراش كارل روسمان ، وانه ضيف روسمان ، وان روسمان هو الذى ذهب به الى هناك ، وانه سيسحق كل من يتجاسر على أن يلمسه ، وبالاضافة الى ذلك ، فان عليه ببساطة أن ينتظر عودة كارل روسمان ، لانه قد وعد بان يعطيه نقودا ، وانه ذهب لاحضارها ، فانتبهى الى ذلك لو تكرمت ياسيدتى العزيزة ، لقد وعد بأن يعطيه نقودا ، وانه قد ذهب لاحضارها ، وانتبه الى ذلك انت ايضا ياروسمان ! »

قال رئيس السفرجية هذا لروسمان ملتفتا اليه من فوق كتفه ، بينما التفت كارل الى تيريز التى كانت تحدق بدورها فى رئيس السفرجية ماخوذة ، وهى تلقى بخصلة شعر من فوق جبهتها ، أو ترفع يدها بصورة آلية الى حاجبها ، لمجرد ان تفعل أى شىء : « ولعلك لست فى حاجة الى أن نذكرك بارتباطاتك ، ذلك ان الرجل الموجود بالطابق الاسفل ، قال أيضا انك بعد عودتك اليه سوف تذهب بصحبته لقضاء الليلة مع احدى المغنيات ، وهى مغنية لم يتمكن أحد من معرفة اسمها ، وان كنت قد اقتنعت بذلك، لانالرجل كان يرفع عقيرته بالغناء كلما خطر له خاطر الذهاب اليها ! »

وتوقف رئيس السفرجية عند هذا الحد ، ذلك ان المديرة كان قد شحب لونها بصورة ملحوظة ، ونهضت من على مقعدها ودفعته قليلا الى الخلف .

فقال رئيس السفرجية : «سوف اعفيك منذكر بقية التفاصيل!» قالت المديرة وهى تمسك بيده : « لا .. ارجوك ، لا .. استمر

ارجوك ، لابد لى من ان اعرف كل شىء فهذا ما جئت من اجله : »

وتقدم رئيس البوابين الآن الى الامام ، وخبط بصوت مرتفع على صدره ، اعلانا بأنه كان قد توقع كل شىء منذ البداية فى الوقت الذى هداه فيه رئيس السفرجية ، مقرا له بذلك بقوله : « نعم ، يا فيودور ، لقد كنت على حق تماما ! » .

واستأنف رئيس السفرجية حديثه قائلا : « لايوجد ما يقال اكثر من ذلك ، ولقد ضحك الصبية على عادتهم من ذلك الرجل فى البداية ، ثم اشتبكوا معه فى عراك ، ولما كان يتوفر بينهم كثيرون ممن يجيدون الملاكمة ، فقد انطرح الرجل ارضا ببساطة ، ولم اجرؤ على ان اسأل حتى اين كان الرجل ينزف ، وفى اى الاماكن العديدة كان نزيفه ، فلوث تلك الاماكن ، ذلك ان هؤلاء الصبية هم ملاكمون فى غاية العنف ، ويعد رجلا سكيرا كهذا ، لعبة طيبة فى متناول قبضاتهم ! »

وضعت المديرة يدها على ذراع المقعد ، ونظرت الى اسفل نحو ذلك المقعد الذى كانت قد نهضت من فوقه لتوها ، ثم قالت بعد ذلك : « اننى افهم ذلك الآن ، فأرجوك ان تقول شيئا ياروسمان ! » واندفعت تيريز عبر الحجرة ، وتشبثت بسيدتها ، وهو ما لم يرها كارل تفعله من قبل ، وكان رئيس السفرجية يقف خلف المديرة ملتصقا بها ، وراح يرتب فى اناة ياقتها الصغيرة المزينة بالدانتلة ، التى كانت قد تكرمشت على نحو ما ، وقال رئيس البوابين الذى كان يقف بجانب كارل : « انطق ! » ، لكنه تفوه بهذه الكلمة لمجرد أن يغطى اللكمة التى كالها له على ظهره .

قال كارل : « صحيح ! » فى قليل من الجرأة التى كان ينويها ، بسبب تلك اللكمة : « لقد وضعت الرجل فى عنبر النوم ! »

فقال رئيس البوابين موجها حديثه الى الحاضرين جميعا : « هذا هو كل مانود أن نعرفه ! » ، واستدارت المديرة فى صمت نحو رئيس السفرجية ، ونحو تيريز .

ومضى كارل فى حديثه قائلا : « لم أستطع ان امنع نفسى ، كانت قد سبقت لى معرفة ذلك الرجل من قبل ، ولقد حضر الى هنا لزيارتى ، بعد غياب دام شهرين ، الا انه كان ثملا للغاية ، حتى انه لم يتمكن من مغادرة الفندق بمفرده ، عائدا من حيث اتى ! »

قال رئيس السفرجية الذى كان قد وقف الى جانب المديرة فى

نعومة ، كما لو كان يتحدث الى نفسه : « اذن فهو قد حضر لزيارتك ، وبعد ذلك ثمل الى هذا الحد ، حتى لم يتمكن من مغادرة الفندق ! » ، فهمست المديرة من فوق كتفها ، بشيء الى رئيس السفرجية ، الذى بدا وكانه سيعترض ، لكنه ابتسم لها ، ابتسامة لم تبد عليها أن لها صلة بموضوع كارل على الاطلاق ، وضغطت تيريز ـ ثبت كارل عينيه عليها ـ وجهها فى يأس تام الى جسد المديرة ، وتحاشت النظر الى اى شيء ، وكان الشخص الذى أرضاه توضيح كارل ، هو رئيس البوابين ، الذى ردد عديدا من المرات : « هذا صحيح تماما ، يجب عليك أن تساعد زميلك عندما يكون ثملا ! » ، وحاول أن يؤكد ذلك التفسير بالنظر الى الآخرين جميعا ، وتلويح يديه .

قال كارل : « اننى الملوم على هذا ! » ، وتوقف لحظة ، كما لو كان ينتظر كلمة طيبة من قضاته لتمنحه الشجاعة على اكمال دفاعه ، الا انه لم يسمع شيئا فقال : « اننى الملوم على هذا فقط لاننى اخذت الرجل الى عنبر النوم ـ انه يدعى روبنسون ، وهو ايرلندى ـ الا ان كل ما قاله بعد ذلك ، انما يرجع الى انه كان ثملا ، وهو غير صحيح كله ! »

فتساءل رئيس السفرجية قائلا : اذن فانت لم تعد بأن تعطيه نقودا ! .

قال كارل : « نعم ! » ، فقد احس بالاسف لانه نسى ذلك فى عجلته واضطرابه ، فقد كان عازما تماما على أن يصرح بكل شيء لتبرئة نفسه : « لقد وعدته بان اعطيه نقودا ، لانه سالنى ان اعطيه شيئا منها ، لكن لم تكن لدى ادنى نية فى البحث عنها ، لاننى كنت سأعطيه فحسب المنح التى حصلت عليها الليلة ! » ، ولاثبات ذلك ، اخرج كارل النقود من جيبه ، ورفع يده بقطع العملة الصغيرة التى كانت معه .

قال رئيس السفرجية : « انك تورط نفسك أكثر فاكثر ، فلو قدر لنا ان نصدقك فعلينا أن نتناسى تماما ما قلته قبل ذلك ، فانت اولا قد اصطحبت الرجل الى عنبر النوم ـ واننى حتى لست مقتنعا بأن اسمه روبنسون ، لانه لايوجد ايرلندى بهذا الاسم منذ ان خلقت ايرلندا ـ اخذته اولا الى عنبر النوم ، ولهذا وحده ، يمكن ان نقذف بك خارجا ، لتدق عنقك خارج الفندق ، يمكننى أن أصرح لك بهذا ـ الا انك لم تعد بان تعطيه نقودا بالفعل !

ليست هذه لعبة محاورة بالسؤال والجواب ، لان السؤال عندما طرح عليك ، اتضح انك وعدت بأن تعطيه نقودا بالفعل ، ودعني اذكرك بهذا ، ويبدو انك فى حاجة الى من يوضح لك طبيعة شخصيتك ، وفى البداية لم تكن لديك النية فى البحث عن النقود ، لانك انتويت ان تعطيه المنح التى تلقيتها الليلة ، ثم يتضح الآن انك لاتزال تحتفظ بهذه المنح معك ، وهكذا فلا بد قد انتويت ان تحصل على مزيد من النقود لكى تعطيها له ، وهو افتراض يدعمه غيابك الطويل . وبعد كل هذا ، فليس غريبا ان تأخذ بعض النقود من صندوقك لتعطيها له ، الا ان مايبدو غريبا بلا شك هو انك قد انكرت ذلك بشدة ، وانك ظللت تخفى حقيقة انك اتحت للرجل أن يشمل هنا فى الفندق ، وهى حقيقة لا يمكن الشك فيها ، لانك قد صرحت انت نفسك بانه كان قد اتى بنفسه الى هنا ، ولكنه لم يتمكن من ان يغادر الفندق بمفرده ، كما انه قد اخبر كل من فى عنبر النوم ، بانه ضيفك ، وعلى هذا فلا يبقى سوى شيئين فقط هما اللذان ينحصر فيهما الشك ، ولا يمكن تقريرهما بكل دقة دون معونتك ، اولهما : كيف تمكنت من ان تدخل المخازن ، وثانيهما : كيف وصلت يداك الى المال الكافى ، حتى توزعه على الغير ؟ » .

قال كارل فى نفسه : « من المستحيل ان يدافع المرء من نفسه حيث لا تتوفر النية الحسنة ! » ، ولم يحر جوابا بعد ذلك ، على أسئلة رئيس السفرجية ، وقد آلم هذا تيريز اشد الالم ، وقد بدا هذا واضحا عليها ، كان كارل يعلم ان كل ما يمكنه أن يقوله يبدو مختلفا غاية الاختلاف فى نظر الآخرين ، وسواء كان هذا حسنا ، أو سيئا ، فان النتائج التى يمكن استخلاصها من تصرفاته تعتمد أولا وأخيرا على اسلوب محاكمته .

قالت المديرة : « انه لا يرد ؟ ! »

فقال رئيس السفرجية : « ان هذا هو افضل ما يمكنه أن يفعله ! »

وقال رئيس البوابين : « سوف يفكر فى الحال فى شيء آخر يقوله ! » ، بينما راح يداعب شاربه بيد بدت حانية الآن ، مع أنها كانت قبل قليل فى غاية العنف .

قالت المديرة لتيريز : « اهدئى ! » ، وكانت تيريز قد بدات تنهنه ، وهى تقف الى جوارها : « انك ترين انه لا يجد شيئا يرد به على ما يوجه اليه من اسئلة ، فكيف يمكننى فى هذه الحالة ان

افعل له اى شىء ؟ » ، وفوق هذا ، فلقد كنت انا التى اخطات فى راى رئيس السفرجية ، فاخبرينى يا تيريز ، اترين شيئا قد قصرت فى أدائه ، بينما فى مقدورى ان افعله من اجله ؟ »
كيف يتسنى لتيريز أن تعرف ذلك ، وما هو الهدف الذى يدفعها الى التسليم الى هذا الحد فى وجود هذين الرجلين بهذا السؤال العام ، وبدعوتها الفتاة الى ان تسلم هى ايضا ؟ ! » .

قال كارل متمالكا نفسه مرة أخرى : « مدام ! » ، دون اى غرض ، سوى مجرد ان يعفى تيريز من عناء الرد : « أعتقد اننى لم اسبب لك اى خزى ، ولو ان بحثا دقيقا قد قام ، فان كل شخص آخر سوف يوافقنى على كل ما قلته ! » .
قال رئيس البوابين : « كل شخص اخر ! » ، وهو يسدد اصبعه نحو رئيس السفرجية : « ان هذا يمنيك يا مستر ايسبارى ! » .
قال مستر ايسبارى : « والآن ياسيدتى ، انها السادسة والنصف ، ولقد استغرقنا هذا الامر وقتا طويلا ، وأعتقد ان عليك ان تتركى لى الكلمة الاخيرة فى هذا الموضوع الذى عالجناه بكثير جدا من الصبر ! » .
ودخل جياكومو الصغير ، متجها نحو كارل ، لكنه وقد ارتاع للصمت المطبق ، توقف ، وانتظر .
ولم تكن المديرة قد رفعت عينيها عن كارل ، منذ آخر كلمة تفوه بها ، كما لم يكن هناك اى دليل يدل على انها قد سمعت ملاحظة رئيس السفرجية ، كانت عيناها مثبتتين مباشرة على كارل ، وقد كانتا واسعتين وزرقاوين ، لكنهما كانتا كابيتين الى حد ما بفعل السنين ، والاحداث ، وبينما كانت تقف هناك وهى تدفع المقعد فى رقة امامها ، كانت تبدو كما لو كانت على وشك ان تقول فى اللحظة التالية : « حسنا يا كارل ، اننى عندما اتمعن فى الامر ، يبدو لى أن هذه المشكلة لم تتضح كما ينبغى لها الوضوح ، وهى تحتاج كما قلت انت بحق ، الى بحث كامل لكل دقائقها ، وسوف نشرع فى ذلك البحث الآن ، سواء وافق الجميع على ذلك ، او اعترضوا ، ذلك ان العدالة يجب ان تاخذ مجراها » .

الا ان المديرة قد قالت بدلا من ذلك بعد لحظة قصيرة من الصمت ، لم يجرؤ أحدعلى ان ينتهكها ، كما ان الساعة دقت لحظتها معلنة السادسة والنصف تاكيدا لقول رئيس السفرجية ،

وتبعا لها ، كما يعرف الجميع ، دقت كل الساعات الاخرى فى الفندق باكمله ، ورنت دقاتها فى الاسماع كالنذير ، كضربة متضاعفة كوقع الجزع البالغ : « لا يا كارل ، لا .. لا .. اننا لن نستمع الى شيء أكثر مما استمعنا اليه حتى الآن ، ان الامور عندما تكون على حق ، فانها تبدو كذلك منذ الوهلة الاولى ، وعلى أن أعترف بان ملابسات حالتك ، لا تبدو كذلك ، ان لى ان أقول ذلك ، وعلى ان اقوله ، على أن أعترف بذلك ، لاننى كنت أنا التى حضرت الى هنا منحازة الى صفك انحيازا تاما ، وهانت ترى ان تيريز تلتزم الصمت هى ايضا ! » الا انها لم تكن صامتة ، كانت تبكى .

وتوقفت المديرة ، وكانها قد انتهت فجاة الى قرار وقالت : « كارل ، تقدم الى هنا » ، وعندما تقدم نحوها ، بدأ رئيس السفرجية ، ورئيس البوابين فى الحال حديثا نشطا خلف ظهره ، وضمت ذراعها اليسرى حوله ، وقادته ، وتبعتهما تيريز المستسلمة، الى الجانب الآخر من الحجرة ، « والا فاننى فى الحقيقة لا اعرف ماذا ساعرف بشانك ، ان بحثا ربما أمكنه ان يبرر موقفك ، فى بعض النقاط الصغيرة المنفصلة ، ولماذا لا يحدث ذلك ؟ ! » ، وربما كنت قد قمت بتحية رئيس البوابين ، اننى أحس دون شك بانك قد فعلت ، كما ان لى رأيى الخاص فى رئيس البوابين ، وها أنت ترى اننى ما زلت فى غاية الصراحة معك . الا ان هذه التبريرات لن تساعدك مطلقا فى شيء . وان رئيس السفرجية الذى تعلمت طوال السنين ان اقدر حكمه على الناس ، والذى هو أكثر من عرفتهم من الرجال استحقاقا للثقة ، قد اعلن فى وضوح انك مذنب ، ويجب على أن أقول أن حكمه يبدو لى غير قابل للانكار ، وربما كنت قد تصرفت بلا تفكير ، لكن لعلك أيضا ، لست الصبى الذى كنت اظنه ، الا ان .. ! » وبهذا قطعت حديثها ، والقت نظرة عابرة من فوق كتفها الى الرجلين : « اننى لايمكننى أن أواصل الاعتقاد بانك صبى نبيل فى جوهرك ! » .

قال رئيس السفرجية محذرا : « مدام ، مدام ! » ، لانه كان قد لمح نظرتها اليهما .

قالت المديرة : « سوف ننتهى فى خلال دقيقة واحدة ! » ، وشرعت فى انذار كارل فى سرعة اكثر : « استمع الى يا كارل ، اننى من خلال ما امكننى أن أستنتجه من هذا الامر ، فاننى راضية

بالفعل لان رئيس السفرجية لايريد ان يبدأ بحثا فى مشكلتك ، لانه لو كان له ان يفعل ، لكان على ان أمنعه لصالحك ، فلا يجب ان يعلم أحد كيف ولا من اين حصلت على الشراب لذلك الرجل الذى لا يمكن أن يكون احد صديقيك القديمين ، كما أعلنت ، لانك كنت قد اشتبكت فى عراك عنيف معهما عندما تركتهما ، وعلى هذا فلا يمكن ان تكون على علاقة طيبة الى هذا الحد باى منهما الآن ،

وعلى هذا فلا بد ان تكون الصداقة قد ربطتك بهذا الرجل ذات ليلة فى احد اوكار الشراب فى المدينة ، فكيف أمكنك ان تخفى هذه الامور عنى يا كارل ؟ ! فلو كنت حقيقة ، لا تحتمل عنبر النوم ، وشرعت فى التجول هنا وهناك ليلا لاسباب غير بريئة كهذه الاسباب ، فلماذا لم تذكر كلمة واحدة عن ذلك ؟ انك تعلم انني قد رغبت في ان اخصص لك حجرة خاصة بك ، وانني عدلت عن الفكرة فقط بناء على رغبتك ، ويبدو لى الآن انك قد فضلت عنبر النوم العمومى ، لانك احسست بأنك تتمتع بحرية أكثر هناك ، كما انك دائما تضع نقودك معى ، وتسلمنى المنح التى تحصل عليها كل اسبوع ، فمن اين بحق السماء ، حصلت أيها الصبى على النقود لهذه الجولات ، ومن اين كنت تنوى أن تحصل على النقود

لصديقك ؟ وبالطبع هذه أمور لايمكننى ان اذكرها لرئيس السفرجية الآن على الاقل ، والا فان التحريات فى هذه الحالة ، قد لايمكن تجنبها ، وعلى هذا فعليك ان تغادر الفندق ببساطة ، وباسرع ما يمكن أيضا ، اذهب رأسا الى « بنسيون برينر » — ولقد ذهبت اليه بالفعل بصحبة تيريز ، عديدا من المرات من قبل — وسوف يستقبلونك فى الحال بلا مقابل ، اذا أطلعتهم على هذه البطاقة » ،

وكتبت بضعة سطور فوق بطاقة بقلم من الذهب ، انتزعته من داخل بلوزتها ، لكن بدون أن تقطع اتصال حديثها — وسوف ارسل صندوقك خلفك فى الحال ! اذهبى يا تيريز بسرعة الى حجرة امانات صبية المصاعد ، واحضرى صندوقه » الا ان تيريز لم تأت باية حركة ، لانها بعد ان كابدت كل ذلك الاسى ، رغبت أيضا فى ان تشارك الى النهاية هذه المرة فى الاستمتاع بالحظ الحسن الذى شاء ان يكون من حسن طالع كارل ، وشكرا لعطف المديرة ! »

وفتح شخص ما الباب قليلا ، دون أن يظهر من خلاله ، واغلقه ثانية فى الحال ، ولا بد انه كان شخصا قد اتى ليستعجل جياكومو

فقد تقدم جياكومو الى الامام قائلا : « روسمان ، اريد ان اتحدث معك ! »

قالت المديرة : « بعد لحظة ! » ودست البطاقة في جيب كارل ، بينما كان يستمع وهو واقف براسه المحنية الى أسفل : «وسوف احتفظ الان بنقودك ، أنت تعلم انها في امان بين يدى ، فابق اليوم في غرفتك هناك ، وتدبر وضعك ، وغدا ـ فليس لدى وقت اليوم ، ولقد احتجزت الآن وقتا طويلا للغاية هنا أيضا ـ سوف احضر اليك في بنسيون برينر ، وسوف نرى ما يمكن ان نفعله من اجلك بعد هذا ، انني لن اتخلى عنك ، ويجب أن تعلم هذا جيدا الآن ، ولست في حاجة الى ان تشغل ذهنك بامر مستقبلك لكنك في حاجة الى أن تتفحص وضعك خلال تلك الاسابيع القليلة الماضية ، وربتت على كتفه ، ثم مضت نحو رئيس السفرجية ! ورفع كارل راسه ، وحدق خلف المراة الطويلة الهيئة ، بينما كانت تبتعد عنه بخطواتها الخفيفة ، وسلوكها الواضح .

قالت تيريز التى بقيت الى جانبه : « حسنا ، الست مسرورا ، لان كل شيء قد انتهى ، هذه النهاية الحسنة ؟ ! » .

قال كارل : « آه .. بالطبع ، وابتسم لها ، الا انه لم يفهم كيف يمكنه ان يكون مسرورا ، لانه قد فصل من عمله كلص ، وشعت عينا تيريز بالفرح الخالص ، كما لو لم يكن يهم مطلقا ، ان كان كارل قد ارتكب جريمة اولا ، ويستوى كذلك ان كان قد حوكم محاكمة عادلة او ظالمة ، ما دام قد اتيح له فقط ان يهرب خجلا ، او فخورا ، ولقد كانت تيريز هى التى تسلك نحوه هذا السلوك ، تيريز تلك المتشككة غاية التشكك في كل شيء يتعلق بها ، فتقلبه في راسها ، وتتفحص لمدة أسابيع اية كلمة تحتمل الشك ، قد تقولها المديرة ، وفي تصميم حازم قال : « هل سترتبين اشيائى في الصندوق ، وترسلينه الى في الحال ؟ » ، وكان عليه على الرغم منه ان يهز راسه في دهشة ، فما اسرع ان التقطت تيريز التضمينات التى توهمت ان سؤاله لها يتضمنها ، وفي اقتناعها بوجود اشياء في ذلك الصندوق ، لا يجب أن يراها اى شخص ، لم تضع لهذا وقتا ولو لمجرد ان تنظر الى كارل ، او حتى تشد على يده ، لكنها همست فقط : « بلا شك ، يا كارل ، في الحال ، سوف ارتب الصندوق في هذه اللحظة ذاتها ! » ، واختفت !

الا ان جياكومو لم يستطع الآن ان يمنع نفسه اكثر من ذلك ، وفى اضطرابه لطول انتظاره ، صاح قائلا : « روسمان ، ان الرجل قد اثار مشاجرة فى الممر ، ورفض الخروج من الفندق ! » ، انهم يريدون أن يذهبوا به الى المستشفى ، الا انه يعترض على ذلك ، ويقول انك لن تدعهم يأخذونه اليها ، انه يقول ان علينا ان نحضر تاكسيا ، يقله الى البيت ، وانك ستدفع أجر التاكسى ، فهل ستدفعه ؟ ! » .

قال رئيس السفرجية : « يبدو ان الرجل يعول عليك كثيرا ! » فهز كارل كتفيه ، واحصى نقوده فى كف جياكومو قائلا . « هذا هو كل ما معى ! » .

قال جياكومو ، وهو يشخشخ بالنقود : « ان على أن اسأل ايضا ان كنت ستستقل التاكسى معه ؟ ! » .

فقالت المديرة : « لا ، انه لن يذهب ! »

فقال رئيس السفرجية مسرعا ، دون أن ينتظر حتى يغادر جياكومو الحجرة :

ـ حسنا يا روسمان ، لقد فصلت الآن من هنا ! واطرق رئيس البوابين براسه عدة مرات كما لو كانت تلك الكلمات كلماته هو ، وليس رئيس السفرجية سوى الناطق بلسانه : « ان أسباب فصلك هي اسباب لايمكنني أن اعلنها على الملأ ، لانني فى تلك الحالة ساضطر الى ان ارسلك الى السجن ! » ، ونظر رئيس البوابين فى وحشية شديدة نحو المديرة ، لانه كان يعلم تماما انها كانت هى السبب فى تلك المعاملة البالغة الرقة : « والآن اذهب الى بست ، وابدل ملابسك وسلم الى « بست » زيك هذا الذى ترتديه وغادر الفندق فى الحال ، غادره فى الحال ! » .

واغلقت المديرة عينيها ، وكأنها قد رغبت بذلك ان تؤكد لكارل ما قاله رئيس السفرجية ، وعندما انحنى ، وهم بالخروج من الحجرة ، رأى رئيس السفرجية ، ممسكا بيد المديرة وقد راح يتحسسها مداعبا اياها خلسة ، واوصل رئيس البوابين كارل الى باب الحجرة بخطوات ثقيلة ، ولم يدعه يغلق بابها خلفه ، بل ابقاه مفتوحا ، لكى يصيح خلفه قائلا : « فى خلال ربع دقيقة ؛ يجب عليك أن تمر بمكتبى ، وان تغادر الفندق ، عن طريق الباب العمومى ، فلتنتبه الى هذا ! » .

واسرع كارل باقصى سرعته ، لكى يتجنب أى تكدير عند رحيله ،

الا ان كل شيء سار على نحو اكثر بطئا مما رغب ، فلم يجد بست اولا ، وفى هذا الوقت ، وقت تناول الافطار كان الفندق يمتلىء بحشود هائلة من الناس ، ثم ظهر ان صبيا آخر كان قد استعار بنطلون كارل القديم ، وكان على كارل ان يفتش كل شماعات الملابس التي بجوار كل السرر تقريبا قبل ان يعثر على بنطلونه ، وعلى هذا فقد انقضت خمس دقائق على الاقل ، قبل ان يبلغ الباب العمومى . وامامه مباشرة كانت احدى السيدات تسير فى رفقة اربعة رجال ، واتجهوا جميعا نحو سيارة كبيرة كانت فى انتظارهم ، وكان احد الخدم يفتح الباب بينما فرد ذراعه الطليقة جانبا ، فى محاذاة كتفه على امتدادها ، وقد بدا ذلك وضعا بالغ التأثير ، الا ان رغبة كارل فى ان يغادر الفندق دون ان يلحظه احد خلف هذه المجموعة الراقية من النزلاء راحت عبثا ، ذلك ان رئيس البوابين قد أمسكه من ذراعه ، وسحبه الى الخلف من وسط اثنين من السادة ، بعد ان وجه اليهما كلمة اعتذار .

تساءل قائلا وهو ينظر شزرا الى كارل ، كما لو كان يتمحص ساعة غير مضبوطة :

ــ هل تعتبر هذه المدة ربع دقيقة ؟ ! تعال هنا . اضاف هذا وهويدفعه نحو مكتب رئيس البوابين الواسع الذى كان كارل متشوقا فى وقت من الاوقات شوقا زائدا الى ان يتفحصه ، الا انه قد شمل ذلك المكتب الذى دفعه الرجل الى داخله دفعا بنظرة ارتياب ، وخلف الباب مباشرة ، تملص ، وحاول ان يدفع رئيس البوابين بعيدا ، ويهرب .

قال رئيس البوابين : « لا .. لا .. الى هنا ، الى الداخل ! » وهو يدفعه ثانية الى داخل الحجرة .

قال كارل : « ولكننى قد طردت ! » ، وهو يعنى بذلك ان احدا فى الفندق ، لا حق له الآن فى ان يصدر اليه اى اوامر .

فقال رئيس البوابين : « طالما اننى اقبض عليك ، فانك لم تطرد بعد ! » ، وكان ما قاله حقا بالفعل وبالاضافة الى ذلك ، فان كارل لم يجد سببا فعليا لمقاومة رئيس البوابين ، فما الذى عساه ان يحدث له فى نهاية الامر ، أكثر مما قد حدث له بالفعل ؟ كما ان جدران المكتب ، كانت ايضا تتألف من الواح هائلة من الزجاج ، يمكنك من خلالها ان ترى تيارات الداخلين والخارجين من النزلاء فى البهو ، بغاية الوضوح ، كما لو كنت تقف

بينهم . نعم ، كان يبدو ، وكأنه لا يوجد بالحجرة كلها اى زوايا او اركان يمكن ان يختفى فيها كارل عن اعين هؤلاء الناس ، ولا يهم مدى السرعة التى كانوا يندفعون بها فى حركتهم خارج تلك الحجرة ، حيث كانوا يحملون امتعتهم فوق رءوسهم بأذرعهم الممدودة الى اعلى ، ورءوسهم المحنية ، وعيونهم المحملقة . بهذه الصورة ، كانوا يشقون طريقهم . وكان كل منهم لايتمكن من ان يلقى نظرة الا بصعوبة داخل حجرة رئيس البوابين ، ذلك ان الاعلانات والاخبار كانت معلقة كلها خلف الالواح الزجاجية ، تلك الاعلانات والاخبار التى كانت تهم نزلاء الفندق وموظفيه معا . وقد كان البهو ، ومكتب رئيس البوابين بالاضافة الى ذلك على اتصال مباشر ببعضهما ذلك ان اثنين من مساعدى رئيس البوابين ، كانا يجلسان الى نافذتين هائلتين متحركتين ، وكانا مشغولين دائما فى توجيه المعلومات فى كافة الموضوعات ، كان هذان الرجلان مثقلين حقا بالعمل ، وقد استطاع كارل ان يدرك ببصيرة نافذة ، ان رئيس البوابين كان قد اخترع تلك الحيلة ، على سبيل ترقية نفسه ، كان هذان الرجلان اللذان يقومان بالرد على الاستفسارات – من الخارج لم يكن يسعك فى الحقيقة أن تتصور كيف كان يجرى عملهما – يتحدثان فى نفس الوقت الى عشرة وجوه متسائلة أمام كل منهما على الاقل ، ومن هؤلاء العشرة ، الذين كانوا يتغيرون باستمرار ، كانت ترتفع دائما ضجة مكونة من خليط مختلف من اللهجات ، كما لو كان كل منهم مبعوثا من دولة مختلفة ، وكان يوجد دائما عدد كبير منهم يستفسرون فى وقت واحد عن اشياء مختلفة ، بينما كان آخرون يتناقشون ايضا مع بعضهم البعض ، وكان اكثرهم يريدون ان يودعوا شيئا فى مكتب رئيس البوابين ، او يستردوا منه ودائع كانوا قد اودعوها فيه ، ولهذا كنت ترى حركات الايدى المتشابكة فى حركة عنيفة ، وهى ترتفع من وسط الجمع ، او رجلا لا يطيق صبرا فيتفحص جريدة كانت تنفرد فى الهواء للحظة ، وهى تصفع الوجوه ، كل هذا كان على مساعدي رئيس البوابين ان يتحملاه ، لم يكن مجرد الكلام كافيا لاداء عملهما . كانا يثرثران ، وكان احدهما ، بصفة خاصة ، وهو رجل حزين ، له لحية داكنة ، تكاد تخفى كل وجهه ، كان يوزع المعلومات ، ويرد على الاستفسارات دون أن يتوقف لالتقاط انفاسه ولم يكن لينظر الى المكتب حيث كان يسلم – بلا توقف – عديدا من الاشياء الى أصحابها خارج النافذة ، ولا كان ينظر فى وجوه

المتسائلين ، بل ينظر امامه مباشرة ، نظرة لا تحيد ، لكى يقتصد فى مجهوده على الاغلب ، ويحتفظ بقواه ، وكانت لحبته احيانا ما تشارك فى توضيح ردوده ، وفى اثناء الفترة القصيرة التى قضاها كارل بداخل تلك الحجرة ، استطاع ان يتبين الى حد ما بعضا مما كان يقال ، بقدر ما امكنه ذلك ، على الرغم من غموض الاساليب المختلفة لنطق اللغة الانجليزية ، وكان القليل مما سمعه ايضا قد سمعه ببعض اللغات الاجنبية التى كانت تتطلبها اللحظة ، وكان الاضطراب بالاضافة الى ذلك هو السبب فى ان الجواب على اي سؤال من تلك الاسئلة كان ينطلق فى سرعة بالغة فى اعقاب الجواب الآخر ، حتى انه لم يكن من السهل تمييز تلك الاجابة من غيرها ، ولهذا كان السائل يستمع فى انتباه شديد ، معتقدا أن اجابة سؤاله لم تكن قد انتهت بعد ، دون أن يتمكن من أن يدرك فى اللحظة المناسبة ان اجابة سؤاله كانت قد انتهت . وكان عليك ان تعتاد على ما اعتاده مساعدا رئيس البوابين هذان فى عدم طلبهما من الجمهور اعادة اي سؤال ، حتى ولو كان غامضا فى نصه ، طالما كان من الممكن الاحساس بالمقصود منه عامة ، وعندئذ كان المساعد يأتى بحركة من راسه لا تكاد تبين ، معلنــا بها انه لن يجيب على هــذا السؤال بصيغته الراهنة ، وان من شأن السائل أن يكتشــف وجه النقــص فى السؤال ، وان يعيد السؤال مرة اخرى فى صورة اكثر دقة . وكان هذا يتسبب فى تعطيل كثير من الناس لوقت طويل امام نافــذة الاستعلامات . وكان لــكل من المساعدين هــذين صبي صــغير يعمل كساع خاص لمساعدته ، كان عليه أن يندفع هنا وهناك ليحضر من خزانة ما ، شيــئا يحتــاجه المســاعد ، ويبحث كذلك من الطلبات فى عدد من مختلف الدواليب الاخرى . كانت هذه الوظيفة من اكبر الوظائف اجرا ، وان كانت ايضا من اشــد الوظائف التى يحصل عليها صبية الفندق ارهاقا فى العمل ، وكان الصبية يجهدون انفسهم الى حد كبير فى تلك الوظيفة ويتكلفون جهدا يتفوق كثيرا على جهد المساعدين اللذين لم يكن عليهما ســوى أن يفكرا ويتحدثا بينما كان على الصبيــة أن يفكروا ، وان يهرولوا هنا وهنــاك لاحضار الطلبات فى وقت معا . فلو حدث أن احضر احدهم شيئا غير ما طلب منه احضــاره ، فان المســاعد كان يضطر الى ان يلقى عليه محاضرة طويلة ، وبلطشــة خفيفــة من يده كان يطوح بالشىء الذى احضره الصبى ارضا ، بعد أن يضــمه الصبى على

الطاولة التى امام نافذة الاستعلامات . وكان تغيير نوبات عمل هؤلاء المساعدين امرا شائقا ، وقد حدث بعد فترة قصيرة من دخول كارل الى تلك الحجرة . وكانت تلك التغييرات تحدث كثيرا فى خلال نوبات عمل النهار على الاقل ، لانه ربما لا يتسنى لاى رجل فى هذه الدنيا ان يحتمل البقاء امام طاولة نافذة الاستعلامات تلك اكثر من ساعة . وعند حلول لحظة الراحة يدق جرس ما ، فيظهر فى الحال من خلال احد الابواب الجانبية ، المساعدان اللذان حل دورهما الآن فى العمل ، يتبع كل منهما الصبى المكلف بمساعدته فيجلسان عندئذ فى تكاسل الى النافذتين ، ويتأملان الناس الذين يقفون خارج النافذتين للحظة ، حتى يمكنهما ان يكتشفا على وجه الدقة نوع الاسئلة التى عليهما أن يجيبا عنها . وعندما تبدو اللحظة مناسبة للاستفسار ، كان القادم الجديد يربت على كتف المساعد الذى عليه ان يرد على اسئلته ، فيجيبه فى الحال ، على الرغم من انه لا يكون قد القى مجرد نظرة الى ما كان يجرى خلف ظهره ، ويغادر السائل مكانه ، ويحدث هذا كله بغاية السرعة لدهشة الناس الذين يقفون فى الخارج ، هؤلاء الذين كانوا ينزعجون عندما يفاجأون بشخص آخر غريب امامهم فجأة . اما الرجلان اللذان تكون قد حلت نوبة راحتهما من العمل ، فانهما يمددان جسديهما ثم يصبان الماء فوق راسيهما الملتهبين عند حوضين من احواض الغسيل أعدا لهما ، لكن لا يكون للصبيين اللذين يساعدانهما ان يتمددا مثلهما على الفور ، لانهما يكونان مشغولين لبعض الوقت فى التقاط الاشياء المتناثرة ، المختلفة التى تناثرت فى خلال نوبة عملهما ، واعادتها الى مكانها السابق .

راقب كارل هذا كله بانتباه شديد ، عن قرب ، فى خلال بضع دقائق ، ثم اصابه بعد ذلك صداع خفيف فتبع فى هدوء ، رئيس البوابين الذى قاده الى داخل الحجرة ، وكان رئيس البوابين قد لاحظ فى وضوح ، التأثير العميق الذى تركه اسلوب ذلك العمل ، فى الرد على استفسارات النزلاء ، فقد لوح بذراعه فجأة قائلا :

ـ هذه هى الطريقة التى يسير عليها العمل هنا كما ترى ! ولم يكن كارل بلا شك عاطلا فى الفندق ، الا انه لم تكن لديه فكرة عن هذا العمل ، وتطلع امامه ، وقد نسى تماما ان رئيس البوابين كان عدوه اللدود ، واطرق فى اعجاب صامت ، فبدا هذا مرة أخرى الرئيس البوابين تقديرا زائدا المساعدين ، وتهيأ له ان فى

هذا شيء من التقليل من قدره ، فصاح دون ان يحفل بان الجميع كانوا يسمعونه ، محاولا على ما يبدو ان يستغل سذاجة كارل .

ـ ان العمل هنا هو بالطبع اكثر الاعمال غباء فى الفندق بأكمله ، ولا تحتاج لكى تقوم بهذا العمل سوى أن تستمع لمدة ساعة ، لكى تعلم تماما كل الاسئلة التى يمكن ان توجه اليك ، أما ما عدا ذلك من الاسئلة فليس عليك أن ترد عليها مطلقا . ولو لم تكن بمثل تلك الوقاحة ، وسوء الطبع ، ولو لم تكذب ، وتتكاسل ، وتعربد ، وتسرق ، فربما كنت وضعتك أمام احدى هذه النوافذ ، بما انها وظيفة تناسب ذوي الرءوس الصماء ! وتجاهل كارل الاهانة التى وجهها اليه رئيس البوابين ، فلقد كان الاخير فى حالة من السخط ، بدا له فيها العمل الشاق ، الشريف الذى كان يقوم به المساعدان ، شيئا يمكن الاستهانة به ، والسخرية منه ، مع انه ـ هو الذى يسخر من هذا العمل ـ لو خطر له أن يجازف بالجلوس الى احد هاتين النافذتين ، فسوف يكون هدفا للسخرية فى خلال دقائق قليلة ، ولتمين عليه أن يترك هذا العمل فى الحال لعجزه عن احتماله .

قال كارل ، وكان اهتمامه بمكتب رئيس البوابين قد اشبع الآن للغاية :

ـ دعنى ، فلست ارغب فى أن يربطنى بك اى شيء ، اكثر من ذلك !

فقال رئيس البوابين ، وهو يسحق ذراع كارل ، حتى تخدرت ، وهو يجره الى الطرف الآخر من المكتب ، فهل تمكن الناس الذين فى الخارج أن يروا هذا التهديد ، ولو كانوا قد لمحوه ، فماذا كان ظنهم بما قد يترتب عليه ، طالما ان احدا منهم لم يعترض على ذلك ، ولا دق آخر على الزجاج ، لكى يلفت نظر رئيس البوابين الى انه يرقبه ، وانه ليس له ـ أمام كل هؤلاء الناس ـ أن يعامل كارل كما يحلو له ؟ الا ان كارل سرعان ما فقد الامل فى تلقى أية معونة من هؤلاء الناس الذين يملاون ذلك البهو . فقد جذب رئيس البوابين احد الحبال ، فسقطت فى الحال فوق الالواح الزجاجية التى تغطى احد جوانب حجرة المكتب ستائر سوداء ، كانت تمتد من السقف الى الارض ، بسرعة البرق . وفى هذا الجانب من المكتب كان يوجد ايضا بعض الناس ، الا انهم كانوا مشغولين بعملهم ، بأقصى سرعة ، فلم يكن يهمهم أن يروا او يسمعوا اى

شيء لا يتعلق بعملهم . وكانوا هم ايضا يتبعون مباشرة رئيس البوابين ، ولهذا كانوا على استمداد لاخفاء اى شيء ينوى رئيس البوابين أن يفعله . لقد كان هناك ستة من البوابين المساعدين يجلسون الى ستة تليفونات ، وكان نظام عملهم يتضح من النظرة الاولى ، فقد كان واحد من كل اثنين ، يدون المحادثات ، ويعطى هذه المذكرات لزميله الذى يرسلها عن طريق تليفون آخر ، وكانت أجهزة التليفونات حديثة الطراز ، فلم تكن تلك الاجهزة فى حاجة الى صناديق ، ذلك لان رنين جرس التليفون لم يكن يرتفع عن مجرد الدبدبة ، وكان مجرد الهمس فى «المرسل» يتضخم بواسطة أجهزة كهربائية ، حتى يبلغ الطرف الآخر من الخط التليفونى فى صوت كقصف الرعد ، ولهذا السبب لم يكن المرء يكاد يسمع اصوات الرجال الثلاثة الذين كانوا يتحدثون فى التليفونات ، وربما ظن المرء انهم كانوا يهمسون لانفسهم فى المرسل ، بالحديث عن تفاصيل بعض الاحداث ، بينما كان الثلاثة الآخرون صامتين ، وكأنما أسكتهم الصوت القاصف الذى كان يصلهم عن طريق السماعات التى كانوا يضعونها على آذانهم ، على الرغم من أن احدا سواهم لم يكن يسمع تلك الاصوات الراعدة مطلقا ، وكانوا مطرقين برءوسهم على الاوراق التى كانوا يدونون عليها ملاحظاتهم . وكان ثمة صبى يعمل كمساعد ، هنا ايضا ، لكل من الرجال الثلاثة الذين كانوا يهمسون فى التليفونات ، ولم يكن هؤلاء الصبية الثلاثة يفعلون شيئا سوى أن يحنوا بالتناوب رءوسهم نحو رؤسائهم الثلاثة فى وضع تسمع لما قد يقولونه لهم ، ثم يتحولون فى الحال الى البحث — كما لو كانوا قد لدغوا لمجرد سماعهم بالاوامر الموجهة اليهم — عن أرقام بعض التليفونات فى دفاتر ضخمة صفراء ، وكانت خشخشة تلك الكتل من الاوراق الكثيرة ، تكتم فى سهولة أى صوت يصدر عن تلك التليفونات .

لم يستطع كارل ان يمنع نفسه عن مراقبة هذا كله ، على الرغم من أن رئيس البوابين الذى كان قد جلس الآن ، ظل ممسكا بتلابيبه ، وكأنه يحتضنه .

قال رئيس البوابين ، وهو يهز كارل ، وكأنه يريد منه فقط أن يدير وجهه ناحيته لكى ينتبه الى ما سوف يقوله : « انه واجبى ، فلو أن رئيس السفرجية اهمل فى ملاحظة أنجاز اى شيء ، لاى سبب من الاسباب ، مطلا اهماله ، بانشغاله فى المشاركة فى ادارة

الفندق ، فاننى اقوم بالاشراف على انجازه باقصى ما يسمى من الاهتمام ، اننا نبذل اقصى جهدنا ، لكى نساعد بعضنا بعضا ، فلو لم يطرد سير العمل على هذا النحو ، فليس من الممكن ان يتصور المرء كيف تنسجم هذه الهيئة الهائلة التى تعمل فى انحاء الفندق كله ، وقد تقول اننى لست رئيسك المباشر ، حسنا ، وانا أقول لك بدورى انه يتساوى لدى أن اضطلع بعملى او باى اعمال اخرى قد يهملها الآخرون ، وبالاضافة الى ذلك ، فاننى كرئيس للبوابين ، أعد بصورة ما ، اهم من اى شخص آخر هنا ، لاننى المكلف بحراسة جميع ابواب الفندق ، هذا الباب العمومى ، والابواب الوسطى الثلاثة ، ولا داعى لذكر باقى الابواب الاخرى التى لا حصر لها ، والفتحات التى لا ابواب لها ، وبالطبع يتمين على جميع أفراد طاقم الخدمة الذين يصلهم عملهم بى ، ان يطيعوا اوامرى ، طاعة تامة . ولى بالاضافة الى هذا ايضا تصريح من ادارة الفندق ، بالا ادع اى شخص — يثير مظهره أدنى ريبة — يخرج من باب الفندق، وانك بالتحديد ، الشخص الذى يثير ارتيابى ، والذى يبدو مريبا للغاية بصفة عامة » . كان فرحا جدا بنفسه ، حتى لقد رفع يده ، ونزل بها فى خبطة موجعة على كارل ، واضاف قائلا : « وقد بلغ به الفرح بنفسه حدا حسب نفسه معه ملكا من الملوك » من المستحيل أن تخرج من الفندق ، عن طريق اى باب من الابواب الاخرى ، واننى لم اكلف نفسى بالطبع مشقة اصدار اية اوامر بخصوصك ، وحيث انك الآن امامى هنا ، فسوف اصفى كل حسابى معك ، اننى لم اشك مطلقا فى انك ستحرص على لقائنا هنا عند الباب العمومى ، فمن القواعد الثابتة ان الاشخاص الوقحين ، المشاغبين ، يبدون فى ثوب الفضيلة عندما يتضح لهم أنهم على وشك أن يواجهوا نتائج اعمالهم ، ولا شك انك ستتمكن من ملاحظة ذلك ، ملاحظة كافية ، من خلال تجربتك الشخصية ! »

قال كارل ، وهو يستنشق الرائحة الغريبة المثيرة ، التى كانت تفوح من رئيس البوابين ، والتى لم يلاحظها ، حتى أتيح له ان يقف ملتصقا به على هذا النحو ، تلك الفترة الطويلة : « لا تتصور أننى تحت رحمتك تماما ، لاننى استطيع أن اصرخ ! » .

فقال رئيس البوابين ، بغاية الهدوء والسرعة ، التى ربما كان قد اعتاد أن يصطنعها كلما دعته الحاجة الى ذلك : « وفى استطاعتى أن أخرس صوتك ! هل تظن حقيقة ، اذا تسببت بصراخك فى

احضار أى شخص الى داخل هذاالمكتب ، أن تجـد شخصا واحدا يمكن أن يصدق كلمة واحدة مما قد تقوله ضدى ، ضـد رئيس البوابين ؟ يمكنك الآن أن ترى أى آمال حمقاء ، تلك التى تأملها ! ودعنى اخبرك ، بأنك كنت تبدو شخصا محترما عندما كنت ترتدى زي الفندق ، لـكنك الآن فى ملابسك هذه ، التى لايمكن أن تصنع الا فى اوروبا ! » وجذب كارل من ملابسه التى كانت تبدو ــ مع انها كانت جديدة تماما منذ خمسة اشهر فقط ــ رثة ، ومتكرمشة وملوثة ايضا ، بسبب اهمال صبية المصاعد ، الذين كان يتمين عليهم طبقا للتعليمات العامة أن يحتفظوا بنظافة ارضيـة عنبر نومهم ، وتلميعها ، وازالة الاتربة التى تغطيها ، لـكنهم كانوا لتكاسلهم وبدلا من ان يقوموا بتنظيفها كما ينبغى ، كانوا يلطخون تلك الارضية كل يوم بمختلف انواع الزيوت ، ويلطخون ايضا جميع الملابس المعلقة فوق المشاجب ، وكان فى مقدور كل منهم ان يلقى بملابس الآخر حيث يشـاء ، وكان هناك من لا يستعمل ملابسه الخاصة ، لـكنه لا يخطىء فى العثور على ملابس جاره المخباة ، وسرعان ما يستعيرها فى الحال ، كان هذا الصبى ، هو الذى كان عليه الدور فى تنظيف عنبر النوم ، اليوم ، ولهذا فلم تكن ملابس كارل ملطخة فقط بالبقع الزيتية ، بل كانت غارقة فيها بالفعل من أعلاها الى اسفلها . وكان رينيل هو الشخص الوحيد الذى كان قد اكتشف مكانا سريا ، كان يخفى فيه ملابسه الغالية ، فكان من الصعب اكتشافها واكتشاف مكانها . ولم يكن الخبث أو البخل الذى يدفع الصبية الى استعارة الملابس ، لـكن كان يدفعهم الى ذلك ، التعجل والاهمال ، فقد كانوا يرتدون ، فى بساطة ، أي ملابس يتصادف وجودها امامهم . وكانت بدلة رينيل قد اصـابتها بقعة حمراء مستديرة ، من الزيت ، فى وسط الظهر ، وكان من السهل فى المدينة ، ان تدرك العين الخبيرة فى وضوح ، من تلك البقعة ، ان ذلك المتانق الصغير المختال بنفسه ، ليس سوى صبى مصعد فى نهاية الامر .

وعندما تذكر كارل هذا كله ، قال لنفسه انه قد عانى ما فيه الـكفاية فى عمله كصبى مصعد ، وكانت معاناته تلك ، قد ضاعت عبثا كلها ، لان وظيفته لم تساعده ، كما كان يامل على ان يتقدم خطوة الى الامام ، بل لقد جرته بدلا من ذلك ، الى وضع اشـد بؤسا من وضعه الاول ، ولقد أوشكت فوق هـذا كله ان تؤدى

به الى السجن . وكان لايزال علاوة على هذا ، فى قبضة رئيس البوابين ، الذى كان بلا شك ، يبحث عن الوسيلة التى تتيح له ان يهينه أقسى اهانة ممكنة ، فصاح كارل ، ناسيا تماما ان رئيس البوابين ، هو آخر شخص يمكنه أن يحتكم الى العقل ، ضاربا جبهته عدة مرات ، بيده الطليقة : « وحتى لو فرضنا انني قد مررت بك دون ان أوجه اليك التحية ، فكيف يمكن لرجل ناضج مثلك ، أن تبلغ به الرغبة فى الانتقام ، الى هذا الحد من العنف ، لمثل هذا الاهمال البسيط ؟ ! » .

قال رئيس البوابين : « لا رغبة لدي فى الانتقام ، ولكننى ارغب فقط فى تفتيش جيوبك ، وتأكد ، من اننى مقتنع تمام الاقتناع ، بأننى لن اعثر فيها على اى شيء ، لانك ربما كنت حذرا فسلمت كل شيء الى صديقك اولا بأول ، شيئا فشيئا كل يوم ، لكن لابد من تفتيشك مع ذلك ! »

ودفع يده داخل احد جيوب معطف كارل ، بغاية العنف ، حتى لقد تفتقت الخياطة الجانبية للجيب ، وقال : «اذن فلا شيء هنا!»، وراح يقلب فى يده الاشياء التى وجدها بداخل الجيب ، وكانت تتألف من نتيجة جيب يصدرها الفندق ، وقطعة من الورق عليها تمرين فى المعاملات التجارية ، وبضعة من ازرار المعطف ، والبنطلون وبطاقة المديرة ، ومبرد أظافر ، القاه اليه احد النزلاء عندما قام بتعبئة صندوق ملابسه ، ومرآة جيب قديمة ، كان رينيل قد أعطاه اياها ، كهدية لقيامه بعمله حوالى عشر مرات متتالية ، وبعض الاشياء التافهة الاخرى ، قال رئيس البوابين ثانية ، وهو يلقى بها جميعا تحت المنضدة ، كما لو كان ذلك المكان ، هو المكان المناسب لكل ما يحمله كارل من اشياء ، ولو اتضح انها لم تكن مسروقة : « اذن فلا شيء هنا ! »

قال كارل فى نفسه ، ولا بد ان وجهه كان قد تضرج : « هذه هى القشة الاخيرة ! » ، وبينما كان رئيس البوابين قد انتقل الى تفتيش جيبه الآخر فى لهفة ، اندفع كارل مخلصا كم قميصه من قبضة الرجل ، فى حركة مفاجئة ، وارتطم بأحد مساعدى البوابين ، فى قفزته العشوائية الاولى ، فطرح الرجل فى عنف ، على تليفونه ، واندفع يجرى فى الحجرة المكتظة بالاشياء المختلفة ، نحو الباب ، فى سرعة ليست خارقة ، فى الحقيقة ، كما كان يود ، لكن فى سرعة كانت كافية لخروجه من الحجرة قبل ان يتمكن رئيس البوابين من

أن ينهض من مكانه بمعطفه الثقيل ، ولم يكن نظام الفنــدق بالغ الدقة ، ولقد دقت بضعة اجراس ، هـذا حق ، الا ان السماء وحدها كانت تعلم ، لاى غرض دقت تلك الاجراس ؟ وكان بعض موظفي الفندق قد اندفعوا نحو المدخل فى هذا الاتجاه ، وفى ذاك ، فى أعداد كبيرة ، حتى كان للمرء ان يظن انهم قــد عزموا على الا يسمحوا مطلقا لاى شخص بالخروج من الفندق ، وقد كان من الصعب التحكم فى حركة الدخول والخروج لشدة الزحام ، ورغم ذلك ، فسرعان ما اصبح كارل فى الخارج ، الا انه ظل واقفا أمام الفندق ، لان سيلا لاينقطع تدفقه من السيارات كان يتحرك فى بطء امام مدخل الفندق ، فلم يتمكن كارل من أن يبلغ الشارع ، وكانت السيارات التى كانت تتاهب للانطــلاق الى الامام تلامس بعضها بعضا بالفعل ، وتدفع بعضهــا الي الامام ، وكان ثمة من يحاول أن يعبر الطريق هنا وهناك فى عجلة ، ومن لم يلقى بنفسه داخل أقرب عربة ، كما لو كانت تلك العربات وسائل عامة لعبور الشارع ، دون أن يعبأ مطلقا بما اذا كان بداخلها سائق او اثنين فقط من الخدم ، او مجموعة من السادة ، كان يبدو هذا السلوك فى راى كارل سلوكا يتصف بالصلف ، وراى أن على المرء أن يكون واثقا تماما لــكى يغامر مثل تلك المغامرة ، فربما القى بنفسه داخل عربة يتفق أن يستاء راكبوها لسلوكه ، فيلقون به خارجها ، وقد يحدث شجار بينهم . على ان شيئا لم يكن ليشغل بال كارل اكثر مما قد حدث له حتى الآن ، وما الذى يمكن أن يشغل بال صبى مصمد بائس ومشبوه مثله ، وفوق هذا ، فان صــف العربات لايمكن أن يستمر فى تدفقه الى الابد ، وطالما ظل بالقرب من الفندق، طالمــا ابعــد ذلك عنه نظرات الارتيــاب ، حتى بلغ أخيرا ، مكانا لم يكن صف العربات قد انقطع فيه تماما ، لـكنه كان قد استدار مبتعدا فى وسط الشارع ، كما ابتعدت العربات قليلا عن بعضها البعض ، وكان على وشك أن ينسل من خلال حركة المرور التى كانت قد هدات الآن فى الشارع ، عنـدما لفت نظره وجود أشخاص أشد منه اثارة للريبة ، وربما كانوا قــد أطلق سراحهم حديثا ، ثم سمع من يدعوه باسمه ، من مكان قريب ، فاستدار، ولمح فى مدخل باب صــغير منخفض ، كان يبدو أشبــه بمدخل الى قبو ، اثنان من عمال المصاعد ، كان يعرفهما جيـدا ، كانا يرفعان ، وقد نال منهما الاجهــاد ، نقالة ، يستلقى فوقها ــ

كما اردك الآن ــ روبنسون ، وكانت راسه ، ووجهه ، وذراعاه ، مربوطة كلها بالضمادات الكثيفة . وقد فزع عندما رآه وهو يرفع يديه الى عينيه ليمسح دموعه بطرف الضمادات . دموع الالم ، أو الاسى ، أو لعلها ان تكون دموع الفرح لمثوره ثانية على كارل .

صاح قائلا فى عتاب : « روسمان ، لماذا تركتنى انتظرك طول هذا الوقت ، لقد ظللت ساعة كاملة ، أصارعهما لكى أمنعهما من الذهاب بى ، قبل أن تصل ، ان هذين الشخصين ــ ولطم أحد الصبيين على راسه ، كما لو كانت ضماداته تحميه من أن يتلقى منه لطمة ردا على لطمته تلك له ــ « هما شيطانان بالفعل ! » ، آه يا روسمان لقد كان على ان أدفع غاليا ثمن هذه الزيارة ! »

قال كارل ، وهو يتقدم نحو المحفة التى وضعها الصبيان على الارض ، لكى يستريحا قليلا : « لماذا ، ماذا فعلا بك ! »

فتأوه روبنسون قائلا : « اتسال هذا السؤال ، بينما ترى حالتى ، تأمل منظرى ، يبدو انهم قد أصابونى بالعرج الذى سيلازمنى طوال حياتى ، اننى أعانى آلاما فظيعة من هنا الى اسفل ، حتى هنا ــ واشار أولا الى راسه ، ثم الى أصابع قدميه ــ ولقد كنت اريدك فقط أن ترى كيف كان ينزف أنفى ، ان صديريتى قد تلفت تماما ، ولقد اضطررت الى أن أطوح بها خلفى أيضا ، وبنطلونى اصبح خرقة مهلهلة ، اننى الآن فى سروالى الداخلى » ، ورفع البطانية قليلا ، وطلب من كارل أن ينظر تحتها ، « فما هو مصيرى بحق الجحيم ؟ اننى سوف ارقد فى فراشى لمدة شهور على الاقل ، ولعلنى أقول لك الآن ، انه لايوجد أحد ليعنى بتمريضى سواك . ان ديلامارش قليل الصبر جدا ، فلا تتركنى ياروسمان ! » ، ومد روبنسون ذراعه الى كارل الذى تباعد عنه ، آملا ان يحظى بعطفه ، عن طريق مداعبته له : « لماذا حضرت يا كارل ؟ » ردد روبنسون ذلك عددا من المرات ، لكى يذكر كارل ، بانه كان مسئولا الى حد ما عما لاقاه من سوء ، ولم يتطلب الحال من كارل سوى دقيقة واحدة لكى يتبين ان عويل روبنسون لم يكن بسبب جراحه ، لكن كان سببه وخمة السكر المرهقة التى كان لايزال يعانى منها ، لانه بعد ان استغرق فى النوم ، ثملا حتى الموت ، كان قد أوقظ ، ليجد اللطمات لدهشته تنهال عليه فى وحشية ، حتى افقدته كل شعوره بالواقع ، وكان من الممكن تبين طبيعة جروحه البسيطة من الخرق القديمة التى استعملت

كضمادات ، والتى كان صبية المصاعد ، قد ربطوا جروحه بها ، على سبيل المزاح ، لفة بعد لفة ، فى شيء من المبالغة . وكان الصبيان اللذان وقفا على كلا جانبى المحفة قد استغرقا فى نوبات من الضحك . الا ان هذا لم يكن هو المكان المناسب لاعادة روبنسون الى وعيه ، فقد كان الناس يتدفقون حولهم ، دون ان يلقوا بالا اليهم ، ولا الى المحفة ، وكثيرا ما كان بعض الاشخاص يتخطون روبنسون فى قفزات بارعة ، بينما ظل سائق التاكسى ، الذى كان كارل قد دفع اجره ، يصيح قائلا : « هيا .. هيا ! » واستجمع صبيا المصعد قوتهما ، ورفعا المحفة ، وامسك روبنسون بيد كارل فى مداهنة : « هيا معنا ، هيا ! » . وعندها تذكر كارل ذلك الشخص الذى كان قد فر من بين يديه الآن ! اليس من الممكن ان ياويه ظلام التاكسى بعيدا عن الانظار ؟ وهكذا القى كارل بنفسه الى جوار روبنسون ، الذى اسند راسه على كتفه ، وشد الصبيان على يد كارل فى حرارة ، من خلال نافذة التاكسى ، وهما يودعان زميلا لهما ، قضى معهما فترة من الوقت ، واستدار التاكسى فى دائرة حادة ، الى الطريق العمومى ، وبدا وكان حادثة ما لابد ان تقع ، الا ان سيل المرور المتدفق المختلط ، ذاب فى بعضه البعض ، وذاب فيه كذلك اندفاع عربتهما كاندفاع السهم ، الى الامام .

مأوى

بدا الشارع الذى توقف فيه التاكسى شارعا من شوارع احدى الضواحى المنعزلة ، فقد كان كل شىء هادئا ، وكان الاطفال يجلسون فوق حافة الرصيف . وثمة رجل يحمل فوق كتفه كومة من الملابس القديمة ، كان واقفا ينظر فى امعان الى نوافذ المنزل التى كانت تعلوه ، وراح ينادى على بضاعته ، وكان كارل مجهدا غاية الاجهاد ، حتى لقد شعر بوعكة عند هبوطه من السيارة الى اسفلت الشارع ، الذى كان دافئا ، ومتالقا تحت اشعة شمس الصباح .

وهتف قائلا لروبنسون الذى كان يجلس بداخل التاكسى : « هل تسكن هنا حقيقة ؟ ! »

وهمهم روبنسون الذى كان قد استغرق فى النوم خلال الرحلة كلها ، مؤكدا بكلمات غامضة ، وبدا عليه وكانه كان ينتظر من كارل أن يحمله الى خارج التاكسى .

قال كارل : « اذن فانت لا تحتاج الى بعد ذلك ، وداعا ! » وهم بالسير ، نحو منحدر الشارع .

فصاح روبنسون ، وقد انزعج انزعاجا بالغا ، حتى لقد قام واقفا فى داخل التاكسى ، الا ان ركبتيه كانتا ترتجفان : « لكن يا كارل الى اين تذهب بحق الجحيم ؟ ! » .

قال كارل ، وهو يلاحظ تحسن روبنسون السريع : « على أن اذهب الآن ! » .

فتساءل روبنسون قائلا : « وليس عليك فقط سوى قميصك!»

فأجابه كارل قائلا : « سأتمكن فى الحال من ان اشترى لنفسى جاكتة ! » ، واوما مؤكدا ذلك لروبنسون ، ورفع له يده مودعا ، وهم بالسير فى عزم ، الا ان السائق ناداه لحظتها قائلاً : « دقيقة واحدة ياسيدى ! »

واتضح لسوء الحظ ان الرجل يطالبه ببقية الاجر ، فى مقابل الوقت الذى انفقه فى الانتظار أمام الفندق .

وصاح روبنسون من داخل التاكسى ، مؤيدا حق السائق فى طلبه :

« بالطبع ، لقد ارغمتني على انتظارك تلك الفترة الطويلة هناك ، ولا بد لك ان تعطيه شيئا علاوة على ما تقاضاه ! »

وقال سائق التاكسي : « نعم ، ان الامر كذلك ! »

فقال كارل : « نعم ، فقط لو كان معي اى نقود لكي اعطيها لك » وراح يبحث في جيوب بنطلونه ، مع انه كان يعلم انه لن يجد شيئا فيها .

فقال سائق التاكسي ، وهو يقف امام كارل : « ليس امامي سواك لكي اطالبه ببقية اجرى ، ولا يمكنني ان اطلب شيئا من رجل مريض ! »

وخرج صبي صغير ، له انف متآكل من باب احد المنازل ، واقترب ووقف على بعد بضع خطوات قليلة وراح يستمع الى ما يقال ، واحنى احد رجال الشرطة في اثناء مروره بهما ، راسه ، وتفحص الشخص الذى يرتدى القميص ، ثم توقف بجواره .

واخطأ روبنسون الذى كان قد لاحظ الشرطي ، بالصياح نحوه ، من نافذة التاكسي الاخرى ، قائلا : « لا شيء في الامر ، لا شيء ! » كما لو كان الشرطي شخصا يمكن التخلص منه كذبابة ، وتركز انتباه الاطفال الذين كانوا يرقبون الشرطي في البداية ، اخيرا على كارل ، وعلى سائق التاكسي ، واندفعوا جريا نحوهما ، وعند مدخل احد الابواب في الجانب الآخر من الشارع توقفت امرأة عجوز ببلادة ، وراحت تحملق في الجميع .

وصاح صوت ما من اعلى قائلا : « روسمان ! » ، كان صوت ديلامارش ، الذى كان يقف في شرفة الطابق الاعلى ، وكان من الصعب رؤيته بالتطلع الى اعلى نحو السماء الزرقاء الشاحبة ، لكنه كان يرتدى روبا منزليا ، بدا واضحا ، وكان ينظر الى الشارع من خلال نظارة من نظارات الاوبرا ، وبجانبه كانت توجد شمسية حمراء كبيرة ، كانت ثمة سيدة تبدو جالسة تحتها .

وصاح ديلامارش باعلى صوته ، لكي يسمعه كارل : « هالو ، هل روبنسون هنالك ايضا ؟ »

فاجابه كارل قائلا : « نعم ، ها هو ! » كان كارل قد تشجع للحظة . وصاح روبنسون من داخل التاكسي في صوت اكثر ارتفاعا : « نعم ، هانذا ! » ، فصاح ديلامارش قائلا : « هاللو ! » ، سوف اهبط اليكما حالا !

ومال روبنسون خارج التاكسي ، قائلا : « ها هو ذا رجل ! » .

كان يوجه هذا المديح لديلامارش ، الى كارل ، والى سـائق التاكسى ، والى الشرطى ، والى كل من يهمه سماع ذلك ، ونهض كيان ضخم ، فى الشرفة العليا ، حيث ظلوا يتطلعون جميعا ، مع أن ديلامارش كان قد غادرها لحظتها ، واتضح أنها كانت امراة بالفعل ، وقفت تحت الشمسية ، كانت ترتدى رداء فضفاضا أحمر اللون ، ورفعت منظار الاوبرا من على افريز الشرفة ، وراحت تتطلع من خلاله الى النـاس الذين تجمعوا فى الشارع حول التاكسى ، وبدا هؤلاء يحولون انظارهم عنها ، فى بطء ، وتطلع كارل الى باب المنزل حيث يتوقع ان يظهر منه ديلامارش ، ثم تطلع داخله الى الفنـاء الداخلى ، الذى كان يعبره طابور لا يكاد ينقطع من العمال ، كان كل منهم يحمل صندوقا صغيرا فوق كتفه ، لـكنه كان ثقيلا فيما يبدو . وكان سائق التاكسى قد تقدم نحو عربته ، واستغل الوقت فى تلميع مصابيحها بخرقة قديمة ، واحس روبنسون بدهشة بالغة لتحسن أطرافه جميعا ، فعلى الرغم من فحصه الدقيق لها ، لم يستطع أن يحس الا ببعض الآلام الخفيفة ، ثم انحنى عندئذ ، وراح يفك فى حذر أحد الاربطة الثقيـلة التى كانت تلتف حول ساقه . ورفع الشرطى عصاه السوداء فى وضع مائل أمامه ، وانتظر فى هدوء ، بذلك الصبر العميق الذى يتصف به رجال الشرطة ، سواء كانوا فى واجبهم العادى ، أو فى نوبة حراسـتهم . وجلس الصبى ذو الانف المتآكل ، فوق عتبة أحد الابواب ، ومدد ساقيه أمامه ، وزحف الاطفال الباقون نحو كارل ، مسافة اخرى قصيرة ، فقد بدا لهم لحظتها أكثر الموجودين جميعا فى الاهمية ، لقميصه الازرق ، مع انه لم يلق بالا اليهم .

وكان فى استطاعة المرء ، فى الفترة التى انقضت قبل وصـول ديلامارش أن يقدر ارتفاع المنزل ، ووصـل ديلامارش فى عجلة شديدة ، وتوقف لحظة فقط لـكى يحكم الرباط حول روبه . صاح قائلا : « هذا انت اذن ! » ، وكانت لهجته تجمع بين المرح والقسوة ، وفى كل خطوة كان يخطوها كانت تبدو من تحت الروب بيجامته ذات الالوان الفاقعة ، ولم يفهم كارل كيف كان ديلامارش يتجول فى هذا الزى المنزلى فى شوارع المدينة ، وفى هـذا المسكن الضخم ، وفى الشارع العمومى ، كما لو كان يتجول فى فيللتـه الخاصة . وكان ثمة تغير كبير كان قد طرأ على ديلامارش ، كما طرأ تغير كبير كذلك على روبنسون . وكان وجه ديلامارش الاسمر

الحليق ، البالغ النظافة ، باستدارة عضلاته الخشــــنة ، يوحى بالاعتزاز ، وبالاحترام . وكان لمعان عينيه القاسيتين ، اللتين كان قد أغلقهما قليلا، يشع بنظرة مفزعة ، وكان روبه المنزلى البنفسجى اللون يبدو قديما بلا شك ، وممتلئا بالبقع ، وكان يبــدو واسعا عليه كذلك ، لــكن كان يبرز أيضا من تحت هذا الروب القذر ، عنــد العنق ، طيات ربطة عنق هائلة من الحرير السميك ، الداكن اللون.

تساءل ، وهو يوجه حديثه الى الجميع : « حسنا ؟ » ، وتقدم الشرطى قليلا نحوه ، وانحنى على الـسيارة ، وتطوع كارل بتقديم تفسير متقضب للموقف قائلا :

ــ ان روبنسون خائر القوى الى حد ما ، الا ان فى وسعه أن يصعد السلالم بسهولة لو حاول ذلك ، اما هــذا السائق ، فانه يطلب شيئا علاوة على الاجر الذى نقدته اياه بالفعــل ، أما أنا فراحل الآن ، وداعا ! » .

قال ديلامارش : « انك لن ترحل ! » .

وأعلن روبنسون من داخل التاكسى ، قائلا : « هذا ما قلته له انا أيضا ! »

وقال كارل ، وهو يخطو بضع خطوات قليلة الى الامام : « الا اننى سارحل رغم ذلك ! »

وكان ديلامارش قد اصبح عندئذ بجانبه ، فامسك به ، وجذبه الى الخلف بشدة ، وصاح فيه قائلا : « ولــكننى اقول انك ستبقى هنا ! » .

فقال له كارل : «دعنى !» ، وحاول ان يتخلص منه ، مستخدما قبضتيه ، عند اللزوم ، ولم يكن لديه سوى قليــل من الامل فى التغلب على رجل مثــل ديلامارش ، الا ان الشرطى ، كان يقف بجوارهما ، كما كان يقف سائق التاكسى أيضا ، ولم يكن الشارع خال كذلك من الناس ، فقد كانت تلك المجموعات من العمال تعبره ، فهل يتغاضى كل هؤلاء ، ويتجاهلونه ، لو حدث ان اســاء اليه ديلامارش الآن ؟ انه لا يرغب فى ان يصبح وحيدا مع ديلامارش فى حجرة واحدة ، فلماذا يترك الآن هذه الفرصة تفلت منه ، لــكى يتخلص من ديلامارش ؟ كان ديلامارش يدفع الآن للسائق ما طلبه فى هدوء ، ووضع ذلك السائق تلك الزيادة التى لم يكن يستحقها ، فى جيبه ، بكثير من الانحناءات التى انحناها امام ديلامارش ، وزيادة فى الامتنان ، اتجه نحو روبنسون ، وراح ينصحه بأفضل الوســائل

للخروج من التاكسى ، واحس كارل بان احدا لا يلاحظه ، وان ديلامارش ربما لن يهتم لو انسل هاربا فى تلك اللحظة ، وكان يريد ان يتجنب اية مشاجرة معه ، ان استطاع ان يتجنبها ، ولهذا انسل نحو الطريق محاولا ان يسرع بالهرب ، الا ان ديلامارش لم يكن فى حاجة الى التدخل ، ذلك لان الشرطى كان قد رفع عصاه لحظتها ، ودفعها فى الهواء الى الامام ، قائلا : « قف ! » .

وتساءل ، وهو يدفع عصاه تحت ابطه ، وشرع فى انتزاع مفكرة من جيبه ببطء قائلا لكارل : « ما اسمك ؟ ! »

وتطلع كارل اليه الآن ، فى امعان للمرة الاولى ، كان رجلا متين البنيان ، الا ان شعره كان يغلب عليه البياض .

اجابه كارل قائلا : « كارل روسمان ! »

وردد رجل البوليس ما قاله كارل ، لاشك لانه كان رجلا هادئا ، ومدققا فى تقصى الحقائق : « روسمان ! » ، الا ان كارل الذى كان يواجــه الآن البوليس الامريكى لاول مرة ، لاحظ فى تكراره للكلمات التى كان يجيبه بها ، شيئا من الارتياب ، وربما كان وضعه فى الحقيقة وضعا مزعزعا ، ذلك ان روبنسون ، على الرغم من انشغاله البالغ بمشكلة خروجه من التاكسى ، كان يتوســل من داخل السيارة الى ديلامارش فى حركات خرساء ، يرجوه بها أن يهرع لمساعدة كارل ، الا ان ديلامارش أبى أن يستجيب اليه بهزة سريعة لا مبالية من راسه ، وتطلع امامه ، دون أن ياتى بأدنى حركة ، وقد وضع يداه فى داخل جيبى روبه الكبيرين .

وشرح الصبى الذى كان قد جلس على عتبة البــاب ، لامراة كانت قد خرجت لحظتها من ذلك المنزل ، تفاصيل الموقف كله منذ بدايته ، وتوقف الاطفال فى نصــف دائرة خلف كارل ، وراحوا يتطلعون فى صمت الى الشرطى .

قال الشرطى لكارل : «ارنى الاوراق التى تثبت شخصيتك ؟ !»
قد يكون هذا مجرد سؤال رسمى ، ذلك ان المرء بلا جاكتة ، لم يكن بالطبع ليحمل فى جيوب بنطلونه شيئا من الاوراق الرسمية التى تثبت شخصيته ، ولهذا ظل كارل صامتا ، وكان قد قرر بينه وبين نفسه أن يجيب على السؤال التالى اجابة وافية ، واذا أمكنه ، فسوف يفسر عندئذ أيضا عدم وجود تلك الاوراق الرسمية التى تثبت شخصيته ، معه الآن .

الا أن السؤال التالى كان : « اذن فانت لا تحمل ما يثبت شخصيتك ؟ ! » .
وكان على كارل أن يجيب بقوله : « ليست معى الآن ! » .
فقال الشرطي : « لكن هذا أمر سيىء ! » ، وراح يتطلع حوله ، وهو مستغرق فى التفكير ، بينما كان ينقر باصبعه على غلاف مفكرته ثم تساءل أخيرا :
ــ هل لك وظيفة ؟ !
قال كارل : « كنت أعمل صبى مصعد ! »
ــ كنت تعمل صبى مصعد ، وعلى هذا فلا عمل لك الآن ! وفى هذه الحالة فما الذى تعتمد عليه فى معيشتك ؟ »
ــ سابحث عن عمل آخر ! !
ــ هكذا ، فهل فصلت اذن لتوك ؟ !
ــ نعم ، منذ ساعة فقط !
ــ فجاة ؟ !
قال كارل : « نعم ! » ، ورفع يده ، كما لو كان يعتذر عن ذلك . لم يكن يمكنه أن يسرد القصة كاملة هنا ، وحتى لو أمكنه ذلك ، فقد كان واضحا انه لا جدوى من الاعتقاد بامكان تجنب الالم الذى قد يعاوده ، لو تعرض ثانية لسرد الاساءات التى كان قد عانى مرارتها لتوه ، واذا كان لم يتمكن من أن يحصل على رد اعتباره عندما اعلنت المديرة عطفها نحوه ، وواجهها رئيس السفرجية برايه فى الموقف ، فليس له بلا شك أن يامل فى أن يحصل على ما فاته هنا ، فى هذا الشارع ، ومن هذا الحشد الذى تجمع حوله الآن ! ..
وتساءل الشرطى قائلا : « وهل فصلت دون أن تتمكن من الحصول على جاكتتك ؟ ! » .
فقال كارل : « نعم ! » ، وهكذا ففي أمريكا أيضا ، من طبع السلطات أن تتساءل عما يتراءى لها ، وأن توجه ما يحلو لها من الاسئلة ! « كم كان سخط والده ، على تلك الاسئلة العقيمة التى راح الموظفون يوجهونها اليه عندما كان يستخرج جواز سفر كارل ! » وأحس كارل بالرغبة فى أن يجرى ، ويختبىء فى مكان ما ، لكى يتحاشى فقط الاجابة على المزيد من تلك الاسئلة ، لكن الشرطى وجه اليه لحظتها ، نفس السؤال الذى كان كارل يخشى أن يوجهه

اليه أكثر مما كان يخشى أن يسأله عن أى شيء آخر ، ذلك السؤال الذى كان كارل يتوقع سماعه فى قلق من ذلك الشرطى ، حتى انه ربما يكون قد سلك سلوكا اقل حذرا بسبب قلقه ذاك ، وما كان ينبغى له أن يسلكه ، وربما يكون سلوكه المضطرب ذاك الذى لا يدرى كنهه على التحديد ، هو الذى عجل بتوجيه هذا السؤال اليه .

اطرق كارل براسه الى اسفل ، ولم يجب ، كان هذا هو آخر سؤال يمكنه الاجابة عليه ، ولم يكن يرغب ان يصحبه الشرطى ثانية الى الفندق الغربى ، ليبدأ هناك فى الاستفسار عن الحكاية باكملها ، ذلك الاستفسار الذى سيشترك فى الاجابة عليه كل أصدقائه واعدائه ، وتنهار كذلك بقية ثقة المديرة فيه ، انهيارا تاما ، بعد ان يتضح لها ان الصبى الذى كانت تظنه الآن فى بنسيون برينر ، قد جاءها فى حراسة الشرطة ، فى قميصه فقط ، وبدون البطاقة الخاصة التى كانت قد اعطتها له ، ولعل رئيس السفرجية ان يطرق عندئذ اطراقة تشير الى ادراكه لهذا كله ، وقد يصرح رئيس البوابين بأن يد الله لم تفلت ذلك الشرير فى النهاية .

قال ديلامارش ، وهو يخطو نحو الشرطى : « لقد كان يعمل فى الفندق الغربى ! » وصاح كارل قائلا : « لا ! » وراح يدق الارض بقدمه قائلا : « ليس هذا صحيحا ! » ونظر اليه ديلامارش ، وهو يمط شفتيه فى سخرية ، كما لو كانت لديه اسرار عديدة يمكنه ان يفشيها ، واثار اضطراب كارل الذى لم يكن متوقعا ، الأطفال الذين تجمعوا خلفه اثارة بالغة ، فاصطفوا جميعا بجوار ديلامارش لكى يتمكنوا من رؤية كارل جيدا ، واخرج روبنسون راسه تماما ، خارج التاكسى ، وظل ساكنا تماما ، حتى انه لم يأت بادنى حركة فيما عدا حركة جفنيه التلقائية ، وصفق الصبى الذى كان يجلس على عتبة باب المنزل المواجه فى اغتباط ، ولكزته المرأة التى كانت قد توقفت الى جواره بكوعها ، لكى يصمت ، وكان الحمالون الذين كانوا يذرعون فناء المنزل الذى يسكنه ديلامارش ، قد توقفوا لحظتها عن العمل ، لكى يتناولوا افطارهم ، فتجمعوا وهم يحملون فى ايديهم صفائح عديدة صغيرة ممتلئة بالقهوة السوداء ، ظلوا يقلبونها بقطع مستديرة من الخبز ، وجلس بعضهم على حافة الرصيف ، وراحوا يتجرعون جميعا قهوتهم فى صوت مسموع .

سأل الشرطى ديلامارش قائلا : « هل تعرف هذا الصبى ؟ ! »

وقال ديلامارش : « اننى اعرفه معرفة تامة ، ولقد اسديت اليه من قبل ايادى لا حصر لها ، قابلها هو بقليل من العرفان ، ولعلك ان تلاحظ ذلك الطبع فيه ، خلال لقائك القصير به الآن ! »

قال الشرطى : « نعم ، انه يبدو وغدا صغيرا عنيدا ! »

فقال ديلامارش : « انه هكذا بالفعل ، الا ان ذلك ليس هو اسوا ما فيه مع ذلك ! »

فقال الشرطى : « الى هذا الحد ؟ ! »

فاجابه ديلامارش الذى كان قد تحمس الآن لرايه فى كارل ، وهو يطوح بطرف روبه هنا وهناك ، بيديه اللتين كان قد دسهما فى جيبه : « أوه .. انه صبى رائع هذا الذى أمامك ، ولقد كنا ، أنا وصديقى الذى هناك فى داخل التاكسى قد التقطناه من الطريق ذات مرة ، وكان ضائعا شريدا ، ولم تكن لديه فى ذلك الحين ، أدنى فكرة عن الحياة والاحوال فى أمريكا ، فقد كان قادما لتوه من أوروبا ، حيث لم يكن يحتاج اليه أحد كذلك ، حسنا !لقد اصطحبناه معنا ، واتحنا له فرصة العيش بيننا ، وفسرنا له كل شىء ، وحاولنا أن نجد له عملا ، وكنا نظن على الرغم من كل شىء ، ان فى مقدورنا أن نخلق منه كائنا انسانيا رقيقا ، الا انه فاجأنا فى النهاية بخدعته التى خيبت املنا فيه ذات ليلة ، واختفى ببساطة ، وفى ظروف لن أذكرها الآن ، هل هذا صحيح أم لا ؟ ! » . تساءل ديلامارش فى النهاية ، وهو يجذب كم قميص كارل .

وصاح الشرطى قائلا : « عودوا الى اماكنكم ايها الأطفال ! » . فقد كان الاطفال قد زحفوا الى الامام ، حتى لقد تعثر ديلامارش فى أحدهم . واكتشف الحمالون فى ذلك الوقت ، ان هذا الاستجواب كان أكثر اثارة للاهتمام ، مما ظنوه فى بداية الامر ، فشرعوا فى الانتباه الى تفاصيله ، وتجمعوا فى حلقة خلف كارل مباشرة ، ولهذا لم يكن يمكنه أن يتراجع خطوة واحدة الى الخلف ، وكان عليه أن يعانى كذلك من الاستماع الى ثرثرة هؤلاء الحمالين ، التى لم تتوقف ، فقد كانوا يهذون فى رطانة غير مفهومة لعلها كانت انجليزية ركيكة تتخللها بضع كلمات من اللغة السلافية .

قال الشرطى : « شكرا لهذه المعلومات ! » ، وحيا ديلامارش ، « وعلى كل حال ، فسوف أصحبه معى ، وأسلمه الى ادارة الفندق الغربى ! »

فقال له ديلامارش : « هل لى ان اسألك معروفا ، بأن تترك الصبى معى الآن ، لان لدى بعض الامور على ان اسويها معه ، واعدك باننى سوف اصحبه بنفسى الى الفندق فيما بعد ! »

وقال الشرطى : « لايمكننى أن أفعل ذلك ! »

فقال له ديلامارش ، وهو يناوله بطاقته : « هذه هى بطاقتى ! »

وتفحصها الشرطى فى عناية ، لكنه قال فى ابتسامة مؤدبة : « لا ، لايمكنني ذلك ! » وبقدر ما كان كارل حذرا من ديلامارش حتى الآن ، فقد وجد لحظتها رغم ذلك فيه خلاصه الوحيد الممكن وقد كانت الطريقة التى كان يتفاهم بها مع الشرطى طريقة مريبة بلا شك ، الا أن ديلامارش على كل حال ، من الممكن ان يقتنع بعدم تسليمه الى الفندق ، وهو ما لايمكن أن ينثنى عنه الشرطى ، وحتى لو عاد كارل الى الفندق فى صحبة ديلامارش ، فلن يكون الامر سيئا ، الى الحد الذى سيكون عليه من السوء ، لو انه عاد اليه فى صحبة الشرطى ، ولا يجب على كارل فى تلك اللحظة بالطبع ان يوضح رغبته فى عدم البقاء مع ديلامارش بالفعل ، والا ضاع كل شيء .

وراقب كارل يد الشرطى فى شيء من القلق ، تلك اليد التى قد ترتفع فى اية لحظة لتقبض عليه .

وقال الشرطى اخيرا : « لا بد لى على الاقل من ان ابحث هناك من السبب الذى فصل بسببه ! » ، بينما راح ديلامارش يتطلع بعيدا ، وعلى وجهه شعور بالاستياء ، وهو يطوى البطاقة بين أطراف أصابعه .

وصاح روبنسون لدهشة الجميع قائلا : « لكنه لم يفصل مطلقا » ، وكان قد انحنى الى خارج التاكسى ، بقدر ما استطاع أن يظهر خارجه ، وقد استند باحدى يديه على كتف السائق : « ان هذا لم يحدث مطلقا ، انه له وظيفة محترمة للغاية هناك ، كما انه ابرز الصبية جميعا فى عنبر النوم بالفندق ، ويمكنه ان يستضيف من يشاء هناك فى ذلك العنبر ، الا انه فقط مرهق بالعمل ، فلو اردت ان تسأله شيئا ، فان عليك ان تنتظر عودته وقتا طويلا ، فهو دائما فى اجتماعات مع رئيس السفرجية ، ومع المديرة ، ان له وضعا استثنائيا هناك ! انه لم يفصل مطلقا ، بلا شك ، ولست ادرى لماذا قال انه قد فصل ، فكيف يمكن أن يفصل ؟ ولقد تعرضت لاشد الاذى فى الفندق ، ووجهت اليه التعليمات بأن يصحبنى الى منزلى ، ولانه لم يكن يرتدى جاكتته

لحظتها ، فقد صحبنى الي هنا بدونها ، فلم يكن فى استطاعتى أن انتظره حتى يبحث عنها ! » .

قال ديلامارش : « حسنا ، الآن ! » ، وهو يفرد ذراعيه على امتدادهما فى لهجة بدت كانها لهجة لوم موجهة الى الشرطى ، لعدم فطنته ، وبدا وكأن هاتين الكلمتين اللتين نطق بهما ، قد أسهمتا فى توضيح الامر وضوحا لا يقبل الجدل ، وكشفتا ما غمض من تقرير روبنسون عن الموقف .

فتساءل الشرطى ، وهو يوشك ان يضعف بالفعل : « لكن هل هذا صحيح ؟ ! ولو كان هذا صحيحا ، فلماذا صرح الصبى نفسه بانه قد فصل ؟ ! »

قال ديلامارش : « من الافضل ان توجه اليه هو هذا السؤال ! »

وتطلع كارل الى الشرطى الذى كان واجبه هو حفظ النظام هنا بين الاجانب ، وان يرعى ما يراه فى صالحهم ، وادرك على نحو ما بعض الصعوبات التى كانت تواجه الرجل . وقد جعله هذا راغبا عن الكذب ، ولهذا فقد وقف عاقدا يديه خلف ظهره بشدة ، وظهر فى مدخل باب المنزل الذى يسكنه ديلامارش ملاحظ عمال ، صفق بيديه اشارة الى ان على العمال ان يعودوا ثانية الى العمل، فاحتسى هؤلاء ثمالة قهوتهم من العلب الصفيحية التى كانوا يمسكونها ، وخيم عليهم الصمت ، وهم يجرجرون اقدامهم على مضض نحو ردهة المنزل .

وقال الشرطى : « لن نصل الى اية نتيجة ، على هذا النحو .. ! » وتأهب للقبض على ذراع كارل ، فتراجع كارل قليلا الى الخلف دون أن يدرى ، ولاحظ المسافة الخالية ، التى تركها رحيل العمال خلفه ، واستدار ، وبقفزات قليلة هائلة فى البداية ، انطلق باقصى سرعته ، واطلق الاطفال صيحة واحدة ، وانطلقوا يجرون بمحاذاته ، وقد فردوا أذرعهم ، لمسافة قصيرة لا تزيد عن بضع خطوات .

وصاح الشرطى فى الشارع الطويل الخالى : « امسكوه ! » ، وانطلق فى ترديد هذه الصيحة بانتظام بين الحين والآخر ، وهو يجرى خلف كارل ، فى سرعة أظهرت قوته ومرانه ، وكان من حسن حظ كارل أن المطاردة كانت تجرى فى حي عمالى ، فلم يكن لدى هؤلاء العمال شيء من التعاطف مع الشرطة ، وظل كارل يجرى فى وسط الطريق ، فلم تكن تصادفه كثير من العقبات فى وسط الطريق، وكان يرى بين الحين والآخر بعض العمال يقفون فى هدوء على

الرصيف ، ويرقبونه ، بينما استمر الشرطى فى ترديد صيحته : « امسكوه ! » ، وهو يسدد عصاه نحو كارل ويجرى بمحاذاته ، ملتزما فى خبث ، جانب الطريق الممهد ، وكان لدى كارل أمل واه ، وان كان فى بعض الاحيان ، قد فقد غالبا ذلك الامل عندما شرع الشرطى ، وكانا قد بلغا احد مفارق الطرق ، حيث من الممكن ان توجد بعض دوريات الشرطة ، فى اطلاق الصفارات التى كانت تصم الآذان ، وكانت ميزة كارل الوحيدة التى كان يتفوق بها على الشرطى هى خفة ملابسه ، فكان يطير ، أو بالاحرى ، يختفى فى منحدر الشارع الذى كان يهبط اكثر فاكثر ، لكنه فى اضطرابه لقلة نومه فى الليلة الماضية ، كان يقفز احيانا قفزات متعثرة ، عالية جدا فى الهواء ، وكان وقته يضيع عندها عبثا ، وكان الشرطى بالاضافة الى ذلك يرى هدفه ماثلا أمام عينيه ، فلم يكن عليه ان يفكر فى شىء ، بينما كان على كارل أن يفكر اولا ، وان يواصل جريه فقط فى الفترات التى تتصل بين تقديره لاحتمالات الموقف ، واتخاذه للقرارات التى كان يراها ، وكانت خطته ، وهى خطة يائسة الى حد ما ، هى ان يتجنب مفترق الطرق الآن على الاقل ، لانه لم يكن يدرى ماذا كانت تخبئه له ، فقد ينطلق مثلا ، فى جريه عندها ، مباشرة نحو مركز من مراكز البوليس ، وكان يريد بقدر الامكان ان يواصل جريه فى هذا الشارع العمومى الذى يمكنه أن يشمله بنظرته من اوله الى آخره ، طالما انه لم يكن ينتهى الا فى نهاية منحدره ، الى كوبرى ، كان يختفى فجأة فى غلالة من الضباب ، بينما تسطع الشمس اعلاه ، وعندما قرر أن يلتزم بتنفيذ تلك الخطة ، اندفع فى جريه ، دفعة اشد سرعة حتى يتمكن من ان يعبر مفترق الطرق الاول الذى صادفه فى سرعة خاطفة ، عندما لمح أمامه على مسافة قريبة شرطيا آخر كان قد توارى فى حذر الى جوار حائط غارقا فى الظلال ، وتأهب للانقضاض عليه فى اللحظة المناسبة ، فلم يكن امامه لحظتها بدا من ان يستدير نحو الشارع المتقاطع ، وعندها ناداه شخص ما باسمه فى صوت خافت ـ ظن كارل ذلك وهما فى بداية الامر ، ذلك ان الرنين كان يطن فى اذنيه طوال الوقت ـ فلم يتردد طويلا واستدار دورة مفاجئة ، لكى يباغت الشرطى ، اقصى مباغتة يمكنه ان يصيبه بها ، واستدار الى اليمين بزاوية حادة على احدى قدميه متجها نحو الشارع المتقاطع . وما كاد يخطو فى ذلك الشارع خطوتين ـ

وكان قد نسي بالفعل أن أحـــدا كان قد ناداه باسمه ، ذلك أن الشرطي الآخر ، كان ينفخ في صفارته هو ايضـــا ، وبدا له في وضوح أن بعض المارة النشطين المتباعدين امامه ، كانوا قد اسرعوا في خطواتهم ـ عندما اندفع ذراع شخص ما من احـــد الابواب الصغيرة ، وامسك به ، وانسحب كارل الى مدخل مظلم ، بينما جاءه صوت ما يقول له : « لا تتحرك ! » ، كان صوت ديلامارش، وكان متقطع الانفاس هو ايضا ، ووجهه محمر ، وشعره متلبد فوق راسه ، ولم يكن يرتدى سوى قميصه وسرواله الداخلى ، وكان روبه المنزلى مدسوسا تحت ذراعه . ولم يكن البـــاب سوى بابا جانبيا غامضا ، لم يكن من السهل تمييزه ، وقد اغلقه ديلامارش واحكم رتاجه في الحال .

قال : « انتظر لحظة ! » ، واستند الى الحائط ، وهو يلتقط انفاسه بصعوبة ، وراسه ملقاة الى الخلف ، وكان كارل يكاد يكون مستلقيا بين ذراعيه ، وضغط وجهه في صدر ديلامارش ، دون ان يدرى ما يفعل .

قال ديلامارش ، وهو يتسمع بانتباه ، ويشـــير باصبعه الى الباب ، كان الشرطيان يبتعدان بالفعل ، وكانت أقدامهـــما تدق الشارع الخالى ، كوقع دقات الصلب على الحجر : « لقد ابتعدا ! » وقال موجها حديثه الى كارل الذى كان يجاهد لالتقاط أنفاسه . ولا يستطيع النطق بكلمة : « لقد تورطت في تلك المطاردة » ، وارقده ديلامارش في عناية على الارض ، وركع بجانبه ، ومر بيده عدة مرات فوق رموشه ، وراح يتطلع اليه .

وقال كارل وهو ينهض متألما : « انني على ما يرام الآن ! »

فأجابه ديلامارش الذى كان قد ارتدى الآن روبه ثانية : « اذن فهيا بنا ! » ، ودفع كارل ، الذى كان مطرقا براسه الى اسفل من شدة الارهاق ، امامه ، وهو يهزه بين الحين والآخر لـكى ينشطه ، قائلا : « انك تقول انك مرهق ؟ ! ولقد انطلقت تعدو بطول الشارع كله كالحصان ، لـكن كان على انا ان اجتاز هـــذه الممرات اللعينة ، والافنية ، ومن حسن الحظ انني عداء ممتـــاز الى حد ما انا ايضا ! » ، وفي غمرة فخره بنفسه ، دفع كارل دفعة شديدة على ظهره : « ان سباقا كهذا مع رجال الشرطة ، يعد مرانا طيبا بين الحين والآخر ! » .

قال كارل : « لقد كنت في غاية الارهاق قبل ان ابدأ الجرى ! »

فقال ديلامارش : « لايوجد ادنى عذر للجرى السيىء ، فلو لم اكن قد اسرعت لنجدتك لكانا قد لحقا بك فى الحال ! »

فقال كارل : « اننى اعتقد هـذا انا ايضا ، وانا مقدر جدا صنيعك ! »

وأجابه ديلامارش قائلا : « لاشك فى هذا ! »

واجتازا ممرا طويلا ، ضيقا ، بالطابق الارضى ، كان مبلطا ، ببلاطات حجرية ملساء ، وكان ثمة سلم يبدأ هنا ، وسلم هناك على كلا الجانبين ، او ممر يؤدى الى ردهة فسيحة ، وكان من النادر رؤية اشخاص كبار ، وكان الاطفال يلعبون فوق درجات تلك السلالم الخالية ، وبجانب درابزين احد السلالم ، كانت تقف طفلة صغيرة ، تبكى فى حرقة ، حتى ان وجهها كانت تغطيه الدموع تماما ، وعندما لمحت ديلامارش ، اندفعت صاعدة درجات السلم ، وهى تجاهد لالتقاط انفاسها ، وفمها مفتوح على الساعه ، ولم تهدأ الا عندما بلغت قمة الدرج ، بعد أن نظرت من فوق كتفها المرة بعد المرة ، لكى تتأكد من ان احدا لايطاردها ، أو يهم بمطاردتها.

قال ديلامارش ضاحكا : « لقد اندفعت تهبط السلم أمامى منذ دقيقة واحدة فقط ! » ، ورفع قبضته نحوها ، فاندفعت ثانية الى اعلى ، وراحت تصرخ . وكانت الافنية التى مرا بها مهجورة تماما ، هى ايضا ، وكان ثمة حمال يدفع امامه عربة يد ذات عجلتين ، كان يلتقى بهما من حين لآخر ، وامرأة تملأ جردلا بالماء من طلمبة ، وساعى بريد يدور دورته ، ورجل عجوز ذو شارب ابيض قد جلس امام باب زجاجى ، وراح يدخن غليونا ، وساقاه متمانقتان ، وكانت السلال يفرغها الحمالون أمام احدى الوكالات التجارية ، بينما كانت الخيل المتكاسلة تهز رءوسها فى رتابة من جانب الى آخر ، ورجل يرتدى « أفرول » كان يشرف على سير العمل ، وهو يحمل ورقة فى يده ، وخلف النافذة المفتوحة فى حجرة مكتب ، كان يجلس احد الكتبة الى مكتبه ، وقد رفع رأسه ، وتطلع أمامه خارج النافذة مستغرقا فى التفكير ، عندما مر به لحظتها كارل وديلامارش .

قال ديلامارش : « ان هذا المكان مكان هادىء ، كما يجب ان يكون المكان الهادىء ، وقد تطغى عليه الضوضاء فى المساء لمدة ساعة أو ساعتين ، الا انه مثال للهدوء طوال اليوم ! » ، واطرق كارل فقد كان المكان يبدو له هادئا بالفعل غاية الهدوء ، وقال

ديلامارش : « اننى لايمكننى ان اعيش الا فى هذا المكان ، ذلك ان برونيلدا لا تحتمل ببساطة اية ضوضاء ، هل تعرف برونيلدا ؟ » حسنا ، سوف تراها الآن ، وعلى كل حال ، فاننى انصحك بأن تلزم الهدوء ما استطعت ! » .

وعندما بلغا بداية السلم الذى يؤدى الى شقة ديلامارش ، كان التاكسى قد ذهب لحظتها ، واعلن الصبى ذو الانف المتآكل ، دون ان تبدو عليه اقل دهشة لعودة كارل ، انه قد ساعد روبنسون فى صعود السلم ، واومأ له ديلامارش فحسب ، كما لو كان خادما قد قام فقط بأداء واجبه ، ثم سحب كارل لكى يصعد السلم معه ، وكان كارل قد تردد لحظتها وتطلع الى الخارج نحو الشارع المشمس ، وقال ديلامارش مرددا اكثر من مرة : « سوف نصبح الآن هناك فى الحال ! » ، الا ان نبوءته كانت بطيئة التحقيق ، فقد كان يوجد امامهما دائما سلم آخر جديد يعلوهما ، يتجه اتجاها آخر ، يمكن ادراكه فى وضوح قبل بلوغه ، وقد توقف كارل بالفعل مرة ، لا من التعب ، بل من اليأس ، امام تلك السلالم التى لا نهاية لها .

قال له ديلامارش ، وهما يواصلان صعودهما : « ان الشقة مرتفعة ارتفاعا بالغا ، الا ان لهذا الارتفاع ميزته ايضا ، فهذا الارتفاع ، لايشجعنا على الخروج كثيرا ، ولهذا نظل نتسكع طوال النهار بملابسنا المنزلية فى انحاء الشقة ، انها شقة مريحة جدا ، وبالطبع ، فلا احد يزورنا قط فى تلك الشقة ، فليس من السهل ان يصعد الزوار الى شقة على هذا الارتفاع ! »

وفكر كارل فى نفسه قائلا : « ومن هم الزوار الذين يمكن ان يكونوا قد تعرفوا بهما ، حتى يقوموا بزيارتهما ؟ ! » .

وفى النهاية لمحا روبنسون على بسطة السلم فى احد الطوابق ، وهو يقف امام باب مغلق ، وكانا قد بلغا الآن مكانه ، ولم تكن السلالم قد انتهت بعد ، رغم ذلك ، بل كانت تمتد الى اعلى فى الظلام ، دون ادنى دلالة تدل على ان نهايتها كانت فى مجال الرؤية .

قال روبنسون فى صوت لايكاد يبين ، وكانه لايزال يعانى من آلامه : « لقد ظننت هذا ، ان ديلامارش قد احضره ! ، روسمان ، الى أين ستذهب بعيدا عن ديلامارش ؟ » كان روبنسون يقف فى ملابسه الداخلية ، وقد لف حول جسده البطانية الصغيرة التى كان قد حصل عليها من الفندق الغربى ، ولم يكن هناك سبب

واضح ، يبرر وقوفه فى الخارج امام باب الشقة ، ولا يدخلها ، بدلا من ان يقف فى مكانه هكذا كاضحوكة لمن يتصادف ان يمر به .
تساءل ديلامارش قائلا : « هل هى نائمة ؟ ! »
فقال روبنسون : « لا اظن ذلك ، الا اننى رايت ان من الافضل ان انتظر عودتك ! »
فقال ديلامارش : « يجب اولا ان نرى ان كانت نائمـــة ! » ، وانحنى لـكى ينظر من ثقب المفتاح ، وبعد ان حدق خلاله طويلا، وهو يدير راسه فى هذا الاتجاه ، وفى ذاك ، نهض واقفا ، وقال : « لايمكننى فى الحقيقة ان اراها بوضوح ، لان الستائر مسدلة ! » انها جالسة على الاريكة ، وربما كانت نائمة !
فتساءل كارل قائلا : « لماذا ، هل هى مريضة ؟ ! » ، فقد كان ديلامارش يقف فى مكانه ، كما لو كان فى حاجة الى النصيحة.
الا انه زام فى صوت حاد جدا : « مريضة ؟ ! »
وقال روبنسون ، محاولا تهدئة ديلامارش : « انه لايعرفها ! »

وخرجت امراتان من احد الابواب التى تعلوهما ببضع درجات ، ومسحتا ايديهما فى مريلتيهما ، ونظرتا نحو ديلامارش وروبنسون ، وبدا عليهما وكانهما كانتا تتحدثان عنهما ، ثم خرجت فتاة صغيرة من احد الابواب ، واندست بين المراتين ، وتعلقت بذراعيهما .

قال ديلامارش : « هاتان امراتان قذرتان ! » ، وكان صوته خفيضا ، وبدا انه راعى ذلك حتى لا يتسبب فى ازعاج برونيلدا النائمة ، و .. سوف ابلغ عنهما البوليس ان عاجلا او آجلا، وعندئذ ساتخلص منهما بضع سنوات ، لا تتطلع نحوهما ! » ، وجذب كارل وهو يقول له ذلك ، الا ان كارل لم يجد باسا فى ان يتطلع نحو المراتين ، طالما كان عليه على اية حال ان ينتظر واقفا فى الممر حتى تستيقظ برونيلدا ، وهز راسه فى غضب ، وكانه يرفض ان يستمع الى تحذيرات ديلامارش ، بل لقد خطا بضع خطوات فى اتجاه المراتين ، لـكى يوضح رايه ، عندما امسك به روبنسون من كم قميصه ، قائلا : « انتبه ياروسمان ! » ، بينما كان ديلامارش قد عصف به الغضب ، بسبب الضحكة التى اطلقتها الفتاة الصغيرة ، حتى لقد قفز ، وهو يحرك ساقيه وذراعيه نحو المراتين ، اللتين دخلتا بابهما ثانية كما لو كانتا قد انجرفتا خلاله فى التو واللحظة ، وقال ديلامارش عند عودته : « هذه هى الطريقة التى اخلى بها هذا الممر عادة ! » ثم تذكر ان كارل كان قد تمرد عليه ، فقال :

« الا اننى كنت اتوقع منك سلوكا مختلفا تماما ، والا كان عليك ان تظهر لى عداءك صراحة ! »

ثم جاء صوت رقيق من داخل الشقة ، متسـائلا فى ارهاق :

« هل هذا أنت يا ديلامارش ؟ ! »

فاجاب ديلامارش قائلا : « نعم ! » ، وتطلع فى رقة الى الباب :

« هل يمكننا ان ندخل ؟ ! »

وجاءه الجواب : « اوه .. نعم ! » ، وبعد أن القى نظرة على الاخرين اللذين كانا يقفان الى جانبيه ، فتح ديلامارش الباب فى بطء .

وتقدم ثلاثتهم فى الظلام الحالك ، كانت الستارة التى تغطى باب الشرفة ـ لم تكن هناك اية نوافذ ـ مسدلة تماما ، ولم تكن تسمح بدخول سوى القليل من الضوء ، الا ان حقيقة امتـلاء الحجرة بالاثاث المتراكم ، والملابس المعلقة فى كل مكان ، كانت قد اسـهمت الى حد كبير فى اظلام الحجرة ، فوق ظلامها ، وكان الهواء فاسدا ، وكان فى وسع المرء أن يتنفس التراب بالفعل ، ذلك التراب الذى كان قد تجمع فى الاركان ، التى كانت تبعد فيما يبدو عن متنـاول اليد ، وكان أول ما لاحظه كارل عند دخوله ، هو ثلاثة من صناديق الملابس ، كانت تستقر بجوار بعضها البعض .

وفوق الاريكة كانت تستلقى المراة التى كانت تنظر من الشرفة ، من قبل .و كان رداؤها الاحمر ، قد تثنى تحتهـا على نحو ما ، وانحدر حتى بلغ الارض ، وكان من الممكن رؤية سـاقيها حتى الركبتين ، كما كانت ترتدى جوارب صوفية بيضاء سميكة ، ولم تكن تنتعل حذاء .

قالت : « ما أشـد حرارة الجو يا ديلامارش ! » ، ومدت ذراعها نحو ديلامارش فى وهن ، وهى تدير وجهها نحوه ، وتناول ديلامارش يدها ، وقبلها ، واستطاع كارل ان يرى ذقنها ، التى كانت تتكون من ذقنين ، والتى كانت تلتف فى انسجام مع دوران راسها .

تساءل ديلامارش : « هل ترغبين فى أن ارفع الستارة ؟ ! »

قالت فى نبرة تبدو يائسة ، وهى تغلق عينيها : « اوه .. لا تفعل هذا ، فسوف يزيد الجو سوءا ! »

وكان كارل قد تقدم مباشرة نحو الاريكة لـكى يرى المراة جيدا ، كان مندهشا لنواحها ، لان الحرارة لم تكن زائدة عن المألوف .

وقال ديلامارش فى قلق : « انتظرى فسوف اريحك اكثر ! » ،

وفك بضعة ازرار حول رقبتها ، وفتح الثوب حول عنقها ، حتى تعرى جزء من صدرها ، وكانت حروف الدانتلة الناعمة الصفراء التي تزين قميصها الداخلي قد بدت كذلك .

قالت المراة فجاة ، وهي تشير باصبعها الى كارل : « من هذا ، ولماذا يحدق نحوى بهذه القسوة ؟ ! »

فقال ديلامارش ، وهو يدفع كارل جانبا : « انك محسنة كبيرة ، الست كذلك ؟ ! » ، وراح يؤكد للمراة قائلا : « انه ليس سوى الصبى الذى احضرته معى لكى يقوم على خذمتك ! »

فصاحت المراة قائلة : « ولكننى لا اريد احدا ، فلماذا تحضر الغرباء الى داخل المنزل ؟ ! » .

فقال ديلامارش ، وهو يركع على الارض ، فلم يكن ثمة مكان له على الاريكة بجوار برونيلدا ، بالرغم من اتساعها : « لكنك ظللت تطلبين منى دائما شخصا يتولى خدمتك ! » .

قالت : « اوه ، يا ديلامارش ، انك لا تفهمنى ، انك لا تفهمنى مطلقا ! » .

فقال ديلامارش : « اذن ، فليكن الامر كذلك ، فانا لا افهمك ! » وتناول وجهها بين راحتيه : « الا ان ذلك لا يهم فى الحقيقة ، فيمكنه ان يرحل فى الحال ، لو شئت ! » .

قالت اخيرا : « بما انه قد جاء ، فيمكنه ان يبقى ..! » واحس كارل بالامتنان لها ، عند سماعه هذه الكلمات ، لشدة التعب الذى كان يشعر به ، مع ان تلك الكلمات لم تكن فيما يبدو تحمل شيئا من الكرم ، ذلك ان التفكير فى تلك الدرجات التى لا نهاية لها ، والتى قد يتمين عليه ان يهبطها ثانية ، كان اشد ما كان يخشاه ، لهذا تخطى روبنسون الذى استغرق فى النوم الآن فوق بطانيته ، وقال لها ، على الرغم من ايماءات ديلامارش الغاضبة : « اننى اشكرك على اية حال ، لسماحك لى بالبقاء هنا لفترة قصيرة فقط ، لاننى لم اذق طعم النوم طوال الاربع والعشرين ساعة الماضية ، ولقد قمت باشياء كثيرة جدا ، وقد ازعجتنى كذلك بعض الامور ، وكدرتنى ، اننى مرهق غاية الارهاق ، ولا اكاد ادرى اين انا ، لكننى بعد ان اغفو ساعة او ساعتين يمكنك ان تلقى بى خارجا ، وسوف ارحل فى الحال مسرورا ! »

قالت المراة : « يمكنك ان تبقى ما شاء لك البقاء » ، ثم اضافت قائلة فى سخرية : « ان لدينا اكثر من متسع لك هنا ، كما ترى »

فقال ديلامارش : « اذن من الافضل أن ترحل الآن ، فليست لنا اية حاجة اليك ! »

فقالت المراة جادة هذه المرة : « لا ، دعه يبق ! »

وقال ديلامارش ، وكانه يلبى امر المراة : « حسنا اذن ، فاذهب واستلق فى مكان ما » .

ـ يمكنه ان يستلقى فوق الستائر ، لكن عليه ان يخلع حذاءه حتى لا يتسبب فى تمزيقها !

واشار ديلامارش لكارل الى المكان الذى كانت تقصده المراة ، فبين الباب ، والصناديق الثلاثة ، كانت توجد كومة هائلة من مختلف أنواع الستائر ، ملقاة ، وكانت مطوية جميعا بغاية العناية ، الستائر الثقيلة فى اسفل ، والخفيفة فوقها ، وكانت كل القضبان التى تتحرك فوقها الستائر ، وكل الحلقات الخشبية المتناثرة خلال الكومة قد اخرجت منها ، وربما كانت هذه الستائر تكون فى النهاية أريكة لاباس بها ، لكنها كانت فى الحقيقة عبارة عن كومة مهتزة غير صالحة للنوم ، وقد استلقى كارل فوقها مع ذلك ، فى الحال ، لانه كان متعبا غاية التعب ولايقدر أن ينتظر لكى يعيد ترتيب هذه الكومة من الستائر ، وكان عليه ، كذلك ، أن يحذر المزيد من الاحاذيث مع مضيفه ، ومضيفته .

ولقد استغرق فى النوم العميق ، حتى سمع صيحة مرتفعة ، وفزع من نومه ليجد برونيلدا تجلس فوق الاريكة ، وهى تفرد ذراعيها على آخرهما ، وتلقيهما فوق كتفى ديلامارش ، الذى كان راكعا امامها ، وصدم كارل لهذا المشهد ، واستلقى ثانية على ظهره ، وتكوم على نفسه فوق الستائر لكى يواصل نومه ، وقد اتضح له انه لن يحتمل هذا المكان لمدة يومين ، لكن كان من الضرورى له ان ينام نوما كافيا الآن ؛ حتى يمكنه ان يستعيد نشاطه ، ومن ثم يقرر بعد ذلك ما ينبغى عليه أن يفعله .

الا ان برونيلدا كانت قد لمحت عينى كارل ، اللتين كان الارهاق قد زاد من اتساعهما ، وكانتا قد أفزعتاها بالفعل ، فصاحت : « ديلامارش ، لايمكننى أن احتمل هذه الحرارة ، اننى اكاد احترق ، ويجب على ان اخلع ملابسى ، يجب ان آخذ حماما ، فاخرج هذين الشخصين ، الى حيث تشاء ، الى الممر ، أو الى الشرفة ، أو أى مكان آخر لايمكن أن تقع عليهما فيه عيناى ! فهاندا فى منزلى ، ولكن لايمكننى أن احصل على الراحة مطلقا ، فلو امكن

لنا أن نكون وحدنا يا ديلامارش ! اوه ، يا الهى ، انهما لا يزالان هنا ، انظر الى هذا الوقح المدعو روبنسون ، وهو يتمدد فى ملابسه الداخلية فى وجود سيدة ، وانظر ايضا الى هذا الصبى ، هذا الغريب الذى يحدق فى بوحشية ، وكيف يتظاهر بانه قد استغرق ثانية فى النوم ، لكى يخدعنى ، اطردهما يا ديلامارش ، انهما عبء على كاهلى ، انهما ثقل فوق صدرى ، فلو مت الآن فسوف يكون ذلك بسببهما ! » .

قال ديلامارش وهو يتقدم نحو روبنسون ، ويهزه بقدمه التى وضعها فوق صدره : « هيا اخرجا من هنا ، اخرجا فى الحال ! » ثم صاح موجها حديثه الى كارل : « انهض يا روسمان ، اخرجا الى الشرفة كلاكما ، وسوف تكون جنازتكما قد حانت ان دخلتما هنا قبل أن ندعوكما الى الدخول ، والآن تحرك يا روبنسون ! » ، وعند ذلك ركل روبنسون بقسوة اشد ، وانت يا روسمان ، هيا الى الخارج ، والا جئت فتصرفت معك انت ايضا ! » ، وصفق بيديه مرتين فى صوت مرتفع .

صاحت برونيلدا من مكانها على الاريكة قائلة : « لماذا تتلكآن ! » كانت قد فردت ساقيها على اتساعهما حيث جلست لكى تتيح مكانا لجسدها غير المتناسق ، بمجهود شديد ، وهى تتنفس ، وتتوقف كثيرا لكى تلتقط انفاسها ، حتى استطاعت ان تنحنى الى الامام لكى تمسك بجواربها ، وتخلعها ، ولم تستطع أن تخلع ملابسها ، فقد كان على ديلامارش ان يقوم بذلك ، وكانت تجلس الآن فى انتظاره ، بفارغ الصبر ، لكى يخلع عنها ملابسها .

وزحف كارل ، وهو يكاد يكون فاقد الوعى من شدة التعب الى أسفل من فوق كومة الستائر ، واتجه فى بطء نحو باب الشرفة ، وكانت قطعة من قماش الستائر قد التفت حول ساقه ، فجرجرها معه بلا مبالاة ، وفى شروده قال بالفعل لبرونيلدا ، وهو يمر أمامها : « ارجو لك ليلة سعيدة ! » ، ثم مر بديلامارش الذى كان يحرك الستائر جانبا ، من أمام باب الشرفة ، وخرج كارل الى الشرفة ، ووصل روبنسون فى الحال خلفه ، وكان يبدو مستغرقا مثله فى النوم ، لانه كان يغمغم قائلا لنفسه : « معاملة سيئة دائما ، فلو لم تات برونيلدا ، لما كان على ان اذهب الى الشرفة ! » الا انه قد خرج فى غاية الوداعة ، على الرغم من هذا التصريح ، الى الشرفة ، حيث استلقى فوق الارض الحجرية ، لان كارل كان قد

تكوم فوق المقعد ذى المساند .

وعندما استيقظ كارل كان المساء قد حل ، وكانت النجوم قد ظهرت فى السماء ، وخلف البيوت العالية المواجهة كان القمر قد ارتفع فى السماء ، ولم يكن كارل يكاد يدرك أين كان ، قبل ان يتفحص الاماكن المهجورة التى كانت تحيط به الآن ، وقبل ان يستنشق الهواء الرطب المنعش ، وكيف كان قد بلغ به الاهمال حدا ، اهمل معه نصائح المديرة ، وكل تحذيرات تيريز ، وكل مخاوفه الخاصة ، وهنا حيث كان يجلس فى هدوء فى شرفة ديلامارش ، حيث نام نصف يوم ، بدا له وكأن ديلامارش عدوه اللدود لم يكن يوجد بالفعل على بعد خطوات قليلة منه ، خلف تلك الستارة ، وروبنسون هذا ، الضائع الكسول ، الذى كان يتمدد على ارضية الشرفة ، والذى كان قد راح يشد قدمه ، ويبدو انه قد ايقظه بهذه الطريقة من نومه ، فقد كان يقول له الآن : « كيف يمكنك أن تنام يا روسمان ، ان هذا هو تماما معنى ان يكون المرء صغيرا ، وعديم المبالاة ، والى متى تريد أن تواصل النوم ؟ لقد تركتك تستغرق فى النوم ، الا اننى كنت قد ضقت أولا بالاستلقاء فوق ارضية الشرفة ، وثانيا فقد جعت غاية الجوع ، هيا ، انهض فى الحال ، فلقد عثرت على شىء كان مخبئا تحت مقعدك ، شيئا من الطعام ، واريد أن أخرجه من مكانه ، وسوف اعطيك بعضه » ، وعندما نهض كارل ، تطلع حوله ، بينما زحف روبنسون ــ دون أن ينهض على قدميه ــ على بطنه ، حتى بلغ اسفل المقعد ، لكى يجذب صينية فضية ، كتلك التى تستعمل فى حمل بطاقات الزيارة ، وكان فوق تلك الصينية قطعة من السجق الاسود ، وبضع سجائر رفيعة ، وعلبة سردين مفتوحة ، لا تزال ممتلئة تقريبا ، ومغطاة بالزيت ، وبضع قطع من الحلوى ، اغلبها مكومة فى قطعة واحدة ، ثم ظهرت أيضا قطعة كبيرة من الخبز ، ونوع من زجاجات العطر ، يبدو انها كانت ممتلئة بشىء آخر غير العطر ، رغم ذلك ، لان روبنسون عرضها فى رضا زائد على كارل ، وهو يمتص شفتيه ويتطلع نحو كارل بنظرة راضية .

قال روبنسون ، وهو يلتهم السردينة بعد الاخرى ، ويمسح الزيت بوشاح من الصوف يبدو أن برونيلدا كانت قد نسيته فى الشرفة : « انظر يا روسمان ، انظر ، هذا هو ما تحتاج اليه فى الحقيقة ، ان لم تكن تحب أن تتضور جوعا ، واقول لك ، لقد

القى بى على هامش الحياة ، ولو عاملك الناس دائما ككلب ، فانك سوف تبدأ ، فتظن انك كلب بالفعل ، انه شىء طيب وجودك هنا معى يا روسمان ، فسوف اجد على الاقل شخصا يمكننى أن الحدث اليه ، لا احد فى هذا المنزل كله يتحدث الى ، انهم يكرهوننا وكل هذا بسبب برونيلدا ، انها امراة رائعة بالطبع ، واننى ..! » ، وهنا اشار الى كارل بان يميل نحوه ، لكى يهمس اليه بشىء ما : « لقد رايتها عارية ذات مرة ، اوه .. » ، وعندما عاودته ذكرى تلك المتعة ، راح يقرص ساق كارل ، ويصفعها ، حتى صاح كارل فيه قائلا : « روبنسون ، لقد جننت ! » ، ودفع يده فى عنف بعيدا .

قال روبنسون : « انك ما زلت طفلا يا روسمان ! » ، واخرج من تحت قميصه خنجرا ، كان يعلقه بحبل حول عنقه ، واخرجه من جرابه ، وراح يقطع به قطعة السجق الجامدة : « ان أمامك الكثير الذى يجب عليك أن تتعلمه ، الا انك قد جئت الى أصلح الاماكن التى يمكنك ان تتعلم فيها هذه الاشياء ، وأنت لا تريد أن تشرب ايضا ؟ وعلى هذا فأنت لا تريد شيئا مطلقا ، كما انك لا تميل كذلك الى الحديث ، الا اننى لا يهمنى من الذى يجلس معى فى الشرفة ، طالما ان هناك شخصا معى فى نهاية الامر ، ذلك أننى أطرد دائما الى هذه الشرفة ، وتسر برونيلدا سرورا هائلا لذلك ، وما عليها سوى أن تعلن اية فكرة تخطر على بالها ، كأن تقرر مثلا أنها تشعر بالبرد ، أو انها تشعر بالحرارة الشديدة ، أو انها تريد أن تنام ، أو تريد أن تمشط شعرها ، أو تريد أن تفك الكورسيه ، أو تريد أن ترتديه ، وهكذا تتسبب دائما فى طردى الى الشرفة ، احيانا تفعل ما تقوله حقا ، الا انها فى أغلب الاحيان ، تبقى جالسة فوق الاريكة ، كما هى ، ولا تتحرك . وقد اعتدت فى بعض الاحيان أن أزيح الستارة جانبا ، وأسترق النظر من خلالها ، الا أن ديلامارش فى احدى تلك المرات ــ وانا اعلم تمام العلم ، انه لم يكن يريد أن يفعل ذلك ، وانه قد فعله فقط ، لان برونيلدا كانت قد طلبت منه أن يفعله ــ ضربنى فجأة على وجهى عديدا من المرات بالسوط ــ هل يمكنك أن تتبين آثار تلك الضربات ؟ ومنذ ذلك الحين ، لم أجرؤ على أن أسترق النظر ثانية ، وعلى هذا فقد اعتدت على ان أستلقى هنا فقط ، فى هذه الشرفة ، ولا افعل شيئا سوى الاكل ، والليلة قبل الماضية كنت استلقى هنا وحيدا

طوال الليلة ، وكنت ارتدى تلك الملابس الفاخرة التى شاء سوء الحظ أن أفقدها فى فندقك ــ فلقد مزق الخنزير ، تلك الملابس الثمينة من على ظهرى ــ حسنا ، بينما كنت استلقى هنا وحيدا ، واتطلع الى الشارع من خلال الدرابزين ، بدا لى كل شىء بائسا غاية البؤس ، حتى لقد شرعت فجأة فى البكاء ، ثم حدث ــ دون ان الاحظ ذلك ــ ان خرجت برونيلدا الى الشرفة فى ردائها الاحمر ــ الذى يناسبها اكثر من بين كل ملابسها الاخرى ــ وتطلعت الى قليلا ، وقالت : « روبنسون ، لماذا تبكى ؟ ! » ، ثم رفعت ذيل ردائهــا ومسحت دموعى ، و ٠٠من يــدرى ما عســاها كانت تفعل أيضا ، لو لم ينادها ديلامارش ، وكان عليها أن تعود الى الحجرة ثانية فى الحال ، لقد ظننت بالطبع لحظتها أن دورى كان قد حان ، وتساءلت من خلال الستارة ، أن كان على أن ادخل ، فماذا تظن أن برونيلدا قد قالت ؟ لقد قالت : « لا ! » ، ثم اضافت قائلة : « وما الذى تظنه ؟ ! » .

وتساءل كارل قائلا : « لــكن لماذا تبقى هنا اذا كانا يعاملانك على هذا النحو ؟ ! » .

فأجابه روبنسون قائلا : « اسمح لى يا روسمان ، أن اقول لك ان هذا سؤال غبى ، لانك سوف تبقى هنا أنت أيضا ، حتى لو عاملاك بصورة أسوأ كثيرا من هــذه ، وبالاضافة الى ذلك فليست معاملتهما لى الى هذا الحد من السوء ! » .

قال كارل : « لا .. اننى سارحل بلا شك ، وهذه الليلة نفسها ان أمكن ذلك ، اننى لن ابقى معك ! » .

ــ وكيف ستتمكن من الرحيل الليلة ؟ ! تساءل روبنســون ، وهو يستخرج لب الرغيف الطرى ، ويغمسه فى الزيت ، داخل صندوق السردين : « كيف يمكنك أن ترحل اذا كان عليــك الا تدخل الحجرة ؟ ! » .

ــ ولماذا لا يجب على أن أدخل الحجرة ؟ !

فقال روبنسون ، وهو يفتح فمه على اتساعه ، ويلتهم الخبز المنقوع فى الزيت ، بينما يتلقى قطرات الزيت المتساقطة فى راحة يده الاخــرى ، كوعــاء كان يغمس فيه بقية الخــبز من حين لآخر : « لانه ليس لنا ان ندخل الحجرة ، ما لم يدق الجرس ، ايذانا بالدخول ، ان الامور اكثر حزما الآن ، وقد كانت على الباب فى البداية ، ســتارة رقيقة ، لم يكن يمكنك بالفعل ان ترى من

خلالها ،لكن كان فى استطاعة المرء فى الامسيات أن يلاحظ شبحيهما من خلالها ، الا ان ذلك لم يرق لبرونيلدا ، وعلى هذا ، كان على أن احول احدى ملابسها الليلية الثقيلة الى ستارة ، وأن اعلقها على باب الشرفة بدلا من الستارة القديمة ، فلا يمكنك الآن أن ترى شيئا بالمرة ، ثم كنت فى احد الاوقات اسأل من مكانى هنــا ، ان كان لى أن ادخل الحجرة ، وكان يأتينى الجواب بنعم ، أو لا ، حسب الظروف ، لـكن يبدو ان هذا الوضع كان قد راق لى كثيرا ، فقد كنت اسألها اسئلة متلاحقة فى كل مرة ، ولم تحتمل برونيلدا ذلك ـ ومع انها فى غاية السمنة ، الا انها فى غاية الرقة ، وهى كثيرا ما تصاب بالصداع ، وبالنقرس فى ساقيها ـ وعلى هذا فقد تم القرار بعدم السماح لى بالسؤال ثانية ، وفى استطاعتى أن ادخل الحجرة فقط عندما يرن جرس ثبتاه فوق المنضدة لهذا الفرض ، ويرن هذا الجرس رنينا مرتفعا جدا ، حتى ليوقظنى انا نفسى ، من نومى ، وقد كانت لى قطة فى احد الاوقات ، كانت تسلينى فى وحدتى ، الا انها قد فزعت من صوت الجرس ، فانطلقت تجرى ، ولم تعد ثانية قط ، ولم يرن هذا الجرس اليوم كما ترى ، ذلك لانه عندما يرن ، فانه لا يكون مسموحا لى عندئذ فقط بالدخول ، بل انه يتحتم على أن ادخل الحجرة ـ وعندما ينقضى مثل هـذا الوقت الطويل دون أن يرن الجرس ، فمن الممكن فى هذه الحالة الا يرن بالفعل الا بعد انقضاء فترة طويلة اخرى ! » .

قال كارل : « نعم ، الا أن ما يوافقك ، لايوافقنى بالضرورة ، وبالاضافة الى ذلك ، فان مثل هذا الوضع لا يناسـب الا الذين يمكنهم احتماله ! »

فصاح روبنسون قائلا : « لـكن ، لماذا لا يوافقك انت ايضا ؟ بالطبع انه يوافقك انت ايضا ، ومن الافضل أن تستلقى فى هـدوء معى ، هنا حتى يرن الجرس ، ثم يمكنك عندئذ ، على الأقل ، أن تحاول الرحيل ! »

ـ ما الذى يبقيك هنا حقا ، ان ديلامارش ببساطة صديقك ، أو انه بالاحرى كان صديقك ، هل تسمى هذه حياة ؟ ألم يكن من الافضل لك الذهاب الى باترفورد ، حيث كنت تنوى الذهاب فى البداية ؟ او حتى الى كاليفورنيا حيث يوجد اصدقاؤك ؟ » .

قال روبنسون : ـ « حسنا ، لم يكن يمكن لاحد أن يتوقع حدوث ذلك ! » . ثم قال قبل أن يكمل عبارته : « فى صحتك الفالية

يا عزيزى روسمان ! » ، وارتشف رشفة طويلة من زجاجة العطر :
« لقد كنا فى غاية الضنك ، خلافا للمتوقع ، عندما تركتنا اذ ذاك عامدا ، ولم نتمكن من أن نجد عملا على الاطلاق ، فى اليوم الاول ، أو اليومين الأولين ، وبالاضافة الى ذلك ، فلم يكن ديلامارش يرغب فى العمل ، كان فى استطاعته لو شاء أن يحصل على عمل ما بسهولة ، الا أنه كان يرسلنى لكى أبحث أنا لنفسى عن عمل ، ولم يصادفنى الحظ مطلقا ، كان يتسكع فقط هنا وهناك ، وكان كل ما احضره معه فى المساء ، حقيبة سيدة ، كانت حقيبة فاخرة للغاية مصنوعة من اللآلىء ، وقد أهداها لبرونيلدا فيما بعد — الا أننا لم نجد فيها شيئا. ثم قال أنه من الافضل لنا أن نتسول أمام الابواب — يمكنك أن تحصل على شىء أو آخر بهذه الطريقة — ، وهكذا مضينا فى التسول ،وكنت أغنى أمام أبواب البيوت لكى أجعل أسلوبنا فى التسول افضل قليلا ، ويبدو أنه كان حظ ديلامارش هذه المرة لاننا ما كدنا نمضى دقيقة أو دقيقتين فى التسول ، بالتحديد أمام الباب الثانى الذى وقفنا أمامه ، وكان باب شقة هائلة فى الطابق الارضى ، وغنيت اغنيتين للطاهى ، وللساقى ، عندما ظهرت أمامنا السيدة صاحبة الشقة ، وقد كانت هى برونيلدا نفسها ، ظهرت على الدرجات الاولى، وربما كانت ترتدى وقتها فستانا محبوكا جدا من الدانتيلا ، وعلى أية حال فانها كانت قد بدت فوق تلك الدرجات ، فكم بدت رائعة ، ياروسمان ! ، كانت ترتدى رداء أبيض اللون ، وكانت تمسك فى يدها شمسية حمراء اللون . كنت تشعر بانك تريد ان تلتهمها ، تشعر بانك تريد أن تشربها ، يا الهى ، لقد كانت فاتنة ! يالها من امرأة ، اخبرنى أنت ، كيف يمكن وجود مثل تلك المرأة ؟ ولقد اندفع الطاهى والساقى بالطبع نحوها فى الحال ، وكادا يحملانها من فوق الارض ، وقد وقفنا على كلا الجانبين ، ورفعنا قبعتينا ، كما يفعل الناس هنا . ولقد توقفت لبرهة قصيرة ، لانها لم تكن قد التقطت أنفاسها ، ولم أدر كيف حدث الامر فى الحقيقة ، كنت جائعا جدا ، ولم أكن أدر مطلقا ماكنت أفعله ، وكانت هى أمامى غاية فى الوسامة ، عريضة الجسد جدا ، لكنها كانت رشيقة غاية الرشاقة بسبب تلك المشدات الخاصة التى كانت تشد بها كل أجزاء جسمها ، — ويمكننى أن أطلعك على تلك المشدات فى صندوق ملابسها — ، حسنا ، لم أستطع أن أمنع نفسى من أن ألمس ظهرها ، لكن كان ذلك فى غاية الرقة ، أنت تعرف ، مجرد لمسة

خفيفة ، وانه لأمر فظيع بالطبع أن يلمس متسول سيدة ثرية ، ولقد كنت فقط قد لمستها لمسة خفيفة عارضة ، الا أننى كنت قد لمستها بالفعل فى نهاية الامر ، ومن يدرى ماذا كانت النهاية التى كان من الممكن أن ينتهى اليها ذلك الحدث ، لولم يلطمنى ديلامارش لحظتها على أذنى ، ثم أتبعها بتلك الصفعة العنيفة التى ارتفعت لها يداى الى وجهى ! ..

قال كارل : « ياللأمر العجيب ! » ، كان قد استغرق تماما فى الاستماع الى القصة ، وجلس على أرضية الشرفة : « اذن فقد كانت هذه هى برونيلدا ! »

قال روبنسون : « نعم ، لقد كانت هى برونيلدا ! »

فتساءل كارل قائلا : « هل قلت مرة انها كانت مغنية ؟ » اجابه روبنسون قائلا : « بالتأكيد ، انها مغنية ، ومغنية كبيرة » وكان يلوك قطعة كبيرة من الحلوى فى فمه ،وراح يدفع بين الحين والاخر ، بقاياها التى كانت تخرج من فمه الى الداخل ، قائلا : لم نعرف ذلك بالطبع وقتها ، كنا قد ادركنا فقط أنها كانت سيدةثرية ورائعة للغاية ، ولقد تصرفت وكأن شيئا لم يحدث ، وربما لم تكن قد شعرت بأى شىء عندما لمستها ، لاننى كنت قد لمستها بالفعل بأطراف أصابعى ، الا أنها ظلت تتطلع الى ديلامارش ،الذى حدق فى عينيها مباشرة ، كعادته ، ثم قالت له : «تعال معى الى الداخل قليلا» وأشارت له بمظلتها الى داخل الشقة ، وكان على ديلامارش أن يتقدمها ، ودخلا ، واغلق الخدم الباب خلفهما ، ونسيانى فى الخارج، ولما كنت أظن أن الامر لن يستغرق وقتا طويلا ، فقد جلست على الدرج فى انتظار ديلامارش ، لكن الساقى خرج الى ، بدلا من ديلامارش ، وهو يحمل لى وعاء ممتلئا بالشوربة ، قلت فى نفسى : « انه تحية من ديلامارش ! » ، ووقف الرجل الى جانبى بعض الوقت، بينما كنت أتناول تلك الشوربة ، واخبرنى ببعض الاشياء عن برونيلدا ، وعندها أدركت مدى أهمية تلك الزيادة بالنسبة لنا ، ذلك أن برونيلدا كانت قد طلقت زوجها ، وكانت بالغة الثراء ، ومنطلقة تماما على سجيتها ! ، كان زوجها السابق ، وهو صاحب مصنع للكاكاو ، ــ وللعلم ، فهو لا يزال يحبها ــ الا أنها رفضت المودة اليه بالمرة ، رغم ذلك • وكان غالبا ما ينادى عليها أمام الشقة ،وهو يرتدى دائما أفخر الثياب ، كما لو كان متأهبا للذهاب الى حفلة زفاف ــ هذا صدق ، بكل كلمة فيه ، ولقد عرفت الرجل بنفسى ــ

لكن رغم المنح الضخمة التى كان يحصل عليها الساقى منه ، فانه لم يكن يجرؤ على أن يخبر برونيلدا ، بأنه كان يلتقى بزوجها ، لانه كان قد سالها مرة أو مرتين من قبل ان كان له أن يستقبله ، فكانت تلتقط أى شيء تقع عليه يدها ، وتقذفه به على راسه ، ولقد صبت فوقه ذات مرة وعاء الماء الساخن الضخم الذى كان يجهز دائما من أجلها ، وتسببت فى تحطيم احد اسنانه الامامية ، نعم ياروسمان ، يمكنك أن تحدق فى ما شاء لك التحديق ! »

وتساءل كارل قائلا : « وكيف تمكنت من أن تتعرف بزوجها ؟! »

فقال روبنسون : « انه يأتى الى هنا غالبا ! »

ــ هنا ! وضرب كارل أرضية الشرفة بيده ، ضربة خفيفة ، لدهشته .

ومضى روبنسون فى حديثه قائلا : « قد تصيبك الدهشة ، ولقد دهشت انا نفسى عندما كان الساقى يقف بجوارى خارج الشقة ، وهو يحكى لى عن هذا كله ، فكر فى هذا فقط ، فعندما تكون برونيلدا فى الخارج ، كان الزوج يرجو الساقى دائما أن يدخله الى حجرتها ، وكان يأخذ منها دائما شيئا تافها أو آخر ، كتذكار ، ويترك لها بدلا منه شيئا نادرا ، وغاليا ، وكان يحذر الساقى تحذيرا مشددا من أن يذكر لها شيئا عن شخصية من ترك لهـا تلك الاشياء ، لـكن عندما ترك لها ذات مرة ــ وقد أقسم لى الساقى بصدق ذلك ، وقد صدقته ــ قطعة نادرة من الخزف ، لا تقدر بثمن ، ولا بد أن برونيلدا كانت قد تحققت منهـا بصورة ما ، الا انها قد طوحت بها الى الارض فى الحال ، وداستها بقدمها ، وبصقت فوقها ، وفعلت فوقها أشـياء أخرى أيضا ، حتى ان الخادم ، لم يتمكن من أن يرفع حطامها من على الارض الا بصعوبة بالغة لشدة قرفه ! »

فتساءل كارل قائلا : « وماذا فعل زوجها بعد هذا الحادث ! »

فقال روبنسون : « لست أدرى فى الحقيقة ، الا اننى لا اظن انه فعل شيئا ذا بال ، فربما لم يكن قـد علم بهذا الامر وقتهـا فى الحقيقة مطلقا ، ولقد تحدثت معه كثيرا عن هذا الحادث ، وكنت التقى به كل يوم فى احد اركان الشارع ، لو استطعت ان أخرج لمقابلته ، وكان على دائما أن انهى اليه بآخر الاخبـار ، واذا لم اتمكن من الخروج اليه ، فقد كان ينتظر حوالى نصف الساعة ، ثم ينصرف بعد ذلك من حيث اتى ، وقد كانت فى هذه اللقاءات فائدة

كبيرة لى فى البداية ، لانه كان يدفع كسيد ، ثمنا لكل ما كنت اوافيه به من الاخبار ، لكن بعد ان علم ديلامارش بالامر ، كان على ان اسلم له النقود التى كنت احصل عليها من ذلك الرجل ، وعلى هذا فلم اعد أحرص على الخروج كثيرا الآن ! »

تساءل كارل : « لكن ما الذى يسعى اليه هذا الرجل ؟ ما الذى يسعى اليه بحق الجحيم ، انه يعلم بلا شك انها لا تريده ! »

تنهد روبنسون قائلا ، وهو يشعل سيجارة ، وينفث دخانها عاليا فى الهواء ، ويعبث بيده فى دخانها المتطاير : « نعم ! » ، ثم تحول عن رايه قائلا : « وماذا يعنى هذا الامر بالنسبة لى ؟ كل ما اعرفه هو انه على اتم استعداد لان يدفع مبلغا هائلا من المال ، لكى يتمكن من ان يستلقى هنا فى هذه الشرفة مثلنا ! »

نهض كارل ، ومال الى الدرابزين ، وتطلع نحو الشارع ، كان القمر واضحا الآن ، الا أن ضوءه لم يكن قد نفذ بعد الى أعماق الشارع ، ومع ان الشارع كان خاليا تماما اثناء النهار ، الا انه كان مزدحما الآن بالناس ، وخاصة امام ابواب المنازل ، وقد كانوا يتدافعون جميعا الى الامام فى بطء وتثاقل ، وكانت قمصان الرجال ، وملابس النساء الخفيفة ، تبدو خافتة وسط الظلام ، وكانوا جميعا حاسرى الرءوس . وكانت مختلف الشرفات التى كانت تطل على الشارع ، تمتلىء الآن بالناس ، كانت العائلات باكملها تجلس فيها ، تحت ضوء المصابيح الكهربائية ، وحول مناضد صغيرة ، اذا كانت الشرفة فسيحة بدرجة كافية ، أو فى صف من المقاعد المتجاورة ، ذات الذراعين ، أو تبرز رءوسهم فقط من خارج نوافذ الحجرات ، وكان الرجال يجلسون فى ارتياح ، وقد مددوا سيقانهم ، ودسوا أقدامهم بين قضبان الدرابزين ، وهم مستغرقون فى قراءة الصحف التى كانت تمتد حتى تبلغ ارضية الشرفات ، أو يلعبون الورق ، دون أن يتكلموا على ما يبدو ، وكان لعبهم يصحبه خبطات منيفة فوق المنضدة ، وكانت حجور النساء تمتلىء بكثير من اعمال التطريز ، ولم يكن يفعلن شيئا سوى أن يوجهن نظرات مقتضبة بين الحين والآخر على ما يحيط بهن ، أو الى الشارع تحتهن ، وكانت ثمة امراة رقيقة ، جميلة فى الشرفة المجاورة ، قد راحت تتثاءب ، وهى تدير عينيها الى أعلى ، وترفع الى فمها قطعة من الملابس الداخلية ، كانت ترتقها ، وحتى فى الشرفات البالغة الصغر ، تمكن الاطفال من مطاردة بعضهم بعضا ،

وكانوا يثيرون صخبا يزعج والديهم ، وفى داخل الكثير من الحجرات ، كان يمكن سماع اصوات الجراموفونات ، وهى تطلق الاغنيات ، أو الموسيقى الاركسترالية ، فيما عدا أن رب الاسرة كان يعطى اشارة ما بين الحين والآخر ، فيهرع شخص ما الى داخل الحجرة لكي يضع اسطوانة اخرى ، وعند بعض النوافذ كان من الممكن رؤية الأزواج العشاق يقفون بلا حراك ، وكان ثمة عاشقان من بين هؤلاء العشاق ، يقفان أمام نافذة مواجهة ، وكان الشاب يلف ذراعه حول الفتاة ، ويعتصر خصرها .

سأل كارل روبنسون الذى كان قد نهض هو ايضا واقفا على قدميه ، وقد التف فى دثار برونيلدا ، عندما شعر بالبرد بالاضافة الى بطانيته :

ـ هل تعرف أحدا من جيرانك هنا ؟ ! ..

فقال روبنسون : « لا اكاد اعرف احدا منهم ! » وجذب كارل نحوه حتى التصق به ، لكي يهمس اليه قائلا : « والا ما كان امامى ما اشكو منه الآن ، لقد باعت برونيلدا كل ما لديها لكي ترضى ديلامارش ، وانتقلت الى هذه الشقة فى هذه الضاحية بكل ما تبقى لديها ، لكي تهب نفسها كلية له ، دون ان يعكر صفوهما احد ، وبالاضافة الى ذلك ، فان هذا هو ما كان يريده ديلامارش ايضا ! »

تساءل كارل : « وهل طردت خدمها ؟ »

فقال روبنسون : « اجل لقد طردتهم ، ومن اين لها ما تنفقه على هؤلاء الخدم هنا ؟ ! ان امثال هؤلاء الخدم يتوقعون وجود كل انواع الخير بلا حساب ، ولقد ركل ديلامارش ذات مرة ، فى شقة برونيلدا القديمة ، واحدا من هذه المخلوقات المرفهة ، خارج الحجرة ، وظل يركله أمامه حتى اصبح الرجل خارج الشقة كلها ، وقد انضم بقية الخدم بالطبع الى جانب زميلهم ، واثاروا شغبا أمام الباب ، ثم خرج اليهم ديلامارش « لم أكن انا قد اصبحت خادما حينئذ ، لكننى كنت صديقا للأسرة فقط ، الا اننى طردت معهم الى الخارج على الرغم من ذلك » وسألهم ديلامارش قائلا : « ماذا تريدون ؟ ! »

واجابه اكبر الخدم سنا ، وهو رجل يدعى ايزيدور : « لا شأن لك بنا ، اننا نعمل فى خدمة السيدة ! » واعتقد انك تدرك من هذا انهم كانوا يحترمون برونيلدا غاية الاحترام ، الا ان برونيلدا لم تلق بالا اليهم ، وانطلقت نحو ديلامارش ـ لم تكن على تلك

السمنة ، وثقل الحركة عندئذ ، كما هو حالها الآن ـ واحتضنته ، وقبلته امامهم جميعا ، ونادته قائلة : « عزيزى ديلامارش ! » ثم قالت : « والآن اطرد هؤلاء الحمقى من هنا ! » ـ الحمقى ! ذلك هو ما دعت به خدمها ، ولك ان تتخيل التعبير الذى ارتسم على وجوههم ، ثم امسكت برونيلدا يد ديلامارش وسحبتها نحو كيس نقودها ، الذى كانت تعلقه فى حزامها ، ووضع ديلامارش يده فى داخل الكيس ، وراح ينقد الخدم أجورهم ، ولم تفصل برونيلدا شيئا ، لكنها بقيت واقفة فى مكانها هنالك الى جواره ، والكيس مفتوح فى وسطها ، وكان على ديلامارش ان يضع يده فى داخل الكيس المرة بعد المرة ، لانه كان يوزع النقود دون ان يحصيها ، ودون ان يستمع الى شكاواهم ، وفى النهاية قال ديلامارش : « بما انكم لا شأن لكم بى ، فاننى أقول لكم باسم السيدة ، اخرجوا فى هذه اللحظة ! » ، وهكذا فصلوا ، وقد كانت ثمة عواقب قانونية فيما بعد ، وكان على ديلامارش أن يذهب الى المحكمة فى احدى المرات ، الا اننى لم اعلم عن هذا الامر أكثر من ذلك ، فيما عدا ان ديلامارش قد قال لبرونيلدا ، بعد طرد الخدم : « وهكذا فليس لك خدم الآن ؟ ! » ، لكنها قالت له : « ولكن روبنسون لا يزال موجودا ! » ، وعندها لطمنى ديلامارش على كتفى ، وقال : « حسن جدا ، اذن ، فسوف تصبح خادمنا ! » ، وعندئذ ربتت برونيلدا على خدى ، فلو اتيحت لك الفرصة ، فقط ، يا روسمان ، فلعلها أن تربت على خدك فى يوم ما ، وسوف يدهشك كم يبدو ذلك ممتعا ! »

فقال كارل ، ملخصا الامر : « وهكذا فقد تحولت الى خادم لديلامارش ، اليس كذلك ؟ ! »

ولاحظ روبنسون الاسف فى صوت كارل ، فاجابه قائلا : « قد اكون خادما الا أن قليلا من الناس هم الذين يعلمون بذلك ، وهانت ذا ترى ، فلم تكن تعلم انت نفسك ، على الرغم من انك قد قضيت هنا بعض الوقت . لماذا ؟ لانك ترى فخامة الثياب التى كنت ارتديها الليلة الماضية فى الفندق ، لقد كنت ارتدى أفخر الملابس ، فهل يرتدى الخدم مثل تلك الملابس ؟ ان الشىء الوحيد الذى يضايقنى هو فقط اننى لا اتمكن من مغادرة هذا المكان الا نادرا ، فيجب ان اكون دائما تحت امرهما ، ويوجد دائما الكثير مما يجب على أن افعله هنا فى الشقة ، ان رجلا واحدا لا يكفى فى

الحقيقة لـكى يقوم بكل العمل ، ولعلك قد لاحظت ان لدينا أشياء كثيرة تتراكم فى الحجرة ، فما لم نستطع ان نبيعه عند انتقالنا الى هذه الشقة ، أحضرناه معنا الى هنا ، وقد كان من الممكن بالطبع القاؤه بعيدا ، الا ان برونيلدا لا تلقى باى شىء ، ويمكنك ان تتخيل معنى أن تحمل هذه الاشياء على السلالم الى هنا ! »

صـــاح كارل قائلا : « روبنسون ، هل حملت بنفسك كل تلك الاشياء ، وصعدت بها السلالم الى هنا ؟ ! »

فقال روبنسون : « ماذا ؟ وأى شخص آخر غيرى كان هنا لـكى يحملها ، لقد كان ثمة رجل لمساعدتى فى ذلك ، الا انه كان وغدا كسولا ، وكان على أن أقوم بكل العبء وحدى ، ووقفت برونيلدا بجوار عـربة نقل العفش ، وكان ديلامارش هنا لـكى يقـــرر فى اى الاماكن توضع الاشياء المختلفة ، وكان على ان اظل مندفعا الى اعلى والى اسفل . وقد استمر هذا العمل لمدة يومين كاملين ، وقت طويل ، اليس كذلك ، لـكنك لا تعلم شيئا عن الاشياء العديدة التى تحتويها تلك الحجرة ، ان كل الصناديق الخاصة بالملابس ، تمتلىء بملابس برونيـــلدا ، وخلف الصـــناديق تتكوم مختلف الاشياء فى انحاء الحجرة حتى تبلغ السقف ، فلو كانا قد استاجرا عددا قليلا من الرجال لنقل تلك الاشياء ، لـكان كل شىء قد انتهى بغاية السرعة ، الا ان برونيلدا لم تكن تطمئن الى غيرى فى حمـــل حاجياتها ، ولقد كان هذا تملقا لى بالطبع ، الا اننى قد أهدرت قواى تماما خلال هذين اليومين الى الابد ، وماذا تفيدنى صحتى فى غير ذلك ؟ ! ان اقل شىء احاول ان أقوم بآدائه هنا الآن يسبب لى آلاما هنا وهناك ، وهنا . هل تتذكر هؤلاء الصبية الذين فى الفندق ، تلك الآلات النطاطة ــ ذلك انهم ليسوا سوى مجرد آلات تقفز بغير معنى ــ انهم لم يكونوا ليتمكنوا منى لو اننى كنت فى كامل صحتى ! لـكن لما كنت محطما بحالتى الراهنة ، فلن أستطيع ان أقول كلمة واحدة لديلامارش أو برونيلدا ، وسوف أستمر فى العمل طالما كان فى مقدورى أن اعمل ، وعندما لا اصبح قادرا على العمل ، فسوف أستلقى أرضا ، واموت ، وعندئذ ســـوف تكتشف ، متأخرة جدا ، اننى كنت مريضا بالفعـــل ، ولـكننى رغم ذلك واصلت العمل ، واهلـكت نفسى حتى الموت فى خدمتهما ، أوه ، يا روسمان » ، وانتهى من حديثه مجففا دموعه فى كم قميص كارل ، ثم قال بعد برهة : « الا تشعر بالبرد ، وانت تقف هنا فى قميصك هذا فقط ؟ ! »

قال كارل : « استمر فى حديثك يا روبنسون ، انك تبكى دائما ، وانا لا اعتقد انك مريض الى هذا الحد ، انك تبدو صحيحا الى درجة كافية ، لـكنك باستلقائك فى الشرفة طول الوقت فانك تتوهم مختلف الاوهام ، وربما كنت تشعر بالم عارض فى صدرك ، وهذا ما اشعر به انا ايضا ، ويشعر به كل شخص ، فلو بكى كل الناس مثلك لأتفه الامور ، فلن يكون هناك اى شيء سوى البكاء فى كل تلك الشرفات ! »

قال روبنسون ، وهو يمسح دموعه بطرف بطانيته : « اننى اعلم جيدا اننى مريض ، ان الطالب الذى يقيم بجوارنا مع صاحبة المنزل التى تطهو طعامنا ، قد قال لى منذ فترة قصيرة مضت ، عندما كنت احضر الاطباق : « انتبه يا روبنسون ، انك مريض ، الست مريضا ؟ ! » ، لم يـــكن لى أن أتحـــدث مع هؤلاء النـــاس ، وهكذا فقد وضعت الاطباق فى بساطة ، وغادرت المكان ، لـكنه تبعنى فى الحال ، وقال : « استمع الى يارجل ، لا تدفع الامـــور الى مداها ، انك رجل عليل ! » فسألته : « حسنا اذن ، وماذا افعل فى هذا ؟ ! » ، فقال وهو يستدير مبتعدا عنى : « هـذا شانك ! » ، وضحك الآخرون فحسب ، ضحك هؤلاء الذين كانوا يجلسون لحظتها الى المائدة . انهم جميعا اعداؤنا ، كل من يحيطون بنا ، وهكذا فكرت فى انه من الافضل لى أن اصمت ! »

ــ وعلى هذا فانت تصـدق اى شخص يحاول ان يستخفلك ، بينما لا تصدق شخصا يرجو لك الخير ؟ ! »

فقال روبنسون متعجبا : « ولـكننى اعرف شعورى بالتأكيد! » وشرع فى الصراخ ، ساخطا مرة اخرى .

ــ انك لا تدرى فى الحقيقة ما يضرك ، ولا بد لك من أن تبحث لنفسك عن عمل شريف ، بدلا من أن تعمل خادما لديلامارش هنا ، واننى اقول لك استنادا الى ما قلته انت نفسك ، والى ما اراه هنا الآن ، انها ليست خدمة تلك التى تقوم بها ، ولـكنها استعباد ، ولا يمكن أن يتحمل ذلك احد ، واننى اصدقك فى كل ما قلته ، الا انك تعتقد انك لا تستطيع أن تترك ديلامارش ، لانك صديقه ، ان هذا هراء ، فلو لم يكن يرى اية حياة حقيرة تحياها ، فليس عليك أن تحمل له اقل شعور ودى ! »

ــ « اذن فأنت تعتقد ياروسمان أننى من الممكن أن أسترد صحتى ، لو تركت العمل هنا ؟ ! »

قال كارل : « بالتأكيد ! »

وتساءل روبنسون ثانية : « بالتأكيد ؟ ! »
فقال كارل مبتسما : « بالتأكيد تماما ! »

فقال روبنسون وهو يتطلع الى كارل : « اذن فاننى من الممكن ان ابدا فى محاولة استرداد صحتي فى الحال ! »
فتساءل كارل : « وكيف ذلك ؟ ! »
واجابه روبنسون قائلا : « ماذا ؟ لان عليك ان تقوم بعملى هنا ! »
فتساءل كارل قائلا : « من الذى اخبرك بهذا ، بحق الجحيم ؟!»

ـ اوه .. انها خطة قديمة ، وقد بحثت هـذه الخطة اياما طويلة ، وقد بدات عندما عنفتنى برونيلدا لعدم قيـامى بتنظيف الشقة على الوجه الاكمل ، وقد وعدتها بالطبع بأن اقوم بعمل كل شيء على الوجه الاكمل ، فى الحال ، لـكن .. حسنا ، لقد كان هذا صعبا للغاية ، فلم يكن فى مقدورى ، مثلا ، فى حالتى الصحية الراهنـة ان ازحف الى كل الاركان لـكى اكنس الاتربة ، اننى اتحرك بغاية الصعوبة فى وسط الحجرة ، ولا أكاد اتمكن من أن اصل الى ما خلف الاثاث ، واكوام الامتعة ، ولو كان للحجرة ان تنظف تنظيفا شاملا ، فلا بد من نقل الاثاث كله من مكانه ، وكيف لى أن افعل ذلك بمفردى ؟ وبالاضافة الى ذلك ، فيجب ان يتم هذا كله بغاية الهدوء ، حتى لا تتضايق برونيلدا ، وهى نادرا ما تغادر الحجرة ، وعلى هذا فقد وعدت بأن انظف كل شيء ، الا اننى لم استطع بالفعل ان انظف كل شيء ، ولما لاحظت برونيـلدا ذلك ، اخبرت ديلامارش ان الحال لايمكن ان يستمر على هذا المنوال ، وان عليه أن يستخدم مساعدا ، يساعدنى فى اعمال الشقة » ، قالت له : « لا اريدك يا ديـلامارش ان تلومنى فى اى وقت من الاوقات على عدم استطاعتي ادارة شئون البيت كما ينبغى ، فلا يمكننى ان اجهد نفسي مطلقا ، وانت تعلم ذلك تمام العلم ، ولم يعد روبنسون كافيا للقيام وحده بأعباء العمل ، لقد كان نشيطا فى البداية ، وكان يقوم بأداء كل شيء على خير وجه ، لـكنه الآن متعب دائما ، ويجلس اغلب الوقت فى احد الاركان ، لـكن حجرة مكتظة بالاشياء كحجرتنا هذه ، فى حاجة الى أن تكون منظمـة باستمرار ! » ، وعلى هذا فقد اهتم ديلامارش بأمر ترتيبها ، لانه لا يمكن بالطبع ان نسـمح بدخول اى شـخص ، مهما كان الى منزلنا ، ولا حتى كمجرد تجربة ، طالما ان الناس جميعا من حولنا ،

يتجسسون علينا ، لكنى لما كنت صديقا مخلصا لك ، وكنت قد سمعت من رينيل عن العبودية التى كان عملك فى الفندق قد كبلك بأغلالها ، فقد رشحت اسمك ، ووافق ديلامارش فى الحال ، على الرغم من انك كنت وقحا معه غاية الوقاحة من قبل ، ولقد سررت بالطبع غاية السرور ، عندما تمكنت من ان اكون نافعا لك ، ذلك لان هذه الوظيفة تبدو كأنها قد خلقت لك ، فانت صغير ، وقوى ، وسريع ، بينما لا نفع فىّ لاحد ، لكن لابد لى من ان اخبرك بانك لم تقبل كخادم هنا بصورة نهائية ، فلو لم ترض برونيلدا عنك ، فمعنى هذا ان لا مكان لك هنا ، وعليك لهذا أن تبذل كل جهدك حتى ترضى عنك ، وسادبر انا امر ما يبقى بعد ذلك ! »

فتساءل كارل قائلا : « وما الذى ستفعله ، لو قبلت هذا العمل ؟ ! » .

وكان كارل قداحس بالحرية التامة بعد أن تخطى الصدمة الاولى التى سببها له تصريح روبنسون ، وعلى هذا فلم يكن ديلامارش ينوى به شرا اكثر من أن يحوله الى خادم له ، ولو كانت لديه اية نوايا اخرى شريرة ، فلا شك ان روبنسون الثرثار كان سيثرثر بها حتما ، لكن لو كانت هذه هى نية ديلامارش حقيقة ، فقد رأى كارل عندئذ ان عليه أن يغادر المكان فى تلك الليلة نفسها ، ولايمكن أن يجبره احد على قبول عمل لايريده ، وعلى الرغم من انه كان يخشى فى بداية الامر ان يعوقه فصله من الفندق ، عن الحصول على وظيفة مناسبة ، ومحترمة لو امكن ، بسرعة تحفظه من التضور جوعا ، فقد بدت له الان كل الاعمال محترمة غاية الاحترام اذا قورنت بهذا العرض ، الذى اثار اشمئزازه ، ولو لم يجد عملا ، فليبق جائعا ، ومعدما ، ولكنه لن يقبل هذا العمل ، الا انه لم يحاول أن يصرح بهذا لروبنسون ، خاصة ان عقل روبنسون كان مشغولا الان بأمل التخلص من اعبائه ، ونقلها الى كاهل كارل .

وقال روبنسون ، وهو يؤكد كلماته ، باشارة من يده تصاحب كل كلمة يتفوه بها : « لكى تبدأ العمل ــ وكان قد اعتمد بمرفقيه على الدرابزين » ــ فسوف أشرح لك كل شىء ، وأريك كل ما لدينا من اشياء ، ولقد تلقيت تعليما جيدا ، وأنا متأكد من ان تمكنك من الكتابة مسألة لا جدال فيها ، وعلى هذا ففى وسعك ان تعد فى الحال قائمة بكل ما لدينا فى الشقة من اشياء . ولو كان الطقس صافيا غدا ، فسوف نسأل برونيلدا ان تجلس فى الشرفة ، ويمكننا

عندئذ ان نتابع عملنا بداخل الحجرة فى هدوء ، دون ان نسبب لها ازعاجا ، ذلك ان هذا الامر هو ما يجب ان يكون موضع اهتمامك الاول ، يا روسمان ، لا يجب ازعاج برونيلدا ، ان سمعها حاد جدا ، وربما كان هذا لانها مغنية . ان اذنيها بالفتا الحساسية ، ولنقل مثلا ، انك تدحرج برميلا صغيرا ممتلئا بالبراندى ، وهو يوضع عادة خلف صناديق الملابس ، انه يسبب كثيرا من الضوضاء لانه ثقيل ، ولان كل مختلف الاشياء تتراكم حوله على الارض ، ولهذا لا يجب عليك ان تدحرجه لكى تخرجه من مكانه ، ان برونيلدا ، ولنقل ذلك ايضا ، تستلقى على الاريكة تطارد الذباب ، الذى يسبب لها ضيقا شديدا ، وتظن انت انها لا تلقى انتباهها اليك ، وتدحرج هذا البرميل ، بينما تظل هى مستلقية هنالك فى هدوء تام ، لكنها فجاة ، ودون ان تتوقع ذلك منها ، وبينما لا تصدر بسببك ادنى ضجة ، تجدها قد وقفت فجاة ، وراحت تضرب الاريكة بيديها ، حتى لايمكنك ان تراها ، لكثرة الاتربة — فمنذ ان جئنا الى هنا ، لم انفض الاتربة عن تلك الاريكة ، لم استطع ان افعل ذلك ، فهى تستلقى فوقها دائما فى الحقيقة — وتبدا فى الصراخ بشراسة ، وكانها رجل ، وتواصل صراخها لمدة ساعات ، ولقد منعها الجيران من الغناء ، الا ان احدا لم يستطع ان يمنعها من الصراخ ، فلا بد لها ان تصرخ ، مع ان هذا لم يعد يحدث كثيرا الآن ، ذلك لاننا قد اصبحنا الآن — انا وديلامارش — اكثر حذرا ، وقد ساءها هذا للغاية كذلك ، وقد اغمى عليها ذات مرة — وكان ديلامارش فى الخارج عندئذ — وكان على ان ابحث عن الطالب الذى يسكن بجوارنا ، وقد رش عليها سائلا ما من زجاجة كبيرة ، اعادها الى وعيها فى الحال ، الا ان هذا السائل كانت له رائحة مخيفة ، ويمكنك الآن ان تشم اثر هذا السائل ، لو وضعت انفك على الاريكة ، ولا شك ان هذا الطالب ، هو عدو من اعدائنا ، مثله مثل الجميع هنا ، ويجب عليك ان تحذره هو ايضا ، والا تحاول ان تختلط باى منهم » .

فقال كارل : « لكننى اقول لك يا روبنسون ان هذا برنامج حافل جدا ، وانها لوظيفة رائعة تلك التى تنصحنى بقبولها ! »

فقال روبنسون وهو يغلق عينيه ، ويهز راسه ، كما لو كان يحاول طرد كل مخاوف كارل : « لا تخش شيئا ، ان لهذه الوظيفة بعض الميزات ايضا ، وهى ميزات لايمكنك ان تجدها فى اية وظيفة

اخرى ، فسوف تكون دائما فى حضرة سيدة مثل برونيلدا ، وقد تنام احيانا فى نفس الحجرة التى تنام هى فيهـــا ، وثمة كثير من المتعة فى ذلك ، كما يمكنك ان تتخيل ، وســـوف تحصـــل على اجر مجز ، ان النقود هنا كثيرة ، واننى لا احصل على اجر لاننى صديق ديلامارش ، لـكننى فى كل مرة أخرج فيهمـــا من المنزل ، اتلقى دائما شيئا من النقود ، تعطيها لى برونيلدا ، لكنك ستحصل بالطبع على اجرك كأى خادم آخر . هـــذا هو وضعك فى نهـــاية الامر ، الا ان اهم هذه الاشياء جميعا هو اننى سأحاول ان اجعل وظيفتك هذه سهلة جدا عليك ، ولن افعـــل اى شىء بالطبـــع فى البداية ، لـكى أعطى لنفسى فرصة لاسترداد صحتى ، لـكننى ما ان اتماثل للشفاء ، حتى يمكنك أن تعتمد على ، وعلى اية حال فسوف اقوم بكل خدمات برونيلدا فى أثناء تناول طعامها ، وسأقوم كذلك بتصفيف شعرها ، وأساعدها على ارتداء ملابسها ، وافعل ما لا يفعله لها ديلامارش من قبيل هذه الخدمات ، ولن يكون عليك فقط سوى ان تهتم بأمر نظافة الحجرة ، وتحضر لنا ما نحتاج اليه من الخارج ، وتقوم بالاعمال المنزلية التى تتطلب مجهودا » .

قال كارل : « لا ياروبنسون ، ان هذا كله لايغرينى بالبقاء ! » .

فقال روبنسون وهو يدنى وجهه من وجه كارل : « لا تكن احمق يا روسمان ، لا تلق بهذه الفرصة الرائعة ! اين ستجد وظيفة اخرى بمثل هذه السرعة ؟ من يعرفك ؟ ومن تعرف انت من الناس ؟ اننا انا وديلامارش ، وكلانا رجل ناضج ذو خبرة عملية وتجـــربة ، قد تجولنا لمدة اسابيع اربعة دون أن نجد عملا ، ان الحصول على العمل ليس امرا سهلا ، بل هو صـــعب فى الحقيقة صـــعوبة شيطانية ! »

اطرق كارل وهو يتعجب لان روبنسون يتحدث بهذا الادراك ، وان كانت نصيحته تلك أبعد من أن تجد لديه قبولا ، فلم يكن يمكنه البقاء ، ولابد من أن يجد لنفسه مكانا فى المدينة الـكبيرة . انه يعرف الليل جيدا ، وكل الفنادق الممتلئة بالنزلاء لدرجة الانفجار ، هؤلاء النزلاء الذين يحتاجون الى الخدمة ، ولديه بعض الخبرة فى هذا الشأن ، ولابد من ان يجد بسرعة وبكل ترحاب وظيفـــة او اخرى ، فعبر الشارع مباشرة كان ثمة مطعم فى الطابق الارضى ، كانت تنبعث منه الموسيقى ، وكان مدخـــله الرئيسى تغطيه فقط ستارة كبيرة صفراء ، كانت تطير فى الشارع من حين لآخر ، عندما

كان يلعب بها الهواء ، وفيما عدا ذلك فقد كان كل شيء هادئا غاية الهدوء في الشارع كله .

وكانت اغلب الشرفات مظلمة ، وعلى البعد ، فحسب ، كان ثمة ضوء ينبعث من هنا ، ومن هناك ، لكن ما ان يركز المرء عينيه عليه ، حتى ينهض الناس الذين يجلسون تحت هذا الضوء ، ويتدافعون الى داخل مساكنهم ، بينما مد الرجل الذى بقى في الخارج وحده ، يده اخيرا الى مفتاح النور ، واطفاه بعد نظرة قصيرة الى الشارع .

قال كارل في نفسه : « لقد تقدم الليل بالفعل ، ولو بقيت هنا اكثر من هذا ، فسوف اصبح واحدا منهم ! » .

واستدار لكي يجذب الستارة جانبا عن باب الشرفة ، فقال روبنسون وهو يعترض طريق كارل ، ويحول بينه وبين الستارة : « ما الذى تفعله ؟ ! »

قال كارل : « انني راحل ، دعني ، دعني ! » .

فصاح روبنسون : « لكنك بالتاكيد لن تحاول ان تزعجها ، ماذا تظن ، والقى ذراعيه حول عنق كارل ، وتعلق به بكل ثقله ، ولف ساقيه حول ساقى كارل ، وهبط به في لحة فوق ارضية الشرفة ، الا ان كارل كان قد تعلم شيئا من فنون العراك بين صبية المصاعد ، وهكذا فقد سدد قبضته الى ذقن روبنسون ، دون ان يضغط عليها بكل قوته ، حتى لا يؤذى روبنسون ، وبسرعة وبلا ادنى تردد لكمه روبنسون في بطنه بركبته ، قبل ان يبدا في تدليك ذقنه براحتيه ، واطلق صيحة مرتفعة ، حتى ان رجلا في الشرفة المجاورة ، قد صفق بيديه غاضبا ، وصاح قائلا : « اصمت ! » واستلقى كارل ساكنا ، وعاجزا عن الحركة امام الحجرة الغارقة في الظلام ! كان يبدو وكان أحدا لم يكن بداخلها الآن ، ولعل ديلامارش ان يكون قد خرج بصحبة برونيلدا ، ولعل الطريق خال الآن ، ذلك لان روبنسون الذى كان يسلك ككلب الحراسة تماما ، كان قد تراخى أخيرا .

ثم ارتفعت من أقصى نهاية الشارع في انفجارات واضحة ، أصوات الطبول والابواق ، وصيحات بعض الافراد ، في وسط الجموع ، وسرعان ما تحولت الى هدير شامل ، وحول كارل رأسه ثانية ليرى ان كل الشرفات قد عادت اليها الحياة مرة أخرى ، نهض ببطء ، ولم يتمكن من ان يقف معتدلا تماما ، وكان عليه أن

ينحنى بتثاقل الى الدرابزين ، وعلى الرصيف ، كان الصبية الصغار فى الشارع يلوحون بقبعـــاتهم على امتداد اذرعهم ، وينظرون الى الخلف من فوق أكتافهم ، وكان وســط الشارع لا يزال خاليا ، وكان البعض يرفعون قضبانا طويلة ثبتت باعلاها الفوانيس التى كان يحيطها دخان أصفر اللون ، وكان قارعو الطبول ، ونافخو الابواق ينتظمون فى صفوف عريضة ، وكانوا قد بلغوا الجانب المضيء من الشارع فى حشود هائلة ، حتى لقد دهش كارل عندما سمع أصواتا تأتى من خلفه أيضا ، فاستدار ليجد ديلامارش يرفع الســـتارة الثقيلة ، وبرونيلدا تخطو خارج ظلام الحجرة فى ردائها الاحمر ، وحول كتفيها وشاح من الدانتلة ، وقلنسوة سوداء فوق شعرها ، الذى لعلها لم تكن قد رتبته بعد ، كانت فقط قد جمعته فى عجلة، ذلك ان أطراف خصلاته الطليقة كانت تتطاير هنا وهناك ، وكانت تحمل فى يدها مروحة صغيرة ، كانت قد فتحتها الا انها لم تستعملها ، وكانت تضغطها على صدرها .

وتحرك كارل جانبا ملتصقا بالدرابزين ، لـكى يفسح مكانا لهما . لن يجبره احد بلا شك على البقاء هنا ، وحتى لو حاول ديلامارش أن يستبقيه ، فان برونيـــلدا ستسمح له بالذهاب فى الحال ، لو طلب منها ذلك ، فهى لا تحتمله فوق كل شيء ، وعيناه ترعبانها ، الا انه عندما تقدم خطوة نحو الباب ، لاحظته برونيلدا فى الحال ، وتساءلت : « الى اين انت ذاهب أيها الصبى ؟ ! »

وجمدت نظرة ديلامارش القاسية حركة كارل للحظة ، وجذبته برونيلدا نحوها .

قالت له : « ألا تريد أن تشاهد الموكب الذى فى الشارع ؟ ! » ودفعته أمامها نحو الدرابزين ، وهى تقول : « هل تعرف ما هو هذا الموكب ؟ ! »

وسمعها كارل تتساءل خلفه ، وتفزع فى محاولة تلقائية فاشلة لـكى يتخلص من ضغط جسدها ، وتطلع الى اسفل فى حزن ، كما لو كان سبب حزنه يكمن هناك فى الشارع !

ووقف ديلامارش لحظة خلف برونيلدا ، عاقدا ذراعيــه ، ثم هرول داخلا الحجرة ، واحضر لها نظارة من نظارات الاوبرا ، وفى الشارع كان الموكب قد وضح للرؤية ، تتقدمه جوقة الموسيقى ، وفوق كتفى رجل هائل الحجم ، جلس سيد ، لم يكن يظهر منه على هذا الارتفاع الشاهق سوى البريق الخافت لتــاج بسيط ،

وكان يرفع فوقه قبعة عالية يحيي بها الجماهير ، تحيات متصلة ، وحوله كانت لافتات خشبية ترتفع عالية فى الهواء ، كانت تبدو من الشرفة بيضاء تماما ، وكانت الجموع تنوى فيما يبدو أن تقيم متراسا بشريا مستديرا ، ينحدر بانحدار الشارع ، حول الشخصية الشهيرة ، التى كانوا يناصرونها فيما يبدو ، لـكن لما كان حاملو تلك اللافتات يتحركون الى الامام طوال الوقت ، فان حاجز اللافتات ظل يهبط ويرتفع لادخال بعض الاصلاحات على تلك اللافتات ، ثم يعود ذلك الحاجز الذى تكونه تلك اللافتات المتراصة ثانية ، الى نظامه السابق ، وخلف حاجز اللافتات ، بقدر ما كان يمكن للمرء أن يرى فى الظلام ، كان عرض الشـــارع كله ، على الرغم من أن الحشد كان يشغل جزءا عارضا من امتداده ، يمتلىء بأعوان ذلك السيد ، الذين كانوا يصفقون بايديهم فى ايقاع ، ويهتفون فى نغم غنائى شيئا ربما كان هو اسم ذلك السيد . وقد كان اسما قصيرا جدا ، لـكنه لم يكن مفهوما ، وكان الاعوان قد انتشروا وســـط الحشد فى براعة ، وكانوا يحملون مصابيح قوية كمصابيح السيارات راحوا يسلطونها الى أعلى ، والى أسفل واجهات المنازل على جانبى الشارع ، ولم يكن ذلك الضوء محتملا على الارتفاع الذى كان يقف عنده كارل ، لـكن فى الشرفات السفلى ، كان يمكنه أن يرى الناس وهم يرفعون أيديهم فوق عيونهم ، كلما سلط ذلك الضـوء على وجوههم .

وتلبية لطلب برونيلدا استفسر ديلامارش النـــاس الذين كانوا يقفون فى الشرفة المجاورة ، عن غرض تلك المظاهرة ، وكان كارل شغوفا بملاحظة الطريقة التى كانوا سيجيبون بها على سؤاله ، وكان على ديلامارش بالفعل أن يكرر ســـؤاله ثلاث مرات قبل أن يتلقى اجابة ، كان قد انحنى على الدرابزين فى وضع استفزازى ، وكانت برونيلدا قد راحت تدق بقدمها لحنقها على جيرانها ، فقد احس كارل بحركة ركبتها ، واخيرا سمعوا ردا غامضا ، وانطلق كل الناس الذين كانوا فى الشرفة المجاورة لحظتها فى الضحك بأعلى أصواتهم . وعند هذا صرخ ديلامارش بأعلى صوته ردا على اهانتهم له ، حتى أن الشارع لو لم يكن ممتلئا بكل تلك الحشود لحظتها ، فان كل الناس الذين يسكنون تلك المنطقة لابد كانوا سيرهفون أسماعهم فى دهشة ، وعلى اية حال فقد كان لتلك الصيحة اثر حاسم فى أنهاء ذلك الضحك فجأة .

وقال ديلامارش فى هدوء تام وهو يستدير نحو برونيلدا : « ان قاضيا سينتخب غدا فى حينا ، والرجل الذى يجلس فوق الاكتاف هو احد المرشحين ! واضاف قائلا وهو يحتضن كتفى برونيلدا : « اوه ، لقد فقدنا كل فكرة ، عما يجرى فى العالم ! »

وقالت برونيلدا وهى تعود الى سلوك جيرانها مرة اخرى : « ديلامارش ، كم اكون سعيدة لو تمكنت من ان انتقل من هنا ، لو لم يكن ذلك يكلف مجهودا كبيرا ، لكننى لسوء الحظ لا استطيع مواجهة هذا الانتقال الى مسكن آخر ! » ، وراحت ، وهى تتنهد فى عمق ، تجذب فى قلق وشرود قميص ديلامارش ، وعلى الرغم منه ، ظل يدفع يدها الصغيرة الممتلئة بعيدا عنه المرة بعد المرة ، وقد كان ذلك امرا سهلا ، ذلك لان برونيلدا ، لم تكن تنتبه اليه ، وانما كانت تشغلها امور اخرى مختلفة تماما .

الا ان كارل كان قد انشغل عنها فى الحال ، واحس بثقل ذراعيها فوق كتفيه ، ذلك لان الموكب كان قد استولى على كل اهتمامه ، وكانت ثمة مجموعات صغيرة العدد من الرجال يهتفون ويتقدمون الموكب امام المرشح ، وبدا ان آراءهم كانت لها اهمية خاصة ، فقد كان فى امكان المرء ان يلاحظ وجوها عديدة منتبهة تتجه نحوهم من كل الجهات ، وقد أعلن افراد هذه المجموعات قرارهم بالوقوف أمام المطعم الصغير ، واشار احد افراد تلك المجموعات اشارة ما ، بيده المرفوعة الى اعلى ، فبدت تلك الاشارة وكانها كانت موجهة الى الحشد والى المرشح ايضا . وخيم الصمت على الجماهير ، وحاول المرشح عددا من المرات ان يقف على قدميه ، وسقط عدة مرات فوق الاكتاف التى كانت تحمله ، والقى خطبة مقتضبة ، وهو يلوح بقبعته العالية الى الامام ، والى الخلف ، بسرعة خاطفة. كان من الممكن رؤيته فى وضوح تام ، ذلك لان كل اللمبات الضخمة كانت مسلطة عليه ، وهو يلقى خطبته ، حتى اصبح فى مركز حلقة مشعة من الضوء الساطع .

وكان فى استطاعة المرء ان يتحقق الآن ايضا من الاهتمام الذى بدا على الشارع كله ، بهذا الحدث ، ففى الشرفات التى امتلأت بانصار المرشح اشترك الناس فى الترنم باسمه ، وهم يفردون اذرعهم على امتدادها خارج الدرابزين ، ويصفقون فى انتظام آلى ، وفى الشرفات المواجهة التى كانت تكتظ بالفعل بالجماهير ، ارتفعت صيحات تردد الهتافات باسم المرشح ، تلك الصيحات التى

لم تكن واضحة منسجمة ، لانها كانت تصدر عن انصار متنافسين لعدد من المرشحين ، الا ان كل اعداء ذلك المرشح الموجود فى الشارع فوق الاكتاف ، كانوا قد اشتركوا فى صفير استهجان واحد مرتفع وكان كثير من ألجراموفونات قد بدات ثانية فى اذاعة الاغانى ، وبين الشرفات المختلفة كانت النزاعات السياسية قد قامت على اشدها ، وقد أكد عنفها سكون ذلك الوقت المتاخر من الليل ، وكان اغلب الناس يرتدون بالفعل ثياب نومهم ، وقد ارتدوا المعاطف فوقها ، وكانت النساء تتشح بأوشحة داكنة ، هائلة الحجم ، وكان الاطفال الذين لم يكن ينتبه اليهم احد قد صعدوا فوق اسوار الشرفات على نحو ينذر بالخطر ، وكانوا يخرجون من داخل الحجرات المظلمة التى كانوا ينامون فيها فى اعداد تتزايد وتتزايد ، وكانت تتطاير هنا وهناك أشياء لا يمكن تمييزها ، كان يلقيها خاصة أولئك الاتباع المتحمسون نحو خصومهم ، وكانت هذه الاشياء تبلغ هدفها أحيانا لـكن أكثرها يسقط فى الشارع ، حيث ترتفع بسببها صيحات الغضب من وسط الجمهور ، وعندما ازدادت الضجة حتى لم يعد يحتملها قائد المظاهرة ، أصدر هذا الرجل أوامره الى الطبول والابواق لـكى تتدخل ، فانطلق دويها المتصل عاليا ، حتى غطى على كل الاصوات البشرية ، حتى ما كان يصدر منها من شرفات الادوار العليا ، ثم فجاة توقف ذلك الدوى الهائل ، على غير توقع ، فبدات الجماهير التى كانت تملأ الشارع ، والتى كانت تنتظر، على ما يبدو ، أن تنتهى تلك الضجة المفاجئة ، فى الهتاف بالاناشيد المختلفة ، خلال ذلك الصمت المؤقت ــ وكان فى امكان المرء ان يرى الافواه المفتوحة على اتساعها فى ضوء اللمبات القوية الشبيهة بمصابيح السيارات ، وظلوا على ذلك الصخب ، حتى ثاب خصومهم ثانية الى وعيهم ، فانطلقوا فى الهتاف عشر مرات متتابعة باقصى طاقة حناجرهم ، من كل الشرفات والنوافذ ، وبدا وكان الصمت كان قد أطبق على اتباعهم المنتشرين فى الشارع ، بعد هذا الانتصار المؤقت مباشرة ، او هكذا بدا الامر لمن كان يقف على الارتفاع الذى كان يقف عنده كارل .

تساءلت برونيلدا التى كانت تستدير وتتلوى خلف كارل ، لكى تحاول ان ترى الموكب جيدا من خلال منظارها : « هل يروق لك هذا المشهد ايها الصبى ؟ ! »

واجابها كارل فقط بايماءة من راسه ، وقد لاحظ بنظرة من

جذب عينه ان روبنسون كان منهمكا فى الحديث الى ديلامارش على انفراد ، ويبدو ان حديثه كان يدور حول نوايا كارل ، لكن بدا ان ديلامارش لم يهتم اهتماما ملحوظا بما قاله له روبنسون ، لانه ظل يدفع روبنسون جانبا بيده اليسرى ، وكان قد لف ذراعه اليمنى حول خصر برونيلدا .

وتساءلت برونيلدا ، وهى تضرب كارل على صدره ، لكى توضح له انها تعنيه بقولها : «الا تريد أن تنظر من خلال النظارة ؟!»

قال كارل : « اننى ارى جيدا ! »

فقالت : « حاول ان تنظر من خلالها ، فسوف ترى فى وضوح اكثر ! »

فأجابها كارل قائلا : « ان لى عينين قويتين ، ويمكننى أن ارى بهما جيدا ! » ولم ير كارل فى عرضها هذا شيئا من الاهتمام بأمره، بل اعتبره ازعاجا ثقيلا ، عندما وضعت النظارة أمام عينيه ، وهى تقول له :

ـ هنا ، انت ! الا ان كارل لم يستطع ان يرى شيئا مطلقا من خلالها .

قال : « لايمكننى ان ارى اى شىء ! » وحاول أن يبعد النظارة عن عينيه ، الا انها قبضت عليه بشدة ، وكان رأسه مضغوطا الى صدرها ، ولم يستطع أن يحركه الى الخلف ، أو الى أى من الجانبين .

قالت وهى تحرك المسمار : « قد يمكنك ان ترى الآن ! » .

فقال كارل : « لا ، لا ارى أي شىء ! » ، وظن انه قد اراح على الرغم منه ـ فى نهاية الامر ـ روبنسون من أعبائه، لان نزوات برونيلدا التى لا تطاق كانت قد تركزت الآن عليه .

قالت : « متى ، بحق الجحيم ، سترى اذن ! » وادارت المسمار ثانية ، وكان وجه كارل معرضا لتنفسها الثقيل ، وتساءلت :

ـ الآن ؟

فصاح كارل : « لا .. لا . لا ! » ، مع انه كان قد تمكن من أن يميز كل شىء من خلال النظارة لحظتها بالفعل ، وان يكن فى شىء من الغموض ، وفكرت برونيلدا ، عندئذ فى شىء تقوله لديلامارش، فرفعت المنظار بخلاعة أمام وجه كارل الذى تمكن دون ان تلاحظه من أن يختلس النظرات الى الشارع من تحت المنظار ، ولم تستمر فى اصرارها على أن تحمله على النظر من خلال المنظار بعد ذلك ، وراحت

هى تتطلع الى الشارع من خلاله .

وخرج من المطعم أحد السفرجية ، وكان يندفع فى عجلة الى الداخل والخارج ، وهو يتلقى الاوامر من قادة المظاهرة ، وكان فى امكان المرء أن يراه ، وهو يقف على اطراف أصابعه ، لكى يتطلع الى داخل المطعم ، ويستدعى من يجده من سفرجية المطعم ليعاونه فى اعداد ما كان يبدو حفلة شراب بالمجان ، ولم يتوقف المرشح عن الكلام ، وظل الرجل الذى كان يحمله يدور حول نفسه قليلا قليلا ، بين الحين والآخر ، حتى يبدو المرشح وكانه يوجه خطابه مباشرة الى كل انحاء الحشد ، وظل المرشح جالسا القرفصاء أغلب الوقت ، وحاول بتلويح يده الطليقة الى الخلف ، وبتحريك قبعته العالية بيده الاخرى ، أن يؤكد كلماته على نحو ما ، لكن انطلاقه فى الخطابة كان يزداد بعد فترات منتظمة تقريبا ، فكان ينهض فاردا ذراعيه على امتدادهما ، ولا يوجه خطابه عندئذ الى مجموعة واحدة من الناس ، بل الى الجماهير المحتشدة جميعا ، تحدث الى كل الناس الذين فى مساكنهم ، حتى أعلى الطوابق كان يوجه حديثه الى من يسكنونها ، لكن كان يبدو فى وضوح أن أحدا لم يكن يسمعه ، حتى سكان الطوابق السفلى ، وحتى لو كان فى امكانهم سماعه ، فان أحدا لم يكن فى حاجة الى الاستماع اليه ، ذلك أن كل نافذة ، وكل شرفة ، كان يحتلها خطيب واحد على الاقل ، يتدفق فى الصياح ، وكان عدد من السفرجية قد حملوا مائدة كبيرة ، وضعوها خارج المطعم ، وكانت هذه الترابيزة مغطاة بكئوس مترعة لا حصر لها ، كانت تلك المائدة فى حجم مائدة البلياردو . ونظم قائد المظاهرة عملية توزيع الشراب على الجمهور، فكان الناس يسيرون أمام المطعم فى طابور ، يمر بتلك المائدة ، وعلى الرغم من ان كل تلك الكئوس كانت تملأ ثانية المرة بعد المرة، الا انها لم تكن تكفى الغوغاء الذين كانوا يملأون الشارع ، وكان على فرقتين من السقاة ، ان تندسا وسط الحشد على كلا الجانبين لكى توزعا المشروبات على اكبر عدد ممكن ، كان المرشح قد توقف بالطبع عن الخطابة ، وكان قد استغل السكون الذى ساد المكان فى استعادة نشاطه ، وتقدم الرجل الذى يحمله ببطء الى الامام ، والى الخلف مبتعدا به قليلا عن الزحام ، ومن الضوء الشديد ، وكان يلتف حوله ، ويتبعه حيثما ذهب عدد قليل من مساعديه المقربين ، ويشيرون اليه بتعليماتهم .

قالت برونيلدا : « انظر الى الصبى ، انه مستغرق فى الفرجة ، حتى لقد نسى تماما اين هو ! » ، وادارت وجه كارل فجأة بكلتا يديها ، الى ناحيتها ، حتى تتمكن من أن تحدق فى عينيه ، لـكن لم يستمر ذلك سوى لحظة قصيرة فقط ، فقد ابعد كارل يدها فى الحال ، فى ضيق ، لأنهم لايتركونه فى سلام ، ولقلقه ايضا ، وتطلعه الى الهبوط الى الشارع ، ومشاهدة المظاهرة من كثب ، وحاول بكل جهده أن يخلص نفسه من قبضة برونيلدا ، قائلا : « ارجوك ، دعينى أرحل ! » .

قال ديلامارش : « انك سوف تبقى هنا ! » دون أن يحول عينيه من الشـــارع ، بينما مد ذراعه فقط لـكى يحول بين كارل وبين الخروج .

فقالت برونيلدا ، وهى تبعد يد ديلامارش : « اتركه وشأنه ، انه سيبقى بالفعل ! » ، وضغطت كارل بشدة الى الدرابزين حتى اضطر الى أن يجاهد طويلا لـكى يخلص نفسه من ضغطها ، وحتى لو تمكن من أن يتخلص منها فما الذى سيجنيه من ذلك ، لقد كان ديلامارش يقف الى يساره ، وكان روبنسون قد تحرك الآن الى يمينه ، وكان هو سجينا بالفعل بينهم .

قال روبنســون ، وهو يربت على كارل بيده التى دسها تحت ذراع برونيلدا : « عليك أن تعد نفسك محظوظا ، لان أحدا لم يلق بك الى الشارع ! »

فقال ديلامارش : « يلقى به الى الشارع ؟ ! لايمكنك ان تلـــقى بلص هارب الى الشارع ، وانما عليك أن تسلمه الى البوليس وقد يحدث له هذا بالفعل فى صباح الغد ، ان لم يلزم الهدوء ! »

لم تعد ثمة متعة يمكن أن يجنيها كارل من التطلع الى المشهد الذى يشغل الشارع بعد ذلك ، لانه لم يعد يحتمل التطلع اليه ، على حين تضغط عليه برونيلدا ، ولم يتمكن من ان يقف منتصبا ، ولذا مال الى الامام قليلا نحو الدرابزين ، وراح يتطلع فى شرود الى الناس الذين فى الشارع ، لاستغراقه فى همومه الخاصة ، وكان النـــاس يتقدمون نحو المائدة التى أمام المطعم ، فى جماعات تتألف من نحو عشرين شخصا ، فيتناولون الكئوس ، ويستديرون حول أنفسـهم ويلوحون بها فى اتجاه المرشح الذى كان يستريح وقتها من المجهود الذى قام به ، ويهتفون بالشـــعارات الحزبية ، ومن ثم يفرغون الكئوس فى جوفهم ، ويضعونها فارغة فوق المائدة فى صليل كان

يحدث عن تصادم الكئوس ببعضها البعض ، الا انه لم يكن مسموعا بالطبع ، عند هذا الارتفاع ، ثم يفسحون فى الحال مكانا للمجموعة التالية الصاخبة الفارغة الصبر ، وخرجت الفرقة الموسيقية تلبية لرغبة قادة الحزب ، من داخل المطعم ، الى الشارع ، وكانت آلات النفخ تلمع فى الظلام وسط الحشود ، الا ان الموسيقى التى عزفتها تلك الفرقة ضاعت وسط الضوضاء التى كانت تسود الشارع كله ، وكان الشارع الآن ، فى الجانب الذى يقع فيه المطعم على الاقـل مزدحما ازدحاما شديدا بالجماهير ، وكان الناس يتدفقون من اعلى التل ، حيث جاء التاكسي الذى استقله كارل هذا الصباح ، الى اسفل الشارع ، ومن اقصى منحدر الشارع ، من القنطرة التى كان ينتهى الشارع عندها ، كان النـاس يصعدون المنحدر نحو المطعم ، وحتى الناس الذين كانوا فى بيوتهم وقتها لم يتمكنوا من ان يقاوموا اغراء المشاركة الشخصية فى ذلك الحدث . وفى الشرفات ، وفى النوافذ لم يكن قد تبقى احد تقريبا ، فيما عدا النساء والاطفال على حين كان الرجال يتدفقون من ابواب المنـازل الى الشارع ، وكانت الموسيقى والشراب المجانى قد حققا الآن غايتهما ، فقد كان الاجتماع هائلا جدا الآن ، وأشـار واحد من قادة المظاهرة كانت تحيط به اللمبات الشديدة الضـوء على كلا جانبيه ، الى الفرقـة الموسيقية بان تتوقف عن العزف ، واطلق صـفيرا ، واستدار فى الحال الرجل الذى كان يحمل المرشح ، مسرعا ، وأمكن رؤيته وهو يتقدم خلال ممر مهده له المساعدون وسط الجماهير .

وكان المرشح قد بلغ باب المطعم تقريبا ، عندما شرع فى القـاء خطبة جديدة فى ضوء اللمبات الرئيسية ، التى ركزت الاضواء عليه الآن فى حلقة ضيقة ، الا انه لم يكن مرتاحا فى وضعه كما كان من قبل ، وكان الرجل الهائل الجسم الذى كان يحمله ، يكاد يكون عاجزا عن الحركة الحرة ، امام ضغط الزحام البالغ الشدة ، ولم يكن فى امكان مساعديه المقربين الذين بذلوا اقصى طاقتهم من قبل فى محاولة تعظيم اثر كلماته فى الجمـاهير ، ان يبقوا بالقرب منه الا بصـعوبة بالغـة ، كان عشرون منهم فقـط قـد تمكنوا من الاحتفاظ باماكنهم حول المرشح . اما الرجل الضخم الهيئة الذى يحمل ذلك المرشح فلم يكن يخطو الآن خطوة واحدة بكامل ارادته ، وكان من المستحيل ان يفكر فى محاولة السيطرة على تلك الحشود المندفعة ، ولم يتمكن من أن يستدير ليواجه هذا الجانب او ذاك ،

ولم يكن له ان يتقدم اذا شاء ، أو يتراجع ، كان الحشد الفوغائي يندفع فقط الى الامام والى الخلف بلا خطة ، او هدف واضح ، وكان كل شخص يدفع جاره ، ولم يكن فى مقدور اى شخص مطلقا ان يثبت لحظة واحدة على قدميه ، وبدا كما لو كان الحزب المعارض قد حاز عددا من الانصار الجدد ، كان الرجل الذى يحمل المرشح ، قد ترك نفسه ينجرف الآن فى كلا اتجاهى الشارع ؛ دون أن يبذل ادنى مقاومة ، بعد ان كان قد قاوم للحظة حركة المد والجزر أمام باب المطعم ، وكان المرشح لا يزال يلقى بكلماته ، الا انها لم تعد واضحة ، فهل كان يسرد الخطوط الاساسية لبرنامجه ، أو كان يصيح طالبا النجدة ؟ ! وما لم يكن كارل مخطئا ، فقد رأى مرشحا منافسا قد ظهر ، أو عددا من المرشحين المتنافسين فيما يبدو ، ذلك لان بعض الاشخاص كانوا يرتقون فوق اكتاف الجماهير ، هنا وهناك ، عندما كان الضوء يسطع فجأة ، فليقون الخطب بوجوههم الشاحبة ، وقبضاتهم المضمومة ، وكان الجمهور يهلل مبتهجا لخطبهم التى كانوا يلقونها بلا استثناء .

تساءل كارل قائلا : « ما الذى يحدث فى الشارع بحق الجحيم ؟ » واستدار فى حيرة الى حراسه ، متقطع الانفاس .

فقالت برونيلدا لديلامارش ، وهى تتناول ذقن كارل لكى تدير وجهه ناحيتها :

— كم يثير ذلك اهتمام الصبى !. ؟

الا ان كارل لم يقبل ذلك ، وقد دفعه ما كان يجرى امامه فى الشارع ، الى شيء من الطيش ، فاتى بحركة مفاجئة ، حتى ان برونيلدا لم تتركه فقط بل تراجعت عنه مبتعدة ، وتركته فى حاله.

قالت له ، وقد اغضبها سلوكه على مايبدو : « لقد رايت ما يكفيك الآن من هذا المشهد ، فادخل الى الحجرة ، ورتب الفراش وجهز كل شيء لليلة ! » ، واشارت له نحو الحجرة ، وقد كان هذا هو الاتجاه الذى كان يتوق الى ان يتجه اليه منذ ساعات ، فلم يبد اعتراضا على الاطلاق .

ثم ارتفع من الشارع صوت تحطم زجاج ، فلم يستطع كارل ان يمنع نفسه من العودة ، وقفز قفزة سريعة الى الدرابزين ، لكى يلقى نظرة اخيرة الى الشارع . كان صدام هائل قد وقع بين الجوانب المتعارضة ، ولا بد انه كان صداما حاسما ، وكانت مصابيح العربات

الامامية التى كانت مع أعوان المرشح ، والتى كانت تلقى ضوءا شديدا على الشخصيات الرئيسية على الاقل ، وتتيح بالاضـــــافة الى ذلك نوعا ما من الاضاءة العامة التى تسيطر على الموكب كله بصورة ما ، قد تهشمت جميعا فى وقت معا ، وكان المرشح ، والرجل الذى يحمله قد غابا الآن فى اضاءة الشارع العمومى الخافتة ، التى كان لها فجاة تاثير الظلام الحالك ، بعد اختفاء ضوء اللمبات الساطعة الاضاءة ، ولم يستطع اى شخص ان يدرك ، ولو على وجه التقريب مكان المرشح ، وكان قد زاد فى وطأة الظلام ارتفاع أصوات فرقة كانت تنشد فى تآلف نشيدا ما ، وكانت اصـــوات تلك الفرقة قد ارتفعت فجاة واخذت تقترب ، صاعدة المنحدر، من ناحية القنطرة.

قالت برونيلدا : « الم أقل لك ما يجب عليك أن تفعـــله » ، واضافت قائلة ، وهى تمد ذراعيها فوق رأسها ، حتى برز صدرها الى الامام اكثر مما كان عليه بروزه من قبل : « هيا ، أسرع ، فاننى متعبة ! » ، وسحبها ديلامارش الذى كانت ذراعه لا تزال تلتف حولها الى أحد أركان الشرفة ، وتبعهما روبنسون لـكى يخلى طريقهما من بقايا عشائه الذى كان يتناثر فوق أرضية الشرفة ٠

ولم يكن له ان يدع تلك الفرصـــة المواتية تفلت منه ، ولم يعد الآن أمام كارل أن يتطلع الى الشارع ، فسوف يرى الـكثير مما يجرى فيه عندما يهبط اليه الآن ، وسوف يرى تلك المظاهرة بصورة أوضح مما يراها عليه الآن من هذا الارتفاع ، وفى قفزتين كان كارل قد عبر الحجرة بضوئها الاحمر القاتم ، لـكن كان الباب مغلقا ، ولم يكن المفتاح موجودا فيه . لابد اذن من ان يجد المفتاح فى الحال ، لـكن منذا الذى يتوقع أن يجده وسط هذه الفوضى ، وفى فسحة ضئيلة من الوقت الثمين فوق ذلك ، وقت ربما كان يمكن لـكارل ان يدبر فيه امره كما يحلو له . كان عليه الآن ان يكون فوق درجات السلم ، يجرى ويجرى ، لـكنه يبحث الآن عن ذلك المفتاح بدلا من هذا ! بحث فى كل الادراج التى كان يمكن فتحها ، وفتش فوق المائدة ، حيث كانت تتراكم أطباق عديدة ، وفوط سفرة ، وقطع من القماش قد بدء فى تطريزها ، ثم بعد ذلك أغراه البحث فى تلك الـكومة المضطربة المشوشة من الملابس القديمة التى كانت تتكوم فوق المقعد ذى المساند ، فلعل المفتاح ان يكون فى طياتها ، الا انه لم يجد له أثرا ، فاندفع أخيرا نحو الاريكة ، التى كانت تفوح منها بالفعل رائحة كريهة ، لـكى يتحسس كل زواياها واركانها بحثا عن

المفتاح ، ثم توقف عن البحث فى وسط الحجرة ! وقال لنفسه : لاشك ان برونيلدا تحتفظ بذلك المفتاح فى حزامها ، وعلى هذا فمن العبث البحث عنه فى كل تلك الاشياء الملقاة هنا .

واختطف كارل سكينين ، دفعهما بين مصراعى الباب ، احداهما الى اعلى ، والاخرى الى اسفل ، لكى يضغط على اللسان بأقصى ما يمكنه من القوة من مكانين مختلفين ، لكنه ما كاد يضغط على السكينين ، حتى انكسر نصلاهما ، ولم يكن كارل يأمل فى شيء افضل من هذا ، فقد كانت بقية النصلين اللذين يمكنه بهما ان يضغط عن قرب ، فوق لسان الكالون ، تضغطان الآن على ذلك اللسان بقوة ، ولواهما الآن في عنف ، وكانت ذراعاه مفرودتين ، وقدماه متباعدتين، وكان يلهث من المجهود ، لكنه كان يرقب الباب فى الوقت نفسه بغاية الاهتمام . لن يتحمل ذلك اللسان طويلا هذا الضغط ، وقد أدرك كارل ذلك فى فرح من خلال تحرك اللسان بصوت مسموع فى داخل الكالون ، لكن من الافضل أن يتحرك ببطء ، فلا يجب أن يتحرك مرة واحدة ، والا سمعوا من الشرفة صوت انفتاحه ، يجب أن ينفتح بالتدريج ، واستمر كارل فى محاولته بغاية الحذر ، حتى يتم له ذلك ، وهو يقترب بوجهه من الكالون أكثر فأكثر .

وسمع صوت ديلامارش يقول : « انظر الى هذا ! » ، كان ثلاثتهم يقفون فى داخل الحجرة ، وكانت الستارة قد اسدلت بالفعل خلفهم ، ولم يكن كارل قد أحس بهم عندما دخلوا الى الحجرة ، وترك السكينين عندما وقع نظره عليهم ، الا انه لم يكد يجد وقتا لكى يتفوه بكلمة واحدة على سبيل التفسير أو الاعتذار، فقد اندفع ديلامارش نحوه فى هياج أشد مما يتطلبه الموقف ، وكان رباط ردائه الليلى المفكوك قد طار في الهواء ، وزاغ منه كارل فى اللحظة المناسبة متجنبا هذا الهجوم ، وكان فى مقدوره أن ينتزع السكينين من بين مصراعى الباب ويحتمى بهما ، الا انه لم يفعل ، وغطس بدلا من ذلك الى اسفل ، ثم قفز الى اعلى ممسكا بياقة رداء ديلامارش العريضة ، وجذبها ، وراح يجذبها أكثر الى الأمام ، وكان الرداء واسعا على ديلامارش للغاية ، فاستطاع كارل عندئذ لحسن الحظ ، ان يمسك براس ديلامارش ، الذى فوجيء ، وراح يتخبط بيديه فى الهواء ، فى البداية ، ثم بعد دقيقة او دقيقتين راح يضرب كارل بقبضته ، فوق ظهره ، لكنه لم يكن يملك فى وضعه عندئذ أن يضرب بكل قوته ، بينما اندفع كارل الى صدر

ديلامارش لكي يحمي وجهه من تلك الضربات ، وتحمل كارل تلك الضربات التي كانت تجعله يتلوى من الالم ، والتي كانت تزداد عنفا ، ومع ذلك فقد كان في مقدوره أن يحتملها عندما ظن أن النصر كان يلوح له .

وبيديه حول راس ديلامارش ، وابهاميه فوق العينين ، دفع ديلامارش الى طرف الحجرة المزدحم بالاثاث ، وحاول في نفس الوقت بطرف حذائه أن يلف الحبل الذي كان يتدلى من رداء ديلامارش حول ساقيه حتى يتعثر فيه .

ولما كان عليه أن يركز كل انتباهه على ديلامارش ، الذي بدأ يشعر بمقاومته له تزداد شيئا فشيئا ، وكان جسده القوى يرتمي عليه في عنف متزايد ، كان قد نسي بالفعل انه لم يكن وحيدا في الحجرة مع ديلامارش ، فسرعان ما حدث له ما ذكره بهذه الحقيقة عندما طارت قدماه فجاة من تحته ، وانزاح جانبا عندما دفعه روبنسون الذي كان مستلقيا يصرخ خلفه ، فوق الارض ، وخففه كارل قبضته التي كانت تقبض بشدة على ديلامارش ، فتراجع هذا وهو يلهث ، وكانت برونيلدا ، بساقيها المنفرجتين ، وركبتيها المخلخلتين تقف بكيانها الضخم في وسط الحجرة ، وهي تتابع المعركة بعينيها المتالقتين ، كما لو كانت تشترك هي ايضا فيها ، فقد راحت تتنفس في عمق ، وهي تسدد نظراتها ، وتمد قبضتيها في بطء ، وأطاح ديلامارش بياقة ردائه الى الخلف ، فاستطاع أن يرى الآن جيدا ، ولم تعد المسألة عندئذ تبدو في شكل معركة ، لكن ببساطة في شكل عقاب ، فقد أمسك ديلامارش بصدر قميص كارل ، ورفعه من على الارض ، ودون أن ينظر اليه ، لاستخفافه به ، قذفه بغاية العنف نحو صندوق كان على بعد بضع خطوات ، حتى لقد ظن كارل في البداية ، ان الآلام التي كان يشعر بها في ظهره وراسه من اثر لكمات ديلامارش ، كانت هي النتيجة المباشرة لارتطامه بالصندوق : « أيها السافل » ، كان يمكنه سماع صيحات ديلامارش هذه في الظلام ، فقد ارتفعت تلك الصيحة أمام عينيه اللتين تهتز نظراتهما ، وبينما كان يتهاوى فاقد الوعي بجوار الصندوق كان لا يزال يسمع هذه الكلمات : « انتظر فقط قليلا ! » وظلت هذه الكلمات تتردد في أذنيه في غموض .

وعندما عاد اليه وعيه ، كان الظلام يغطي كل شيء حوله ، ويبدو ان الوقت كان وقتا متأخرا جدا من الليل ، ومن الشرفة كان لمعان

ضوء القمر الخافت يدخل الحجرة من خلال الستارة ، وكان يسمع تنفس النائمين الثلاثة بانتظام ، وكانت اعلى اصوات تنفسهم ارتفاعا ، هو صوت برونيلدا ، التى كانت تشخر فى نومها ، كما كانت تفمل احيانا فى حديثها ، لكن لم يمكنه ان يحدد اين كان هؤلاء الاشخاص الثلاثة يستلقون ، فقد كانت الحجرة كلها تردد اصوات تنفسهم ، ولم يفكر كارل فى نفسه الا عندما تفحص ما حوله للحظة قصيرة ، ثم فوجىء بشىء انزعج له انزعاجا بالغا ، مع انه كان عاجزا تماما ، وقد تجمد فى مكانه من الالم ، الا انه لم يكن قد تخيل انه قد اصيب بمثل تلك الجراح التى سالت منها تلك الدماء ، ثم أحس الآن بثقل فى راسه ، وفى وجهه كله ، وعنقه ، وصدره تحت القميص بدا كما لو كان مبللا بالدم ، لهذا يجب عليه أن يذهب الى الضوء لكى يتفحص حالته تماما ، فربما كانوا قد اصابوه بالعجز التام ، وسوف يكون ديلامارش سعيدا فى هذه الحالة عندما يسمح له بالرحيل ، لكن ما الذى يأمل فيه لو اتضح ان الامر كان كذلك ، انه لن يطمح الى اي شىء على الاطلاق ، وتراءى له الصبى ذو الانف المتآكل ، فدفن وجهه للحظة بين راحتيه •

ثم استدار رغما عنه الى الباب الخارجى ، وشق طريقه اليه على اطرافه الاربعة ، ثم وقعت اصابعه على حذاء ، ثم ساق ، لابد ان هذا هو روبنسون ، فمن غيره ينام منتعلا حذاءه ؟ ولابد انهما قد امراه بان ينام امام الباب لكى يمنع كارل من الهرب . لكن الم يلحظا عندئذ الحالة التى كان عليها كارل ؟ لم يكن كارل يفكر الآن فى الهرب ، كان يريد فقط ان يصل الى الضوء ، فان لم يستطع لهذا أن يخرج من الباب ، فعليه أن يتجه نحو الشرفة .

وفى طريقه وجد ان مائدة الطعام كانت تستقر فى مكان مختلف تماما عن مكانها فى الليلة السابقة ، وكانت الاريكة التى اقترب منها بغاية الحذر ، خالية لدهشته ، لكنه كان قد بلغ كومة عالية من الملابس المضغوطة رغم ارتفاعها ، والبطاطين ، والستائر ، والوسائد ، والسجاجيد ، وقد ظنها فى البداية مجرد كومة صغيرة ، كتلك الكومة التي وجدها عند طرف الاريكة فى الليلة السابقة ، كومة ربما تكون قد سقطت الى الارض ، الا انه اكتشف لدهشته عندما تقدم فى زحفه ان حمولة عربة نقل كاملة كانت قد وضعت هنالك ، ويحتمل أن تكون قد وضعت لاستخدامها كفراش فى أثناء الليل، ولا بد انها كانت قد أخرجت من الصناديق التى توضع بداخلها

فى اثناء النهار ، وزحف كارل من يمين تلك الكومة ، وسرعان ما تحقق من ان تلك الكومة كانت تكون فراشا ، فوقه ، كما تحسس فى حذر ، كان ينام ديلامارش وبرونيلدا .
وهكذا ادرك الآن اين كان الثلاثة ينامون ، فاسرع الى الشرفة .

كانت الشرفة عالما مختلفا تمام الاختلاف ، فى الجانب الآخر من الستارة . ونهض كارل فى الحال على قدميه .
وتمشى فى الهواء الليلى المنعش عدة مرات فى الشرفة ذهابا وجيئة فى ضوء القمر الساطع ، وتطلع الى الشارع ، كان هادئا تماما ، وكانت الموسيقى لا تزال تنبعث من المطعم ، لكنها كانت الآن أشد تاثيرا .
وكان ثمة رجل يغسل الرصيف أمام باب المنزل ، وفى الشارع الذى كانت الضجة الهائلة تغطيه منذ ساعات قليلة ، حتى ان صيحات المرشح ، لم تكن مسموعة وسط ضجيج آلاف الاصوات الاخرى ، كان يسمع الآن فى وضوح حفيف المكنسة فوق البلاطات الحجرية .
وكان الصوت الذى احدثته ارجل المنضدة فى الشرفة المجاورة ، قد نبه كارل الى ان شخصا كان يجلس فى تلك الشرفة ، مستغرقا فى القراءة . كان شابا له ذقن صغيرة مدببة ، وراح يفتلها دائما وهو يقرأ ، وكانت شفتاه تتحركان بسرعة فى أثناء ذلك ، كان يواجه كارل فى جلسته الى تلك المنضدة الصغيرة ، المغطاة بالكتب ، وكان قد تناول المصباح الكهربائى ، الذى كان قد وضعه فوق السور ، واسنده بين كتابين ضخمين ، وهكذا كان يجلس الآن فى ضوء شديد يبهر النظر .
قال كارل ، الذى ظن ان الشاب كان ينظر اليه : «مساء الخير!»

لكن لعله كان مخطئا فى ظنه هذا ، فقد بدا ان ذلك الشاب لم يكن يدرك وجوده ، فقد وضع يديه فوق عينيه ، ليظللهما من الضوء ، وراح يبحث عمن تحدث اليه فجاة ، ثم رفع المصباح الكهربائى الى اعلى لكى يلقى بعض الضوء على الشرفة المجاورة ، وكان لا يستطيع ان يرى اي شيء .
ثم قال عندئذ بدوره ، فى نظرة فاحصة ، مقتضبة : « مساء الخير ! » ، ثم اضاف قائلا : « وماذا تريد ؟ » .
تساءل كارل قائلا : « هل ازعجتك ؟ ! » .
فقال الشاب : « بالطبع ، بالطبع ! » ، وهو يعيد المصباح ثانية

الى مكانه السابق .

ولاشك ان هذه الـكلمات لم تشجع كارل على ان يحاول مواصلة الحديث ، الا ان كارل لم يغادر فى الوقت نفسه ذلك الركن من الشرفة القريب من الشاب ، وراح يرقبه فى صمت وهو يقرأ ، ويقلب الصفحات ، أو يتطلع من حين لآخر الى شيء ما فى كتاب آخر ، كان يختطفه دائما فى سرعة البرق . وكان غالبا ما يكتب بعض المذكرات فى مفكرة ، كان يكتبها ووجهه ملتصق بالورقة الى حد يثير الدهشة .

هل يمكن ان يكون هذا الشاب طالبا ؟ كان يبدو طالبا بلا شك ، وكان كارل ــ وان يكن قد انقضى الآن وقت طويل على هذا ــ يجلس بهذه الصورة تقريبا فى منزله ، الى مائدة كتابة والديه ، لـكي يكتب واجباته المدرسية ، بينما يقرأ والده الصحيفة ، أو يؤدى أعمـاله التجارية ، أو مراسلاته الخاصة بالمؤسسـة التي يعمل بها ، وتنشغل امه بالتطريز ، وهى تسحب الخيط من القماش بيدها الى أعلى ، ولـكي يتجنب ازعاج والده ، اعتاد كارل ان يضع كراسة التمرينات المدرسية فقط ، وأدواته الـكتابية على المنضدة ، بينما يرتب بقية كتبه على المقاعد عن يمينه ويساره ، فكم كان كل شيء هادئا هناك ! وكان كارل وهو طفل صغير يسر دائما سرورا زائدا ، عندما كان يرى امه وهى تدير المفتاح فى الباب الخارجى لتفتحه احيانا ، لاشك انها لا تدرى الآن شيئا عن ان كارل قد بلغ به الامر حدا حاول معه فتح ابواب الغرباء بالقوة باستخدام السكاكين .

وماذا كانت نتيجة استذكاره ؟ لقد نسى كل شيء ، فلو كانت قد اتيحت له فرصة مواصلة دراسته هنا ، فلا بد انه كان سيجدها عبئا شاقا . وقد تذكر الآن انه كان قد مرض ذات مرة ، فى منزله ، مرضا استمر شهرا كاملا ، وتذكر كم كلفه انقطاعه عن دراسته فى أثناء ذلك الشهر ، لقد كلفه مجهودا مرهقا حتى تمكن من متابعة دراسته التى انقطعت ، مرة اخرى ، والآن فها هو ذا لم يقرأ كتابا واحدا منذ تلك المدة الطويلة ، فيما عدا كتاب المعاملات التجارية الذى كان مكتوبا بالانجليزية .

وسمع كارل فجاة صوتا يقول له : « ايها الفتى ، الا يمكنك ان تقف فى مكان آخر ؟ انك تزعجنى ، غاية الازعاج ، وانت تحدق فى على هذا النحو ، فبعد الساعة الثانية صباحا ، لاشك ان المرء يتوقع أن يتمكن من العمل فى الشرفة ، فى هدوء ، هل تريد شيئا

منى ؟ ! » .

فسأله كارل قائلا : « هل تدرس ؟ ! » .

فقال الشاب ، وهو يحاول الاستفادة بهذه اللحظات الضائعة في اعادة ترتيب كتبه :

ــ نعم .. نعم !

فقال كارل : « اذن ، فلن اعطلك ، وسادخل ثانية الى الحجرة ، وطابت ليلتك ، على اية حال ! » .

ولم يرد الشاب مطلقا ، وعاد ثانية الى كتابه في همة ، بعد ان تخلص من ذلك الازعاج ، وكان رأسه يستند بكل ثقله الى يـــده اليمنى .

لـكن قبل أن يبلغ كارل الستارة ، تذكر ما كان قد خرج من أجله ، فلم يكن يعلم مدى اصابته ، ولم يكن يدرى ما الذى كان يحس به ثقيلا الى حد ما فوق راســـه ، ووضـــع يده الى أعلى راسه ، وحملق فى دهشة . لم يكن هناك جرح يدمى كما تصور عندما كان فى الظلام داخل الحجرة ، لـكن فقط عصـــابة تشبه العمامة كانت لا تزال مبتلة ، وتبين من الاهداب الصغيرة التى كانت تتدلى هنا وهناك ، والتى اتضح انها كانت طرف قطعة من الدانتلا ، تبين كارل انها كانت خرقة قد مزقت من احد قمصان نوم برونيلدا القديمة ، ولا بد ان روبنسون كان قد لفها فى سرعة حول رأسه ، الا أنه كان قد نسى ان يعتصرها ، فبينما كان كارل فاقدا وعيه ، كان الماء يقطر فوق وجهه ، ويتسرب تحت قميصه ، وكان ذلك هو ما سبب له تلك الصدمة .

تساءل الشاب ، وهو يحملق فيه عبر الشرفة : « هل ما زلت هنا ؟ ! » .

فقال كارل : « اننى ذاهب الآن بالفعل ، لقد كنت اريد فقط ان اتفحص شيئا ما ! » ، ان الظلام شديد جدا فى الداخـــل ! »

فقال الشاب ، وهو يضع قلمه فوق الـكتاب المفتوح أمامه ، ويتقدم نحو الدرابزين : « لـكن من أنت ؟ ما هو اسمك ؟ وكيف جئت الى هؤلاء الناس ؟ وهل لك وقت طويل هنا ؟ وما الذى كنت تريد أن تتفحصه ؟ افتح النور الـكهربائى هنالك ، الا تريد ، افتحه حتى اتمكن جيدا من رؤيتك ! » .

ونفذ كارل ما طلبه منه ، لـكنه قبل ذلك ، سحب الستارة ، واحكم اغلاقها لـكى يمنع من بالداخل من ملاحظة اي شيء ، وقال

هامسا : « اعذرني ، لانني لايمكنني ان ارفع صوتي اكثر من ذلك ، لانهم لو سمعوني ، فسوف تحدث ضجة اخرى ! »

تساءل الشاب قائلا : « اخرى ؟ »

فقال كارل : « نعم ! لقد حدثت بيني وبينهم معركة شديدة هذا المساء ، ولابد انني قد أصبت بضربة شديدة للغاية فوق راسي ، وتحسس مؤخرة راسه .

وتساءل الشاب قائلا : « وما سبب تلك المعركة ؟ ! » ، وعندما لم يجبه كارل في الحال ، قال له الشاب : « يمكنك أن تصرح لي في اطمئنان ، بكل ما لديك ضد هؤلاء الناس ، فانا امقتهم جميعا ، وخاصة السيدة ، وبالاضافة الى ذلك ، فما يدهشني هو ان أجدهم قد حذروك بالفعل مني ، ان اسمي هو « جوزيف مندل » ، وانا طالب

قال كارل : « حسنا ، لقد تحدثوا الي عنك بالفعل ، لكنهم لم يقولوا شيئا سيئا عنك ، فانت قد عالجت برونيلدا ذات مرة ، ألم تفعل ؟ ! »

قال الطالب ضاحكا : « هذا حق ! وهل تفوح الاريكة بنتن تلك الرائحة حتى الآن ؟ ! » .

فقال كارل : « نعم لا تزال ! »

وقال الطالب : « ان هذا يسعدني على كل حال ! » ومر باصابعه فوق شعره ، ثم اضاف قائلا : « ولماذا وجهوا اليك تلك الضربات فوق راسك ؟ ! »

قال كارل : « لقد نشبت مشاجرة بيننا ! » ، واحتار في كيفية تفسير الامر كله له ، ثم عاد ، فالح مرة اخرى متسائلا : « لكن الا اسبب لك ازعاجا الآن ؟ ! »

قال الطالب : « اولا ، لقد تسببت بالفعل الآن في ازعاجي ، وانني لسوء الحظ شخص عصبي جدا ، حتى انني استغرق وقتا طويلا جدا لكي اعود الى حالتي التي كنت عليها من قبل ، فمنذ ان رحت تتمشى في الشرفة ، لم اتمكن من متابعة قراءتي ، ومن ناحية أخرى ، فانني دائما استريح ، حوالى الساعة الثالثة صباحا ، وعلى هذا فليس لك أن تتردد في اخباري بما سالتك عنه ، وبالاضافة الى ذلك ، فانني مهتم بهذا الامر ! »

قال كارل : « انه أمر غاية في البساطة ، فديلامارش يريدني ان أبقى لكي أعمل خادما له ، لكنني لا اريد ذلك ، وكنت أريد مغادرة هذا المكان الليلة ، الا انه لم يسمح لي بالرحيل ، ولقد

اغلق الباب ، وحاولت ان افتحه بالقوة ، ثم حدثت المشاجرة ، وما زلت هنا لسوء الحظ ! »

فتساءل الطالب قائلا : « ولماذا ترحل ، هل عثرت على عمل آخر ؟ ! »

فقال كارل : « لا ، الا ان هذا لايهمني مطلقا ، لو امكنني فقط ان اغادر هذا المكان ! »

فقال الطالب : « ماذا ؟ لايهمك هذا مطلقا ؟ الا يهمك ؟ ! »

وصمت كلاهما لحظة ، ثم قال الطالب متسائلا فى النهاية : « ولماذا لا تريد ان تبقى مع هؤلاء الناس ؟ »

وأجاب كارل قائلا : « ان ديلامارش رجل شرير ، ولقد اصطدمت به من قبل ، فقد تجولت معه يوما كاملا ذات مرة ، ثم أسعدنى أن اتخلص من صحبته ، فهل يمكننى ان أصبح خادمه الآن ؟ ! »

فقال الطالب ، وبدا وكأنه كان يبتسم : « لو كان كل الخدم مثلك يدققون طويلا فى اختيار سادتهم ! ، استمع الى ، اننى اعمل بالنهار كبائع ، وهى وظيفة بائسة اقوم فيها بتسليم البضائع الى المشترين ، وهى لاتكاد تفترق فى شىء عن وظيفة ساع ، فى مخزن (منتلى) الكبير ، ان منتلى هذا هو شخص سافل ، لاشك فى هذا ، الا ان هذا لا يثيرنى ، ان ما يهمنى بالفعل هو الاجر ، وهو أجر حقير مع هذا ، فلتضع هذا فى اعتبارك ! »

فقال كارل : « ماذا ؟ هل تعمل فى أثناء النهار كبائع ، وتستذكر طوال الليل ؟ »

قال الطالب : « نعم ، لايمكنك ان تفعل شيئا آخر ، ولقد حاولت ان اعمل كل مايمكن عمله ، الا اننى وجدت ان هذا هو افضل الطرق جميعا ، اننى لا افعل شيئا سوى الدراسة ليلا ونهارا منذ عدة سنوات ، وغالبا لا استطيع الانتظام فى المحاضرات ، فالجراة لاتواتينى بالذهاب فى هذه الملابس التى أملكها ، الا اننى انتهيت من هذا كله الآن ! »

فقال كارل وهو ينظر الى الطالب فى حيرة : « لكن متى تنام ؟ ! »

قال الطالب : « اوه .. النوم ! » ، اننى احصل على قليل من النوم عندما انتهى من مذاكرتى ، واننى اعمل على ان ابقى مستيقظا بتناول القهوة السوداء ! » ، واستدار حوله ، وتناول زجاجة كبيرة من تحت المنضدة ، وصب القهوة السوداء من الزجاجة فى قدح صغير ، وصبه فى جوفه ، كما لو كانت تلك القهوة دواء يتجرعه

حتى يمكنه ان يتجنب مرارة طعمه .
قال الطالب : « رائعة تلك القهوة السوداء ! » ، ومن سوء الحظ ، انك تبعد عنى كثيرا ، والا كنت قد اعطيتك بعضا منها الآن ! » .
قال كارل : « اننى لا احب القهوة السوداء ! »
ورد عليه الطالب ضاحكا : « ولا انا ، الا اننى بدونها ، ماذا عساى ان افعل ؟ فلو لم اتناول تلك القهوة السوداء ، لما رآنى منتلى دقيقة واحدة ، واقول منتلى ، على الرغم من انه بالطبع لا يكاد يشعر بوجودى ، اننى لا استطيع ببساطة ان ادخل المحل دون أن أحمل معى زجاجة كبيرة كهذه ، اضمها تحت الطاولة ، ذلك اننى لا اجرؤ مطلقا على المغامرة بالاقلاع عن تناول القهوة ، وصدقنى ، فلو اننى فعلت ذلك لتدحرجت تحت الطاولة فى نوم كانه الموت ، ولقد فطن الاخرون لسوء الحظ ، الى ذلك ، فاطلقوا على لقب (القهوة السوداء) ، نكتة سخيفة ، الا اننى واثق من انها قد دمرت حياتى العملية بالفعل .
وتساءل كارل : « ومتى ستنتهى من دراستك ؟ ! »
فقال الطالب مطرقا براسه : « اننى اتقدم فيها ببطء ! » ، ثم ترك الدرابزين ، وجلس ثانية الى المنضدة ، ووضع مرفقيه فوق الكتاب المفتوح ، ومر باصابعه خلال شعره ، ثم قال : « قد تستمر سنة أخرى ، أو سنتين ! »
قال كارل : « اننى اريد أن ادرس أنا ايضا ! » ، قالها وكان مجرد تصريحه بهذه الرغبة كان يعطيه الحق فى ان يتساوى تماما مع الطالب ، الذى صمت الآن ، عندما تبين انه قد أصبح قدوة .
قال الطالب : « حقا ؟ ! » ، ولم يكن واضحا تماما لكارل لحظتها ، هل كان يعيد قراءة دروسه ، أم كان ينظر فحسب اليه فى شرود ! ثم عاد يقول : « لعلك ان تكون سعيدا لانك قد تركت دراستك بالفعل ، ولقد واصلت انا دراستى هذه حتى الآن ، فقط لمجرد الرغبة فى المواصلة ، اننى اشعر أحيانا بشىء من الرضا ، ويفعم نفسى فى احيان اخرى امل واه فى المستقبل ، فما هو الشىء الذى يمكننى أن أطمح اليه ؟ ان امريكا تمتلىء بالاطباء الدجالين ! »
فقال كارل مسرعا ، عندما بدا الطالب وكانه يفقد اهتمامه بكل شىء : « لقد طمحت الى ان اكون مهندسا ميكانيكيا ! »
فقال الطالب ، وهو يتطلع لحظة الى اعلى : « والآن يتعين عليك

أن تصبح خادما لهؤلاء الناس ، وان هذا يضايقك بالفعل ! »
توصل الطالب الى هذه النتيجة لانه لم يفهم تماما ما كان كارل يقصده ، الا أن كارل أحس لحظتها بأن فى امكانه أن يحول هذه الفكرة لصالحه ، ولهذا فقد تساءل قائلا : « لعلى أجد وظيفة فى المخزن انا ايضا ! »
وانتزع هذا التساؤل الطالب بعيدا عن كتابه تماما ، كانت فكرة مساعدته لكارل فى الحصول على وظيفة كتلك ابعد ما تكون عن باله ، فقال : « حاول أن تحصل على هذه الوظيفة ، أو لا تحاول ، ان حصولى على وظيفة عند منتلى هو اعظم نجاح احرزته فى حياتى ، فلو كان لى ان اختار احداهما ، فساختار الوظيفة بالطبع ، ويمكننى أن أتخلى فى الحال عن دراستى ، لقد انفقت طاقتى كلها فى محاولة حسم التردد فى هذا الاختيار ! »
قال كارل محدثا نفسه ، قبل ان يوجه حديثه الى الطالب : « اذن فمن الصعب الى هذا الحد أن يجد المرء وظيفة عند منتلى !»
قال الطالب : « لماذا ، ماذا تظن ؟ انه من الاسهل أن يتم تعيينك هنا قاضيا للحى ، من ان تعين بوابا عند منتلى ! »
وصمت كارل ، ان هذا الطالب الذى يتمتع بهذا القدر الهائل من الخبرة ، والذى يكره ديلامارش لسبب غير معروف ، والذى لايحمل له بلا ريب اية ضغينة ، لا يستطيع أن يشير له بكلمة واحدة تحمل اى معنى من معانى التشجيع على مغادرة ديلامارش ، وهو لا يعلم مع ذلك اى شىء عن الخطر الذى يتهدد كارل من البوليس ، هذا الخطر الذى لا يستطيع أن يحميه منه الآن سوى ديلامارش وحده .
— لقد رايت المظاهرة فى الشارع هذه الليلة ، الم ترها ؟ ان اى شخص لا يعرف ما هى الحال ، يمكنه بسهولة أنه يتخيل، الا يمكنه أن يتخيل ان المرشح لوبستر ، وهذا هو اسمه ، من الممكن ان يامل الى حد ما فى النجاح ، أو على الاقل فى النظر اليه كمرشح جدير بالاعتبار ! »
قال كارل : « لا افهم فى السياسة ! »
فقال الطالب : « هذا خطأ ، لان لك عينين فى راسك ، واذنين، اليست لك عينان ؟ ان الرجل له اصدقاء وله خصوم ، وهذا واضح غاية الوضوح ، ولا يمكن أن يكون قد فاتك ان ترى هذا حسنا ، ان هذا الشخص ليس له فى رايى اقل امل فى التراجع ، فقد تصادف اننى أعرف كل شىء عنه ، ويوجد رجل يقيم هنا ،

وهو واحد من معارفه . انه رجل لا تنقصه الكفاية ، اما اذا نظرنا الى آرائه السياسية ، وماضيه السياسي ، فانه يبدو لنا بالفعل افضل شخص يناسب وظيفة قاضي الحي ، الا أن احدا لايمكن ان يتصور أنه سيحصل عليها ، ولسوف يسقط على ام راسه ، كما قد يحدث لأى شخص آخر ، وسوف تضيع دولاراته فى الحملة الانتخابية ، وسيكون هذا هو كل ما فى الامر ! »

وحدق كارل والطالب فى بعضهما البعض ، للحظات قليلة ، فى صمت . واطرق الطالب بابتسامة ، وضغط راحتيه على عينيه المرهقتين .

ثم تساءل قائلا : « حسنا ، الن تذهب الى الفراش الآن ، يجب علي أن استانف قراءتي ، انظر، كم من الصفحات علي أن اقراها ! » وقلب ما يزيد على نصف صفحات الكتاب ، لكى يوضح لكارل ضخامة العمل الذى لا يزال ينتظره !

فقال كارل ، بانحناءة : « حسنا ، اذن ، طابت ليلتك ! »

وقال الطالب الذى جلس ثانية الى المنضدة : « تعال لزيارتنا فى وقت ما ، لو راق لك ذلك بالطبع ، وستجد دائما جمعا من الصحاب هنا ، ولدى دائما وقت لاستقبالك من التاسعة الى العاشرة مساء ! »

فتساءل كارل : « وعلى هذا فانت تنصحنى بالبقاء مع ديلامارش ! ؟ » .

فقال الطالب الذى كان راسه قد انحنى بالفعل فوق الكتاب : « قطعا ! » ، وبدا وكانه لم يكن هو ، بل شخص آخر غيره هو الذى قالها ، فلقد تردد صداها فى اذنى كارل ، كما لو كانت قد قيلت بصوت فارغ اجوف لايكاد يشبه صوت ذلك الطالب .

ومضى كارل ببطء نحو الستارة ، وتطلع مرة اخرى الى الطالب ، الذى جلس الآن بلا حراك ، تماما تحت دائرة الضوء الذى يفرقه فيها مصباحه الكهربائى ، محاطا بالظلام الحالك ، ودخل كارل الحجرة ، فاستقبلته انفاس النائمين الثلاثة ، وتحسس طريقه بطول الحائط الى الاريكة ، وعندما بلغها ، تمدد فوقها فى هدوء كما لو كانت هى فراشه الذي اعتاده ، ولما كان الطالب الذى يعرف كل شيء عن ديلامارش ، وعن الظروف الغريبة التى تحيط به ، والذى كان بالاضافة الى ذلك شخصا متعلما ، قد نصحه بالبقاء هنا ، فليس لديه الآن اى اثر للشعور بتانيب الضمير ! ليست له مثل ما لهذا الطالب من

الاهداف السامية ، ولعله لم يكن ليبلغ النهاية فى تعليمه ، حتى فى وطنه ، واذا كان صعبا بالنسبة اليه أن ينهى تعليمه فى وطنه ، فليس لاحد أن يتوقع منه أن يفلح في بلوغ هذا الهدف هنا في بلد غريب! الآن طموحه فى الحصول على وظيفة يمكنه أن يحقق من خلالها شيئا ، يبعث فيه بعض الرضا ، سوف يزداد ، لو انه قبل الآن وظيفة خادم لديلامارش ، ويمكنه من هذا المكان الآمن أن يترقب الفرصة المناسبة ، ففى هذا الشارع نفسه يبدو ان هناك عديدا من مكاتب الوسطاء ، والمكاتب التى تطلب عمالا للأعمال المختلفة ، وهى عند الحاجة لا يصعب عليها أن تعثر على بغيتها ، وسوف يسره أن يتقبل وظيفة بواب ، عند الضرورة ، لكن ليس من المستحيل تماما ، رغم كل شيء ، الا يتفق له أن يجد عملا فى وظيفة مكتبية ، وقد يجلس فى المستقبل الى مكتبه الخاص ، ككاتب نظامى ، ويحدق من حين لآخر من خلال النافذة المفتوحة فى سعادة ، كما كان يفعل ذلك الكاتب الذى رآه هذا الصباح فى أثناء رحلته عبر الأفنية، وعندما اغلق عينيه كان مستريحا الى فكرة انه لا يزاله صغيرا، وانه سيتمكن يوما ما من ان يفارق ديلامارش ، فلا شك ان هذا المنزل لم يكن قد اقيم الى الابد . وعندما يتفق له الحصول فى وقت من الاوقات على عمل فى أحد المكاتب ، فسوف يركز اهتمامه فى عمله المكتبى ، ولن يشتت طاقته ، كما يفعل ذلك الطالب ، واذا لزم الامر فسوف ينذر لياليه ايضا بالاضافة الى ايامه لعمله المكتبى، وقد يطلب منه هذا فى البداية بالفعل ، نظرا لقلة معلوماته عن شئون هذا العمل ، ولسوف يقصر تفكيره فقط فيما يفيد المؤسسة التى سيعمل بها ، وسيضطلع بكل ما يعهد به اليه من أعمال ، وبالاعمال التى قد يهملها الكتبة الآخرون ، وتزاحمت النوايا الطيبة فى راسه ، وكان صاحب العمل الذى سيستخدمه فى المستقبل ، كان يقف لحظتها أمام الاريكة ، ويستطيع أن يقرا هذه الافكار على وجهه

بمثل هذه الافكار ، استغرق كارل فى النوم ، وازعجته فى لحظات استغراقه الاولى فى النوم ، تنهيدة عميقة صعدتها برونيلدا ، التى كانت على ما يبدو قد ازعجتها بعض الاحلام السيئة ، فتمطت وتقلبت فى فراشها .

مسرح أوكلاهوما الطبيعي

فى ركن من أركان احد الشوارع راي كارل لافتة كتب فوقها الاعلان التالى : « يقبل مسرح أوكلاهوما أعضاء جددا للانضمام الى هيئته اليوم ، فى ميدان سباق كلايتون ، من السادسة صباحا ، حتى منتصف الليل . ان مسرح أوكلاهوما العظيم يناديك ! اليوم فقط هو آخر فرصة ! فلو فقدت الآن هذه الفرصة ، فقد فقدتها الى الابد ! ولو فكرت فى مستقبلك ، فان عليك أن تحرص على الانضمام الينا ! مرحبا بالجميع ! لو اردت أن تكون فنانا فانضم الى جماعتنا ! ان مسرحنا يمكنه أن يوفر عملا لكل شخص ، ومكانا لكل شخص ! فلو قررت الانضمام الينا ، فنحن نرحب بك هنا الآن ! فأسرع ، حتى يمكنك أن تبلغ المكان قبل منتصف الليل ! وستغلق الابواب فى الساعة الثانية عشرة مساء ، ولن تفتح ثانية ! وليسقط كل الذين لا يثقون بنا ، فهيا الى كلايتون ! »

ولا شك ان عددا كبيرا من الناس قد توقفوا أمام هذه اللافتة ، لكن يبدو أن الكثيرين لم يصدقوا ما تقوله . كان هناك دائما الكثير من اللافتات ، ولم يعد أحد يصدق تلك اللافتات ، وكانت هذه اللافتة ، اكثرها جميعا بعدا عن التصديق ، وفوق هذا ، فقد اغفلت هذه اللافتة أمرا هاما ، وجوهريا ، فهى لم تذكر شيئا عن الاجر ، فلو كان الاجر جديرا بالذكر لكانت تلك اللافتة قد ذكرته بالفعل ، ولقد كان هذا الامر هو أكثر ما أثار الانتباه فى كل المناقشات التى تناولت ما جاء بتلك اللافتة ، وهى مناقشات لا تنسى ، فلا احد يريد أن يصبح فنانا ، لكن كل شخص يريد أن يحصل على اجر فى مقابل ما يؤديه من أعمال .

لكن كان ثمة ما يلفت نظر كارل بشدة فى تلك اللافتة ، فهى تقول : « مرحبا بالجميع ! » ، الجميع ؟ ! ان هذا يعنى كارل أيضا . ان هذه اللافتة تتجاهل كل ما فعله كارل حتى الآن ، ويبدو ان احدا لن يلومه على شىء ! فهى تبيح له الحق فى الحصول على وظيفة ، لاتثير شيئا من الخجل ، بل هى على العكس من ذلك ، وظيفة يعلن عنها على الملأ ، وكان الوعد بانه سيجد هو أيضا قبولا

من اصحاب العمل ، يبدو كذلك ، وعدا عاما ، وهو لا يطلب شيئا اكثر من هذا ، انه يريد ان يجد سبيلا ما الى بداية حياة نظيفة على الاقل ، وربما كانت هـذه هى فرصته .

وحتى لو كانت كل التقريرات التى تتصف بالمبـالغة ، والتى تضمنتها اللافتة ، ليست سوى مجرد كذبة ، وحتى لو كان مسرح أوكلاهوما العظيم هذا ليس سوى مجرد سيرك بسـيط متجول ، يريد ان يضم اليه اعضاء جددا ، ففى هـذا ما يكفى . ولم يقرأ كارل اللافتة كلها مرة اخرى ، لـكنه التقط ثانية تلك الجملة : « مرحبا بالجميع ! » ، وفكر فى البداية فى ان يذهب الى كلايتون سيرا على الاقدام ، الا ان هذا كان معناه ، ثلاث ساعات من السير المرهق المتواصل . وربما يصل على كافة الاحتمالات ، فى الموعد تماما ، وربما يكتشف ايضا انه قد تم شغل جميع الاماكن بالفعل . لاشك ان اللافتة تشير الى انه لاحد لمن يمكن قبولهم من الاعضـاء الجدد ، الا ان كل الاعلانات التى من هذا القبيل تتحدث دائما على هذا النحو ، ورأى كارل انه اما ان ينبذ تلك الفكرة كلية ، واما ان يذهب بالقطار ، واحصى نقوده ، التى كان من الممكن أن تكفيه لمدة ثمانية ايام ، ان لم يقم بهذه الرحلة بالقطار ، وطوح بقطع العملة القليلة فى راحة يده الى الخلف والى الامام ، وربت سيد ما كان يرقبه بيده على كتف كارل قائلا : « ارجو لك رحلة طيبة الى كلايتون ! » ، واطرق كارل فى صمت ، واحصى نقوده ثانية ، ثم سرعان ما اتخذ قراره ، وتناول النقود التى تلزم لاجر السفر ، واندفع نحو محطة النفق ! وعندما خرج من المحطة فى كلايتون سمع فى الحال اصوات أبواق عديدة ، كانت تلك الاصوات ، عبـارة عن ضوضاء مشوشة ، ولم يكن النفخ فيها ينسجم مع بعضه البعض ، الا ان كارل لم يهتم بهذا ، بل لقد اعتبر هذا تأكيدا لحقيقة أن مسرح أوكلاهوما كان مسرحا هائلا ، لـكنه عندما خرج من المحطة ، واستعرض ذلك العرض بنظراته ، تحقق فى الحال مما رآه امامه ، أن ذلك المسرح كان اكبر بكثير جدا مما كان قـد تصـوره ، ولم يستطع أن يفهم كيف يتسنى لاية هيئة أن تضـطلع بهذا التنظيم الـكامل لمجرد أن تستوعب اعضاء جددا .

وامام مدخل حلبة السـبـاق ، كان قد اقيم ثمة رصيف طويل منخفض ، وقفت فوقه مئات من النسـاء اللائى يرتدين ملابس الملائكة ، وهى أثواب بيضاء ، لها أجنحة هائلة على اكتافهن ، وكن

ينفخن فى ابواق طويلة كانت تتالق كالذهب ، ولم يكن بالفعل يقفن فوق الرصيف ، لكنهن كن يمتلين قواعد منفصلة عن بعضها البعض ، ولم يكن من السهل رؤية تلك القواعد مع ذلك ، لانها كانت تختفى تحت الاقمشة الطويلة المزهرة التى كانت تنسدل الى أسفل ، والتى لم تكن سوى اذيال اثواب الملائكة . ولما كانت تلك القواعد ، بالغة الارتفاع - كان يبلغ ارتفاع بعضها ستة اقدام - فان النساء كن يظهرن ، عملاقات ، لولا ان صغر رءوسهن هو ما كان يبعد الايهام بهذا الحجم الهائل ، وكان شعرهن المفكوك ، يبدو بالغ القصر ، ومتدليا بطريقة سخيفة بين الجناحين الهائلين ، ويحدد وجوههن ، وكانت القواعد تختلف فى احجامها ، ومقاييسها ، تجنبا للتكرار ، وكانت توجد نساء لا يكدن يرتفعن كثيرا من ارتفاع الشخص المادى ، لكن كانت هناك اخريات بجوارهن ، كن يقفن على ارتفاع شاهق ، حتى ان المرء كان يشعر بأن اقل لفحة من الهواء يمكنها أن تقلبهن ، وكانت النساء جميعهن ينفخن فى أبواقهن .

ولم يكن يوجد كثير من المستمعين ، كان هناك فقط حوالى عشرة من الصبية ، كانوا يتمشون امام الرصيف ، وقد مسخت احجامهم بالمقارنة باحجام اولئك النساء ، وكانوا يلفتون انظار بعضهم البعض الى هذه أو تلك ، لكن لم تكن تبدو عليهم ادنى نية للدخول وعرض خدماتهم . وكان هناك رجل واحد فقط ، كان قد توقف قليلا فى جانب من الجوانب ، وكان يصطحب زوجته معه ،وطفله فى عربة اطفال . كانت الزوجة تمسك عربة الطفل باحدى يديها ، وتعتمد بيدها الاخرى على كتف زوجها . وكان واضحا انهما كانا معجبين بالمشهد ، الا ان المرء كان فى امكانه أن يتبين فى الوقت نفسه ، ان املهما كان قد خاب ، وكان يبدو عليهما وكانهما كانا يتوقعان ما يشير الى نوع من أنواع العمل ، ولقد أثار هذا النفخ فى الابواق سخطهما . وكان كارل يشعر بنفس ما كانا يشعران به ، واتجه كارل الى حيث كان يقف الرجل ، واستمع قليلا الى صوت الابواق ، ثم قال بعد ذلك : « أليس هذا هو المكان الذى يطلبون فيه اناسا للانضمام الى مسرح أوكلاهوما ؟ ! » .

قال الرجل : « انني اظن هذا ايضا ! الا اننا ننتظر هنا منذ ساعة ، ولم نسمع شيئا سوى أصوات هذه الابواق ، ولا يوجد هنا لافتات يمكننا أن نعرف عن طريقها اى شىء ، ولا يوجد منادون ولا شخص واحد يمكنه أن يدلك على مايجب عليك أن تفعله ! » .

فقال كارل : « ربما كانوا ينتظرون حتى يصل اناس كثيرون ، ان من وصل الى هنا حتى‌الآن ، هم فى الحقيقة بضمة أفراد قلائل!»
قال الرجل : « قد يكون الامر كذلك ! » ، ثم صمتا ثانية ، كما انه لم يكن من السهل أن تسمع شيئا من خلال الضوضاء التى كانت تحدثها أصوات الابواق ، ثم همست المرأة بشىء ما لزوجها ، فاطرق هذا ، ونادت المرأة كارل فى الحال وقالت له : « الا يمكنك ان تذهب الى حلبة السباق ، وتسال اين يتم استقبال‌طالبى العمل ؟»

فقال‌كارل : « نعم ، ان على‌ان‌اخترق‌الرصيف ، وسط كل‌الملائكة!»

فتساءلت المرأة قائلة : « وهل‌يصعب عليك‌هذا ، الى‌هذه‌الدرجة ؟»

وتبدو انها كانت تظن المكان ممرا سهلا لكارل ، لكنها لاتريد زوجها أن يذهب ليسال بنفسه .
قالت المرأة لكارل : « من السهل عليك انت أن تذهب ! » ، وتناولت هى وزوجها يد كارل ، وضغطاها .
واندفع الصبية جميعا ، ينظرون الى كارل عن قرب ، عندما صعد الرصيف ، ويبدو ان النساء قد ضاعفن من شدة نفخهن فى الابواق كتحية لاول شخص يرغب فى الانضمام الى هيئة المسرح ، وكانت النسوة اللائى كن يقفن فوق القواعد التى مر بها كارل ، قد ابعدن الابواق عن افواههن ، وانحنين يتتبعنه بانظارهن ، وعند الجانب الآخر من الرصيف ، اكتشف كارل وجود رجل كان يتمشى فى قلق ، ذهابا وجيئة ، ويبدو انه كان ينتظر الناس الذين يطلبون الانضمام ، لكى يعطيهم التعليمات التى‌يرغبون فى‌الحصول عليها ، وكان كارل على وشك أن يبدأه بالحديث ، عندما سمع صوتا يناديه من أعلى صاحت احدى الملائكة قائلة : « كارل ! » .
وتطلع كارل‌الى أعلى‌وفى‌دهشة منشرحة ،انطلق فى‌الضحك فقد‌كانت (فانى) ، صاح قائلا فى دهشة ، وهو يلوح لها بيده : « فانى ! »

صاحت فانى قائلة : « اقترب ، لايمكن أن تمر بى حقا هكذا ! » ، وازاحت طرف ثوبها جانبا ، فاتضحت القاعدة التى كانت تقف فوقها ، وسلم صغير كذلك كان يؤدى الى اعلى تلك القاعدة تساءل كارل قائلا : « هل يسمح للمرء بأن يصعد هذا السلم ؟ »

فهتفت فانى قائلة : « ومنذا الذى يمنعنا من أن نتصافح ! » ، وتطلعت حولها فى غضب ، استعدادا لمواجهة من قد يتدخل ، الا ان كارل كان يصعد السلم لحظتها بالفعل .

وصاحت فانى قائلة : « ليس بهذه السرعة ! والا انقلبنا ، والسلم ايضا ، الى الارض ! » الا ان شيئا من هذا لم يحدث ، وبلغ كارل قمة السلم فى سلام .

قالت فانى : « انظر ! » ، وكان كل منهما قد صافح الآخر : « انظر اي وظيفة هذه التى حصلت عليها هنا ! » .

فقال كارل وهو يتطلع حوله : « انها وظيفة رائعة ! » ، وراحت باقي النساء ، اللائى كن يلاحظنه يضحكن ساخرات ، وقال كارل : « انك اكثر ارتفاقا منهن جميعا ! » وفرد ذراعه محاولا أن يقيس الفرق فى الارتفاع بين مكانها ، ومكان الاخريات .

وقالت له فانى : « لقد رايتــك فى الحال ، فور خروجك من المحطة ، لــكننى فى الصف الاخير هنا ، لسوء الحظ ، ولا يمكن لاحد ان يرانى ، كما لايمكننى ان الوح لاحد بدورى ، ولقد نفخت فى البوق بغاية جهدى ، الا انك لم تتعرف على رغم ذلك ! » .

وقال كارل : « انكن تنفخن جميعكن بصورة سيئة للغاية ! » ، دعينى انفخ مرة فى هذا البوق ! ..

فقالت فانى : « كما تشاء ! » ، وهى تناوله البوق : « لــكن لا تحاول ان تفسد العرض ، والا تسببت فى طردي ! »

وبدأ كارل ينفخ فى البوق ، وكان قد تصوره بوقا قديم الطراز ، لا ينفع الآ في اصدار الضوضاء فقط ، لــكنه اكتشف الآن انــه كان آلة قادرة على احداث أي صوت دقيق ، فلو كانت كل الابواق هنا بهذا المستوى ، فلا بد انها كانت تستعمل اذن استعمالا بالغ السوء ، ودون أن يلقى انتباها الى نفخ الاخريات ، نفخ بكل طاقة رئتيه لحنا كان قد سمعه ذات مرة فى احدى الحانات ، واحس بالسعادة لعثوره على صديقة قديمة ، ولسماحها له بالنفخ فى البوق بصورة ودية ، وسعد كذلك لفكرة احتمال عثوره هنا على وظيفة حسنة بغاية السرعة ، وتوقفت كثيرات من النساء عن النفخ لــكى يستمعن ، وعندما توقف هو فجاة عن النفخ فى البوق ، كانت نصف الابواق تقريبا هى التى تصدر عنها الاصوات ، واستمر الحال بعض الوقت على هذا ، الى أن عادت الضوضاء كما كانت من قبل ، الى كامل عنفها .

قالت فانى عندما سلمها البوق ثانية : « ولــكنك فنان فعلا ! فاطلب منهم ان ياخذوك كنافخ بوق ! » .

وقال كارل : « وهل يقبلون الرجال فى هذه الوظيفة ايضا ؟ ! »

فقالت فانى : « نعم ، اننا ننفخ لمدة ساعتين ، ثم نستريح ، ويحل الرجال الذين يرتدون ملابس الشياطين محلنا ، نصفهم ينفخون فى الابواق ، ويقرع نصفهم الآخر الطبول . انه مشهد رائع ، كما ان المعدات تتوفر جميعها فى سخاء ، الا تعتقد ان ثيابنا جميلة ؟ ! والاجنحة ؟ ! » ، وتطلعت الى أسفل ، وراحت تتفحص نفسها .

تساءل كارل : « هل تعتقدين اننى ساجد وظيفة هنا ! »

فقالت فانى : « بكل تأكيد ! انه اضخم مسرح فى العالم ، ياله من حظ ، أن يجمعنا ثانية مكان واحد ، الا ان الامر يعتمد على نوع الوظيفة التى سوف تسند اليك ، لانه من الممكن الا نرى بعضنا ثانية على الاطلاق ، على الرغم من انضمامنا هنا » .

فتساءل كارل قائلا : « هل المكان واسع بالفعل الى هذا الحد ؟ »

فقالت فانى : « انه اكبر مسرح فى العالم ، اننى لم أره بعد بنفسى ، اننى اعترف بهذا ، الا ان بعض الفتيات الاخريات هنا ، أولئك اللائى كن قد انضممن قبلى الى مسرح أوكلاهوما ، يقلن ان هذا المسرح لا حدود له على الاغلب ! »

فقال كارل ، مشيرا الى اسفل نحو الصبية ، والاسرة الصغيرة .

ـ لكن لا يوجد كثير من الناس هنا !

قالت فانى : « هذا حق ، لكن عليك أن تلاحظ اننا نضم الينا اعضاء جددا من كل المدن ، وان جهاز تجنيد الاعضاء للعمل فى المسرح ، يتجول دائما فى الطرق ، ويوجد الكثير من فرق تجنيد الاعضاء الجدد للمسرح ! »

وقال كارل : « لماذا ؟ الم يفتتح المسرح بعد ؟ ! »

قالت فانى : « اوه .. نعم ، انه مسرح قديم ، الا انه يوسع دائما ! »

فقال كارل : « انه ليدهشنى أن اناسا اكثر من هؤلاء لم يتزاحموا للانضمام اليه ! »

قالت فانى : « نعم ، انه أمر غير عادى ! »

قال كارل : « ربما كان هذا العرض الذى يقوم به الملائكة والشياطين ، ينفر الناس ، بدلا من أن يجتذبهم ! »

قالت فانى : « ما الذى يجعلك تظن هذا ؟ الا انك قد تكون على حق ، فقل هذا لقائدنا ، فقد يهمه سماع ذلك ! »

فتساءل كارل قائلا : « واين هو ؟ ! » .

قالت فانى : « فى حلبة السباق ، فوق رصيف التحكيم ! »

قال كارل : « ان هذا يدهشني أيضا ، فلماذا حلبة السباق لاستقبال الراغبين فى الانضمام الى المسرح ؟ ! »

قالت فاني : « أوه .. اننا نعمل دائما استعدادا هائلا لاستقبال كثير من الناس ، ويوجد متسع للكثيرين فى حلبة السباق ، وفى كل الاكشاك التى تقبل المراهنات فى الايام العادية ، تقام الآن المكاتب لتسجيل أسماء المرشحين للوظائف ، ولا بد ان هناك حوالى المائتين من هذه المكاتب هناك ! »

فصاح كارل قائلا : « وهل لمسرح أوكلاهوما ، مثل هذا الدخل الضخم ، الذى يسمح له بجمع الناس ، واقامة المنشآت على هذه الصورة ؟ ! »

قالت فاني : « وما الذى يهمنا نحن من ذلك ، من الافضل لك ان تذهب الآن ، يا كارل ، حتى لا يفوتك اى شىء ، ويجب على أن أواصل الآن النفخ فى البوق ، فابذل كل جهدك لكى تحصل على وظيفة هنا ، فى هذا القسم ، وتعال واخبرنى بذلك فى الحال ، وتذكر اننى سانتظر بغاية القلق حتى تعود الى بهذه الاخبار ! »

وضغطت على يده ، ونبهته الى أن يحترس عند هبوطه السلم ، ووضعت البوق على شفتيها ثانية ، الا انها لم تنفخ فيه حتى رأت ان كارل قد هبط الى الارض بسلام ، ورتب كارل الثوب ثانية ، فغطى به السلم ، كما كان من قبل ، وأومأت فانى الى كارل بتحياتها ، واقترب كارل ، وهو لا يزال يفكر فيما سمعه الآن ، اقترب من الرجل الذى كان قد رآه وهو فوق القاعدة التى تقف عليها فانى ، فاقترب من تلك القاعدة منتظرا هبوطه !

تساءل الرجل قائلا : « هل تريد الانضمام الينا ؟ » ، اننى مدير المستخدمين ، فى هذه الفرقة ، واننى ارحب بك ! كانت له انحناءة دائمة ، كما لو كانت بدافع الادب ، وكانت ساقاه تتململان ، دون أن يتحرك من مكانه ، وكان يعبث طول الوقت بسلسلة ساعته .

قال كارل : « أشكرك ! لقد قرأت اللافتة التى وضعتها فرقتك وقد حضرت الى هنا ، كما جاء بها ! »

فقال الرجل موافقا على ما قال كارل : « هذا صحيح تماما ، ولسوء الحظ لا يوجد كثيرون قد فعلوا كما فعلت ! » ، وطرأ على بال كارل أن يقول للرجل ، انهم ربما يكونون قد اخفقوا فى جمع الكثيرين بسبب فخامة ذلك الاستعراض ، الا انه لم يقل شيئا لان هذا الرجل لم يكن قائد الفرقة ، وبالاضافة الى ذلك ،

فليس من المستحسن له أن يبدأ بتوجيه الاقتراحات التى تستهدف تحسين حال جهاز تجنيد الأعضاء الجدد ، من قبل ان يقبل هو نفسه بالفعل كعضو ، وعلى هذا فقد قال فقط :

ــ ثمة رجل ينتظر هناك فى الخارج ، ويرغب فى تسجيل اسمه هنا أيضا ، وقد ارسلنى لكى استطلع الامر اولا ، فهل لى أن أبحث عنه الآن ؟

قال الرجل : « بالطبع ، من المستحسن هذا ! »

ــ ان له زوجة معه هى ايضا ، وطفل صغير فى عربة اطفال ، فهل لهما ان يحضرا ايضا ؟

فقال الرجل ، وبدا وكانه كان يبتسم من تردد كارل : «بالطبع، يمكننا ان نقبلهم جميعا ! »

فقال كارل : « سوف أعود فى الحال ! » ، وانطلق يجرى نحو حافة الرصيف ، ولوح بيده للزوجين ، وصاح قائلا : « ان بامكان كل شخص ان يحضر ايضا ، وعاون الرجل فى حمل عربة الطفل الى الرصيف ، ثم تقدما معا . وعندما راى الصبية ذلك تشاوروا مع بعضهم البعض ، وترددوا الى اللحظة الاخيرة ، وايديهم فى داخل جيوبهم ، ثم صعدوا الرصيف ببطء ، وتبعوا كارل والاسرة . ثم ظهر عندئذ عدد من الوافدين الجدد خرجوا من المحطة التحتية ، ورفعوا سواعدهم فى دهشة عندما شاهدوا الرصيف والملائكة ، وبدا مع ذلك ان المنافسة من أجل الحصول على الوظائف ستزداد الآن ، واحس كارل بالسعادة البالغة لوصوله مبكرا على هذه الصورة ، ولعله كان أولهم جميعا ، وكان الزوجان يتوجسان شرا ، وتساءلا عديدا من التساؤلات ، عما قد يطلب منهما ، وقال لهما كارل انه لا يعرف شيئا محددا بعد ، الا انه قد احس بان كل شخص بلا استثناء سوف يقبل . وظن انهما سيشعرون براحة البال عندئذ . وتقدم مدير المستخدمين نحوهم ، والرضا يبدو عليه لوجود مثل ذلك العدد ممن حضروا يطلبون الانضمام الى هيئة المسرح ، وفرك يديه ، وحيا كل واحد من الموجودين بانحناءة خفيفة ، ورتبهم جميعا فى صف واحد ، وكان كارل على رأس الصف ، يليه الزوج ، وزوجته ، ويليهما الآخرون، وعندما اصطفوا جميعا ــ ظل الصبية يتدافعون فى البداية ، واستغرق الامر بعض الوقت لكى يتم تنظيمهم فى الصف ــ وقال مدير المستخدمين ، بينما صمتت الابواق :

ـ انني احييكم باسم مسرح أوكلاهوما ، ولقد وصلتم مبكرين (كان الوقت ظهرا لحظتها) ، ولم يحدث زحام شديد بعد حتى الآن ، وعلى هذا فان الشكليات الضرورية التى تلزم لانضمامكم سوف تتم فى الحال ، انكم تحملون معكم بالطبع الاوراق التى تثبت شخصياتكم !

وجذب الصبية فى الحال أوراقا من جيوبهم ، وفردوها نحو مدير المستخدمين ، ولكز الزوج زوجته ، فاخرجت حزمة كبيرة من الاوراق من تحت البطاطين التى كانت فى عربة الطفل . الا ان كارل لم يكن يحمل أية أوراق . فهل يحول ذلك بينه وبين الانضمام ؟ انه يعلم جيدا من خلال خبرته انه سيسهل عليه أن يتغلب بحل من الحلول البسيطة ، على تلك التعليمات ، ويبدو انه سينجح فى ذلك ، وتطلع مدير المستخدمين الى الصف كله ، وتأكد من ان الجميع يحملون تلك الاوراق ، ولما كان كارل يقف بيديه مرفوعتين ، مع انهما كانتا خاليتين من تلك الاوراق ، فقد تأكد الرجل من ان كل شىء على ما يرام بالنسبة لكارل هو أيضا ! »

قال مدير المستخدمين : « حسن جدا ! » ، مؤكدا ذلك للصبية بتلويح يده لهم ، وكان هؤلاء يريدون أن تفحص أوراقهم فى الحال : « سوف تفحص أوراقكم فى مكاتب الاستقبال ، وكما قد لاحظتم بالفعل من لافتتنا ، ففى امكاننا أن نجد وظيفة لكل شخص ، لكننا يجب بالطبع ان نعرف ما هى الوظائف التى كنتم تشغلونها حتى الآن ، وعلى هذا يمكننا أن نضع كلا منكم فى مكانه الصحيح ، لكى نستفيد بخبراتكم ! »

وفكر كارل فى نفسه مرتابا : « ولكنه مسرح ! » ، ثم استمع فى انتباه شديد .

ومضى مدير المستخدمين فى حديثه قائلا : « ولهذا فقد أقمنا مكاتب للاستقبال والتسجيل فى أكشاك المراهنات على خيل السباق ، لكل تجارة أو مهنة مكتب خاص ، وعلى هذا فسوف يخبرنى كل منكم بوظيفته ، وتسجل الاسرة عادة فى مكتب توظيف الازواج ، وسوف أصحبكم اذن الى هذه المكاتب ، حيث يراجع المختصون أوراقكم أولا ، ثم صلاحيتكم ، وسوف يكون فحصا قصيرا للغاية ، فلا تخشوا شيئا ، وسوف تسجل أسماؤكم فى الحال ، بعد ذلك ، ثم تتلقون التعليمات اللازمة ، فلنبدأ الآن اذن . هذا المكتب الاول خاص بالمهندسين الميكانيكيين ، كما يتضح من الكتابة التى كتبت

فوقه ، فهل يوجد مهندس هنا بينكم ؟ »

فتقدم كارل الى الامام ، كان قد ظن ان افتقاره الى الاوراق يتيح له ان يتخطى تلك الشكليات بأقصى سرعة ممكنة ، وكان لديه كذلك ما يبرر تقدمه الى الامام بعض التبرير ، فلقد كان قد رغب ذات مرة فى ان يصبح مهندسا ميكانيكيا . الا ان الصبية عندما شاهدوا كارل وهو يتقدم الى الامام ، ثار الحسد فى نفوسهم ، ورفعوا أيديهم جميعا ، فنهض مدير المستخدمين على قدميه وقال للصبية : « هل انتم مهندسـسـون ؟ ! » فتذبذبت أذرعهم ، ثم انخفضت الى جانبهم ، لـكن كارل بقى ثابتا على قراره الاول ، ولقد نظر اليه مدير المستخدمين بالطبع فى ارتياب ، فقد كان كارل يبدو فى ثياب خلقة وكان صغيرا أيضا حتى يكون مهندسا ، الا انه لم يقل شيئا ، ربما كنوع من الامتنان لـكارل ، لانه كان قد تسبب فى رأيه على الاقل ، فى دخول هؤلاء الذين يرغبون فى الانضمام الى المسرح ، واشار فى مجاملة نحو المـكتب ، واتجه اليه كارل ، بينما استدار مدير المستخدمين نحو الآخرين .

وفى المـكتب المخصص للمهندسين ، كان يجلس سيدان الى طرف طاولة مستطيلة ، وهما يقارنان قائمتين طويلتين كانتا موضـوعتين امامهما ، وكان أحدهما يقرأ ، بينما كان الآخر يضع علامة أمام كل اسم فى القائمة ، وعندما دخل كارل وحيـاهما ، تركا القائمة فى الحال ، وتناولا دفترين هائلين ، وفتحاهما .

وقال أحدهما ، وكان يبدو واضحا ، انه كاتب : « من فضلك اعطني اوراق اثبات شخصيتك ! »

فقال كارل : « انني آسف لانني لم أحضرها معى ! »

قال الـكاتب للسيد الآخر : « انه لم يحضرها معه ! » بينمـا كان يكتب فى الوقت نفسـه تلك الاجابة التى اجاب بها كارل فى دفتره

وعندئذ سـأله الرجل الآخر ، الذى بدا انه رئيس المـكتب : « هل أنت مهندس ؟ » .

قال كارل مسرعا : « انني لم أصبح مهندسا بعد ، ولـكنني . . »

فقال السيد فى سرعة تفوق سرعته : «يكفى هذا ، فانت لا تتبعنا فى هذه الحالة ، وعلى هذا فارجو ان تتكرم بملاحظة ما كتب على واجهة الـكشك ! » ، وصر كارل على أسنانه ، ولا بد ان السيد كان قد لاحظ ذلك ، لانـه قال : « لا حـاجة بك الى أن تخشى

شيئا ، ففى امكاننا ان نقبل كل شخص ! » واشار لواحد من المساعدين ، كان يتسكع متكاسلا بين الاسوار ، قائلا له : « قد ذلك السيد الى مكتب الفنيين ! »

وفسر المساعد ذلك الامر حرفيا ، فأخذ كارل من يده ، ومرا بعدد من الاكشاك على كلا الجانبين ، فى أحد هذه الاكشاك راى كارل أحد الصبية ، كان قد انتهى تسجيله بالفعل ، فكان هذا الصبى يشد على يد السيد الذى كان يراس المكتب فى امتنان ، وفى المكتب الذى اقتيد اليه كارل الآن ، كانت الاجراءات شبيهة بتلك الاجراءات التى جرت فى المكتب الاول كما كان كارل قد توقع ، فيما عدا انهما قد أرسلاه الآن الى المكتب الخاص بطلبة المدارس المتوسطة ، عندما سمعا انه كان قد التحق بمدرسة متوسطة ، لكن عندما صرح كارل هناك بانها كانت مدرسة اوروبية ، تلك التى كان قد التحق بها ، رفض الموظفان قبوله ، وارسلا معه من اقتاده الى المكتب الخاص بطلبة المدارس الاوروبية المتوسطة ، وقد كان كشكا فى الطرف الخارجى من الحلبة ، ولم يكن كشكا أصغر فقط ، بل اكثر تواضعا ايضا من باقى الاكشاك الاخرى ، وكان المساعد الذى اقتاده الى هناك غاضبا غاية الغضب ، للمشوار الطويل والرجوع المتكرر الذى كان السبب فى حدوثهما فى رايه هو كارل وحده، ولم ينتظر المساعد حتى تبدا الاسئلة التى سيوجهها أعضاء المكتب الى كارل ، بل رجع فى الحال ، فلعل هذا المكتب اذن أن يكون هو فرصة كارل الاخيرة ! وعندما لمح كارل رئيس المكتب فوجىء للغاية بالشبه الشديد بينه وبين مدرس ، ربما كان لا يزال يدرس فى المدرسة التى كان يدرس بها فى بلده ، ومع ذلك ، فقد بدا الشبه فى الحال مقصورا على بعض التفاصيل المعينة ، الا ان النظارات التى كانت ترتكز فوق انف الرجل المريض ، واللحية الجميلة ، وهى تنحدر كجائزة معروضة ، والظهر المنحنى قليلا ، والصوت المرتفع المفاجىء الذى يصدر فجاة ، كلها جمدت كارل من الدهشة لبعض الوقت ، ولحسن الحظ لم يكن عليه أن ينتبه انتباها شديدا ، ذلك ان الاجراءات هنا كانت ابسط كثيرا منها فى المكاتب الاخرى . ولاشك ان مذكرة ما كانت قد تضمنت ان اوراقه لم تقدم ، وقد اعتبر رئيس المكتب عدم وجود تلك الاوراق « شيئا من الاهمال غير المفهوم ! » ، الا ان الكاتب الذى بدا ، وكانه هو الذى يسيطر على هذا المكتب سرعان ما علق على ذلك ، وصرح ذلك الكاتب ،

بعد عدد من الاسئلة التى وجهها رئيســه الى كارل ، وبينما كان السيد يستعد لتوجيه مزيد من الاسئلة الهامة ، صرح بان كارل قد قبل ، واستدار رئيس المكتب مفغور الفم نحو كاتبه ، الا أن الكاتب أتى بحركة حاسمة من يده قائلا : « قبل ! » ، ودون فى الحال هذا القرار فى دفتره ، ويبدو أن الكاتب كان ينظر الى « طالب أوروبى بالمدارس المتوسطة » ، نظرته الى شخص غاية فى الوضاعة ، لدرجة لا يصح معها الارتياب فى أى كلام يصدر عنه ، أو مناقشته فيه ، ولم يكن لدى كارل من ناحيته أدنى اعتراض على هذا ، ومضى راسا نحو الكاتب ، وهو ينوى أن يشكره على ذلك ، لكن كان هناك ثمة تاخير آخر ، فبينما كانا يسالانه عن اسمه ، لم يجب كارل فى الحال ، فقد أحس بالخجل من ذكر اسمه الحقيقي ، والسماح لهما بتدوينه ، ومادام قد وجد مكانا هنا ، مهما كان ضئيلا ، وقبل أن يشغله ، راضيا ، فيمكنهما ان يحصلا على اسمه ، لكن ليس الآن ! كان قد اخفى اسمه الحقيقى طويلا ، بحيث يصعب عليه أن يصرح به الآن ! ولما لم يطرأ على باله اي أسم آخر فى تلك اللحظة ، فقد ادلى لهما باسمه المستعار الذى كان يلقب به فى عمله الاخير ، (الزنجى !)

قال رئيس المكتب : « الزنجي ؟ ! » ، وهو يدير راســه ، ويأتى بحركة ما ، كما لو كان قد بلغ الآن إقصى حدود الريبة ، وحتى الكاتب هو ايضا ، نظر الى كارل ، وتفحصه ، للحظة ، الا انه قال بعدئذ : « الزنجى ! » ، ودون الاسم .

وصاح به رئيسه قائلا : « لكنك لايمكن أن تكون قد كتبت بالفعل كلمة (الزنجى !) »

ورفع الكاتب حاجبيه ، ونهض بدوره ، وقال : « اذن ، فان من واجبى انا ، ان اقول لك ، انك قد قبلت ضمن هيئة مسرح أوكلاهوما ، وان علينا الآن أن نقدمك الى قائدنا ! »

واستدعى مساعدا آخر ، اقتاد كارل الى منصة التحكيم .

وعند أقدام الدرج ، لمح كارل عربة الطفل ، وهبط عندئذ الاب والام ، وكانت الام تحمل الطفل على ذراعها .

سأله الرجل قائلا : « هل قبلت ؟ ! » . كان اكثر نشاطا من ذي قبل ، وابتسمت زوجته لكارل من فوق كتفها . وعندما اجاب كارل بانه كان قد قبل لتوه ، وانه كان فى طريقه لكى يقدم الى القائد ، قال الرجل : « اذن فاننى اهنئك ، فلقد قبلنـا نحن ايضا ، ويبدو انه شيء طيب ان ننضم الى المسرح على الرغم من

انه لا يمكنك ان تعتاد على شيء مرة واحدة وفي الحال ، الا ان الامور تسير دائما على هذا النحو في كل مكان ! »

وقالا لبعضهما : « الى اللقاء مرة اخرى » ، وصعد كارل الى المنصة ، واتخذ دوره ، ذلك ان تلك المساحة الضيقة في أعلى المنصة ، كانت تزدحم فيما يبدو بالناس ، ولم يكن كارل يرغب في المزاحمة والالحاح ، ولهذا توقف لحظة ، وتطلع الى حلبة السباق الهائلة التي كانت تمتد في كل اتجاه نحو الغابات البعيدة ، وكانت تملؤه الرغبة في رؤية سباق الخيل ، ولم يكن قد اتيحت له الفرصة من قبل لمشاهدة أي سباق للخيل منذ أن جاء الى امريكا . وفي اوروبا ، كان قد ذهب الى سباق للخيل ذات مرة ، عندما كان طفلا صغيرا الا ان كل ما كان يمكنه ان يتذكره ، هو ان امه كانت قد سحبته خلال الزحام ، ولم يرغب الناس في ان يفسحوا له طريقا لكي يمر . وعلى هذا فلم يكن بالفعل قد رأى قط من قبل سباقا للخيل ، وكانت خلفه آلة من نوع ما ، كانت قد بدأت تطن ، واستدار حوله ورأي فوق اللافتة ، حيث تظهر أسماء الفائزين من المتسابقين ، هذه الكلمات : « التاجر كاللا ، وزوجته ، وطفله ! » ، وعلى هذا فان أسماء هؤلاء الذين تم قبولهم كانت توزع على مختلف المكاتب من هنا .

وعندئذ هبط بعض السادة الدرج مسرعين ، وبايديهم أقلام رصاص ، ومفكرات ، وكانوا يتحدثون الى بعضهم البعض باهتمام ، والتصق كارل بالسور ، لكي يفسح مكانا لمرورهم ، ثم صعد بعد ذلك الى أعلي المنصة ، حيث افسح له الآن مكانا فوقها ، وفي أحد اركان المنصة ، بسورها الخشبي ــ وكانت المنصة كلها تبدو أشبه ما تكون بسطح منبسط لبرج صغير ــ كان يجلس احد السادة ، وذراعاه مفرودتان أمامه فوق السور ، ووشاح عريض من الحرير يتدلى على صدره بميل ، وعليه هذه الكتابة : « قائد فرقة التجنيد العاشرة ، لمسرح أوكلاهوما » ، وكان فوق المنصة تليفون ، قد وضع لاشك للاستعمال في أثناء مباريات سباق الخيل ، ولكنه يستخدم الآن فيما يبدو ، لابلاغ المعلومات الهامة التي تتعلق بمختلف المتقدمين الى شغل الوظائف ، الى القائد قبل ان يقدموا اليه ، لانه لم يبدا بتوجيه الاسئلة الى كارل ، بل قال لسيد كان يجلس بجواره ، وساقاه معقودتان ، وذقنه بين يديه : « الزنجي ، تلميذ بالمدارس الاوروبية المتوسطة ! » ، وكأنما لم

يكن امامه اي شيء آخر يمكن ان يقوله ، بعد ذلك لـكارل ، الذي انحنى له انحناءة شديدة ، وتطلع القائد الى اسفل الدرج ليرى ان كان ثمة قادم آخر ، ولما لم يجد اى قادم آخر ، اصاخ السمع الى الحديث الذى دار بين السـيد الآخر وبين كارل ، لـكنه ظل صامتا طوال الجزء الاغلب من ذلك الحديث ، وراح يتطلع الى حلبة السباق ، وهو يربت بأصابعه فوق السـور ، وقد جذبت هـذه الاصابع الرقيقة ، الطويلة ، القوية ، انتباه كارل من حين لآخر، مع انه كان قد اعار كل انتباهه بالفعل الى السيد الآخر .

وكان هذا قد بدا حديثه الى كارل متسائلا : « هل كنت قد فصلت من عملك ؟ ! » ، كان السؤال ككل الاسئلة الاخرى التى وجهت الى كارل ، بسيطة ، ومباشرة ، ولم يكن هذا السيد يراجع كارل فى اجاباته ، ولم يحاول استدراجه الى شيء بسؤال غير مباشر مطلقا ، الا ان الطريقة التي كان يدير بها عينيه بينما كان يوجه الى كارل اسئلته ، او الطريقة التي ينحنى بها الى الامام لـكى يرى اثر تلك الاسئلة ، وطريقته كذلك فى خفض راسه فوق صدره فى اثناء استماعه الى الاجابات ، وترديده احيانا لهذه الاجابات بصوت مرتفع ، وتمعنه فى اسئلته بصـورة لها مغزاها الذى قد لايدركه المرء ، لكنه لايرتاح رغم ذلك الى الارتياب فيها . ولقد أحس كارل عددا من المرات بشيء كان يدفعه الى أن يتراجع فى اجابته بعد أن يكون قد أدلي بها ، وأن يجيب باجابة أخرى ، لعلها تجد قبولا أكثر ، الا انه تمكن دائما من ان يضبط نفسه ، فلم يفعل ذلك ، لانه كان يعلم اى انطباع سيىء قد يعكسه مثل هذا التذبذب ، كما لم يمكنه فى الحقيقة أن يدرك اثر أغلب اجاباته . وبالاضـافة الى ذلك فان قبوله فى هذه الوظيفة ، بدا وكأنه قد تقرر بالفعل ، وقد شجعه ادراكه لهذه الحقيقة .

وقد أجاب ببساطة عن السؤال الذى وجه اليه ، عما اذا كان قد فصل من عمله ؟ قائلا : « نعم ! » .

ثم سأله السـيد ثانية : « أين كنت تعمل اخيرا ؟ ! » .

وهم كارل بالاجابة ، عندما رفع السيد أصبعه السبابة ، وكرر قائلا : « اخيرا ! » .

ولما كان كارل قد فهم السؤال جيدا ، فقد هز راسه رغما منه ، لكى يتحاشى الملاحظة الاضـافية المزعجة ، واجاب قائلا : « فى احد المكاتب ! » كانت هذه هى الحقيقة ، لـكن ، لو ان ذلك السيد طلب منه

تحديدا اكثر عما يتعلق بنوع ذلك المكتب ، فقد كان سيكذب عليه عندئذ بلا شك . ومع ذلك ، فلم تبد ثمة ضرورة لمثل هذا الطلب ، لان السيد وجه سؤالا ، كان من السهل تماما الاجابة عليه ، اجابة صادقة : « هل كنت راضيا فى عملك ذاك ؟ ! » .

فصاح كارل قائلا فى انفعال : « لا ! » ، حتى قبل ان ينتهى السؤال ومن طرف عينه ، كان يمكنه ان يلاحظ ان القائد كان يبتسم فى وهن ، واسف لشدة انفعاله ، الا ان السؤال كان مغريا للغاية ، حتى لقد اندفع قائلا : « لا ! » ، دون ان يدرى ، ذلك انه كان يحلم طوال الفترة الماضية من خدمته ، بصاحب عمل قد يلتقى به ، ويوجه اليه هذا السؤال نفسه . الا ان هذا النفى كان من الممكن ان يثير امامه مشكلة اخرى ، لو ان السيد واصل سؤاله ، طالبا منه ان يوضح له ، لماذا لم يكن راضيا فى عمله ذاك ؟ الا ان ذلك السيد تساءل بدلا من ذلك قائلا : « ما هو نوع العمل الذى تشعر بانه يناسبك ؟ ! » ، من الممكن ان يخفى مثل هذا السؤال فخا حقيقيا ، فلماذا يوجه اليه سؤال كهذا ، اذا كان قد قبل بالفعل كممثل ؟ ومع انه قد احس بصعوبة الاجابة على هذا السؤال ، فانه لم يستطع ان يقول انه يشعر بأن مهنة التمثيل ، على وجه الخصوص ، هى المهنة التى تناسبه ، وعلى هذا فقد تهرب من الاجابة على هذا السؤال ، وقال مجازفا بانه قد يبدو ممتنعا عن الاجابة : « لقد قرات اللافتة فى المدينة ، ولما كانت تقول بأن فى امكانكم ان توفروا عملا لكل شخص ، فقد جئت الى هنا ! » .

قال السيد : « نحن نعلم هذا ! » ، موضحا بصمته المتعمد انه لايزال ينتظر اجابة سؤاله .

فقال كارل فى تردد (لكى يتيح للسيد ان يلاحظ انه قد وجد نفسه فى ورطة) : « لقد قبلت كممثل ! » .

قال السيد : « هكذا اذن ! » ، ثم لجا ثانية الى الصمت .

فقال كارل : « لا ! » ، وابتدات كل آماله فى الحصول على وظيفة تهتز : « لست ادرى ، ما اذا كنت استطيع أن اكون ممثلا ، الا اننى سابذل كل جهدي ، وساحاول ان انفذ التعليمات التى توجه الى ! » .

واستدار السيد الى القائد ، واطرق كلاهما ، وبدا لكارل انه قد اجاب الاجابة الصحيحة ، لهذا فقد تشجع ثانية ، وانتصب فى وقفته ، فى انتظار السؤال التالى ، وكان كما يلى :

ـ ما الذى كنت تريد أن تدرسه أساسا ؟ !
ولكى يحدد السؤال فى دقة أكثر ـ ويبدو ان هذا السيد كان يلقى أهمية كبيرة على دقة السؤال ـ اضاف قائلا : « أعنى فى أوروبا ! » ، وهو يبعد يده عن ذقنه ، فى الوقت نفسه ، ويلوح بها ، كما لو كان ليعين كم هى نائية أوروبا تلك ، ومدى عقم اية خطة قد تكون وضعت هناك .
وقال كارل : « كنت أريد أن أصبح مهندسا ميكانيكيا ! » ، لقد التصقت هذه الاجابة فى حلقه ، كان سخيفا منه وهو يعلم جيدا نوع الحياة التى عاشها فى امريكا ، أن يحيا حلم اليقظة القديم ، برغبته فى ان يكون مهندسا ميكانيكيا ، فهل أمكنه أن يصبح مهندسا ميكانيكيا ، حتى فى وطنه ، أوروبا ؟ ـ الا انه لم يدر بأى جواب آخر يمكنه ان يجيب ، وعلى هذا فقد أدلى بهذا الجواب ! »
الا أن السيد قد تقبل هذه الاجابة فى جدية ، فقد كان يأخذ كل شىء مأخذ الجد ، وقال : « حسنا ، لا يمكنك أن تتحول الى مهندس ، فجأة ! لكن ربما يناسبك الآن ان تضطلع بنوع من العمل الميكانيكى البسيط ! » .
قال كارل : « بلا شك ! » ، كان راضيا تماما ، حقا لو انه قبل هذا العرض ، فسيتحول من مهنة التمثيل الى الوضع الذى يقل عنه على نحو ما ، وهو وضع العامل الفنى ، لكنه كان مقتنعا بالفعل من انه سيتمكن من أن يكون صادقا مع نفسه ، بقبوله تلك الوظيفة الميكانيكية ، وبالاضافة الى ذلك ، فقد ظل يقول لنفسه ، أن الامر ليس هو نوع العمل ، بقدر ما هو ضرورة ، أن يؤكد المرء وجوده فى مكان ما ، بصرف النظر عن العمل الذى يؤديه
وتساءل السيد قائلا : « هل أنت قوى البنية بدرجة كافية للعمل الجسمانى ؟ ! » .
فقال كارل : « أوه .. نعم ! »
وعند ذلك أمر السيد كارل بأن يقترب منه ، وتحسس ذراعه .
ثم قال عندئذ : « انه فتى قوى » وهو يجذب كارل من ذراعه نحو القائد ، واطرق القائد مبتسماً ، وهو يمد يده لكارل ، دون أن يغير وضعه المتكاسل ، وقال : « اذن ، فقد تم اقرار هذا كله ، وفى أوكلاهوما سننظر فى هذا الامر ثانية . فاعلم بانك قد شرفت جماعتنا المجندة ! » .
وانحنى كارل ، واستدار أيضا ، ليقول وداعا للسيد الآخر ، الا

انه كان قد نهض ، وراح يتمشى ذهابا وجيئة ، فوق المنصة ، كما لو كانت اعباؤه كلها قد انزاحت الآن عن كاهله ، وكان يتطلع نحو السماء ، وعندما هبط كارل الدرجات ، كانت لوحة الاعلانات الى جواره ، تبدو فوقها هذه الكلمات : « الزنجي ، عامل فني ! » .

ولما كان كل شيء يسير هنا بمثل هذا النظام ، فقد احس كارل بأنه لن يهتم لو رأى اسمه الحقيقي فوق تلك اللوحة ، لقد كانت هيئة المسرح ، هيئة دقيقة النظام بالفعل الى حد لا يكاد يصدق ، فعند اقدام الدرج وجد كارل مساعدا ينتظره ، وثبت حول ذراعه شريطا ، وعندما مد كارل ذراعه ليرى ما كتب فوق هذا الشريط ، وجد عليه فى خط واضح هذه الكلمات : « عامل فنى ! »

لكن مهما كان المكان الذى سيوجهونه اليه الآن ، فيجب عليه أولا أن يبلغ فانى بما آلت اليه الامور . وسمع لأسفه الشديد أن الملائكة والشياطين كانوا قد رحلوا الآن الى المدينة المجاورة ، مع فرق التجنيد المتجولة ، ولكى يقوموا بدور الطلائع المتقدمة لوصول الفريق باكمله فى اليوم التالى . قال كارل : « يا للاسف ! » وكانت هذه هى اول خيبة أمل يصاب بها فى هذه المهنة : « ان لى صديقة بين الملائكة ! »

قال المساعد : « سوف تراها ثانية فى أوكلاهوما ، لكن هيا الآن ، فانك الاخير ! » .

واقتاد كارل بطول الجانب الداخلى للرصيف ، الذى كانت الملائكة يقفن فوقه ، ولم يكن هناك سوى القواعد الخالية . وقد ثبت الآن توهم كارل بأن النفخ فى الابواق لو كان قد توقف ، لكان كثير من الناس قد تقدموا طالبين الانضمام الى المسرح ، ذلك ان احدا لم يكن يقف الآن أمام الرصيف ، فقط بضعة اطفال قلائل يتماركون مع بعضهم البعض ، وريشة بيضاء كانت قد طارت بلا شك من جناح احدى الملائكة ، وكان صبى يمسكها فى الهواء الى أعلى ، بينما كان باقى الاطفال يحاولون انزال ذراعه التى كانت تمسك بتلك الريشة الى اسفل ، على حين كانوا يمدون ايديهم الاخرى الى الريشة

وصرف كارل الاطفال بعيدا ، الا أن المساعد ، قال له دون أن ينظر ناحيته : « هيا ، اسرع ، لقد تطلب قبولك وقتا طويلا ، واظن انهم لم يكونوا واثقين منك ! » .

قال كارل فى دهشة : « لست أدرى ! » ، الا انه لم يصدق ذلك مطلقا ، ومهما كانت الظروف ، فلابد من وجود شخص يحاول

ان يسىء الى زملائه ، لكن نظرا للبشاشة التى بدت بها المنصة الرئيسية التى كانا يقتربان الآن منها ، سرعان ما نسى كارل ملاحظة المساعد . فقد كان يوجد فوق تلك المنصة مائدة طويلة عريضة ، قد غطيت بقماش ابيض ، وكان كل من قبلوا يجلسون الى تلك المائدة ، بظهورهم الى حلبة السباق ، ياكلون . كانوا سعداء جميعا ، وفى غاية التأثر ، وعندما وصل كارل اخيرا ، واتخذ مكانه فى هدوء ، نهض عدد منهم ، وبايديهم الكئوس التى رفعوها الى اعلى ، وشرب أحدهم نخب قائد فرقة التجنيد الماشرة ، الذى دعاه باسم « ابو الماطلين جميعا ! » ، وقال شخص آخر ، ان القائد يمكن رؤيته من هنا ، وبالفعل كانت منصة التحكيم واضحة على مسافة ليست بالغة البعد ، وفوقها السيدان ، ورفع الجميع كئوسهم الآن فى ذلك الاتجاه ، وتناول كارل ايضا الكاس الموضوعة امامه ، وهتفوا باعلى اصواتهم ، الا انهم لم يفلحوا فى لفت أنظار من كانا يجلسان فوق منصة التحكيم ، فلم يكن ثمة ما يدل على انهما قد لاحظا شيئا من هذا الحماس ، ولا كانت هناك على الاقل ادنى رغبة فى ملاحظته ، واضطجع القائد جالسا فى ركنه كما كان يجلس من قبل ، ووقف السيد الآخر الى جواره ، وهو يضع ذقنه على راحة يده ، وتبدو عليه خيبة الامل الى حد ما ، وجلسوا جميعهم ثانية ، وكان يستدير شخص هنا ، أو شخص هناك نحو منصة التحكيم ، الا انهم سرعان ما انهمكوا فى تناول الطعام الوفير ، وكانت طيور ضخمة ، لم ير كارل مثلها من قبل ، تحمل الى المائدة ، وقد انغرست فى لحمها المحمر ، شوك عديدة ، وكان المساعدون لا يتوقفون عن ملء الكئوس بالنبيذ ـ ويصعب عليك ان تلاحظ ذلك ، فبينما تكون مشغولا تماما بطبقك ، تجد النبيذ يتدفق فجاة ببساطة فى كاسك ـ وهؤلاء الذين لم يكونوا يرغبون فى المشاركة فى الحديث ، كان فى امكانهم ان يتفرجوا على صور من مسرح أوكلاهوما كانت توجد فى كومة عند طرف المائدة ، وكانت بعض الصور تنتقل من يد الى اخرى ، الا ان القلائل هم الذين اهتموا بهذه الصور ، وهكذا لم تصل منها سوى واحدة فقط الى يد كارل الذى كان يجلس فى آخر الصف ، ورأى كارل عندما بلغته تلك الصورة ان باقى الصور كانت جديرة هى ايضا بالرؤية ، كانت هذه الصورة توضح الشرفة المخصصة فى المسرح لرئيس الولايات المتحدة ، وربما ظن المرء عند النظرة الاولى اليها ، انها لم تكن

مجرد شرفة ، بل المسرح نفسه ، وكان سور الشرفة يمتد الى مسافة كبيرة ، وكان مصنوعا من الذهب حتى ادق تفاصيله ، وبين اعمدته الرشيقة ، التى نحتت فى رقة ، وكانما بمقص بارع ، كانت الاوسمة المهداة من الرؤساء السابقين ، تصطف الى جانب بعضها البعض ، وكانت لاحدى الحليات انف يمتد بصورة ملحوظة وشفتان وعين مفطاة بجفن كامل مستدير ، وتنظر الى اسـفل ، وكانت اشعة الضوء تسقط على الشرفة من كل الجهات ، ومن السقف ، وكانت المقدمة غارقة كلها فى الضوء ، وارضيتها بيضـاء ناعمة ، بينما تبدو الخلوة الى الخلف كمفارة معتمة متوهجة ، تفطيهـا الستائر الدمشقية الحمراء التى تتهدل فى طيات مختلفة من السقف الى الارض ، وتنعقد طياتها بالحبال . ولم يكن فى استطاعة المرء ان يتخيل وجود بشر فى تلك الشرفة ، بصورتها تلك الملكية ، ولم يكن كارل قد انصرف تماما عن تناول طعامه ، لـكنه كان قد وضـع تلك الصورة ، بجانب طبقه ، وراح يتطلع اليها ، وكان يسره أن يتطلع الى صورة على الاقل من الصور الاخرى ، لـكنه لم يكن يرغب فى النهوض لـكى يلتقط احداها بنفسه ، فقد كان ثمة مساعد يضع يده فوق تلك الـكومة من الصور ، ويبدو انه كان يحاول ان يحافظ على عدم اضطراب تسلسل ترتيبها ، وعلى هـذا فقد رفع كارل عنقه فقط ، لـكى يتطلع عبر المائدة ، محاولا ان يرى ان كانت ثمة صورة اخرى تتداولها الايدى ! ولدهشته المظمى ــ ولقد بدا له ذلك شيئا لايمكن تصديقه فى البداية ــ تعرف وسط هؤلاء الذين كانوا يميلون فوق اطباقهم ، باستفراق ، على وجه يعرفه جيدا ، جياكومو ، فنهض فى الحال ، واسرع نحوه صائحا : « جياكومو ! » ، ونهض جياكومو من على مقعده ، خجلا كمادته ، عنـدما يفاجأ بشىء ، واستدار حول نفسه فى المساحة الضيقة بين المقاعد ، ومسح فمه بيده ، وتهلل جدا لرؤية كارل ، واقترح على كارل ان يأتى لـكى يجلس الى جواره ، او يغير هو مكانه بدلا من ذلك ، وكان لديهما الـكثير ليخبرا به احدهما الآخر ، وعليهما لهذا ان يلتصقا ببعضهما طوال الوقت ، ولما لم يكن كارل يريد أن يزعج الآخرين ، فقد قال انه من الافضل لهما ان يحتفظا بمكانيهما الحاليين الآن ، فسرعان ما تنتهى الوجبة ، وبعد ذلك بالطبع ، سيلتصقان ببعضهما . الا ان كارل قد تمهل دقيقة او دقيقتين ، لمجرد ان يتطلع الى جياكومو ، كم من ذكريات الماضى قد طرات على ذاكرته ! ما الذى حـدث

للمديرة ؟ وماذا تفصل تيريز ؟ لم يكن قد طرا على جياكومو نفسه تغيير يكاد يذكر ، ولم تتحقق نبوءة المديرة ، بأنه سوف يتحول فى خلال ستة شهور الى رجل أمريكى ناضج ، فقد كان رقيق المظهر كما كان من قبل ، وكانت وجنتاه بارزتين كما كانتا ، على الرغم من انتفاخهما الآن بقطعة كبيرة من اللحم ، كان يستخرج منها العظم ببطء ، ليضمه فى طبقه . وكما استطاع كارل ان يرى من رباط ذراعه لم يكن قد قبل كممثل هو ايضا ، لكن كصبى مصعد ، ويبدو ان مسرح اوكلاهوما ، كان لديه بالفعل مكان لكل شخص ! الا ان استغراق كارل فى التطلع الى جياكومو ، كان قد أبعده طويلا عن مقعده ، وعندما فكر فى العودة الى مكانه ، كان مدير المستخدمين قد وصل لحظتها ، وصعد فوق احد المقاعد ، وصفق بيديه ، والقى كلمة قصيرة ، بينما نهض اغلب الموجودين على اقدامهم ، اما هؤلاء الذين ظلوا فوق مقاعدهم ، غير راغبين فى ترك طعامهم ، فقد ظل الآخرون يلكزونهم حتى اضطروا هم أيضا الى النهوض .

قال مدير المستخدمين : « ارجو .. » ورجع كارل فى تلك الاثناء الى مكانه على اطراف أصابعه : « أن تكونوا قد رضيتم عن استقبالنا لكم ، وأن يكون قد أعجبكم ما قدمناه لكم من الطعام ، ان الفرقة المجندة ، ينبغى لها دائما ان يكون لها مطعمها الجيد ، وآسف لاننا يجب أن نخلى المائدة الآن ، لان القطار الراحل الى اوكلاهوما ، سيتحرك فى خلال خمس دقائق ، وانها لرحلة طويلة ، أعلم هذا ، الا انه سيوجد من يعنى بشئونكم فى خلالها ، عناية تامة ، واسمحوا لى الآن بأن اقدم لكم السادة الذين سيشرفون على اجراءات انتقالكم ، والذين نرجو أن تلتزموا بتنفيذ تعليماتهم »

وصعد رجل قصير نحيل الى أعلى المقصد ، بجوار رئيس المستخدمين ، وما كاد يجد الوقت لكى ينحنى انحناءة سريعة ، حتى شرع يلوح بذراعيه فى عصبية لكى يوجههم الى كيفية تنظيم انفسهم ، وتحركهم نحو المحطة . الا انهم قد تجاهلوه فى بداية الامر ، فقد خبط الرجل الذى كان قد القى خطبته فى بداية تناول الوجبة ، المائدة بيده ، وبدأ فى توجيه الشكر فى خطبة طويلة ، مع انه كان يعلم — ولم يكن كارل مرتاحا لتلك الخطبة — بأن القطار سيتحرك فى خلال خمس دقائق ، بل ان لا مبالاة مدير المستخدمين الواضحة لم توقفه أيضا عن اتمام خطبته ، وكان مدير المستخدمين يلقى ببعض التعليمات الى الموظف المسئول عن الانتقال ، بينما كان

ذلك الشخص قد اقام خطبته على تمجيد الاخـلاق العالية التى يتحلى بها موظفو مسرح اوكلاهوما ، وعلى وصف الاطبـاق التى قدمت على المائدة ، ثم راح يطلق احكامه على كل شخص اتفق له ان التقى به ، ثم انتهى الى هذا التصريح ، مشيرا الى الاطباق : « ايها السادة ، هذا هو الطريق الى قلوبنا ! » ، وضحك الجميع فيما عـدا السيد الذى كان الحديث قد وجه اليه اسـاسا ، ولقد كان فى هـذا التقرير ، كثير من الحقيقة ، بجانب ما كان يتضمنه فى الوقت نفسه من الهزل .

وقد ترتب على تلك الخطبة نوع من العقاب ، فقـد كان على الجميع ان يقطعوا الآن الطريق الى المحطة جريا ، وان لم يكن ثمة صعوبة فى هذا ـ كما لاحظ كارل الآن فقط ـ لان احدا لم يكن يحمل اية امتعة ، وكان الشيء الوحيد الذى كان يمكن تسميتـه بالامتعة هو عربة الطفل ، التى دفعها الاب امامه فى مقدمة الركب ، والتى كانت ترتفع مهتزة الى أعلى والى أسفل بعنف ، كما لو لم تكن هناك يد تضغط عليها . يا لهم من أشخاص معدمون ، بائسون اجتمعوا هنا معا ، ثم بأى طيبة استقبلوا هنا ، ووجدوا شيئا من العناية ! ولابد ان الموظف المشرف على الرحلة ، كان قـد أوصى برعايتهم كحبة عينه ، فقد أخـذ الآن دوره فى دفع عربة الطفل ، ملوحا باحدى يديه لـكى يستحث الركب على الاسراع ، وكان يستعجل الشاردين فى مؤخرة الموكب ، ويتجول بين الصفوف وهو يرعى من يعجزون عن الجرى السريع ، محاولا أن يوضح لهم بذراعيه اللتين كان يلوح بهما طوال الوقت ، كيف يمكنهم أن يسرعوا فى الجرى بسهولة .

وعندما بلغوا المحطة كان القطار يتاهب للرحيل ، واشار الناس فى المحطة لبعضهم البعض الى هؤلاء القادمين ، وكان المرء يسـمع صيحات التعجب ، من قبيل : « هل ينتمى كل هؤلاء الى مسرح اوكلاهوما ! » ، ويبدو ان المسرح كان معروفا اكثر مما كان يتصور كارل ، فهو لم يكن يهتم اهتماما كبيرا بشئون المسارح ، وكانت عربة كاملة قد تم حجزها لهم ، وبذل المشرف على الرحلة جهـدا يفوق الجهد الذى بذله حارس القطار فى ادخالهم الى تلك العربة ، ولم يجلس ذلك المشرف على مقعده قبل ان يفتش على كل ديوان ، ويقوم ببعض الترتيبات اللازمة ، وتصادف ان جلس كارل على مقعد يجاور النافذة ، وجلس جياكومو الى جواره .

وهكذا جلسا ملتصقين ببعضهما البعض ، متهللين من اعماق قلبيهما للرحلة ، تلك الرحلة المجهولة الى امريكا التى لا يعرفان عنها شيئا على الاطلاق .

وعندما بدأ القطار فى التحرك ، خارجا من المحطة ، لوحا بأيديهما من النافذة ، وقد تسلى الشبان الذين كانوا يجلسون قبالتهما بهذا المنظر ، ولكزوا بعضهم بعضا ، وضحكوا .

واستمرت الرحلة يومين وليلتين ، وادرك كارل الآن فقط كم كانت أمريكا واسعة ، وتطلع بلا ملل من خلال النافذة ، وحرص جياكومو على التشبث بمكانه الى جوار كارل ، حتى ضاق به الآخرون الذين كانوا يشاركونهما نفس الديوان ، عندما ارادوا أن يلعبوا الورق ، وتنازلوا له طوعا عن المقعد الآخر المجاور للنافذة ، وشكرهم كارل — فقد كان من الصعب فهم انجليزية جياكومو — وبمرور الوقت ، كما يحدث دائما بين رفاق السفر ، اصبحوا جميعا اكثر ودا مع بعضهم البعض ، على الرغم من ان هذا الود كان احيانا عبارة عن مجرد ضوضاء وازعاج ، فكلما كانوا ينحنون ، مثلا ، لالتقاط ورقة انزلقت الى أرضية الديوان ، لم يكن يمكنهم ان يقاوموا رغبتهم فى ان يقرصوا ساق كارل أو جياكومو بصورة مؤلمة ، وكان جياكومو يصرخ دائما فى دهشة متجددة ، كلما حدث ذلك ، ويرفع ساقيه الى أعلى ، وحاول كارل فى احدى المرات ان يرفسهم ردا على ذلك ، الا انه قاسى بقية الوقت فى صمت . وكان كل شىء يحدث فى ذلك الديوان الصغير ، كان يتلاشى امام عظمة المناظر التى كانت تبدو من خلال النافذة .

وقد انطلق بهم القطار فى اليوم الاول عبر سلسلة مرتفعة من الجبال ، وكتل ضخمة من الصخور الزرقاء الضاربة الى السواد ، كانت تنحدر انحدارا يكاد يكون عموديا على الخط الحديدى، وحتى لو مد المرء عنقه من خلال النافذة ، فلم يكن يمكنه أن يرى قممها ، ووديان ، ضيقة ، كئيبة ، غير ممهدة ، كانت تمتد فى احيان اخرى ، حاول احدهم أن يتتبع باصبعه ، الاتجاه الذى كانت تنتهى عنده ، وتتلاشى ، وكانت تظهر كذلك انهار عريضة جبلية ، تندفع فى أمواج هائلة الى اعماق سفوح التلال ، وعلى سطحها تطفو آلاف من أمواج الزبد ، كانت تغوص تحت القناطر ، التى كان القطار يندفع فوقها ، وقد كانت تلك الامواج قريبة غاية القرب منهما ، حتى أن الرذاذ البارد الذى كان يتناثر منها كان يصفع وجهيهما .

تعقيب

لم يكن مخطوط فرانزكافكا يحمل عنوانا ، وكان قد اعتاد فى احاديثه أن يشير الى هذه الرواية ، على انها (روايته الامريكية) ، الا انه اطلق عليها ببساطة فيما بعد (العطشجى) ، وهو عنوان الفصل الاول الذى نشر منفصلا عام ١٩١٣ . وكان كافكا يكتب هذه الرواية فى سعادة لا حد لها ، فى الامسيات ، ثم بعد ذلك كانت تستغرقه الكتابة فيها حتى اوقات متأخرة من الليل .

ولم تكن صفحات المخطوط تحتوى ، مما يثير الدهشة ، الا على القليل جدا من التصحيحات ، أو الحذف ، وكان كافكا يدرك تماما ، ان هذه الرواية كانت اكثر كتاباته جميعا ، تفاؤلا، وابسطها من حيث التركيب والمزاج الذى كتبت به ، وقد تحدث الى الكثيرين حول هذه الحقيقة .

وربما كان لى ان اقول فى هذا الصدد ان فرانزكافكا ، كان مغرما بقراءة كتب الرحلات ، والمذكرات ، وان سيرة حياة فرانكلين، كانت أحد كتبه المفضلة ، وكان يحب ان يقرأ منه بعض المقطوعات فى صوت مرتفع ، وانه كان يحن دائما الى المساحات الشاسعة ، والبلاد النائية ، وهو لم يرحل بالفعل الى أبعد من فرنسا ، وايطاليا ، ولهذا فان براءة خياله ، تضفى على هذه الرواية التى تصور مغامرة (كارل روسمان فى أمريكا) لونها الغريب .

وقد انقطع كافكا فجاة عن مواصلة كتابة هذه الرواية ، فظلت ناقصة . وقد عرفت مما ذكره لى ان الفصل الناقص عن (مسرح اوكلاهوما الطبيعى) ، وهو فصل كانت بدايته بصفة خاصة تمتع كافكا ، حتى لقد اعتاد على ان يقراه بصوت مرتفع فى تاثر بالغ .. كان كافكا ينوى أن يجعله خاتمة للرواية ، وكان سينتهى بنوع من التوافق الشاعرى الحزين مع الحياة .

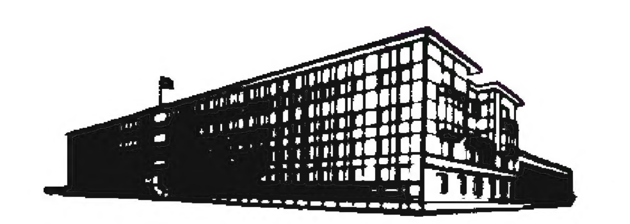
وقد اعتاد كافكا أن يشير فى غموض الى انه فى اطار ذلك المسرح (الذى لا حدود له) ، كان بطله الصغير سيجد مرة أخرى وظيفة ، وسندا ، وسيجد حريته ، وبيته ، ووالديه ، كانما بشىء من السحر العلوى .

وان الاجزاء التى تسبق مباشرة هذا الفصل الختامى من الرواية (نهاية الفصل السابع) هى ايضا ناقصة .

وتوجد قطعتان كبيرتان تتعرضان لخدمة كارل فى شقة برونيلدا ، الا انهما لا تصلان السياق.. وقد كانت الفصول الستة الاولى هى نقط الفصول التى قسمها كافكا ، ووضع عناوينها بنفسه .

ماكس برود

** معرفتي **
me3refaty.blogspot.com



الطباعة : مؤسسة دار الهلال ـ القاهرة

طبعة خاصة بمكتبة الأسرة ٢٠٠٧